وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

الوعي الإسلامي
AL-waei AL-Islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

تفسير عبد الله بن مسعود الهذلي رضي الله عنه

جمعًا وتحليلًا

تأليف
د/ علي منصور سالم الفرسطائي

المجلد الأول

الإصدار مائة وثمانية
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

أصلُ هذا الكتاب أطروحة جامعية
قُدِّمت لنيل درجة الدكتوراه
من جامعة السابع من إبريل -ليبيا
قسم اللغة العربية والدراسات القرآنية

تفسير
عبد الله بن مسعود الهذلي رضي الله عنه
جمعًا وتحليلًا

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
دولة الكويت - في مطلع كل شهر عربي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

الإصدار مائة وثمانية

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥ م

العنوان
ص.ب ٢٣٦٦٧
الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت
هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ - ١٨٤٤٠٤٤
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

البريد الإلكتروني
info@alwaei.com

الموقع الإلكتروني
www.alwaei.gov.kw

الإشراف العام:
رئيس التحرير
فيصل يوسف أحمد العلي

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م
الوعي الإسلامي
AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

تفسير
عبد الله بن مسعود الهذلي رضي الله عنه
جمعًا وتحليلًا

تأليف
د/ علي منصور سالم الفرسطائي

المجلد الأول

الإصدار
مائة وثمانية
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

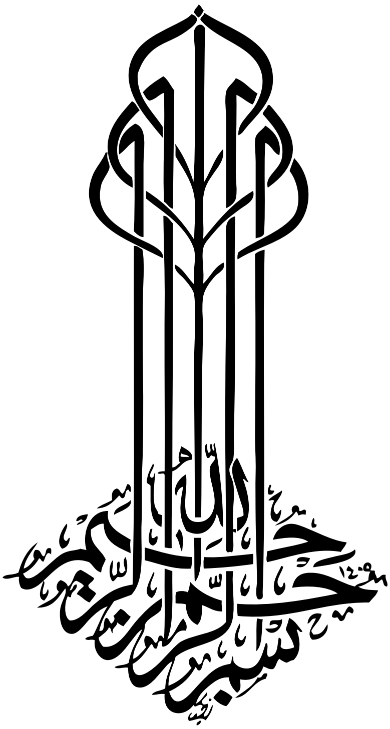
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهــداء

أهدي هذا العمل إلى والدي العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ
الذي طالما تمنى أن يحضر المناقشة،
كما أهديه إلى بناتي وأبنائي،
وإلى كل محب للموروث الإسلامي
سائلاً الله العلي القدير أن يجعله في ميزان
حسناتهم وأن ينتفع به كل من قرأه واطلع عليه.

علي منصور سالم الفرسطائي

تصدير

بقلم رئيس تحرير مجلة الوعي الإسلامي

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب تبصرة لأولي الألباب، وأودعه من فنون العلوم والحكم العَجب العُجاب، وجعله أجلّ الكتب قدراً، وأغزرها علماً، وأعذبها نظماً، وأبلغها في الخطاب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ربّ الأرباب، الذي عنت لقيّوميّته الوجوه وخضعت لعظمته الرّقاب، وأشهد أنّ سيّدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث من أكرم الشّعوب وأشرف الشّعاب إلى خير أمّة بأفضل كتاب، صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم المآب.

ثم أما بعد:

فإنّ العلم بحر زخّار لا يدرك له من قرار، وطود شامخ لا يسلك إلى قمته ولا يصار، من أراد السّبيل إلى استقصائه لم يبلغ إلى ذلك وصولاً، ومن رام الوصول إلى إحصائه لم يجد إلى ذلك سبيلاً.

وإنّ كتاب الله عزّ وجلّ هو مفجّر العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها، أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء، وأبان فيه كل هدي وغيّ فترى كلّ ذي فنّ منه يستمد وعليه يعتمد، فالفقيه يستنبط منه الأحكام ويستخرج الحلال والحرام، والنّحويّ يبني منه قواعد إعرابه ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه، والبيانيّ يهتدي به إلى حسن النّظام ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام، وفيه من القصص والأخبار ما يذكّر أولي الأبصار، ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولو الفكر والاعتبار، إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها، هذا مع فصاحة لفظ وبلاغة أسلوب تبهر العقول، وتسلب القلوب، وإعجاز نظم لا يقدر

عليه إلا علام الغيوب.

لذلك كله كان القرآن الكريم موضع العناية الكبرى من الرسول ﷺ وصحابته، ومن سلف الأمة وخلفها جميعاً إلى يومنا هذا.

وقد اتّخذت هذه العناية أشكالاً مختلفة، ومن هذه الأشكال ما قام به فضيلة الأخ الدكتور علي منصور سالم الفرسطائي من البحث في شخصية من أصحاب النبي ﷺ الذين أكرمهم الله بالسبق إلى الإسلام، ومنَّ عليهم بالعلم بمكنون كتابه، وسنة نبيه ﷺ والفقه بأحكام الدين، ذلكم هو عبد الله بن مسعود الهذلي، الذي كانت له كبير المنزلة بين المفسرين من الصحابة، حيث اهتم الباحث فيما أثر عن ابن مسعود من تفسير لآي القرآن الكريم؛ جمعها في كتاب نفيس أسماه: «تفسير عبد الله بن مسعود الهذلي ... جمعاً وتحليلاً».

هذا، وقد دأبت مجلة الوعي الإسلامي- كعادتها - على انتقاء المواضيع والأبحاث العلميّة القيّمة لتكون من ضمن إصداراتها الثقافية والعلمية الرائدة، فكان هذا البحث هو إصدارها الذي يحمل رقم (١٠٨) ليُضاف إلى سلسلة إصداراتها العلمية.

و«**مجلة الوعي الإسلاميّ**» إذ تقدّم هذا الإصدار، فإنها تتوجه بخالص الشكر والتقدير للأخ الفاضل الدكتور علي منصور سالم الفرسطائي، على جهوده الواضحة في خدمة هذا الكتاب، ولجميع من ساهم وأعان على إصداره، سائلة الله عزّ وجلّ أن يجعل فيها النفع والفائدة للجميع.

والحمد لله رب العالمين

رئيس التحرير

فيصل يوسف أحمد العلي

مقدمة الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين المحمود بكل لسان، الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان بعد ما أمكنه من وسائل التعلم بأن مده بعقل مدرك، وقلب فاهم، وقلم كاتب، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي المبعوث رحمة للعالمين معلم البشرية، وعلى آله وصحابته الطيبين الأخيار، الناشرين للدين قولاً، وعملاً، والداعين إليه بالحكمة، والموعظة الحسنة، فجزاهم الله عنا، وعن الإسلام خيراً، وبعد:

(إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيئ)[1]، فإن هذه الدراسة تتناول أبعاد شخصية من أصحاب النبي -صلوات الله وسلامه عليه- الأُوَل الذين أكرمهم الله بالسبق إلى الإسلام، والبلاء فيه، ومنّ عليهم سبحانه بالعلم بمكنون كتابه، وسنة نبيه، والفقه بأحكام الدين؛ ذلكم هو عبد الله ابن مسعود الهذلي، وقد دفعني إلى دراسة هذه الشخصية ذات الحياة الخصبة أمور ثلاثة:

---

(١) ابن حنبل: المسند ج٥ ص٢١١.

الأول: أن ابن مسعود رضي الله عنه من صحابة النبي ﷺ الذين أثروا الفكر الإسلامي ثراءً لا ينكر في أكثر من جانب ؛ إذ هو من الرعيل الأول الذي عني بحفظ كتاب الله -تعالى-، وفهمه، وإبلاغه، وتعليمه للناس، وهو في ذلك رأس بذاته. كان له مصحفه، وكانت له قراءته، وكان له تفسيره الذي لا يعدل عنه، وهو أيضاً الفقيه البارع له القدم الراسخ في مجال الاجتهاد، والإفتاء، والقضاء. يشهد له بذلك أنه رأس المدرسة العراقية في الفقه دون منازع، على رحابة ساحتها، وكثرة ما أثير فيها.

الثاني: أن ما كتب عنه قليل ليس فيه غنى إذا ما قيس بما كان له من أثر في حياة الفكر الإسلامي إلا ما كان من نتف متفرقة في كتب الفقه تمثل فتاويه، وأقوال متناثرة في كتب التفاسير تمثل تفسيره، ومرويات في كتب الأحاديث التي تكفّل بجمعها من الكتب الستة، وموطأ مالك، ومسند أحمد. دون غيرها من كتب الأحاديث الأستاذ الفاضل الدكتور الشريف منصور بن عون العبدلي، التي نال بها درجة الدكتوراه، وما كان مبثوثاً في كتب التراجم تمثل سيرته، ولم يخص بدراسة مفردة تتناول أبعاد حياته الخاصة والعامة التي لا تقدَّر بأعوام عمره، بل بما أعطى لها، وهو وفير ثرّ. غير كتاب صغير ألفه الدكتور عبده الراجحي الأستاذ بجامعة الإسكندرية، وهو مما لا يحيط بكل جوانب شخصيته، ومما تغلب عليه المنقبية، والوصفية، ثم ما كان من بدء الدكتور محمد رواس قلعة جي من جمع لفتاويه دون تحليل، وترتيبها مبوبة على الطريقة الألف بائية. فيما يطلق عليه (الموسوعة الفقهية لعبد الله بن مسعود).

الثالث: أن الأثر العلمي الذي خلفه ابن مسعود في حياة المسلمين لا يزال غذاء لقوافل العلماء من بعده يتناقل إليهم عبر مسارب الزمن، مضيئاً يهتدي به الطالبون من أصحاب العلم، فلا يخلو كتاب تفسير، ولا حديث، ولا فقه من أثر له، فقد كان علمه مباركاً فيه. شأن كل ما يبتغى به وجه الله -تعالى- يزكو، ويثمر، وينتفع به الناس. قال ﷻ: ﴿...فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾(١).

ومع كل هذا، فقد وجّهت للرجل بعض تهم من المستشرقين، وبعض المسلمين على سواء هو منها براء. مثل: نسبة الشذوذ إلى بعض قراءته، ومن ذلك أيضاً نسبة الشذوذ إلى بعض تخريجاته الفقهية التي انفرد بها؛ لهذا جميعه آليت على نفسي أن أُفْرد له دراسة خاصة تستغرق جوانب حياته استدراكاً لما فات، ووفاء بحق مسلم من الرعيل الأول، وقارئ أحب -صلوات الله وسلامه عليه- سماع تلاوة القرآن من فيه، وفقيه، ومفسر طبّقت شهرته الآفاق، ومعلم تكونت على اتجاهه الفقهي أكبر المدارس في تاريخ الفقه الإسلامي، وعالم أثرى الفكر الإنساني بعامة. وقد جاءت هذه الدراسة تحت عنوان: (تفسير عبد الله بن مسعود الهذلي جمعاً وتحليلاً)، وتوخيت أن تجمع هذه الدراسة بين ما لهذا الصحابي الجليل، وما عليه؛ لذا اخترت لها منهجاً يقوم على أساسين اثنين:

الأول: دراسة الجانب الشخصي من حياته المتعلقة بالنسب، والمولد،

(١) سورة الرعد: ١٧ .

والنشأة، والصحبة، وعلى الجملة أطوار حياته داخل الإطار الشخصي بعامة.

الثاني: دراسة الجانب العلمي في حياته، وأخص من الجانب العلمي جهوده في علوم القرآن، وتفسيره المأثور عنه في سور القرآن بحسب ما هو موجود في أمهات كتب التفسير قدر الطاقة والجهد، وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة، وثلاثة أبواب، وخاتمة، ففي المقدمة ذكر الافتتاحية، وسبب اختيار الموضوع. أما ما يتعلق بالمصادر والمراجع فقد اعتمدت على الأصلية منها، وجعلت للمصادر الثانوية فهرساً خاصاً، كما ذكرت ترجمة المؤلف، وكتابه عند التعرض له لأول مرة، وإذا كان للمؤلف أكثر من كتاب أكتفي بترجمته مع أول كتاب له، ثم يعاد مع الكتب الأخرى بلقبه، أو بما اشتهر به، كما ترجمت بعض الأعلام دون بعض، وذلك بحسب مقتضيات الدراسة، وقد أثبت بعض الرموز قصد الاختصار، فالتاء بعد ذكر المؤلف تعني الوفاة، والطاء بعد ذكر الكتاب تعني الطبعة، والتاء تعني تاريخ طبع الكتاب، والنون بعد ذكر الكتاب تعني الناشر، أما الكتاب الخالي من الطبعة، و التاريخ، أو أحدهما فيجعل هكذا: لاط لات.

أما الباب الأول فقد جاء في ثلاثة فصول:

تناول الفصل الأول نسبه من جهة أبيه، وأمه، والقبيلة التي ينتسب إليها، ومكانتها بين القبائل العربية، ومكانها، ثم التحدث عن نشأته، وإسلامه، والمهنة التي كان يزاولها قبل الإسلام، ومدى ملازمته للنبي ﷺ الأمر الذي جعله يتصدى للمشركين، ويجهر لهم بالقرآن لأول مرة

بعد الرسول ﷺ دون غيره من الصحابة رضي الله عنهم على الرغم مما هم فيه من صعوبة الموقف، وتضييق الخناق عليهم من قبل المشركين، حتى إن النبي ﷺ أذن لهم في الهجرة إلى الحبشة، ثم إلى المدينة حيث آخى بينه وبين معاذ بن جبل رضي الله عنهما.

أما الفصل الثاني: فقد تناول جهاده مع الرسول ﷺ، وبعده، وشخصيته، وما قيل فيها من قبل الرسول ﷺ والصحابة، ومن بعدهم، وما نزل فيه من القرآن، وبعد وفاة الرسول -عليه الصلاة والسلام- واصل الجهاد مع الصحابة رضي الله عنهم، وقد أسندت إليه مهام أثناء الفتوحات، فقام بها خير قيام، ولم يكن جهاده مقتصراً على السيف بل جاهد في طلب الحق بما أوتي من فصاحة، وحجة، وثبات على المبدأ.

أما الفصل الثالث: فقد اشتمل على أخلاقه، وصفاته الجسمية، وحليته، ووفاته، ووصاياه، وأقواله، وطريقته في التعليم، والتربية. ففي جانب الأخلاق تناولت الدراسة ما اتصف به من إخلاص، وصدق، وصبر، وشجاعة، وابتعاد عن الخلاف، والفتن، وما امتاز به من رحمة، وتواضع، وورع، وخشية، وعبادة، ودعاء. كل هذا مدعّم بذكر ما يؤيده من أحداث مستقاة من حياته، ولما انتهى الحديث عن الصفات الأخلاقية كان لابد من ذكر الصفات الجسمية، ومتعلقات ذلك من لباس، وحلية مع دفع الشبهة الواردة على نسبه، وبخاصة من بعض المستشرقين، ولما انتهى الكلام على الصفات الخُلُقية، والخِلقية سوّغ هذا الانتهاء التعرض لذكر وفاته، ووصاياه، وتركته، ثم ذكر زوجه، وأولاده من ذكور،

وإناث، مع الحديث عن أشهر بعض تلاميذه، وما امتازوا به، وقد سوّغ هذا الحديث عن علمه، وطريقته في التعليم، وحثّه على العلم، وممن يكون طلب العلم.

أما الباب الثاني: فقد جاء تحت عنوان: (جهود ابن مسعود في علوم القرآن) وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: (حثه على تعلم القرآن والعمل به واحترامه)، وقد تناول هذا الفصل منزلة قراءته عند الرسول ﷺ، والصحابة ﭫ، وغيرهم، ومدى اعتداده بقراءته مع ذكر من عرض عليه القرآن، والقراءات المنتهية إليه، ومن كان يقرأ له، ثم عنايته بالقرآن من حيث الحث على تعلمه، والعناية بالعمل به، وما هي المواصفات لحامل كتاب الله -تعالى- في نظره مع تسميته القرآن بأسماء عدة أبرزها المصحف، والمأدبة، وما هي الأشياء التي كان يكرهها في حق القرآن، منها: تنكيس القرآن، والنقط في المصاحف بالسواد، وبيع المصاحف، وشراؤها، مع ذكر الأشياء التي يجيزها في حقه، وبيان مقصوده من التغني بالقرآن، والحديث عن صحة الصلاة بقراءته من عدمها، مع بيان معنى الشذوذ لغةً، واصطلاحاً.

أما الفصل الثاني: ففيه (ما أثر عن ابن مسعود من قراءات، وموقفه من قراءة القرآن بالمعنى، ومعرفته بأسباب النزول)، فقد تعرضت الدراسة في هذا الفصل إلى قراءته الشاذة، وخلصت إلى أنها تفسير لا قرآن، وبيان أثر الغلاة في قراءته، وذكر الموازنة بين مصحفه، ومصاحف بعض

الصحابة، ومناقشة دعوى خلطه القرآن بالتفسير، وأنه يجيز القراءة بالمعنى، ثم إيراد ترتيب مصحفه، ومناقشة دعوى إسقاط الفاتحة والمعوذتين منه، ثم مناقشة قراءته، وقراءة زيد من حيث أي القراءتين كانت العرضة الأخيرة على رسول الله ﷺ، وقد ساق هذا التعرض لقضية مصحفه من جهة ما كان بينه وبين عثمان، وبينه وبين زيد بن ثابت رضي الله عنه، ثم الخلوص إلى الرأي المختار، وبيان مدى علمه بالقرآن، ومعرفته بأسباب النزول المعينة على فهم المراد من الآية أو الآيات.

أما الفصل الثالث: فقد احتوى على (منزلته بين المفسرين من الصحابة، وتأسيسه لمدرسة التفسير بالكوفة)، ففي هذا الفصل تناولت الدراسة منزلته بين المفسرين من الصحابة من حيث الكثرة، والجودة، والثقة، وتأسيسه لمدرسة التفسير بالكوفة، وأثر تلاميذه في نشر طريقته التي عرفت فيما بعد بالتفسير بالمأثور؛ إذ كانت تعتمد على ما أثر عن رسول الله ﷺ، والصحابة، فمن طريقة ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يعتمد في تفسيره على ما سمع من رسول الله ﷺ، وأنه كان يكره التكلف، والمغالاة في التفسير بالرأي؛ لأنه مظنة الخطأ، والزيغ.

أما الباب الثالث: فقد جاء بعنوان: (ما أثر عن ابن مسعود من تفسير في جميع القرآن)، وفيه ثلاثة فصول قدمت بين يديها توطئة في معنى التفسير، والتأويل لغةً، واصطلاحاً، والعلاقة بينهما، ونشأة التفسير على يد الرسول ﷺ، ونماذج من تفسيره مع بيان فضل حفظ القرآن، وتعلمه.

فالفصل الأول: في التفسير المروي عنه في ثلث القرآن الأول من

الفاتحة إلى نهاية سورة الأنفال.

الفصل الثاني: ما روي عنه من تفسير الثلث الثاني من القرآن من بداية سورة التوبة إلى نهاية سورة النمل.

الفصل الثالث: ما روي عنه من تفسير في الثلث الأخير من القرآن ابتداءً من سورة القصص إلى نهاية سورة الناس.

أما الخاتمة فقد تضمنت نتائج البحث، ومن أبرزها:

أن ابن مسعود رضي الله عنه صحابي ابن صحابية، هذلي النسب، زهري الحلف، مشهود له بالجنة من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه شهد المشاهد كلها، بل كان من الثابتين في المعارك إذا غيره تخلف، أو تقهقر، وأنه ظل على الجهاد في سبيل الله حتى بعد وفاة الرسول -عليه الصلاة والسلام- وأن جهاده لم يكن قاصراً على السيف، بل جاهد في طلب الحق في كل الميادين، وأنه قد أسندت إليه مهام عدة، فقام بها كما ينبغي، ولما تفرغ للعلم تكون حوله تلاميذ كثر نبغوا في العلوم الإسلامية التي تلقوها من أستاذهم ابن مسعود، فمنهم الفقيه، والمحدث، والقارئ، والمفسر، وقد تكونت في الكوفة مدرسة التفسير بالمأثور على يد ابن مسعود، وتلاميذه، وقد كان لها الأثر الكبير في العالم الإسلامي، وأن ما نسب إليه من قراءات شاذة جاءت من طريق الآحاد، ومن الغلاة ومن المتحاملين عليه، وأن أغلب ما نسب إلى قراءته هو في الحقيقة تفسير لا قرآن، ومن النتائج المتوصل إليها أنه من أكثر الصحابة تمسكاً

بالتفسير مما سمع من رسول الله ﷺ، وأنه لا يتكلف من عنده، فهو يفسر القرآن بالقرآن، والقرآن بالسنة، وبما سمع من غيره من الصحابة، وأنه لا يلجأ إلى الإفتاء من عنده إلا إذا لم يجد نصاً من قرآنٍ، وسنةٍ، وإجماع الصحابة، وإن حصل له ذلك احتاط بقوله: (إن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأً فمني، ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان)، ومما جاء في الخاتمة أيضاً توصيات الدارس التي حصرها في نقاط ثلاث:

الأولى: أن من وجد أثراً عن ابن مسعود رضي الله عنه في كتاب ما فلا يكتفي به، بل يبحث عنه في مصادر أخرى؛ للتحقق من صحته، وبخاصة إذا تبين له أن المؤلف من الغلاة.

الثانية: إيجاد دراسة مستوفية عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه القارئ؛ لرفع ما ألصق به من شذوذ في القراءات؛ استكمالاً لما أشير إليه في هذه الدراسة في الباب الثاني.

الثالثة: أن ما جمع عنه من مأثور في هذه الدراسة يعد خطوة أولى، فيا حبذا لو تتلوها خطوات من حيث شرح ما جمع في هذه الدراسة، وأن يضاف إليها ما لم يوجد فيها، ومما تضمنته الخاتمة ذكر المصادر، والمراجع، وفهرس للأعلام المترجم لهم، ثم فهرس بمحتويات البحث، وبعد ومهما يكن من أمرٍ فإن عمل الإنسان يظل ناقصاً، وهو في حاجة إلى استكمال، وسد الخلل.

قال الشاعر:

إن تـجـد عـيـباً فـسـد الـخـلـلا　　جـلّ مـن لا عـيـب فـيـه وعـلا.

والدارس يقرّ بأن ما قدمه جهد مقلّ، يعتريه النقص، والقصور عن إدراك الغاية المرجوة، والهدف المنشود، غير أن إيمانه بأن لكل مجتهد نصيباً جعله يخوض هذا الغمار، مستعيناً بالله، ومتوكلاً عليه، فهو ولي التوفيق، والسداد، والهادي إلى سبيل الرشاد، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله على كل حال.

الباب الأول
حياة ابن مسعود وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

نسبه ونشأته وإسلامه وهجرته والمؤاخاة

● نسبه من جهة الأب :

هو : (عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر؛ أبو عبد الرحمن الهذلي حليف بني زهرة)[١].

هذه أشهر السلاسل التي وردت في كتب التراجم والأخبار عن هذا العَلم، وتوجد هناك خلافات طفيفة في ترتيب الأسماء، وتغيير في بعض حروفها، فعاقل بالقاف بدلاً من الفاء (غافل)، وقد أورد الخطيب في تاريخه (أن الذي سمّاه بذلك خليفة بن خياط العصفري)[٢]، كما أوردت

---

(١) ابن الأَثِير: علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، أبو الحسن عز الدين (ت٦٣٠ هـ) المؤرخ الإمام، من العلماء بالنسب والأدب. ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر، وسكن الموصل. كان منزله مجمع الفضلاء والأدباء، وتوفي بالموصل. من تصانيفه (الكامل) في التاريخ، (أسد الغابة في معرفة الصحابة)، (الجامع الكبير) في البلاغة، وغيرها. الزركلي: الأعلام ج٤ ص٣٣١ بشيء من التصرف. أسد الغابة في معرفة الصحابة ن: المكتبة الإسلامية طهران الأفست لاط (ت١٣٧٧ هـ) ج٣ ص٢٥٦ .

(٢) الْخَطِيب البَغْدَادي: أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبوبكر (ت٤٦٣ هـ)، أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين. مولده في (غزيَّة) منتصف الطريق بين الكوفة ومكة، ومنشأه ووفاته ببغداد. رحل إلى مكة وسمع بالبصرة والدينور والكوفة وغيرها. وكان فصيح اللهجة عارفاً بالأدب، يقول الشعر، ذكر ياقوت أسماء ٥٦ كتاباً من مصنفاته، من أفضلها (تاريخ بغداد)، ومنها (البخلاء)، و(الكفاية في علم الرواية)، و(الجامع، لأخلاق الراوي وآداب السامع)، و(شرف أصحاب الحديث)، و(الفقيه والمتفقه) وغيرها. الزركلي: الأعلام ج١ ص ١٧٢ بتصرف. تاريخ بغداد أو مدينة السلام ن: دار الكتاب العربي بيروت لاط لات ج١ ص١٤٧.

بعض التراجم (شخص) بدلاً من (شمخ) كما هو في الإصابة[١]، ولعل ذلك من أخطاء النساخ، أو الطباعة، ويقال: (قار) بالقاف بدلاً من (فار) بالفاء في الكثير من المصادر[٢]، وإثبات حارث مكان غافل كما جاء في غاية النهاية[٣] ....

(١) ابن حَجَر: أحمد بن عليّ بن محمد الكنانيّ العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين (ت٨٥٢ هـ) من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين)، ومولده ووفاته بالقاهرة. ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وأصبح حافظ الإسلام في عصره. فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفاً بأيام المتقدمين والمتأخرين. وُلي قضاء مصر مرات ثم اعتزل. من مصنفاته (الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة)، و(لسان الميزان)، و(الإحكام لبيان ما في القرآن من الأحكام)، و(ديوان شعر)، و(الإصابة في تمييز أسماء الصحابة)، و(تهذيب التهذيب)، و(تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة)، و(رفع الإصر عن قضاة مصر)، و(نزهة الألباب في الألقاب)، و(فتح الباري في شرح صحيح البخاري) وغيرها. الزركلي: الأعلام ج١ ص ١٧٨ بتصرف. الإصابة في تمييز الصحابة ن: مطبعة السعادة مصر ط١ (ت١٣٢٨هـ) ج٢ ص٣٦٨.

(٢) المرجع نفسه: ج٢ ص٣٦٨، والنَّوَوِي: يحيى بن شرف بن مُرِّي بن حسن الحزامي الحوراني، الشافعي، أبو زكريا، محي الدين (ت٦٧٦هـ) علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، بسورية). تعلم في دمشق، وأقام بها زمناً طويلاً. من كتبه (تهذيب الأسماء واللغات)، و(منهاج الطالبين)، و(المنهاج في شرح صحيح مسلم)، و(حلية الأبرار)، و(رياض الصالحين)، و(التبيان في آداب حملة القرآن)، و(الأربعون حديثاً النووية) وسواها. الزركلي: الأعلام ج٨ ص١٤٩-١٥٠ بتصرف. تهذيب الأسماء والكنى واللغات ن: دار الكتب العلمية بيروت لاط لات ج١ ص ٢٨٨.

(٣) ينظر/ ابن الجَزَري: محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، أبو الخير، شمس الدين، العمري الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي (ت٨٣٣ هـ) شيخ الإقراء في زمانه. ومن حفاظ الحديث. ولد ونشأ في دمشق، ورحل إلى مصر وبلاد الروم. ثم رحل إلى شيراز =

والسيرة لابن هشام[١]، وما أثبت أولاً أقرب إلى الصحة؛ لوروده مضبوطاً بالشكل في الثلاثيات[٢] مع احتمال ذكر (حبيب) وتقديمه على (شمخ)، و(صاعد) بدلاً من (صاهلة)، و(تميم) بدلاً من (تيم)[٣].

= فولي قضاءها. ومات فيها. من كتبه (النشر في القراآت العشر)، و(غاية النهاية في طبقات القراء)، و(التمهيد في علم التجويد)، و(ذات الشفاء في سيرة النبي والخلفاء)، و(فضائل القرآن)، و(الهداية في علم الرواية). وله نظم، أكثره أراجيز في القراآت وسواها من المصنفات. الزركلي: الأعلام ج٧ ص٤٥-٤٦ بتصرف. غاية النهاية في طبقات القراء (عني بنشره برجستراسر) ن: مكتبة الخانجي بمصر ط١ (ت١٣٥١ هـ - ١٩٣٢م) ج١ ص ٤٥٨.

(١) ابن هِشَام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت٢١٣ هـ) مؤرخ، كان عالماً بالأنساب واللغة وأخبار العرب. ولد ونشأ في البصرة، وتوفي بمصر. أشهر كتبه (السيرة النبوية)، وله (القصائد الحميرية)، و(التيجان في ملوك حِمير)، و(شرح ما وقع في أشعار السير من الغريب) وغير ذلك. الزركلي: الأعلام ج٤ ص١٦٦. السيرة النبوية (تحقيق: مصطفى السقا وآخرون) ن: دار إحياء التراث العربي بيروت ط٣ (ت١٣٩١هـ - ١٩٧١م) ج٢ ص٣٣٧.

(٢) السَّفَّارِيني: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون (ت١١٨٨هـ) عالم بالحديث و الأصول والأدب، محقق. ولد في سفارين (من قرى نابلس)، ورحل إلى دمشق. وعاد إلى نابلس فدرّس وأفتى، وتوفي فيها. من كتبه (الدراري المصنوعات في اختصار الموضوعات)، و(كشف اللثام، شرح عمدة الأحكام)، و(غذاء الألباب، شرح منظومة الآداب)، و(تحبير الوفا في سيرة المصطفى) وسواها. الزركلي: الأعلام ج٦ ص١٤. ثلاثيات مسند الإمام أحمد ن: المكتب الإسلامي للطباعة والنشر بيروت ط٢ (ت١٣٩١هـ -١٩٧٢م) ج٢ ص٢٣٦.

(٣) ينظر/ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة ج٢ ص٣٦٨، والسفاريني: الثلاثيات ج٢ ص٢٤٠.

- **نسبه من جهة الأم:**

هو (عبد الله بن أمّ عَبْد بنت عبد وُدّ بن سَواء بن قُريم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن زهرة)[١]، ولا يوجد تغيير واضح في هذه السلسلة اللهم إلا في كلمة (سواء) بالألف الممدودة، فمنهم من يجعل مكان الهمزة دالاً[٢]، وهذا قل ما يكون خطأ مطبعياً، وأما في الإصابة فقد أضيفت الهاء إليها فأصبحت (سواءة)[٣]، أو ما أورده الخطيب من أن نسبه من جهة أمُه (وأم عبد الله بن مسعود أم عبد بنت عبد الله بن الحارث بن زهرة ويقال: إنها من القارة)[٤].

- **قبيلته مكانتها ومكانها:**

ومن هاتين السلسلتين يتبين نسب عبد الله إلى هُذَيل القبيلة العربية المشهورة في اللغة، والأدب، والمعروفة بشعرائها الذين يزيدون على السبعين من المشاهير، وهى التي تلتقي مع قريش في خِنْدِف الذي يجمع

---

(١) ابن سَعْد: محمد بن سعد بن منيع الزهري، مولاهم، أبو عبد الله (ت٢٣٠هـ) مؤرخ ثقة، من حفاظ الحديث. ولد في البصرة، وسكن بغداد، فتوفي فيها. وصحب الواقدي المؤرخ، زماناً، فكتب له وروى عنه. وهو من أهل العدالة عند أهل الحديث. من أشهر كتبه (طبقات الصحابة) يعرف بطبقات ابن سعد. الزركلي: الأعلام ج٦ ص١٣٦- ١٣٧ بشيء من التصرف. الطبقات الكبرى ن: دار صادر بيروت لاط (ت١٣٨٠هـ ١٩٦٠م) ج٣ ص١٥٠.

(٢) ينظر/ السفاريني: الثلاثيات ج٢ ص٢٣٦.

(٣) ابن حجر: الإصابة ج٢ ص٣٦٨.

(٤) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج١ ص١٤٧.

قبائل مُضر كلها[١]، ومن هنا يبطل ما ادعته دائرة المعارف الإسلامية المترجمة من أنه (كان ينتسب إلى أوضع طبقات أهل مكة، شأن الكثيرين ممن ناصروا النبي في أول الأمر)[٢]، ويلمس من هذه العبارة ما يكنّه بعض المستشرقين من عداء للإسلام والمسلمين، فهم يبُثّون سمومهم وسط الدّسم؛ لذا ينبغي أخذ الحيطة عند قراءة ما يكتبونه وبخاصة فيما يتعلق بالرسول الكريم ﷺ، والسلف الصالح من المسلمين، والشريعة الإسلامية، فالانتساب إلى هذيل لا ينم عن وضاعة، وإنما عن شرف

(١) ينظر/ ابن قُتَيْبَة: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد (ت٢٧٦ هـ) من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين. ولد ببغداد وسكن الكوفة. ثم ولي قضاء الدينور مدة، فنسب إليها. وتوفي ببغداد. من كتبه (تأويل مختلف الحديث)، و(أدب الكاتب)، و(المعارف)، و(المعاني)، و(عيون الأخبار)، و(الشعر والشعراء)، و(مشكل القرآن)، و(تفسير غريب القرآن) وغيرها. الزركلي: الأعلام ج٤ ص١٣٧ بتصرف. المعارف (تحقيق: ثروت عكاشة) ن: دار المعارف مصر ط٢ (ت١٩٦٩م) ج١ ص٦٤.

(٢) فِنْسِنْك: أرند جان فنسنك مستشرق هولندي (ت١٣٥٨هـ)، كان أستاذ اللغة العربية في جامعة ليدن من سنة ١٩٢٧م إلى وفاته. وقام برحلات إلى مصر وسورية وغيرهما من بلاد العرب. وانصرف إلى العناية بالحديث النبوي، فوضع بالإنكليزية معجماً للألفاظ الواردة في أربعة عشر كتاباً من كتب السنن والسيرة، نقله إلى العربية الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي وسماه (مفتاح كنوز السنّة) وتولى فنسنك تحرير (دائرة المعارف الإسلامية) سنة ١٩٢٥م، بلغاتها الثلاث، فأتم منها أربعة مجلدات وخمس ملازم. وكتب مقالات كثيرة في مجلات مختلفة. وله كتب بالإنكليزية عن الإسلام والمسلمين. وبدأ بنشر (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي) بالعربية وتوفي قبل إتمامه. الزركلي: الأعلام ج١ص٢٨٩. دائرة المعارف الإسلامية المترجمة للعربية (ترجمة: محمد ثابت الفندي وآخرون) ط١ (ت١٣٥٢هـ - ١٩٣٢م) ج١ ص٢٧٥.

منزلة وعلو همة؛ لأنها (بطن من خندف من مضر)[١]، وقد جاء في كتاب المعارف لابن قتيبة أن هذيلاً وقريشاً من أبناء مدركة: (فأما بنو مدركة بن إلياس فهم هذيل وأسد وكنانة وقريش)[٢]، فإذا هذيل تربطها بقريش وكنانة أواصر النسب والمكان، فالكل يسكن الحجاز، والكل يلتقي نسباً في خندف، ويزيد هذا اللقاء شرفاً لقاؤه بنسب رسول الله ﷺ في الجد الخامس عشر (قبيلة هذيل من القبائل العدنانية يلتقي جدها هذيل في نسب رسول الله ﷺ عند الجد الخامس عشر مدركة)[٣]، أما من حيث المكان، فتقطن هذيل في وادي نخلة (وموقع نخلة بين مكّة

(١) القَلْقَشَنْدي: أحمد بن عليّ بن أحمد الفزاريّ القلقشندي ثم القاهري (ت٨٢١ هـ) المؤرخ الأديب البحاثة. ولد في قلقشندة (من قرى القليوبية، بقرب القاهرة) ونشأ وناب في الحكم وتوفي في القاهرة. وهو من دار علم، وفي أبنائه وأجداده علماء أجِلّاء. أفضل تصانيفه (صبح الأعشى في قوانين الإنشا) و(قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان) و(نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب). الزركلي: الأعلام ج١ ص١٧٧ بشيء من التصرف. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (تحقيق: علي الخاقاني) ن: مطبعة النجاح بغداد لاط (ت١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م) ص٣٩٥.

(٢) ابن قتيبة: المعارف ج١ ص٦٤.

(٣) السُّكَّري: الحسن بن الحسين بن عبيد الله العتكي السكري، أبو سعيد (ت٢٧٥هـ) عالم بالأدب، راوية، من أهل البصرة. جمع أشعار كثير من الشعراء. من تصانيفه (شرح ديوان جران العود) و(أخبار اللصوص) و(شرح ديوان الشعراء الهذليين) و(شرح ديوان كعب بن زهير) و(شرح ديوان الفرزدق). الزركلي: الأعلام ج٢ ص ١٨٨. كتاب شرح أشعار الهذليين (تحقيق: عبد الستار أحمد فرّاج، ومحمود شاكر) ن: مكتبة دار العروبة مطبعة المدني مصر لاط لات ص٣.

والطائف)[١]، وذكر ابن حوقل في كتابه صورة الأرض: أنها تقطن جبل غزوان (وبغزوان ديار بني سعد وسائر قبائل هذيل)[٢].

وقد جمع محقق شرح ديوان الهذليين بين الروايتين حيث قال: (كانت ديارهم بالسّروات مرتفعات بين تهامة ونجد، وسُراة هذيل متصلة بجبل غزوان بالطائف، ولهم أماكن ومياه في أسفل السّروات من جهة نجد ويتصل بسراتهم سراة جشم من بني معاوية بن بكر من هوزان، ويجاور هذيلاً في جبالهم وعدوان أبناء عمرو بن قيس عيلان)[٣]، ووادي نخلة الذي يقطنه الهذليون يبعد عن مكة مسيرة ليلة حسب ما ذكرت بعض الكتب القديمة، ومنها تاريخ الخميسي[٤]، أما بالحساب الحالي فهو

---

(١) اليَعْقُوبي: أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت بعد ٢٩٢هـ) مؤرخ جغرافي كثير الأسفار، من أهل بغداد. رحل إلى المغرب وأقام مدة في أرمينية. ودخل الهند. وزار الأقطار العربية. وصنف كتباً جيدة منها (تاريخ اليعقوبي)، وكتاب (البلدان)، و(أخبار الأمم السالفة). اختلف في سنة وفاته (٢٨٤ أو ٢٨٢هـ)، ورجّح الزركلي بعد (٢٩٢هـ) لما وجد في بعض مؤلفاته. الزركلي: الأعلام ج١ ص ٩٥ بتصرف. تاريخ اليعقوبي ن: دار بيروت - بيروت لا ط (ت١٤٠٠هـ-١٩٨٠م) ج٢ ص٦٩.

(٢) ابن حَوْقَل: محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، أبو القاسم (ت بعد ٣٦٧هـ) رحالة، من علماء البلدان. كان تاجراً. ذهب إلى المغرب وصقلية، وجاب بلاد الأندلس وغيرها. من كتبه (المسالك والممالك). الزركلي: الأعلام ج٦ ص ١١١ بتصرف. صورة الأرض ن: دار مكتبة الحياة بيروت ط٢ (ت ١٩٧٩م) ص٩٣٩.

(٣) السكري: شرح أشعار الهذليين ص٣.

(٤) ينظر/ الدِّيار بَكْري: حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري (ت٩٦٦هـ) مؤرخ، نسبته إلى ديار بكر. ولي قضاء مكة وتوفي فيها. له (تاريخ الخميس)، و(مساحة الكعبة والمسجد الحرام). الزركلي: الأعلام ج٢ ص ٢٥٦. تاريخ الخميس في أنفس نفيس ن: المكتبة الرحمانية مصر ومؤسسة شعبان للنشر والتوزيع لا ط (ت١٣٨٣هـ) ج١ ص٣٦٥.

يبعد عن مكة أربعة عشر كيلو متراً حسب ما ورد في كتاب (العرب وظهور الإسلام) في ذكره لحدود الحرم (من جهة الشمال الشرقي وادي نخلة بينه وبين مكة (١٤كم))[١].

يتبين من هذا كله أن ابن مسعود هذلي النسب زُهريّ الحِلف؛ إذ حالف أبوه عبد بن الحارث بن زهرة القرشي من بني زهرة[٢] (وبنو زهرة: حي من قريش أخوال النبي ﷺ، وهو اسم امرأة كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر نسب ولده إليها)[٣]، ومن المعلوم أن الأحلاف لها أهمية كبرى عند العرب؛ إذ الحليف يكون مناصراً لحليفه، ومؤازراً له في الشدة والرخاء، له ما له، وعليه ما عليه، ويظل هذا الارتباط قائماً حتى بعد موت أحد الحليفين؛ إذ يتوارثه الأبناء جيلاً بعد جيل، على أن مسعوداً تربطه بعبد الحارث صلة أخرى غير الحِلف وهي صلة المصاهرة؛ إذ أن أم زوجة هند أو قَيْلة على أحد الأقوال هي بنت عبد بن الحارث، فالصلة إذاً وطيدة بين الاثنين[٤].

- **نشأته:**

فليس من الغريب أن يهاجر مسعود بن غافل عندما ضاق به العيش إلى

---

(١) د/ النجار: محمد مصطفى وآخرون: كتاب العرب وظهور الإسلام ن: مكتبة النهضة مصر ط١ (ت١٢٨٨هـ - ١٩٦٩م) ن: مطبوعات الجامعة الإسلامية ص٨٧.

(٢) ينظر/ د/ الراجحي: عبده الراجحي: عبد الله بن مسعود ن: دار الشعب مصر لاط (ت١٣٩٠هـ - ١٩٧٠ م) ص١٠.

(٣) ابن منظور: لسان العرب ج٥ ص٤٢٢.

(٤) ينظر/ د/ الراجحي: عبدالله بن مسعود ص١٠-١١، وابن سعد: الطبقات ج٣ ص١٥٠.

مكة ذلك البلد الآمن، حيث نزل بقوم ليسوا غرباء عنه، بل تربطهم به صلة الحلف والمصاهرة، هذا ما يرجّحه عبده الراجحي من أن المهاجر هو مسعود بن غافل وليس ابنه[١]، ومستنده في ذلك ما نقله عن الطبقات الكبرى لابن سعد (والأغلب أن عبد الله بن مسعود ولد في بني زهرة لأن رحلة أبيه كانت في الجاهلية)[٢]، ثم ذكر تعليلات أخرى من عنده فقال: (ولأنه رضي الله عنه أسلم وهو بعد غلام صغير ولأن أباه مات قبل الإسلام بفترة على أصح تقدير)[٣]، وما نقله الراجحي عن الطبقات الكبرى -بالرجوع إلى نفس المصدر- لم أعثر على النص المذكور، علماً بأنه إذا نقل نصاً لا يجعله بين قوسين كما هو المتبع في الطريقة العلمية حتى أن كلامه يختلط أحياناً بالمنقول، وإن كان هناك في الطبقات ما يشير إلى هجرة مسعود في الجاهلية حيث قال: (حالف مسعودُ بن غافل عبدَ بن الحارث بن زُهرة في الجاهليّة)[٤]، على أن عبد الجواد الطيب ذكر في مقاله: (من أعلام الفكر الإسلامي: عبد الله بن مسعود) أن المهاجر هو عبد الله نفسه وليس أباه (لقد قرر الرحيل -يعني ابن مسعود- عن بادية قومه إلى الحاضرة. . .، هكذا فصل ابن مسعود عن بادية قومه، وجعل وجهته أم القرى. . .)[٥]،

(١) ينظر/ المرجع نفسه: ص١٠.
(٢) المرجع نفسه: ص١٠ نقلاً عن الطبقات.
(٣) المرجع نفسه: ص١٠-١١.
(٤) ابن سعد: الطبقات ج٣ ص١٥٠.
(٥) د/ عبد الجواد الطيب: من أعلام الفكر الإسلامي: عبد الله بن مسعود صحيفة المعلم العدد السابع (٢رجب ١٣٨٨و.ر -٣٠ مايو ١٩٧٩م) الجماهيرية ص١٠ .

وعلل كلامه بأن (رحل أبوه عن دنيا الناس وخلّفه يصارع الحياة في قسوتها وهو لا يزال دون بواكير الشباب. . . فاستقر فيها -مكة- مستظلاً بخؤولته وأحلافه. . .، كان يحسُّ في أعماقه أن شيئاً ذا بال يجذبه إليها)[(١)]، والتعليل الأخير ربما استقاه الكاتب مما وقع لابن مسعود بعد هجرته إلى مكة فيما بعد، ومع هذا فإن الكاتب لم يذكر المصدر الذي اعتمد عليه، وما ذهب إليه الراجحي من أن المهاجر هو مسعود أقرب إلى الصحة؛ لابتنائه على غلبة الظن المستقى من الطبقات؛ خلافاً لما جزم به عبد الجواد من أن المرتحل هو الابن، وسواء كان المهاجر مسعود أم عبد الله فالمعروف عن الرواة أن مسعود بن غافل أنجب ثلاثة من الولد هم: عبد الله، وعتبة، وعميس، ولم يعرف الأسبق منهم مولداً، وإن كانوا يجمعون على أن عميساً لا يعرف عنه إلا النّزر اليسير، وأما عتبة فهو أكثر شهرة من أخيه عميس، وأقل من أخيه عبد الله رضي الله عنهما[(٢)].

(وعتبة بن مسعود الهذلي حليف لبني زهرة أخو عبد الله بن مسعود شقيقه، وقد قيل بل أمه امرأة من هذيل غير أم عبد الله، والأكثر أنه أخوه لأبيه وأمه وكنيته أبو عبد الله، هاجر مع أخيه إلى الحبشة الهجرة الثانية، ثم قدم وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد، توفي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة)[(٣)].

(١) المرجع نفسه: ص١٠.
(٢) المرجع نفسه: ص١٠.
(٣) ابن عَبْد البَرّ: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر (ت٤٦٣هـ) من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، بحاثة. يقال له حافظ المغرب. ولد بقرطبة. ورحل رحلات طويلة في غربي الأندلس وشرقيها. وولي قضاء لشبونة وشنترين. =

وله حفيد عدّ في السبعة من فقهاء المدينة، ذلك هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود(١).

وأمّا عبد الله رضي الله عنه فإنه لا يعرف الكثير عن طفولته المبكرة، ومعظم المصادر تبدأ سيرته منذ كان غلاماً يافعاً يرعى الغنم لعقبة بن أبي معيط(٢)، والبحث عن تلك الطفولة لا يهم كثيراً؛ لأنها لم تكن ذات أهمية، وأثر كبير

= وتوفي بشاطبة. من كتبه (الدرر في اختصار المغازي والسير)، و(العقل والعقلاء)، و(الاستيعاب)، و(جامع بيان العلم وفضله)، و(التمهيد)، و(الاستذكار)، و(الإنباه على قبائل الرواه)، و(الكافي في الفقه) وغيرها. الزركلي: الأعلام ج٨ ص٢٤٠ باختصار. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (تحقيق: علي محمد البجاوي) ن: مكتبة النهضة بالفجالة - مصر لاط لات القسم الثالث ص١٠٣٠.

(١) ينظر/ ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين (ت٧٥١هـ) من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج من شيء من أقواله. وكان حسن الخلق محبوباً عند الناس، أغري بحب الكتب. وألف تصانيف كثيرة منها (إعلام الموقعين)، و(الطرق الحكمية في السياسة الشرعية)، و(شفاء العليل)، و(أحكام أهل الذمة)، و(تحفة المودود)، و(زاد المعاد)، و(مدارج السالكين)، و(تفسير المعوذتين)، و(الوابل الصيّب من الكلم الطيب)، و(إغاثة اللهفان)، و(الداء والدواء)، و(التبيان في أقسام القرآن) وسوى ذلك. الزركلي: الأعلام ج٦ ص٥٦ باختصار. إعلام الموقعين عن رب العالمين (تحقيق: طه عبد الرؤوف) ن: مكتبة الكليات الأزهرية مصر لاط (ت١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م) ج١ ص٢٣.

(٢) ابن أَبي مُعَيْط: عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس (ت٢هـ) من مقدّمي قريش في الجاهلية. كنيته أبو الوليد، وكنية أبيه أبو معيط. كان شديد الأذى للمسلمين عند ظهور الدعوة، فأسروه يوم بدر وقتلوه ثم صلبوه، وهو أول مصلوب في الإسلام. الزركلي: الأعلام ج٤ ص٢٤٠.

في حياته، ولا شك أن للبيئة الأثر الكبير في تكوين شخصية الفرد، وغرس المبادئ الأولى في نفسه، وأول ما يتأثر الإنسان بوالديه، ثم بمن حوله من أفراد مجتمعه، غير أن هذه المؤثرات كلها قد طغى عليها في نفس عبد الله الدّين الجديد، بعد لقائه بالنبي ﷺ وصحبته له، حيث كان له أكبر الأثر في تكوين شخصيته، وتوجيه حياته التي أكسبته قوة الشخصية، ومضيًّا في العزم حتى قيل أنه أشبه برسول الله ﷺ هدياً، ودلاً، وسَمتاً.

وهنا وقفة لما أورده الراجحي (لم يعرف بأبيه مثلما كان يعرف بأمه أم عبد كما كان يلقّبه الرسول ﷺ وكما كان يلقّبه الصحابة -عليهم رضوان الله-)[١]، وفي هذا القول بعض المجانبة للحقيقة؛ إذ إنه معروف بأبيه وباسمه مفرداً أكثر من معرفته بأمّه، فالمتفق عليه عند رجال الحديث، والفقه، والتفسير، والقراءات أنه إذا أطلق عبد الله لا يراد به إلا ابن مسعود، وهذه ميزة انفرد بها عن بقية الصحابة، والأعلام المشهورين، وحين يفهرس له في كتب التراجم، والتاريخ، والسير، والكتب المصحوبة بفهارس الأعلام يوضع تحت هذين الاسمين المشهورين -أي عبد الله أو ابن مسعود- إلا قليلاً، والذين يوردون الاسم الأخير يضعون أمامه العلامة التي تشير إلى ابن مسعود هكذا (ابن أم عبد = عبد الله بن مسعود)، فمعرفته بأمّه واردة ولكن ليس بالكثرة الطاغية على اسم أبيه وعلى اسمه، والأهم من ذلك كله أنه نشأ بين إخوة هو ثالثهم، وأمّ تعولهم، وتقوم بخدمتهم حتى تقدّم الزمن به، فأصبح فتى يافعاً قادراً على

(١) د/ الراجحي: عبد الله بن مسعود ص١١.

تحمل المسؤولية، وتخفيف بعض أعباء الحياة عن أمه، فاختار لنفسه مهنة رعي الغنم؛ إذ إنها أوفق لطبيعته وبيئته البدوية، تلك البيئة التي لم يبقى من مؤثراتها بعد إسلامه إلا سلامة اللغة، وفصاحة اللسان، وكيف لا وهو الهذلي نسباً ؟!وهذيل معروفة بين قبائل العرب بفصاحتها حتى إن لها في القراءات مكانها الذي لا ينكر، كما أن لها شخصية مستقلة؛ إذ إنها لا تقل قدراً أو شأناً عن قريش -كما أشير إلى ذلك من قبل- والغريب ما جاء به محمد رجاء حنفي عبد المتجلي: (ونشأ من أبوين فقيرين من أحلاف قريش وهم من المستضعفين الذين كانوا يلوذون بالقبائل الكبرى)[١]، والواقع أن عبد الله لم ينزل إلى مستوى المستضعفين والرقيق في مجتمعه، بل كان وسطاً بين الطبقة المترفة والطبقة المستعبدة؛ لمزاولته مهنة الرعي، وهذه المهنة تأتي في المرتبة الثانية بعد التجارة[٢]، ولم يثبت عند العرب أنهم يستنكفون من هذه المهنة، وكفاها فخراً أنها ما بعث نبي قط إلا وقد رعى الغنم.

● إسلامه:

وبينما عبد الله يزاول مهنة الرعي وهو في عنفوان شبابه غير ملتفت لما تصنع قريش في أنديتها من منكرات وموبقات؛ إذ بالوحي ينزل على محمد بن عبد الله ﷺ مبيناً للناس طريق الهدى والنجاح، فيؤمن به قلة

---

(١) محمد رجاء حنفي عبد المتجلّي: من الرعيل الأول من الخالدين. عبد الله بن مسعود: مجلة منبر الإسلام يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر ص٢٥٠.

(٢) ينظر/ د/ عبد الجواد الطيب: عبد الله بن مسعود صحيفة المعلم ص١٠.

من الناس -في بدء الأمر- منهم أبو بكر الصديق[١] رضي الله عنه الذي يخرج مع النبي ﷺ في يوم من الأيام؛ لضيق انتابهما فيلقيان ابن مسعود يرعى غنيمات؛ جاء في (الأسد) على لسان عبد الله وهو يروي قصة إسلامه: (كنت غلاماً يافعاً في غنم لعقبة بن أبي معيط أرعاها، فأتى النبي ﷺ ومعه أبو بكر فقال: يا غلام هل معك من لبن؟ فقلت: نعم، ولكني مؤتمن. فقال: ائتني بشاة لم ينزُ عليها الفحل، فأتيته بعناق أو جذعة فاعتقلها رسول الله ﷺ فجعل يمسح الضرع ويدعو حتى أنزلت، فأتاه أبو بكر بصحوة[٢] فاحتلب فيها ثم قال لأبي بكر: اشرب، فشرب أبو بكر، ثم شرب النبي ﷺ بعده، ثم قال للضرع أقلص فقلص فعاد كما كان، ثم أتيت فقلت: يا رسول الله علّمني من هذا الكلام أو من هذا القرآن، فمسح رأسي وقال: إنك غلام معلم)[٣]، فالمتأمل في هذه القصة يلاحظ مدى أمانته، وحرصه على ما بين يديه من أموال الآخرين، حتى

---

(١) أَبُو بَكْر الصِّدِّيق: عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشي، أبوبكر (ت١٣هـ) أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال، وأحد أعاظم العرب. ولد بمكة، ونشأ سيداً من سادات قريش، وعالماً بأنساب القبائل وأخبارها. حرم على نفسه الخمر في الجاهلية. وشهد الحروب، واحتمل الشدائد، وبذل الأموال. حارب المرتدين والممتنعين من دفع الزكاة. وفتحت في عهده الشام وقسم كبير من العراق. وكان موصوفاً بالحلم والرأفة بالعامة، خطيباً لسناً، شجاعاً بطلاً. توفي في المدينة. له في كتب الحديث ١٤٢ حديثاً. الزركلي: الأعلام ج٤ ص١٠٢ باختصار. وينظر/ ابن سعد: الطبقات ج٣ ص١٦٩-٢١٣.

(٢) بصحوة: هكذا في الأسد، وفي غيره (بصخرة).

(٣) ابن الأثير: أسد الغابة ج٣ ص٢٥٦.

وهم في غيبة عنه، وهذه القصة متواترة من حيث المعنى وإن اختلفت بعض ألفاظها، إلا أن ابن سعد ذكر أن النبي ﷺ وأبا بكر (قد فرّا من المشركين)[1]، الأمر الذي جعل أصحاب دائرة المعارف الإسلامية المترجمة يأخذونها طريقاً، ومنفذاً للتشكيك، وبثّ السموم حيث أوردوا ما نصه: (وتروى قصة عجيبة عن دخوله في الإسلام: لقي النبي محمد وأبو بكر عند فرارهما من وجه المشركين...)[2]، ثم عقّبوا بقولهم: (لم تذكر مناسبة هذا الفرار)[3]، فأي عجب يقصد أصحاب دائرة المعارف، وما الغرابة المفتعلة من هذه القصة وإن عنوا بذلك امتلأ الضرع باللبن من الشاة التي لم ينزُ عليها الفحل، ثم عوده إلى سيرته الأولى، فالجواب عن ذلك أن النبي ﷺ له معجزات تفوق هذه أضعاف المرّات كيف لا وهو النبي المرسل المؤيد بالمعجزات الحسية والعقلية! وهم يعرفون هذا ولكنهم يتغافلون؛ لأغراض في أنفسهم أفلا ينتهون؟ ثم إنهم لم يقفوا عند هذا الحد، بل سلّطوا الأضواء على كلمة الفرار لينعتوا بها النبي ﷺ بطريق خفي، وحاشا لله أن يفرّ النبي ﷺ من أذى المشركين؛ إذ الوقائع تكذبهم، فالمتتبع للسيرة النبوية يجد أن النبي ﷺ آخر المهاجرين، ثم إنه أمر أتباعه أن يهاجروا الهجرتين إلى الحبشة، وأن يسبقوه إلى المدينة وهو ماكث في مكة يدعوا الناس، ويتحمل أذاهم، ولم يهاجر إلا بعد أن أُمر من قبل الله -تعالى-، فلو كان الفرار من

---

(١) ابن سعد: الطبقات ج٣ ص١٥١.
(٢) فِنْسنك: دائرة المعارف الإسلامية ج١ ص ٢٧٦.
(٣) المرجع نفسه: ج١ ص٢٧٦.

شيمته لكان أول الذاهبين إلى الحبشة أو المدينة شأن الدعاة أو الزعماء، حينما لا يجدون الاستجابة، ويلاقون العنت والمشقة، فإنهم يكونون أول الفارين، ثم يلحق بهم الأتباع من بعد، بينما الذي حدث للرسول ﷺ خلاف ذلك، والذي يحسم النزاع في هذا ويبطل ما يرمي إليه أصحاب دائرة المعارف الإسلامية ما جاء في (صفة الصفوة) عند ذكر قصة إسلام ابن مسعود: (فجاء النبي ﷺ وأبو بكر وقد نفرا من المشركين...)[(١)]، ومعلوم أن النفور غير الفرار، ولعل ابن سعد أوردها بنفس اللفظ، وسقوط حرف النون منها قد يكون من فعل النساخ أو الطباعة.

ومهما يكن من شيء، فإن هذه القصة غيرت مجرى حياة هذا الفتى، فما كاد ينتهي النبي ﷺ وأبو بكر -رضوان الله عليه- من شرب اللبن حتى أقبل على الرسول ﷺ يطلب منه أن يعلّمه مما علّمه الله، فكانت إجابة الرسول ﷺ له توحي بأن سيكون له شأن في تاريخ الإسلام، حيث قال له: (إنك غلام معلّم)، فإذا هو مؤتمن ومعلم، وحق له أن يكون من الأوائل في الإسلام، حيث يروي هو نفسه: (لقد رأيتني سادس ستة ما على ظهر

---

(١) ابن الجَوْزي: عبد الرحمن بن عليّ بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج (ت٥٩٧هـ) علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف. مولده ووفاته ببغداد. له نحو ثلاث مئة مصنف، منها (الأذكياء وأخبارهم)، و(مناقب عمر بن عبد العزيز)، و(المدهش)، و(الناسخ والمنسوخ)، و(فنون الأفنان في عيون علوم القرآن)، و(زاد المسير في علم التفسير) وغيرها. الزركلي: الأعلام ج٣ ص٣١٦-٣١٧ باختصار. صفة الصفوة: ن: مجلس دائرة المعارف العثمانية الدكن- الهند ط١ (ت١٣٥٥ هـ) ج١ ص ١٥٥.

الأرض مسلم غيرنا)(١)، (وكان إسلام عبد الله بن مسعود قديماً في أول الإسلام حين إسلام ابن زيد(٢) وزوجته فاطمة بنت الخطاب(٣)، قبل إسلام عمر بن الخطاب(٤) بزمان)(٥)، وقد توالت الأخبار الدالة على أنه من السابقين في الإسلام، والسابقين إلى إجابة الدعوة، حتى يروى أنه: (أسلم عبد الله بن مسعود قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم)(٦).

---

(١) ابن الأثير: أسد الغابة ج٣ ص ٢٥٦.

(٢) ابن زَيْد: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدويّ القرشي، أبو الأعور (ت٥١ هـ) صحابيّ، من خيارهم. هاجر إلى المدينة، وشهد المشاهد كلها إلا بدرا. وهو أحد العشرة المبشرين وكان من ذوي الرأي والبسالة. وشهد اليرموك وحصار دمشق. مولده بمكة، ووفاته بالمدينة. له في كتب الحديث ٤٨ حديثاً. الزركلي: الأعلام ج٣ ص٩٤.

(٣) فاطِمة بنت الخَطَّاب: فاطمة بنت الخطاب بن نُفيل القرشية صحابية، من السابقات إلى الإسلام. أسلمت قبل أخيها عمر، وأخفت إسلامها عنه، فدخل عليها فسمعها تتلو آيات من القرآن، فضربها وشجها. والخبر معروف في إسلام عمر. وكانت زوجة لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل. الزركلي: الأعلام ج٥ ص١٣١.

(٤) عُمَر بن الخَطَّاب: عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو حفص (ت٢٣هـ) ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لقب بأمير المؤمنين، الصحابي الجليل، الشجاع الحازم، صاحب الفتوحات، يضرب بعدله المثل. أسلم قبل الهجرة بخمس سنين، وشهد الوقائع. قال ابن مسعود: ما كنا نقدر أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر. وفي أيامه تم فتح الشام والعراق، وافتتحت القدس والمدائن ومصر والجزيرة. وهو أول من وضع للعرب التاريخ الهجري. واتخذ بيت المال للمسلمين. وأول من دوَّن الدواوين في الإسلام. وله كلمات وخطب ورسائل غاية في البلاغة. له في كتب الحديث ٥٣٧ حديثاً. لقَّبه النبيّ ﷺ بالفاروق، وكناه بأبي حفص. قتله أبو لؤلؤة فيروز الفارسي. الزركلي: الأعلام ج ٥ ص٤٥ -٤٦ باختصار.

(٥) السفاريني: الثلاثيات ج٢ ص٢٣٦.

(٦) ابن سعد: الطبقات ج٣ ص١٥١.

- **ملازمته للرسول ومنزلته:**

ومنذ أعلن عبد الله إسلامه تخلى عن مزاولة الرعي، وأصبح ملازماً للنبي ﷺ في حلّه وترحاله، باذلاً كل ما يستطيع من جهد في نصرة كلمة الحق، فكان من أحبّ الناس إلى الرسول ﷺ، وأقربهم إلى نفسه، وأدناهم من مجلسه، حتى إن النبي ﷺ قال: (إِذْنُكَ عَلَيّ أنْ تَرْفَعَ الحِجَابَ وَأنْ تَسْمَعَ سِوَادي حتى أنْهاك)[١]، فالسماح له بسماع السِّر يدل على مدى ملازمته، ومعرفة النبي ﷺ له بنقاء سريرته، وأنه مؤتمن بحق حتى في أخصّ الأمور؛ لذا عُرف عند الصحابة بصاحب السّواد[٢]، والسّواك (فكان يلج عليه ويلبسه نعليه ويمشي معه وأمامه ويستره إذا اغتسل ويوقظه إذا نام)[٣]، وقد ذكر ابن سعد في طبقاته كيفية ملازمته للرسول ﷺ، من إلباسه للنعلين، ومشيه بالعصا أمامه، ودخوله الحجرة قبله[٤]، وفي هذا ما يدل على أنه يقدّم نفسه فداء للرسول ﷺ؛ إذ دخول الحجرة قبله قد يعرّضه لأمر مكروه، لكنه لا يبالي في سبيل من أنقذه، وأنقذ الأمة من الضلالة والغواية، وأنار لهم السبيل، وهذه الخصوصية في الملازمة جعلت الكثير من الناس فيما بعد يظنّون لأول وهلة أن عبد الله رضي الله عنه من أهل بيت الرسول

---

(١) المرجع نفسه: ج٣ ص١٥٤.

(٢) السِّواد: بكسر السّين السرار يقال: منه ساودته مساودة سواداً إذا ساررته. ابن منظور: لسان العرب ج٣ ص٢٢٥.

(٣) ابن الأثير: أسد الغابة ج٣ ص٢٥٧.

(٤) ينظر/ ابن سعد: الطبقات ج٣ ص١٥٣.

ﷺ؛ لذا يحدّث الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري[١] قائلاً: (قَدِمْتُ أنا وأخِي مِنَ اليَمنِ فَمَكَثْنا حيناً ما نُرى إلَّا أنَّ عبْدَ اللهِ بنَ مَسْعُودٍ رَجُلٌ مِنْ أهْلِ بَيْتِ النبيِّ ﷺ لِمَا نَرَى منْ دُخُولِهِ ودُخُولِ أُمِّهِ علَى النبيِّ ﷺ)[٢].

فقد اكتسب منزلة عظيمة حتى أنه عُدّ من النقباء النجباء الذين اختص بهم النبي ﷺ قال رسول الله ﷺ: (إنه لم يكن نبي إلا قد أُعطي سبعة رفقاء نجباء وزراء، وإني قد أعطيت أربعة عشر...)[٣] عدّ منهم ابن مسعود.

---

(١) أبو موسى الأشعري: عبد الله بن قيس بن سليم، وأمه ظبية بنت وهب، أسلمت وماتت بالمدينة، أما هو فأسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة، قال عنه النبي ﷺ: سيد الفوارس. ومات أبو موسى سنة ثنتين وخمسين في خلافة معاوية بن أبي سفيان. ابن سعد: الطبقات ج٤ ص١٠٥-١١٦.

(٢) بَدْر الدِّين العَيْني: محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي (ت٨٥٥ هـ) مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين. أصله من حلب أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس. وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية. عكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي بالقاهرة. من كتبه (عمدة القاري في شرح البخاري)، و(مغاني الأخيار في رجال معاني الآثار)، و(عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان)، و(فرائد القلائد)، و(طبقات الشعراء)، و(شرح سنن أبي داود) وسواها. الزركلي: الأعلام ج٧ ص١٦٣ باختصار. عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ن: مكتبة إدارة الطباعة المنيرية مصر لاط لات ج١٦ ص٢٤٧.

(٣) أَبُو نُعَيم: أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، أبو نعيم (ت٤٣٠هـ) حافظ، مؤرخ، من الثقات. ولد ومات في أصبهان. من تصانيفه (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء)، و(معرفة الصحابة)، و(طبقات المحدثين والرواة)، و(دلائل النبوة)، وكتاب (الشعراء) وغيرها. الزركلي: الأعلام ج١ ص١٥٧. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ن: مكتبة الخانجي بمصر لاط (ت١٣٥٧هـ) ج١ ص١٢٨.

- **جهره بالقرآن وتصدّيه للمشركين:**

وقع هذا منه حين كان المسلمون السابقون لا يجرءون على الجهر بالقرآن؛ اتقاء لإيذاء المشركين، وكان عبد الله يجهر بالقرآن على الرغم من نحافة جسمه، وقلة مناصريه، وخمول ذكره، إلا أنه كان قوياً بإيمانه، الأمر الذي جعله يتحدى عتاة المشركين، ويجهر بالحق في أنديتهم دون غيره من المسلمين السابقين في الإسلام، وذلك عندما تحدّث الرسول ﷺ عمن يسمع القرآن للمشركين، فكان أول من استجاب إلى هذا العمل، ولم يبال بالعاقبة التي حذّره منها إخوانه من المسلمين، فكان أول من جهر بالقرآن من الصحابة بمكة بعد رسول الله ﷺ؛ يقول الطبري: (كان أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود، اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط فمن رجل يسمعوه؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا. قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه. فقال: دعوني فإن الله سيمنعني. قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام فيه الضحى وقريش في أنديتها حتى قام عند المقام، ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم رافعاً بها صوته ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [١] قال: ثم استقبلها يقرأ فيها. قال: وتأملوا وجعلوا يقولون: ما يقول ابن أم عبد؟! ثم قالوا: إنه ليتلوا بعض ما جاء به محمد، فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ،

(١) سورة الرحمن: ١-٤.

ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثّروا بوجهه، فقالوا: هذا الذي خشينا عليك، قال: ما كان أعداء الله أهون عليّ منهم الآن ولئن شئتم لأغادينهم غداً بمثلها، قالوا: لا حسبك فقد أسمعتهم ما يكرهون)(١)، قد تحدّى إذاً ابن مسعود في هذه الفترة العصيبة زعماء المشركين، والمسلمون يعدون على الأصابع، ولا قوة تحميه إلا إيمانه بالله، وتذرّعه بالعزم الصادق الذي اكتسبه من صحبته للرسول ﷺ بعد لقائه الأول به، وإنه على استعداد لمعاودة الكرة، فهو لا يبالي بهم في سبيل نصرة الحق، وأنهم لأهون عليه مما كان يظن، إنه من الذين يستعذبون العذاب في سبيل الله؛ لعلمه بأن العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين، وأن الحق يعلو ولا يعلى عليه مهما أوتي الباطل من قوة فإنه بلا شك إلى زوال.

● **هجرته:**

وقد ظل يكافح المشركين ويتصدى لهم متحملاً للأذى مع من دخلوا في هذه الدّعوة الجديدة إلى أن أذن لهم الرسول ﷺ بالهجرة إلى الحبشة، فكان ضمن الذين هاجروا إليها (في رجب في السنة الخامسة من حين نُبّيء رسول الله)(٢) ﷺ، وكان عدد المهاجرين في الهجرة الأولى أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، ولما كان دائماً هو السبّاق والمبادر في الأمور، كان أيضاً أول عائد من الهجرة؛ لأنه لم يتحمل البعد عن النبي ﷺ؛

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم) ن: دار المعارف مصر ط٢ (ت١٩٦٨م) ج٢ ص٣٣٤-٣٣٥.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٢ ص٣٢٩.

ليستقي من منهله العذب، ويشد أزره، ويقاسمه العذاب الذي يراه هيناً في سبيل صحبته، وملازمته له، وربما الذي دفعه إلى الحضور مبكراً هو ما أشيع في الحبشة بين المهاجرين بعد فشل المشركين في إقناع النجاشي برد المهاجرين إليهم، من خبر إسلام قريش كلها بقصد الإيقاع بالمسلمين المهاجرين، والقضاء على انتشار هذه الدعوة في أرجاء المعمورة، وقد أفلحوا في إرجاعهم بتلك الإشاعة.

قال ابن خلدون: (اتصل بالمهاجرين في أرض الحبشة خبر كاذب بأن قريشاً قد أسلموا فرجع قوم منهم إلى مكة، منهم... وعبد الله بن مسعود)(١)، وبالرغم من هذه الحيلة البارعة، فقد بقي هو ومن عاد معه من الحبشة في كفاح، وصراع مع المشركين إلى أن أذن لهم الرسول ﷺ مرة أخرى بالهجرة إلى المدينة، تلك الهجرة التي فتحت صفحة جديدة، وانطلق منها النور إلى سائر أرجاء المعمورة، إنها منبت الخير، وينبوع السعادة للبشرية كلها، فكان عبد الله من

(١) ابن خَلْدُون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، بن خلدون أبو زيد، وليّ الدين الحضرمي الإشبيلي، من ولد وائل بن حجر (ت٨٠٨هـ) الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي. مولده ومنشأه بتونس. رحل إلى فاس و غرناطة وتلمسان والأندلس، وتولى أعمالاً، وعاد إلى تونس. وتوجه إلى مصر. وفيها وُلي قضاء المالكية. وتوفي فجأة في القاهرة. وكان فصيحاً، صادق اللهجة. اشتهر بكتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر)، ومن كتبه (شرح البردة)، وكتاب في (الحساب)، ورسالة في (المنطق)، و(شفاء السائل لتهذيب المسائل) وله شعر. الزركلي: الأعلام ج٣ ص٣٣٠ بشيء من الاختصار. كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ن: دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر بيروت لاط (ت١٩٥٩م) ج٩ ص٧٢٥.

المهاجرين إليها، وقد حط الرحال عند معاذ بن جبل[١] كما ذكرت معظم المراجع، ومنهم من يذكر أنه نزل على ابن خيثمة[٢]، وأورد صاحب الطبقات الكبرى روايتين فقال: (لما هاجر عبد الله بن مسعود من مكّة إلى المدينة نزل على معاذ بن جَبَلٍ)[٣]، وروى رواية أخرى بعد هذه الرواية قائلاً: (نزل عبد الله بن مسعود حين هاجر على سعد بن خَيْثَمَة)[٤]، لكنه لم يرجّح واحدة منهما، وما ذكر أولاً أقرب إلى الصحة؛ لمؤاخاة الرسول فيما بعد بينهما -أي معاذ وابن مسعود-، ولم يذكر عن سعد أيّ اتصال بعبد الله، وهذه هي الهجرة الثالثة بعد الهجرتين إلى الحبشة، فقد اتفقت معظم الكتب على أنه هاجر الهجرتين ولم يخالف في ذلك إلا محمد بن إسحاق[٥]، قال ابن سعد: (هاجر عبد الله

(١) مُعَاذ بن جَبَل: بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن (ت١٨هـ) صحابي جليل، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام. وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ. وشهد العقبة مع الأنصار السبعين. وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وبعثه الرسول قاضياً ومرشداً لأهل اليمن. وشارك في غزوة الشام. وكان من أحسن الناس وجهاً ومن أسمحهم كفاً. وله ١٥٧ حديثاً. توفي بناحية الأردن. الزركلي: الأعلام ج٧ ص٢٥٨.

(٢) ابن خَيْثَمَة: سعد بن خيثمة بن الحارث الأوسي الأنصاري، أبو عبد الله، أو أبو خيثمة (ت٢هـ) صحابي. كان أحد النقباء الاثني عشر بالعقبة، واستشهد يوم بدر. الزركلي: الأعلام ج٣ ص٨٤.

(٣) ابن سعد: الطبقات ج٣ ص١٥١.

(٤) المرجع نفسه: ج٣ ص١٥٢.

(٥) ابن إِسْحَاق: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (ت١٥١هـ) من أقدم مؤرخي العرب. من أهل المدينة. له (السيرة النبوية) هذبها ابن هشام. و(كتاب الخلفاء)، و(كتاب المبدأ). كان من حفاظ الحديث. زار الإسكندرية، وسكن بغداد فمات فيها. الزركلي: الأعلام ج٦ ص٢٨ باختصار.

ابن مسعود إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعاً في رواية أبي معشر ومحمد بن عمر، ولم يذكره محمد بن إسحاق في الهجرة الأولى وذكره في الثانية إلى أرض الحبشة)[١]، وهذه الهجرة الثالثة بعد الهجرتين السابقتين لم تفصل بين عبد الله وبين الرسول ﷺ فما لبث زمناً حتى التحق الرسول ﷺ بصحابته في المدينة، فحظي ابن مسعود بمجاورة الرسول ﷺ وذلك عندما اختطّ النبي ﷺ الدّور، جعل بيته ملاصقاً لمسجده ﷺ بالرغم من محاولة بعض المعارضين الذين طلبوا من الرسول ﷺ إقصاءه عنهم، فهذا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة[٢] يحدّث أن رسول الله ﷺ خطّ الدّور، فخطّ لبني زهرة في ناحية مؤخر المسجد، فجعل لعبد الله وعتبة ابنَيْ مسعود هذه الخطّة عند المسجد[٣]، وبذلك لم تنجح محاولة البعض من بني زهرة الذين حاولوا إقصاءه؛ لشيء في أنفسهم، وفي رد النبي ﷺ الآتي دلالة صارمة على ألّا عبرة للجاه، ولا للمال، ولا للكثرة، وإنما العبرة بالتقوى عملاً بقوله -تعالى-: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٤]، ولا شك أن ابن مسعود من الأنقياء الأتقياء، الذين يستحقون مجاورة الرسول ﷺ، أليس صاحب السرّ والسّواك ؟! كيف

---

(١) ابن سعد: الطبقات ج٣ ص١٥١.

(٢) ابن عُتْبَة الهُذَلي: عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، أبو عبد الله (ت٩٨هـ) مفتي المدينة، وأحد الفقهاء السبعة فيها. من أعلام التابعين. له شعر جيد. وهو مؤدب عمر بن عبد العزيز. كان ثقة عالماً فقيهاً كثير الحديث. مات بالمدينة. الزركلي: الأعلام ج٤ ص١٩٥ بتصرف واختصار.

(٣) ابن سعد: الطبقات ج٣ ص١٥٢.

(٤) سورة الحجرات: ١٣.

خطر لأولئك أن يطلبوا منه إبعاده عنهم، وعن الرسول ﷺ بقولهم: (نَكّبْ عنّا ابنَ أمّ عَبْدٍ)[(١)]، وهو الذي قال فيه: (لو كنت مؤمراً على أمتي أحداً من غير مشورة منهم لأمّرت عليهم ابن أم عبد)[(٢)]، وفي رد الرسول ﷺ على بني عبد -حيّ من بني زهرة- ما يدل على حرصه وحبّه لابن مسعود وأصحابه؛ قال ابن سعد: (لما قدم رسول الله، ﷺ، المدينة أقطع الناس الدّورَ فقال حَيّ من بني زُهْرَة يقال لهم بنو عبد بن زهرة: نَكّبْ عنّا ابنَ أمّ عَبْدٍ، فقال رسول الله، ﷺ: فَلِمَ؟ أيَبْعَثُني الله إذاً؟ إنّ الله لا يقدّس قوماً لا يُعطى الضعيفُ منهم حقّه)[(٣)]، وبهذا رد طلبهم، وأبقى ابن مسعود وأخاه عتبة في المكان الذي اخطته لهما.

● المؤاخاة:

وما كاد النبي ﷺ يستقر في المدينة حتى بدأ في إرساء دعائم الدولة الجديدة على أسس متينة، ومبادئ خالدة، لقد قام بعمل يعدّ الأوحد من

---

(١) ابن سعد: الطبقات ج٣ ص١٥٢.

(٢) علي المُتَّقي: علي بن عبد الملك حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي ثم المدني فالمكي، علاء الدين الشهير بالمتقي (ت٩٧٥هـ) فقيه، من علماء الحديث. أصله من جونفور، ومولده في برهانفور (من بلاد الدكن، بالهند) علت مكانته عند السلطان محمود صاحب كجرات. وسكن المدينة. ثم أقام بمكة مدة طويلة، وتوفي بها. له مؤلفات، منها (كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال)، و(المواهب العلية في الجمع بين الحكم القرآنية والحديثية)، و(جوامع الكلم) وغيرها. بلغت مصنفاته المئة. الزركلي: الأعلام ج٤ ص٣٠٩. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ن: دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد- الهند ط٢ (ت١٣٨٤ هـ- ١٩٦٤م) ج١٢ ص٢٨٦.

(٣) ابن سعد: الطبقات ج٣ ص١٥٢.

نوعه في التاريخ، ذلك هو مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار، الأمر الذي زاد الإسلام قوة، ورسوخاً ضد المشركين المتحدّين لهذا الدين، فقد كانت أخوة متينة قائمة على مبدأ الإيثار والتضحية، بين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، والذين فتحوا صدورهم وبيوتهم للقادمين إليهم بالرغم مما بهم من خصاصة، لقد شاطروهم أموالهم، وديارهم، وهذه المؤاخاة في المدينة سبقتها مؤاخاة على الحق، والمؤاساة بين المهاجرين أنفسهم في مكة، كانت خطوة أولى لهذه الوحدة الكبرى، وكان لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه الحظ الأوفر في المؤاخاة الأولى والثانية؛ إذ آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين حواريّيه الزبير بن العوام[1] من المهاجرين، وبينه وبين أعلم هذه الأمة بحلالها وحرامها معاذ بن جبل من الأنصار؛ قال صاحب المحبر: (وكان آخى بينهم على الحق والمؤاساة وذلك بمكة، وذكر ممّن كانت بينهم المؤاخاة بين الزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود)[2]، ولم تكن لهذه المؤاخاة ميزات مثل ما كانت للمؤاخاة التي حدثت في المدينة. ذكر ابن حبيب البغدادي أنه: (لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار على الحق والمؤاساة

(١) الزبير بن العوام: بن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشي، يكنّى أبا عبد الله فهو ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان إسلامه بعد أبي بكر رضي الله عنه بيسير، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لكل نبي حوارياً وحواريّ الزبير بن العوام. ابن الأثير: أسد الغابة ج٢ ص١٩٧ بتصرف.

(٢) ابن حَبِيب: محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، بالولاء، أبو جعفر البغدادي، من موالي بني العباس (ت٢٤٥هـ) علامة بالأنساب والأخبار واللغة والشعر. مولده ببغداد ووفاته بسامراء. كان مؤدباً. له كتب منها (كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء)، وكتاب =

وأن يتوارثوا بعد الممات دون ذوي الأرحام فلم يمت أحد ممن كانت المؤاخاة بينه وبين صاحبه حتى نزلت سورة الأنفال(١) فصارت للرحم دون المؤاخاة)(٢)، ثم عدّ ممّن آخى بينهم عبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل، وأكثر الروايات على أن المؤاخاة بين عبد الله وبين معاذ بن جبل من الأنصار، وجاء في بعضها أن المؤاخاة بينه وبين سعد بن معاذ(٣)، وفي أخرى بينه وبين أنس بن مالك، وممن ذهب إلى أن المؤاخاة بينه وبين سعد بن معاذ صاحب زاد المسلم، وصاحب التهذيب، ونص الأول: (وآخى النبي ﷺ بينه وبين الزبير قبل الهجرة. وبعدها آخى بينه وبين سعد بن معاذ)(٤)، وعبارة التهذيب: (وآخى النبي -صلى الله عليه

= (المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام)، و(مختلف القبائل ومؤتلفها)، و(المحبّر)، و(أمهات النبي)، و(شرح ديوان الفرزدق) وغيرها. الزركلي: الأعلام ج٦ ص٧٨. كتاب المحبّر (تصحيح: إيلزة ليختن شتير) ن: مطبعة الدائرة بيروت لاط (ت١٣٦١هـ) ص٧١.

(١) يشير المؤلف إلى قول الله -تعالى-: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ سورة الأنفال: ٧٥.

(٢) ابن حبيب البغدادي : كتاب المحبّر ص٧١.

(٣) سَعْد بن مُعَاذ: بن النعمان بن امرئ القيس، الأوسي الأنصاري (ت٥هـ) صحابي، من الأبطال. من أهل المدينة. شهد بدراً وأحداً. وعندما توفي حزن عليه النبي ﷺ وقال فيه: اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ. الزركلي: الأعلام ج٣ ص٨٨ بتصرف.

(٤) الشِّنْقِيطي: محمد حبيب الله بن عبد الله بن أحمد مايابي الجكني (ت١٣٦٣ هـ) عالم بالحديث. ولد وتعلم بشنقيط، وانتقل إلى مراكش، فالمدينة المنورة، واستوطن مكة. ثم استقر بالقاهرة، مدرساً في كلية أصول الدين، بالأزهر، وتوفي بها. من كتبه (زاد المسلم)، و(إيقاظ الأعلام)، و(دليل السالك إلى موطأ مالك) وغيرها. الزركلي: =

وآله وسلم- بينه وبين سعد بن معاذ)[١]، ولعل هذا من سبق القلم؛ لكثرة ما يتردّد سعد بن معاذ، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما، وذلك لما لهاتين الشخصيتين الإسلاميتين من مواقف إسلامية خالدة، وممن ذهب إلى أن المؤاخاة بينه وبين أنس صاحب الإصابة ولفظه: (وآخى النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- بين أنس وابن مسعود)[٢]، ومعلوم أن تهذيب التهذيب والإصابة كلاهما لابن حجر العسقلاني، وأما نص الطبقات فهو: (وآخى رسول الله ﷺ، بين عبد الله ابن مسعود ومُعاذ بن جبل)[٣]، وهذه المؤاخاة سواء كانت بينه وبين معاذ ابن جبل أم غيره، فإن ابن مسعود لم ينظر إليها إلا من زاوية التكاتف، والتآلف، وتقوية شوكة المسلمين، فقد كان عفيفاً، فلم يثبت عنه أنه شاطر آخاه الأنصاري المال، وكيف يكون ذلك؟! وهو المتفاني في خدمة الدين، وملازمة النبي ﷺ ضد أعدائه المشركين والمنافقين؛ إذ كان منذ إسلامه المبكر متصدياً لعتاة المشركين من قريش إنه الآن ولا شك بعد هذه المؤاخاة والنصرة، سيكون أقوى من ذي قبل، وأمضى عزيمة، فقد حاز فعلاً شرف الجهاد مع رسول الله ﷺ في جميع غزواته.

= الأعلام ج٦ ص٧٩. زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم ن: مطبعة القاهرة مصر ط ٢ (ت١٩٥٥م) ون: محمد بن محمد الشرنوبي ج٤ ص٥٥.

(١) ابن حجر: تهذيب التهذيب ن: دار المعارف حيدر أباد -الهند ط١ (ت١٣٢٦هـ) ج٦ ص٢٨.

(٢) ابن حجر: الإصابة ج٢ ص٣٦٩.

(٣) ابن سعد: الطبقات ج٣ ص١٥٢.

الفصل الثاني

جهاده وشخصيته وما قيل فيها من قبل الرسول والصحابة ومن بعدهم وما نزل فيه من القرآن

• جهاده مع الرسول ﷺ وبعده وموقفه من الولاة:

قد اتفق المؤرخون وأصحاب السير على أن ابن مسعود رضي الله عنه شهد المشاهد كلها، ولم يتخلف عن رسول الله ﷺ ولا في غزوة واحدة، بل كان أحد الثابتين إذا غيره تزعزع، والمتقدمين إذا سواه تأخّر، ولقد سجّل لنفسه فخراً عظيماً، ومجداً مؤثّلاً، بقضائه على فرعون هذه الأمة (أبي جهل) ذلك الطاغية الذي لقي المسلمون منه العنت والمشقة، وكان هذا القضاء المبرم عليه في غزوة بدر الكبرى[١]، وفي كيفية قتله روايات متعددة ترويها كتب التاريخ والسير يمكن إجمالها، وبيانها ابتداء من تصدي عبد الله للمشركين وعلى رأسهم الطاغية الذي قال لعبد الله بن مسعود مهدّداً إياه: (يا ابن مسعود لأقتلنك)[٢]، فردّ عليه ابن مسعود بكل جرأة، وثبات، وقوة إيمان على الرغم من عدم تكافؤ الطرفين في الجسم، والمنعة من القوم: (من يتألّ على الله يكذبه والله لقد رأيت في النوم أني أخذت حدجة[٣] حنظل فوضعتها بين كتفيك بنعلي، ولئن صدقت الرؤيا

---

(١) غزوة بدر: في السنة الثانية في شهر رمضان في سابع عشرة وقيل: تاسع عشرة وكانت يوم الجمعة، وكان سببها إقبال أبي سفيان بن حرب في عير لقريش عظيمة من الشام. ينظر/ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ن: دار صادر ودار بيروت - بيروت لاط (ت١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م) ج٢ ص١١٦.

(٢) الزمخشري: الفائق في غريب الحديث (تحقيق: محمد علي البيجاوي ومعه) ن: دار إحياء الكتب مصر ط٢ (ت١٩٤٥م) ج١ ص٥٢.

(٣) الحدجة: ما صلب واشتد ولما استحكم إدراكه من الحنظل أو البطيخ. المرجع نفسه: ج١ ص٥٢.

لأطأن على رقبتك ولأذبحنك ذبح الشاة)[١]، ولقد صدّق الله رؤياه، ومكّنه من وضع رجله على رقبة عدوّ الله ورسوله ﷺ واحتزاز رأسه؛ جاء في الكامل أنه: (مرّ ابن مسعود وقد أمر رسول الله ﷺ أن يلتمس في القتلى فوجده بآخر رمق قال: فوضعت رجلي على عنقه ثم قلت: هل أخزاك الله يا عدو الله؟ قال: وبماذا أخزاني؟ أعمد من رجل قتلتموه؟ أخبرني لمن الدائرة؟ قلت: لله ولرسوله)[٢] وما كان وضع رجل ابن مسعود بالأمر الهين على عنق ذلك الجبار ذي البطش والقوة، واكتمال البنية الجسدية الذي قال فيه الرسول ﷺ: (إن لكل أمة فرعوناً، وإن فرعون هذه الأمة أبو جهل)[٣]، وإنما إيمانه بالله هو الذي مكّنه من ذلك مع صدق عزيمته، وذلك بعد مجاهدة كانت بين الطرفين، ويتحدث ابن مسعود عن هذه الواقعة فيقول: (فجعلت أتناوله بسيف لي غير طائل فأصبت يده فندر (أي سقط) سيفه، فأخذته فضربته حتى قتلته قال: ثم خرجت حتى أتيت النبي ﷺ كأنما أُقلّ من الأرض)[٤]، وقد شاركه في هذا الشرف بل كان أسبق منه إليه ابنا عفراء رضي الله عنهما وهما معاذ بن عمرو بن الجموح[٥]، ومعوذ ابن

(١) المرجع نفسه: ج١ ص٥٢.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج٢ ص١٢٧.

(٣) السّفاريني: الثلاثيات ج٢ ص٢٤١.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية ن: مكتبة المعارف بيروت ط١ (ت١٩٦٦م) ج٣ ص٢٨٩.

(٥) مُعَاذ بن عَمْرو: معاذ بن عمرو بن الجموح بن زيد، من بني كعب بن سلمة الأنصاري الخزرجي السلمي (ت نحو ٢٥هـ) شجاع صحابي. شهد العقبة وبدراً. وكان أول من تعاونوا على قتل "أبي جهل" يوم "بدر" ضربه وهو في جمع من أصحابه، فقطع ساقه، =

عفراء (على أظهر الروايات)، وهناك أقوال كثيرة يرجع إليها في الثلاثيات[١]، وغيره من كتب السير أشهر هذه الروايات: (إن أول من لقي أبا جهل معاذ بن عمرو بن الجموح وقريش محيطة به يقولون: لا يخلص إلى أبي الحكم. وقال معاذ: فجعلته من شأني فلما أمكنني حملت عليه فضربته ضربة أطنّت قدمه بنصف ساقه، وضربني ابنه عكرمة فطرح يدي من عاتقي فتعلقت بجلدة من جنّتي، فقاتلت عامّة يومي وإني لأسحبها خلفي فلما آذتني جعلت عليها رجلي ثم تمطيت حتى طرحتها...، ثم مر بأبي جهل معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبته وتركه وبه رمق)[٢]، ثم أنهى حياة ذلك الطاغية، كما مرّ سابقاً ابن مسعود.

ومن هذا العرض تبَين أن المقتول لم يكن أمر قتله سهلاً، فقد كانت قريش تعتقد أنه لن يخلص إليه، ولن يتمكن المسلمون من قتله لإحاطتهم به، ولاعتداده بنفسه؛ إذ يقول مرتجزاً:

ما تنقم الحرب العوان منّي بازل عامين حديث سنّي
لمثل هذا ولدتني أمّي[٣].

= ووثب عكرمة بن أبي جهل فضرب معاذاً فقطع يده، وبقيت معلقة بجلدة من جسمه، فضايقته فوضعها تحت قدمه وتمطى حتى فصلها عن جسده، واستمر يقاتل إلى آخر النهار. وعاش بعد ذلك إلى خلافة عثمان. الزركلي: الأعلام ج٧ ص٢٥٨.

(١) ينظر/ السّفاريني: الثلاثيات ج٢ ص٢٣٩ فما بعد.

(٢) ابن الأثير: الكامل ج٢ ص١٢٧.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية ج٢ ص٢٨٧.

وما كان يدور بخلدهم أن غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما كانا يتنافسان على قتله، كل منهما يريد أن يظفر بشرف القضاء على رأس الكفر، لا لعداوة بينهم، ولكن لسماعهما أنه يسب رسول الله ﷺ وأنه من أعدى أعداء الإسلام، فجعلا يسألان عنه حتى أرشدهما إليه عبد الرحمن بن عوف[١] رضي الله عنه، وتذكر الروايات أنهما انقضّا عليه مثل الصقرين حتى أوقعاه أرضاً، وأنهما استشهدا فيما بعد[٢]، وأن النبي ﷺ ترحّم عليهما عند وقوفه على مصرعيهما بقوله ﷺ (رحم الله ابني عفراء فهما شركاء في قتل فرعون هذه الأمة ورأس أئمة الكفر فقيل: يا رسول الله ومن قتله معهما ؟ قال: الملائكة وابن مسعود فقد شارك في قتله)[٣].

على أن قتل ابن مسعود لأبي جهل لم يسلم من غمز الذين يستغلون العرض، فقد ادّعت بنو مخزوم أن أبا جهل استصغر قاتله بقوله: لقد ارتقيتَ مرتقى صعباً يا رويعي الغنم، ولعلهم قالوا تلك المقالة ليخففوا بها على أنفسهم وطأة الحدث. قال ابن هشام: (وزعم رجال من بني مخزوم أن ابن مسعود كان يقول: قال لي: لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا

(١) عَبْد الرَّحْمن بن عَوْف: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث، أبو محمد، الزهري القرشي (ت٣٢هـ) صحابيّ، من أكابرهم. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد السابقين إلى الإسلام. وكان من الأجواد الشجعان العقلاء. ولد بعد الفيل بعشر سنين. وأسلم، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها. له ٦٥ حديثاً. ووفاته في المدينة. الزركلي: الأعلام ج٣ ص٣٢١ باختصار.

(٢) ينظر/ ابن كثير: البداية والنهاية ج٣ ص٢٨٨-٢٨٩.

(٣) المرجع نفسه: ج٣ ص٢٨٩.

رويعي الغنم)[١]، وأما أصحاب دائرة المعارف الإسلامية الذين ينطقون بما يسود في مجتمعاتهم من وجود سيد، وخادم، فقد قالوا عن عبد الله في دائرتهم: (قطع في غزوة بدر رأس أبي جهل وكان قد جُرح جرحاً بليغاً، وحمله منتشياً إلى سيده)[٢]، فقولهم: (منتشياً إلى سيده) تُوحِيَّان بالازدراء، والتقليل من شأن الصحابي الجليل رضي الله عنه وما ذلك إلا لنظرتهم الجائرة، ونفثهم السموم في كل فرصة تحين لهم، على أن نفس الدائرة في طبعتها الثانية كانت مهذبة الألفاظ نوعاً ما، حسنة العبارة، حيث أوردت في هذا الخصوص ما نصه: (وحمله ظافراً إلى سيده)[٣]، فالفرق واضح بين منتشياً[٤] وظافراً[٥]، إلا أن الثانية أخف وطأة، وإن بقيت عبارة إلى سيده، وقد يرجع هذا إلى ذوق المترجم نفسه وثقافته؛ لذا ينبغي على المترجم أن يراعي الروح السائدة فيما يترجمه، مع أخذ الحيطة والحذر فيما يكتبه المستشرقون عن الإسلام والمسلمين أثناء الترجمة؛ إذ أن للكلمات وقعاً وذوقاً يدركه من تمرّس باللغة العربية وخبر أسلوبها، وما يطلق على الناس بصفة عامة لا يصح إطلاقه على الصحابة، مثال ذلك: الرحمة والرضوان، فهناك فرق كبير بين أن تقول مثلاً: عمر بن

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية ج٢ ص٢٨٨.

(٢) فنسنك: دائرة المعارف الإسلامية ط١ ج١ ص٢٧٦.

(٣) فنسنك: دائرة المعارف الإسلامية ط٢ ج١ ص٣٨٨.

(٤) منتشياً: نشى الرجل من الشراب نشوة ورجل نشوان بيّن النشوة... وتنشى وانتشى سكر. ابن منظور: لسان العرب ج٢٠ ص١٩٨.

(٥) ظافراً: الظفر بالفتح: الفوز بالمطلوب. المرجع نفسه: ج٦ ص١٩١.

الخطاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبين أن تقول رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فالتعبير الأول لم تألفه الأمة الإسلامية تجاه الصحابة -رضوان الله عليهم- وإنما ألفت التعبير الثاني وهو الرضوان[١]، على أن ابن مسعود حين تحدث عن هذه الواقعة، عبّر عن فرحه وغبطته بقوله: ثم خرجت حتى أتيت النبي ﷺ (كأنما أقلّ من الأرض)[٢]، فعبارة (أقلّ من الأرض) قريبة من التعبير في العصر الحالي: (أكاد أطير من الفرح)، ولم يكن فرحه بمقتل أبي جهل نفسه، أو لعداوة شخصية سابقة بينهما، وإنما هي فرحة انتصار المؤمن على رأس الشرك المتمثل في ذلك الطاغية؛ إذ في قتله عزّة لدين الله ولرسوله والمؤمنين، يوضح ذلك ما قاله ابن مسعود أثناء النقاش بينهما: (هل أخزاك الله يا عدوّ الله؟)[٣] فالمعاداة بينهما في الله، لا في شيء شخصي، كما يفهم من بعض الروايات التي تذكر أنه كان يضرب رأسه، كما كان يفعل به في مطلع الدعوة في مكة؛ قال: (فجعلت أنقف رأسه بسيفي وأذكر نقفاً[٤] كان ينقف رأسي بمكة حتى ضعفت يده)[٥]، أو أنه آذاه، ولكزه أيام كان بمكة؛ قال ابن هشام: (كان ضبث[٦] بي مرة بمكة

---

(١) ينظر/ د- الراجحي: عبد الله بن مسعود ص٣.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ج٣ ص٢٨٩.

(٣) سبقت الإشارة إليه في هذه الدراسة. ينظر ص٢١.

(٤) النّقف: نقف رأسه ينقفه ونقفه: ضربه على رأسه... وقيل هو ضربك إياه برمح. ابن منظور: لسان العرب ج١١ ص٢٥٣.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية ج٣ ص٢٨٨-٢٨٩.

(٦) ضبث به: إذا قبض عليه وأخذه والضبث: الضرب. ابن منظور: لسان العرب ج٢ ص٤٦٨.

فآذاني ولكزني)[١]، وعلى الرغم من اختلاف الروايات فالثابت أن ابن مسعود هو الذي أجهز على أبي جهل، وأن النبي ﷺ نفله سيفه بعد أن أعطى سلبه لابني عفراء[٢]، وما كان مصرع أبي جهل وحيداً بالنسبة لمن قضى عليهم ابن مسعود من المشركين، وإنما خص بالذكر؛ لأنه من أبرزهم، وأكثرهم معارضة للدعوة الإسلامية، وأشدهم شوكة، بل لابن مسعود مساهمات عديدة في معظم الغزوات، ففي غزوة أحد[٣] التي جاءت بعد بدر قضى على عبيدة بن جابر من بني عامر بن لؤي؛ ذكر صاحب الدّرر في تسمية من قتل من كفار قريش يوم أحد: (ومن بني عامر بن لؤي رجلان: عبيدة بن جابر قتله ابن مسعود و شيبة بن مالك)[٤]، ولم يسمّ قاتله، وكان أحد المنافحين عن رسول الله ﷺ يوم أحد حين اضطراب الجيش، بعد تخلي الرماة عن أماكنهم؛ عن ابن عباس رضي الله عنهما: (ما بقي مع النبي ﷺ يوم أحد إلّا أربعة أحدهم عبد الله بن مسعود)[٥]،

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية ج٢ص٢٨٨.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ج٣ ص٢٨٨-٢٨٩.

(٣) غزوة أحد: كانت هذه الغزوة في شوال سنة ثلاث في النصف منه، وقال قتادة: يوم السبت الحادي عشر منه. ابن كثير: السيرة النبوية (تحقيق: مصطفى عبد الواحد) ن: مطبعة الحلبي مصر لاط (ت١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م) ج٣ ص١٨.

(٤) ابن عبد البر: الدرر في اختصار المغازي والسير (تحقيق: شوقي ضيف) ن: دار التحرير مصر لاط (ت١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م) ج٣ص١٦٦ بتصرف.

(٥) الهَيْثَمي: علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، أبو الحسن، نور الدين، المصري القاهري (ت٨٠٧هـ) حافظ. له كتب وتخاريج في الحديث، منها (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد)، و(ترتيب الثقات لابن حبان)، و(مجمع البحرين)، و(المقصد العلي) =

الذي بقي على ولائه، وملازمته للرسول ﷺ حتى في أحرج المواقف، وكذلك ثبت معه يوم حنين[١]؛ إذ تولى القوم هاربين، من شدة ما لحق بهم من مفاجأة الكفار لهم، من بين الثمانين الذين ثبتوا من الصحابة، ولم يولوهم الدبر، بل كان من المحرضين على القتال، والداعين للمهاجرين والأنصار ليلتفّوا حول النبي ﷺ حينما حادث بالنبي ﷺ بغلته أتى ليساعده على التمكن منها، وهو يدعو الله بأن يرفعه ويعزّه، يحدّث عن ذلك عبد الله بقوله: (كنت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فولّى عنه الناس وثبت معه ثمانون رجلاً من المهاجرين والأنصار فنكصنا على أعقابنا نحواً من ثمانين قدماً ولم نولّهم الدبر والرسول ﷺ على بغلته لم يمض قدماً، فحادث به بغلته فمال عن السّرج فقلت له: ارتفع رفعك الله، فقال: أين المهاجرون والأنصار؟ فقلت: هم أولاء، قال: اهتف بهم فهتفت بهم فجاؤا وسيوفهم في أيمانهم كأنها الشهب وولى المشركون أدبارهم)[٢]، وقد اتفقت كتب التاريخ والسير على أنه شهد المشاهد كلها، ولم يتخلف في أي غزوة من الغزوات، وكيف وهو الملازم لرسول الله في حلّه وترحاله، بل بقي مجاهداً حتى بعد وفاة النبي ﷺ. يقول صاحب أسد الغابة: (شهد بدراً وأحداً والخندق وبيعة

= وغيرها. الزركلي: الأعلام ج٤ ص٢٦٦ باختصار. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ن: دار الكتاب العربي بيروت ط٢ (ت١٩٦٧م) ج٩ ص٣٩٠.

(١) غزوة حنين: كانت في الخامس من شوال سنة ثمان للهجرة. ينظر/ ابن كثير: السيرة النبوية ج٣ ص٦١٠.

(٢) ابن الجوزي: الوفا بأحوال المصطفى ج٢ ص٧٠٣.

الرضوان وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ وشهد اليرموك بعد النبي ﷺ)[١].

• جهاده مع الصحابة والمهام التي أسندت إليه أثناء الفتوحات:

فقد كان في خلافة أبي بكر رضي الله عنه يتولى مهمة خطرة ألا وهي حماية المناطق الضعيفة من المدينة في مواجهة المرتدين من بعض القبائل العربية، وذلك بعد وفاة الرسول ﷺ حين نكصت بعض القبائل عن أداء الزكاة، وقد قرر أبو بكر رضي الله عنه محاربتهم؛ لإرجاعهم إلى دائرة الإسلام، فأعد الجيوش ووجّهها إلى المناطق المرتدة، فبقيت المدينة في قلة من العدد والعدة، الأمر الذي حمل خليفة رسول الله ﷺ على أن يحتاط، ويجعل على الأنقاب (أي الثغور) أناساً يخبرون بالغارة إذا أقبلت، وأمر المسلمين أن يلزموا المسجد؛ ليكونوا على أهبة الاستعداد للدفاع عن المدينة من المرتدين والطامعين ليلاً أو نهاراً؛ قال ابن جرير في تاريخه: (وجعل أبو بكر بعدما أخرج الوفد على أنقاب المدينة نفراً: عليّا والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود وأخذ أهل المدينة بحضور المسجد وقال لهم: إن الأرض كافرة -أي جاحدة- وقد رأى وفدهم منكم قلة... فاستعدّوا وأعدّوا)[٢]، وكان ابن مسعود من هؤلاء الذين استعدوا في أي مكان وميدان، فما أن قضى المسلمون على المرتدين حتى جهّزوا جيوشهم لمحاربة الروم في الشام المتاخمين لحدود الجزيرة، فكان من بين الذين انطلقوا لإعلاء كلمة الله ونشر الدين في السنة الثالثة عشرة؛

---

(١) ابن الأثير: أسد الغابة ج٣ ص٢٥٧.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٣ ص٢٤٥.

لمحاربة الروم في معركة اليرموك العظمى[١]، التي كان لها الصدى الكبير في نفوس الروم، وجميع الدول المجاورة للجزيرة العربية، ولما وزعت المهام بين المسلمين في هذه الموقعة كانت له مهمة كغيره من الصحابة، فمنهم من ترأس الكراديس، ومنهم من ولّي القضاء، ومنهم من جعل على الطلائع (وكان على الأقباض -أي الغنائم- عبد الله بن مسعود)[٢]، وبعد انتهاء معركة اليرموك شارك في حصار حمص، الذي كان في السنة الخامسة عشرة[٣] من الهجرة، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبعد أن تم فتحها أعطيت له الغنائم؛ ليحملها إلى المدينة، ويبشّر خليفة المسلمين بالنصر الذي أحرزوه، ويحدثه بما جرى لهرقل ملك الروم، فما كاد يصل المدينة بالأخماس حتى ردّه عمر رضي الله عنه إلى حمص ثانية، ومن هناك وجّهه خليفة المسلمين إلى الكوفة[٤]؛ ليتولى مهمة أخرى فيها من المسؤولية ما لا يخفى، تلك هي إدارته بيت مال المسلمين، وما كان اختيار الخليفة له للقيام بهذه المهمة إلّا لثقته فيه وعلمه بنزاهته؛ إذ المال موطن الفتنة، ومحل النزاع بين الناس، فتولي مثل هذا المنصب ليس بالأمر الهيّن؛ إذ متولّيه يتعامل مع معادن عدّة من الناس، منهم من تنتصر عليه نفسه وأهواؤه فلا يؤدي ما عليه، ومنهم من يطالب بما ليس من حقه، ومنهم

(١) ينظر/ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٣ ص٣٩٧.
(٢) المرجع نفسه: ج٣ ص٥٩٨.
(٣) ينظر/ المرجع نفسه: ج٣ ص٥٩٨.
(٤) ينظر/ المرجع نفسه ج٣ ص٦٠١.

الموفّي لما عليه المقتنع بحقه، ومنهم من تضيق عليه أرزاقه فلا يستطيع الأداء في الأجل المضروب، وكل هذه الأشياء تجعل من يتولى هذا المنصب أن يكون ذا مرونة في تعامله مع طبقات الناس المختلفة، وأن ينتصر للحق مهما كلّفه من جهد ومعاناة على اختلاف منازل الناس، لا فرق بين سيّد ومسود، وحاكم ومحكوم؛ إذ الحق يعلو ولا يعلى عليه، وهذا المبدأ الذي تمسّك به ابن مسعود في هذا المنصب كان سبباً في جلب كثير من المتاعب عليه، وبخاصة مع الولاة أثناء استقراره بالكوفة، وسيرد مزيد من التفصيل فيما يلي هذا.

ولم تكن مهمة بيت المال وحدها هي المسندة إليه في الكوفة، وإنما كانت له مهام أخرى لا تقل عنها أهمية، منها تعليمه الناس أمر دينهم وتفقيههم، ومؤازرته للوالي في شئون الحكم، وفي ذلك يقول عمر رضي الله عنه حينما أوفده إلى الكوفة: (إني قد بعثت عمار بن ياسر[١] أميراً وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل بدر فاقتدوا بهما وأطيعوا واسمعوا قولهما، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي)[٢]، فهذه شهادة الفاروق رضي الله عنه فيه، ولا شك أنها شهادة

(١) عَمَّار بن ياسِر: عمار بن ياسر بن عامر الكناني المذحجي العنسي القحطاني، أبو اليقظان (ت٣٧هـ) صحابي، من الولاة الشجعان ذوي الرأي. وهو أحد السابقين إلى الإسلام والجهر به. هاجر إلى المدينة، وشهد بدراً وأحداً والخندق وبيعة الرضوان. وكان النبي ﷺ يلقبه (الطيب المطيَّب). وهو أول من بنى مسجداً في الإسلام، وولاه عمر الكوفة، ثم عزله بعد حين. وشهد الجمل وصفين مع علي التي قتل فيها. له ٦٢ حديثاً. الزركلي: الأعلام ج٥ ص٣٦ بتصرف.

(٢) ابن الأثير: أسد الغابة ج٣ ص٢٥٨-٢٥٩.

عظيمة؛ لأنها من رجل جعل الله الحق على لسانه وقلبه، فكم من آية نزلت مؤكدة لرأيه الذي كان يعرضه على الرسول ﷺ وهل يعرف الفضل من الناس إلا أهله؟ فما أعظم قوله: (وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي)، ففي هذه العبارة دليل على غزارة علمه، وأنه يرجع إليه في المعضلات من الأمور، من قضاء وإفتاء وغير ذلك، مما يحتاج إليه الخليفة أو الوالي، وقد نهض بالمهمة المسندة إليه، وأدّاها كأحسن ما يكون الأداء؛ إذ إنه اتخذ من عشية كل خميس حلقة لتعليم الناس أمور دينهم، ولم يكن هذا التوقيت مانعاً له من أدائه المهمة في بقية الأوقات، بل كان معلماً في كل مكان وجد فيه، ووجد من يسأله، وحلقة الخميس أيضاً لا يستنفذها كلها حتى لا يملّ سامعه، ويظل في شوق إليه؛ جاء عن عبد الله بن مرداس[(١)] قال: (كان عبد الله يَخْطُبُنا كلّ خميس فيتكلّم بكلمات فيسكتُ حين يسكت ونحن نشتهي أن يزيدنا)[(٢)]، إن سامعيه يرغبون المزيد، ويأبى هو ذلك لا لنقص فيه، ولا لقلة ما عنده، ولكنه كان يسير على هدى إمام المربين محمد ﷺ الذي كان يراعي حق النفس، فلا يحمّلها فوق طاقتها، عن شقيق قال: (كان عبد الله بن مسعود يذكر الناس في كل خميس فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكرتنا في كل يوم، قال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أُمِلّكم وإني أتخوّلكم (أتعهدكم)

(١) عبد الله بن مرداس المحاربي: روى عن عبد الله وكان قليل الحديث. ابن سعد: الطبقات ج٦ ص١٩٨.
(٢) ابن الأثير: أسد الغابة ج٣ ص١٥٧.

بالموعظة كما كان رسول الله ﷺ يتخوّلنا بها مخافة السآمة علينا)[١]، وكما كان يتعهد الناس بالتعليم والإفتاء، فقد تعهدهم أيضاً بتسيير أمورهم، وذلك عندما صير عمر رضي الله عنه سعد بن أبي وقاص[٢] رضي الله عنه من المدائن إلى (جلولاء)، فقد جعل عبد الله بن مسعود مكانه، وذلك في السنة التاسعة عشرة من الهجرة[٣]، وفي يوم مدينة تستر (كتب عمر إلى عمار يأمره أن يستخلف عبد الله بن مسعود على الكوفة في نصف الناس ويسير بالنصف الآخر حتى يلحق بأبي موسى)[٤].

---

(١) التِّبْرِيزي: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين التبريزي (ت٧٤١هـ) عالم بالحديث. له (مشكاة المصابيح)، و(الإكمال في أسماء الرجال) بهامش المشكاة. الزركلي: الأعلام ج٦ ص٢٣٤. مشكاة المصابيح (تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني) ن: المكتب الإسلامي دمشق ط١ (ت ١٢٨٠هـ - ١٩٦١م) ج١ ص٧٢.

(٢) سَعْد بن أَبي وَقَّاص: سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري، أبو إسحاق (ت٥٥ هـ) الصحابي الأمير، فاتح العراق، ومدائن كسرى، وأحد الستة الذين عينهم عمر للخلافة، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، وأحد العشرة المبشرين بالجنة. أسلم صغيراً، وشهد بدراً، وافتتح القادسية، وتولى الكوفة في عهد عمر بن الخطاب. كف بصره في آخر عمره. مات في قصره بالعقيق ودفن بالمدينة. له في كتب الحديث ٢٧١ حديثاً. الزركلي: الأعلام ج٣ ص٨٧ باختصار وتصرف.

(٣) ينظر/ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٥١.

(٤) الدِّينَوَرِي: أحمد بن داود بن ونند (بفتح الواو والنون الأولى وسكون النون الثانية) الدينوري، أبو حنيفة (ت٢٨٢هـ) مهندس مؤرخ نباتي، من نوابغ الدهر. له تصانيف نافعة، منها (الأخبار الطوال)، و(الأنواء)، و(النبات)، و(تفسير القرآن)، و(ما تلحن فيه العامة)، و(الشعر والشعراء)، و(الفصاحة) وغيرها. الزركلي: الأعلام ج١ ص١٢٣ باختصار. الأخبار الطوال (تحقيق: عبد المنعم عامر وجمال الدين الشيال) ن: دار إحياء الكتب عيسى البابي الحلبي مصر ط١ (ت١٩٦٠م) ص١٣٠.

- **شخصية ابن مسعود وما قيل فيها:**
- **أقوال الرسول ﷺ فيه:**

لما كان ملازماً للنبي ﷺ كان أهلاً لأن يذكره النبي ﷺ بخير، ويثني عليه في الكثير من المواقف، من ذلك قوله ﷺ: (رضيت ما رضي الله لي ولأمتي وابن أم عبد، وكرهت ما كره الله لي ولأمتي وابن أم عبد)(١)، وعن عبد الله بن عمرو قال: قال: رسول الله ﷺ: (خذوا القرآن من أربعة من ابن مسعود وأبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة)(٢)، وقال -عليه الصلاة والسلام- فيه: (اقتدوا بالذين من بعدي من أصحابي أبي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار وتمسّكوا بعهد ابن مسعود)(٣)، وفي الطبقات: (عن عليّ قال: قال رسول الله ﷺ: لو كنتُ مُؤمّراً أحداً دون شورى المسلمين لأمّرْتُ ابن أمّ عبد)(٤)، هذه

(١) المتقي الهندي: كنز العمال ج١٢ ص٢٨٦.

(٢) ابن العَرَبي: محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر بن العربي (ت٥٤٣ هـ) قاض، من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين. وصنف كتباً في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ. وولي قضاء إشبيلية، ومات بقرب فاس، ودفن بها. من كتبه (العواصم من القواصم)، و(عارضة الأحوذي في شرح الترمذي)، و(أحكام القرآن)، و(الناسخ والمنسوخ)، و(المسالك على موطأ مالك)، و(الإنصاف في مسائل الخلاف)، و(المحصول) في أصول الفقه، و(قانون التأويل) وغيرها. الزركلي: الأعلام ج٦ ص٢٣٠ باختصار. عارضة الأحوذي شرح صحيح الترمذي ن: المطبعة المصرية مصر، ون: مكتبة المعارف بيروت لاط (ت١٣٣٤هـ) ج١٣ ص٢١٥ باختصار.

(٣) المرجع نفسه: ج١٣ ص٢١٣.

(٤) ابن سعد: الطبقات ج٣ ص١٥٤.

طائفة مما قاله ﷺ فيه، وسترد طائفة أخرى في أماكنها، وما ذكر هذه الأقوال إلا لعمومها، ولبيان الخط العريض الذي تسير فيه هذه الشخصية، والملاحظ أن النبي ﷺ كثيراً ما يدعوه بابن أم عبد، الأمر الذي جعل بعض الكتاب يزعمون أنه عرف بأمه أكثر من أبيه وكأنهم غفلوا عن السبب، ذلك أن ابن مسعود وأمه كانا ملازمين للنبي ﷺ يقومان بخدمته، ورعايته، ويترددان عليه، حتى ظن بعض الصحابة أنهما من آل بيت النبوة(١).

● أقوال الصحابة فيه:

وهذه الملازمة للرسول ﷺ أكسبته مكانة، ومنزلة في نفوس الصحابة مع ما امتاز به من غزارة علم، وورع، وزهد، وثبات على العهد، وما يأتي من أقوال الصحابة دالّ على ذلك، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول فيه: عن زيد بن وهب: (كنتُ جالساً في القوم عند عُمَر إذ جاء رجل نحيف قليل، فجعل عمر ينظر إليه ويتهلّل وجهه ثم قال: كُنَيْفٌ(٢) مُلِئَ عِلْماً -قالها ثلاثاً- فإذا هو ابن مسعود)(٣)، وهذا عليّ رضي الله عنه يُسأل عن صحابة رسول الله ﷺ قصد التعرف عن رأيه فيهم وبخاصة عن ابن مسعود؛ جاء في رواية عن أبي البختري قال: (سئل علي رضي الله عنه عن أصحاب محمد ﷺ فقال: عن أيهم تسألون؟ قالوا: أخبرنا عن عبد الله

(١) ينظر/ بدر الدين العيني: عمدة القاري ج١٦ ص٢٤٧.
(٢) كنيف: الكنف وعاء طويل يكون فيه متاع التجار وأسقاطهم وهو تصغير وتعظيم للكنف. ابن منظور: لسان العرب ج٩ ص٣١٠.
(٣) ابن سعد: الطبقات ج٣ ص١٥٦.

ابن مسعود، قال: عَلِم القرآن وعَلِم السّنة ثم انتهى وكفى به علماً)[١]، ولمّا جرى الحديث عن ابن مسعود في حضور علي، وقد أشاد القوم به وبعلمه، أشهدهم علي على ذلك، ثم أثنى عليه هو نفسه بما يراه أهلاً له. روى عن حبّة بن جوين[٢] قال: (كنّا عند عليّ فذكرنا بعض قول عبد الله وأثنى القوم عليه فقالوا: يا أمير المؤمنين ما رأينا رجلاً كان أحسن خُلُقاً ولا أرفق تعليماً ولا أحسن مجالسةً ولا أشدّ وَرَعاً من عبد الله بن مسعود، فقال عليّ: نَشَدْتُكم اللهَ، إنّه لَصِدْقٌ من قلوبكم؟ قالوا: نعم، فقال: اللهمّ إني أُشْهِدُكَ، اللهمّ إنّي أقول فيه مثل ما قالوا أو أفضل)[٣]، وهذا أبو موسى الأشعري يعترف بما لابن مسعود من علم وفضل، فيثني عليه هو الآخر بما يستحقه، عن أبي عطية أن أبا موسى الأشعري قال: (لا تسألونا عن شيء مادام هذا الحبر[٤] بين أظهرنا من أصحاب محمد ﷺ)[٥]، وذلك في مسألة ميراث بنت الابن مع البنت والأخت، فقد أفتى فيها عبد الله خلاف ما أفتى به أبو موسى، وسيأتي ذكرها مفصلاً

(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة ج١ ص١٥٧-١٥٨.
(٢) حبة بن جوين: حبة بن جوين العرني من بجيلة روى عن علي وعبد الله، وتوفي سنة ست وسبعين في أوّل خلافة عبد الملك بن مروان، وله أحاديث وهو ضعيف. ابن سعد: الطبقات ج٦ ص١٧٧.
(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج٣ ص١٥٦.
(٤) الحبر: العالم أو الصالح جمع الحبر أحبار وجمع الحبر حبور. حسين يوسف موسى وعبد الفتاح الصعيدي: الإفصاح في فقه اللغة ن: دار إحياء الكتب العربية مصر، ون: دار الفكر العربي بيروت ط٢ (ت١٣٨٧ هـ- ١٩٦٧م) ج٢ ص١٢٦٥.
(٥) أبو نعيم: الحلية ج١ ص١٢٩.

في تفسير سورة النساء. وقال عنه مرة أخرى: (مجلس كنت أجالسه ابن مسعود أوثق في نفسي من عمل سنة)[١]، وهذا أبو الدرداء[٢] يوافق رأيه رأي أبي موسى في منزلة عبد الله بن مسعود العلمية؛ ذكر صاحب الزاد أنه لمّا (جاء نعي عبد الله بن مسعود إلى أبي الدرداء فقال: ما ترك بعده مثله)[٣]، ولما ارتحل علقمة -تلميذ ابن مسعود- إلى الشام، ودعى الله أن ييسّر له جليساً صالحاً، أقبل عليه شيخ، فتهلّل مستبشراً لاستجابة الله لدعائه، وبادره الشيخ بسؤال (أي أبو الدرداء) (مِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟ قُلْتُ: مِنْ أَهْلِ الكُوفَةِ. قال: أَفَلَمْ يَكُنْ فِيكُمْ صاحِبُ النَّعْلَيْنِ والوِسادِ والمِطْهَرَةِ؟)[٤]، فهو بهذا القول يشير إلى منزلة ابن مسعود، وقربه من رسول الله ﷺ، وهذا يعني أن في علمه كفاية عن غيره وكذا في سيرته، وهذا ما يبيّنه حذيفة بن اليمان[٥] حين سئل عن من أقرب الناس شبهاً

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج١ ص٣٥٢.

(٢) أبو الدرداء: اسمه عويمر فقيل عويمر بن عامر بن مالك بن زيد بن قيس من الحارث بن الخزرج (ت٣٢هـ)، وأمه محبّة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة، تأخر إسلامه قليلاً وحسن إسلامه، كان فقيهاً عاقلاً حكيماً روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: عويمر حكيم أمتي شهد ما بعد أحد من المشاهد توفي بدمشق في خلافة عثمان رضي الله عنه. ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب القسم الرابع ص١٦٤٦- ١٦٤٨ باختصار.

(٣) الشنقيطي: زاد المسلم ج٤ ص٥٥ الهامش.

(٤) بدر الدين العيني: عمدة القاري ج١٦ ص٢٤٧.

(٥) حذيفة بن اليمان: حذيفة بن حِسْل ويقال: حسَيل بن جابر بن عمرو، يكنى أبا عبد الله (ت٣٦هـ)، كان حذيفة من كبار أصحاب رسول الله ﷺ وهو صاحب السر، كان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يسأله عن المنافقين، وخيره الرسول ﷺ بين الهجرة والنصرة =

برسول الله ﷺ؟ روي عن عبد الرحمن بن يزيد قال: (سأَلْنا حُذَيْفَةَ عنْ رَجُلٍ قَريبِ السَّمْتِ والهَدْيِ منَ النبيِّ ﷺ حَتَّى نَأْخُذَ عنهُ فقال: ما أعْرِفُ أَحداً أقْرَبَ سَمْتاً وهَدْياً ودَلّاً بالنبيِّ ﷺ مِنِ ابنِ أُمِّ عَبْدٍ). (1) (السمت الهيئة الحسنة والهدي الطريقة والمذهب، والدل الشكل والشمائل)(2)، وفي رواية أخرى زيادة قوله: (لقد علم المحفوظون من أصحاب محمّد أنّ ابن أمّ عبد من أقربهم إلى الله وسيلةً)(3)، وهذا معاذ بن جبل يستوصيه الناس عمن يأخذون العلم من بعده وذلك عند قرب وفاته، ومعلوم أن أصدق ما تكون النفس وهي في النزع الأخير فيلبّى رغبة المستوصين ويشير عليهم بجماعة منهم ابن مسعود؛ جاء من طريق يزيد بن حمير قال: (لما حضر معاذ الموت قلنا: أوصنا قال: أجلسوني، ثم قال: إن الإيمان والعلم مكانهما من ابتغاهما وجدهما، قالها ثلاثاً، فالتمسوا العلم عند أربعة: أبي الدرداء وسلمان وابن مسعود وعبد الله بن سلام)(4).

• أقوال التابعين فيه والمتأخرين:

لما كان لابن مسعود الأثر العظيم في نفوس التابعين الذين التقوا به أو

= فاختار النصرة، وهو حليف الأنصار، شهد حذيفة نهاوند فلما قتل النعمان بن مقرن أخذ الراية، وكان فتح همذان والرّيّ والدينور على يد حذيفة ومات بالكوفة.
ابن عبد البر: الاستيعاب القسم الأول ص٣٣٤ بتصرف.

(١) بدر الدين العيني: عمدة القاري ج١٦ ص٢٤٧.

(٢) المرجع نفسه: ج١٦ ص٢٤٧.

(٣) ابن سعد: الطبقات ج٣ ص١٥٤.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج١ ص٣٩٥.

سمعوا عنه، صدرت عن بعضهم أقوال تلقي الضوء على جوانب كبيرة من شخصيته؛ لذا كان لزاماً ذكر بعضها للكشف عن منهجه وسيرته في الحياة؛ من ذلك ما جاء عن تميم بن حرام: (جالست أصحاب رسول الله ﷺ فما رأيت أحداً أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أحب إلي أن أكون في صلاحه من ابن مسعود)(١)، وإذا كان تميم يرى في ابن مسعود تلك الجوانب الأخلاقية، والاستقامة، والصلاح، فإن مسروقاً -وهو أحد تلاميذه- يوجّه نظره إلى الجانب العلمي فيقول: (وجدت علم الصحابة انتهى إلى ستة: عمر وعلي وأبي وزيد وأبي الدرداء وابن مسعود ثم انتهى علمهم إلى علي وعبد الله)(٢)، وهذا القول من مسروق يدل على معرفته الجمّة بما عند هؤلاء الستة من علم، ثم حصر ذلك العلم في اثنين هما: ابن مسعود، وعلي رضي الله عنهما، وهو تمحيص بعد تمحيص، وفي قوله الآخر ما يدل على حصره العلم في ابن مسعود خاصة، حيث يشبّهه بمجمع الماء الذي يُروي الناس جميعاً؛ قال: (جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالآخاذ(٣) يروى الرجل والآخاذ يروي الرجلين والآخاذ يروي المائة والآخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم فوجدت عبد الله من ذلك

(١) الشنقيطي: زاد المسلم ج٤ ص٥٦ الهامش.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج٢ ص٢٤٧.

(٣) الآخاذ: (الأخاذات: الغدران التي تأخذ من ماء السماء فتحبسه على الشاربة، الواحدة إخاذة وهو مجتمع الماء، وجمعه أُخذ ككتاب وكتب). ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر (تحقيق: الطاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي) ن: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي مصر ط١ (ت١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م) ج١ ص٢٨.

الآخاذ)[١]، وخير شاهد على غزارة علمه تلاميذه الذين ملأوا الكوفة علماً وفقهاً، حتى إن سعيد بن جبير يشبّههم بالمصابيح قال: كان أصحاب عبد الله سرج هذه القرية (أي الكوفة) وقال فيهم الشاعر:

وابن مسعود الذي سرج القرية أصحابه ذوو الأحلام[٢].

ويذكر علي بن عبد الله المديني[٣] -شيخ البخاري- أنه (لم يكن من أصحاب النبي ﷺ أحد له أصحاب يقومون بقوله في الفقه إلا ثلاثة: عبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس رضي الله عنهم، كان لكل رجل منهم أصحاب يقومون بقوله ويفتون الناس)[٤]، وإذا كان هذا حال تلاميذه فإنه

---

(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة ج١ ص١٥٨-١٥٩.

(٢) الشِّيرازي: إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي الشيرازي، أبو إسحاق (ت٤٧٦ هـ) العلامة المناظر. ولد في فيروز آباد (بفارس) وانتقل إلى شيراز. وانصرف إلى البصرة ومنها إلى بغداد. ظهر نبوغه في علوم الشريعة الإسلامية، فكان مرجع الطلاب ومفتي الأمة في عصره. وكان حسن المجالسة، طلق الوجه، فصيحاً مناظراً، ينظم الشعر. وله تصانيف كثيرة، منها (التنبيه) و(المهذب) و(التبصرة) و(طبقات الفقهاء) و(اللمع) وغيرها. مات ببغداد. الزركلي: الأعلام ج١ ص٥١ باختصار. طبقات الفقهاء (تحقيق: إحسان عباس) ن: دار الرائد العربي بيروت لاط (ت١٩٧٠م) ص٨١.

(٣) ابن المَدِيني: علي بن عبد الله بن جعفر السعدي بالولاء، المديني، البصري، أبو الحسن (ت٢٣٤هـ) محدّث مؤرخ، كان حافظ عصره. له نحو مئتي مصنف. وكان أعلم من الإمام أحمد باختلاف الحديث. ولد بالبصرة، ومات بسامراء. من كتبه (الأسامي والكنى)، و(الطبقات)، و(قبائل العرب)، و(التاريخ)، و(اختلاف الحديث)، و(مذاهب المحدّثين)، و(علل الحديث ومعرفة الرجال) وسواها. الزركلي: الأعلام ج٤ ص٣٠٣.

(٤) ابن الصَّلَاح: عثمان بن عبد الرحمن (صلاح الدين) بن عثمان بن موسى بن أبي النصر =

ولا شك هو أعظم من ذلك فقهاً، فهو أحد المكثرين من الفتيا من صحابة رسول الله ﷺ، نقل الذهبي عن كتاب الأحكام لابن حزم من الباب الثامن والعشرين: (المكثرون من الفتيا من الصحابة: عمر وابنه عبد الله وعلي وعائشة وابن مسعود وابن عباس وزيد بن ثابت، فهم سبعة فقط يمكن أن يجمع من فتيا كل واحد منهم سفراً ضخماً)[١]، وفي هذا دليل على ما عنده من الحصيلة العلمية وهي الظاهرة الغالبة عليه مع الاستقامة والهداية؛ قال الذهبي فيه: (لقد كان من سادة الصحابة وأوعية العلم وأئمة الهدى)[٢]، وهذا معترف به من قبل الذين كانوا معه يعايشونه يوماً بيوم، ولحظة بلحظة، وكذلك الذين اتصلوا بسيرته، وما نقلوا عنه من قول أو فعل؛ يقول محمد حسين الذهبي: (الكل يشهد له ويقدمه على

= النصري الشهرزوري الكردي الشرخاني، أبو عمرو، تقيّ الدين، المعروف بابن الصلاح (ت٦٤٣هـ)، أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال. ولد في شرخان (قرب شهرزور) وانتقل إلى الموصل ثم إلى خراسان، فبيت المقدس حيث ولي التدريس في الصلاحية. وانتقل إلى دمشق، ليدرّس بدار الحديث، وتوفي فيها. له كتاب (معرفة أنواع علم الحديث)، و(الأمالي)، و(الفتاوى)، و(شرح الوسيط)، و(أدب المفتي والمستفتي)، و(طبقات الفقهاء الشافعية) وغيرها. الزركلي: الأعلام ج٤ ص٢٠٧-٢٠٨ بإيجاز. علوم الحديث (تحقيق: نور الدين عتر) ن: المكتبة العلمية المدينة المنورة لاط (ت١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م) ص٢٦٦.

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج٣ ص١٥٩.

(٢) الذهبي: تذكرة الحفاظ ن: دار إحياء التراث العربي مصر، ون: وزارة المعارف الهندية ط٣ (ت١٣٧٣هـ) ج١ ص١٦.

غيره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده)(١).

نعم إنه فضل الله الذي يؤتيه من يشاء من عباده، وبخاصة الذين يخلصون له ظاهراً وباطناً، ويمكن إجمال ما قيل في علمه ما جاء في مقدمة شرح الدر: (قد قالوا: الفقه زرعه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وسقاه علقمة، وحصده إبراهيم النخعي...)(٢).

● ما نزل فيه من القرآن:

وأشرف هذه الأقوال كلها ما قاله عز وجل فيه وفي غيره من الصحابة الذين كانوا يتحركون بحركة النبي ﷺ ويسكنون بسكونه، ولما كان عبد الله من أكثر هؤلاء الصحابة ملازمة للنبي ﷺ تناولته الكثير من الآيات، منها: أولاً ما ورد في سورة آل عمران: قوله -تعالى-: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(٣)، قال عكرمة ومقاتل: (نزلت في ابن مسعود وأبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبى حذيفة وذلك أن مالك بن الضيف ووهب بن يهوذا اليهوديين قالا لهم

(١) الذهبي: التفسير والمفسرون ن: دار الكتاب الحديثة مصر ط١ (ت١٣٨١هـ - ١٩٦١م) ج١ ص٨٥.

(٢) عَلَاء الدِّين الحَصْكَفي: محمد بن علي بن محمد الحصني المعروف بعلاء الدين الحصكفي (ت١٠٨٨هـ) مفتي الحنفية في دمشق. مولده ووفاته فيها. كان فاضلاً عالي الهمة، عاكفاً على التدريس والإفادة. من كتبه (الدر المختار في شرح تنوير الأبصار)، و(إفاضة الأنوار على أصول المنار) و(الدر المنتقى) و(شرح قطر الندى). الزركلي: الأعلام ج٦ ص٢٩٤. شرح الدر المختار ن: مكتبة صبيح مصر لاط لات ج١ ص٨.

(٣) سورة آل عمران: ١١٠.

إن ديننا خير مما تدعونا إليه ونحن خير وأفضل منكم فأنزل الله تعالى هذه الآية)[١]، وقوله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٢] (عن عبد الله في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ الآية، قال: كنا ثمانية عشر رجلاً)[٣].

• ثانياً: سورة المائدة:

(أ) قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[٤] إن عبد الله بن مسعود كان أحد العشرة الذين اجتمعوا في بيت عثمان ابن مظعون الجمحي (اتفقوا على أن يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم ولا الودك (أي ما فيه دسم) ويترهبوا...)[٥].

(ب) قوله -تعالى-: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا

---

(١) الوَاحِدي: علي بن أحمد بن محمد بن علي بن مَتُّوية، أبو الحسن الواحدي (ت٤٦٨هـ) مفسر، عالم بالأدب، نعته الذهبي بإمام علماء التأويل. كان من أولاد التجار. أصله من ساوة (بين الريّ وهمذان) ومولده ووفاته بنيسابور. له (البسيط)، و(الوسيط)، و(الوجيز)، و(شرح ديوان المتنبي). الزركلي: الأعلام ج٤ ص٢٥٥. أسباب نزول القرآن ن: عالم الكتب بيروت مصورة عن طبعة المطبعة الهندية بمصر، ون: مكتبة المتنبي ومكتبة سعد الدين دمشق ط١ (ت ١٣١٦هـ) ص٨٧.

(٢) سورة آل عمران: ١٧٢.

(٣) ابن سعد: الطبقات ج٣ ص١٥٣.

(٤) سورة المائدة: ٨٧.

(٥) الواحدي: أسباب النزول ص١٥٣.

طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ﴾ (١)، عن علقمة عن عبد الله قال: قال: (لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: (قِيلَ لِي: أَنْتَ مِنْهُمْ)(٢).

● ثالثاً: سورة الأنعام:

قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٣)، (عن سعد قال: نزلت هذه الآية فينا ستة فيّ وفي ابن مسعود وصهيب وعمار والمقداد وبلال، قالت قريش لرسول الله ﷺ: إنا لا نرضى أن نكون أتباعاً لهؤلاء فاطردهم)(٤).

● رابعاً: سورة النحل:

قال -تعالى-: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا﴾ نزلت في عبد الله بن مسعود وأصحابه الذين بعثهم رسول الله ﷺ يردّون على

---

(١) سورة المائدة: ٩٣.

(٢) مسلم: صحيح مسلم (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي) ن: دار إحياء التراث العربي بيروت ط١ (ت١٣٧٥هـ- ١٩٥٦م) ج٤ ص١٩١٠.

(٣) سورة الأنعام: ٥٢.

(٤) الواحدي: أسباب النزول ص١٦٢.

(٥) سورة النحل: ٣٠.

المقتسمين[١] على أعقاب مكة وكان مع كل رجل من المشركين رجل من المسلمين يكذبون المشركين بما يقولون)[٢].

خامساً: سورة محمد:

قال -تعالى-: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ﴾ [٣] (نقل عن عبد الله بن بريدة أن المراد من الذين أوتوا العلم: عبد الله بن مسعود)[٤].

---

(١) المقتسمون: هم سبعة عشر رجلاً من قريش اقتسموا أعقاب مكة فكانوا إذا حضروا الموسم يصدّون الناس عن رسول الله ﷺ وفيهم نزلت ﴿كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ﴾. ابن حبيب البغدادي: المحبّر ص١٦٠.

(٢) المرجع نفسه: ص١٦١.

(٣) سورة محمد: ١٦.

(٤) ابن قيم الجوزية: إعلام الموقعين ج١ ص١٧.

الفصل الثالث

وفيه: أخلاقه وصفاته الجسمية وحليته ووفاته ووصاياه وأقواله وطريقته في التعليم والتربية

- **إخلاصه وصدقه:**

إن التصدي لأولئك المشركين وبخاصة في بداية الدعوة لا يقدم عليه إلا من امتلاء قلبه بالإيمان، وأخلصت نفسه لله ولرسوله، ونصرة كلمة الحق، واتباع الصدق مهما كلف ذلك من جهد، وابن مسعود من ذلك النوع، فهو العربي الآتي من البادية التي تعيش على الفطرة، وتمتاز بالإخلاص، وتعرف بالصدق، وهو الأشبه هدياً بالنبي ﷺ الذي وصفه ربه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(١)؛ لذا كان الرسول ﷺ يحث أصحابه دائماً على مكارم الأخلاق ومحاسنها، ويبيّن لهم أن أقربهم منه مجلساً يوم القيامة المُوَطَّئين أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون، وقد كان عبد الله رضي الله عنه من الذين يألفون الناس والناس تألفه؛ لأنه كان رمزاً للاستقامة، وحسن الخلق، وطيب المعاشرة، فهذا حذيفة بن اليمان يقول عنه حين سئل أن يرشدهم إلى أشبه الناس برسول الله ﷺ ليأخذوا عنه، ويسمعوا منه: (كان أقرب الناس برسول الله هدياً وسمتاً ودلًّا عبد الله بن مسعود حتى يتوارى عنّا في بيته)(٢).

وسيرته في أهله لا تختلف عن سيرته مع غيرهم من الناس، فهذا أبو عبيدة يقول: (كان عبد الله إذا دخل الدار اسْتَأْنَسَ ورفع كلامه كي يستأنسوا)(٣)، فطبيعته البدوية، وشبهه بالرسول هما اللذان أورثاه الإخلاص والصدق. لقد كان عبد الله صادقاً قولاً وعملاً، فهو يستحضر

(١) سورة القلم: ٤.

(٢) ابن الجوزي: صفة الصفوة ج١ ص١٥٦.

(٣) ابن سعد: الطبقات ج٣ ص١٥٤-١٥٥.

دائماً قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[١]، وهو الراوي عن النبي ﷺ (إنّ الصّدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل يصدق حتى يكون صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذّاباً)[٢].

ولقد حفظ الناس عنه كلمته المأثورة، التي أسكتت زبيداً[٣] عشرين سنة: (من كان كلامه لا يوافق فعله فإنما يوبّخ نفسه)[٤].

● بعده عن الخلاف والفتن:

وما بقاؤه في بيته، واعتزاله منصبه إلا بعداً عن الخلاف، وما يثير الفتن بين الناس، وهو أبعد ما يكون عن ذلك، فهو حريص على وفاق المسلمين، وعدم تفرقهم؛ عملاً بقول الرسول ﷺ فيما يرويه هو نفسه قال: قال لنا رسول الله ﷺ: (إنكم سترون بعدي أثرة وأموراً تنكرونها قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: أدّوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم)[٥].

(١) سورة الصف: ٣.

(٢) عبد السلام محمد هارون: الألف المختارة من صحيح البخاري ن: دار المعارف مصر لاط (ت١٩٦٥م) ج٨ ص١٣٣.

(٣) زبيد: هو زبيد بن الحارث بن عبد الكريم بن كعب اليامي نسبة إلى يام (بطن من همذان). ابن قتيبة: عيون الأخبار ج٢ ص١٧٩ الهامش.

(٤) المرجع نفسه: ج٢ ص١٧٩.

(٥) الخطيب التبريزي: مشكاة المصابيح ج٢ ص٣١٨.

نعم إن الأشبه برسول الله ﷺ هدياً، ودلاً، وسمتاً لن يكون أول فاتح لتلك الأبواب، وها هو يرد على عبد الرحمن بن عوف ؓ حين أتاه مبيناً له ما حدث من عثمان في إتمام الصلاة بمنى -وقد كان يقصرها في أول عهده كما كان الذين من قبله-؛ جاء في تاريخ الطبري: (فخرج عبد الرحمن فلقي ابن مسعود فقال: أبا محمد غير ما يعلم قال: لا. قال: فما أصنع؟ قال: اعمل أنت بما تعلم. فقال ابن مسعود: الخلاف شر قد بلغني أنه صلى أربعاً فصليت بأصحابي أربعاً، فقال عبد الرحمن بن عوف: قد بلغني أنه صلى أربعاً فصليت بأصحابي ركعتين وأما الآن فسوف يكون الذي تقول، يعني نصلي معه أربعاً)[١]، فهذا عبد الرحمن بن عوف ؓ أحد المبشرين بالجنة يقتدي به، ويحذو حذوه في الابتعاد عن الخلاف، وما يدعوا إلى شقاق المسلمين، ولم يكن ابن مسعود يفعل ذلك فحسب، بل كان يوصي غيره بالابتعاد عن الفتن قدر الطاقة، وهاهو يقول في هذا الشأن: (الزم بيتك قيل: وإن دخل عليّ بيتي؟! قال: فكن مثل الحمار الأورق[٢] الثفال (أي البطيء) الذي لا ينبعث إلا كرها ولا يمشي إلا كرها)[٣].

● **رحمته:**

وما ذلك إلا رحمة بنفسه وبالمجتمع، فإذا تغاضى كل إنسان عن صغائر الأحداث، فإن الأمن، والرحمة تسودان ذلك المجتمع، أما إذا

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٥ ص٢٨٣٤.
(٢) الأورق: هو الذي في لونه ورقة وهي بياض إلى سواد ومنه الأورق للرّماد والورقاء للحمامة. الزمخشري: الفائق ج٤ ص٥٥.
(٣) المرجع نفسه: ج٤ ص٥٥.

تمسك كل إنسان بما يراه حقاً في صغائر الأمور، فإن الفتنة تكون أعظم، وتنأى الرحمة عن قلوب الناس، والنبي ﷺ يقول فيما يروي عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: (الراحمون يرحمهم الرّحمن ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء)(١).

وإذا كان في التشريع المسيحي: (من لطم على الخد الأيمن فليقدّم الأيسر) لدفع الشر بالخير، فإن ابن مسعود عبارته في هذا واضحة حيث يقول: (إن الرجل ليظلمني فأرحمه)(٢)، والظلم يشمل اللطم وغيره، فهو رحيم بالإنسان، والحيوان، وجاء عنه أنه قال: (لو سخرت من كلب لخشيت أن أحوّل كلباً)(٣)، وقد بلغت به الرحمة إلى أن آثر الطيور على أولاده: (عن أبي الأحوص الجشمي(٤) قال دخلنا على ابن مسعود وعنده

(١) ابن أبي داود: السنن (تعليق: عزت عبيد الدعّاس) ن: دار الحديث سورية ط١ (ت١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م) ج٥ ص٢٣١.

(٢) المُبَرَّد: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (ت٢٨٦هـ) إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار. مولده بالبصرة ووفاته ببغداد. من كتبه (الكامل)، و(المذكر والمؤنث)، و(المقتضب)، و(التعازي والمراثي)، و(شرح لامية العرب)، و(إعراب القرآن)، و(طبقات النحاة البصريين)، و(نسب عدنان وقحطان)، و(المقرب)، قال الزبيدي في شرح خطبة القاموس: المبرّد بفتح الراء المشددة عن الأكثر وبعضهم يكسر. الزركلي: الأعلام ج٧ ص١٤٤. الكامل في اللغة والأدب (تحقيق: محمد أبو الفضل) ن: دار النهضة بالفجالة مصر لاط لات ج٢ ص٥.

(٣) ابن الجوزي: صفة الصفوة ج١ ص١٦٥.

(٤) أبو الأحوص: اسمه عوف بن مالك بن نضلة الجشمي من هوازن روى عن عبد الله =

بنون له ثلاثة غلمان كأنهم الدنانير حسناً، فجعلنا نتعجب من حسنهم، فقال لنا: كأنكم تغبطوني بهم؟ قلنا إي والله بمثل هؤلاء يغبط المرء المسلم، فرفع رأسه إلى سقف بيت له صغير قد عشّش فيه خطاف وباض فقال: والذي نفسي بيده لأن أكون قد نفضت يدي عن تراب قبورهم أحب إلي من أن يسقط عش هذا الخطاف وينكسر بيضه)(١).

● زهده:

فما إيثاره للطائر على ولده إلا لعزوفه عن الدنيا وزهده، فلقد كان مثلاً في الزهد(٢)، فهو زهد مستنبط من القرآن يجمع بين الدارين؛ قال الله -تعالى-: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾(٣)، وقال أيضاً ﷻ: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾(٤)، والزهد عند ابن مسعود عمل، ونشاط، وتوكل، لا كسل، وتواكل؛ إذ يقول: (إني لأمقت الرجل أن أراه فارغاً ليس في شيء من عمل الدنيا، ولا عمل الآخرة)(٥).

= وحذيفة وأبي مسعود الأنصاري وأبي موسى الأشعري وعن أبيه كانت له صحبة وعن زيد ابن صوحان. ابن سعد: الطبقات ج٦ ص١٨١.

(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة ج١ ص١٦٠.

(٢) الزهد: الزهد والزّهادة الرضا باليسير مما يتيقّن حلّه وترك الزائد على ذلك كله لله تعالى، ولا يقال الزهد إلا مما يترك من أجل الدين خاصة. حسين يوسف موسى ومعه: الإفصاح في فقه اللغة ج٢ ص١٢٦٣.

(٣) سورة البقرة: ٢٠١.

(٤) سورة القصص: ٧٧.

(٥) أبو نعيم: الحلية ج١ ص١٣٠.

لذا كان زهده علامة للصلاح، حتى إن تميم بن حرام ودّ أن يكون في صلاحه؛ جاء في زاد المسلم: (أخرج البغوي عن تميم بن حرام جالست أصحاب رسول الله ﷺ فما رأيت أحداً أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أحب إلي أن أكون في صلاحه من ابن مسعود)[١]، فالزهد في الدنيا عنده عدم التعلق بها لا التملق لأربابها، كما يعني التخلص من عبودية المال والمتاع؛ لتكون العبودية لله وحده؛ لأنه يدرك قول الرسول ﷺ في بيانه لمعنى الزهد: (ليست الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا في إضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا ألا تكون بما في يديك أوثق منك بما في يد الله...)[٢].

● تواضعه:

ومن معالم الزهد ومراتبه التواضع الذي دعا إليه الله ﷻ في قرآنه العزيز في أكثر من موطن، من ذلك قوله -تعالى-: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[٣]، وقوله -سبحانه- على لسان لقمان ينصح ابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى

---

(١) الشنقيطي: زاد المسلم ج٤ ص٥٦ الهامش.

(٢) ابن مَاجَهْ: محمد بن يزيد الربعي القزويني، أبو عبد الله (ت٢٧٣هـ) أحد الأئمة في علم الحديث. من أهل قزوين. رحل إلى البصرة وبغداد والشام ومصر والحجاز والري، في طلب الحديث. وصنف كتابه (سنن ابن ماجه)، وهو أحد الكتب الستة المعتمدة. وله (تفسير القرآن). الزركلي: الأعلام ج٧ ص١٤٤. سنن ابن ماجه (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي) ن: عيسى البابي الحلبي مصر لاط (ت١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م) ج٢ ص١٣٧٣.

(٣) سورة الفرقان: ٦٣.

ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (١)، فهذا ابن مسعود يبين لنا معنى التواضع الذي هو جزء من مكونات شخصيته بقوله: (أساس التواضع أن تبدأ من لقيت بالسلام وأن ترضى بالدون من المجلس)(٢)، وإذا كان التواضع أمراً مرغّباً فيه من قبل الله ﷻ مدعوّا إليه، فإن الكبر الذي هو ضدّه ممقوت من قبل الله ﷻ والناس، ولقد كان ﵁ يبتعد عن كل ما يؤدي إلى الكبر، والخيلاء ولو من بعيد؛ (خرج مرة معه ناس يشيّعونه فقال لهم: ألكم حاجة؟ فقالوا: لا، فقال: ارجعوا فإنه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع)(٣)، ففي طلبه من الناس أن يرجعوا اتقاء للشبهات، وردع للنفس التي ربما تستشعر الكبر، والتعالي، ثم إن من علامات التواضع، ومبدأ الزهد العام الاختفاء، وعدم الشهرة، كما يقول هو نفسه: (المتقون

(١) سورة لقمان: ١٨.

(٢) ابن قتيبة: عيون الأخبار ج١ ص٢٦٩.

(٣) الشَّعْرَاني: أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، نسبة إلى محمد ابن الحنفية، أبو محمد (ت٩٧٣هـ) من علماء المتصوفين. ولد في قلقشندة (بمصر) ونشأ بساقية أبي شعرة (من قرى المنوفية) وتوفي في القاهرة. له تصانيف، منها (الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء الصوفية)، و(أدب القضاة)، و(إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين)، و(الأنوار القدسية في معرفة آداب العبودية)، و(تنبيه المغترين)، و(الجواهر والدرر الكبرى)، و(حقوق أخوة الإسلام)، و(كشف الغمة عن جميع الأمة)، و(لواقح الأنوار في طبقات الأخيار) وغيرها. الزركلي: الأعلام ج٤ ص١٨٠-١٨١ باختصار. طبقات الشعراني: لواقح الأنوار في طبقات الأخيار ن: المطبعة العثمانية مصر لاط (ت١٣٠٥هـ) ج٢ ص٢٢.

متوارون)[١]، ويذكر في مقام آخر مبيناً حقيقة الإيمان أن العبد لا يبلغ ذروته حتى يكون الفقر أحب إليه من الشرف، وأن يستوي عنده الحامد والذام[٢]، وقد فسر تلاميذه هذا المبدأ بقولهم: (حتى يكون الفقر في الحلال، أحب إليه من الغنى في الحرام. والتواضع في طاعة الله أحبّ إليه من الشرف في معصيته. وحتى يكون حامده وذامه عنده في الحق سواء)[٣]، وكان يرشد الناس إلى التواضع وعدم التكبر، بعد أن طبق ذلك هو بنفسه بقوله: (من تطاول تعظماً خفضه الله ومن تواضع تخشعاً رفعه الله)[٤]، ومن الإخفاء الصمت، فلابن مسعود فيه قوله: (والله الذي لا إله إلا هو! ما على ظهر الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان)[٥]، فالصمت هنا يراد به التفكر، لا مطلق الانقطاع عن الكلام، إن صمت المؤمن فكر، وكلامه ذكر، وما خرج عن هذين المبدأين فهو محاسب عليه، ولما جاء رجل إلى ابن مسعود رضي الله عنه يطلب منه أن يوصيه

(١) أبُو طالِب المَكِّي: محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب (ت٣٨٦هـ) واعظ زاهد، فقيه. من أهل الجبل (بين بغداد وواسط) نشأ واشتهر بمكة. ورحل إلى البصرة فاتهم بالاعتزال. وسكن بغداد فوعظ فيها. وتوفي ببغداد. من كتبه (قوت القلوب) في التصوف، و(علم القلوب)، و(أربعون حديثاً). الزركلي: الأعلام ج٦ ص٢٧٤ باختصار. قوت القلوب في معاملة المحبوب ن: المطبعة الميمنية مصر ط١ (ت١٣١٠هـ) ج٢ ص٢٨.

(٢) ينظر/ أبو نعيم: الحلية ج١ ص١٣٢.

(٣) أبو نعيم: الحلية ج١ ص١٣٢.

(٤) ابن الجوزي: صفة الصفوة ج١ ص١٦٣.

(٥) أبو نعيم: الحلية ج١ ص١٣٤.

قال له: (ليسعك بيتك، واكفف لسانك، وابك على ذكر خطيئتك)(١)، ففي عبارته هذه مقامات ثلاثة وهي: اعتزال الناس، والصمت، والبكاء، غير أن ابن مسعود لا يعتزل الناس نهائياً كما يفعل البعض الذين لا يفهمون الدين على حقيقته؛ إذ لا رهبانية في الإسلام، وإنما يخالطهم فيما يتمشى مع الدين، ويعتزلهم إذا رأى خروجهم عن الطريق الصحيح، ومذهبه في هذا المقام جلي؛ إذ يقول: (خالطوا الناس وزايلوهم)(٢).

وما ذلك إلا تمشياً مع الروح الإسلامية التي تجمع بين الدين والدنيا، فمخالطته للناس مبنية على ما يرويه عنه عبد الرحمن بن يزيد: (لا تكونن إمّعة. قالوا: وما الإمّعة؟ قال: يقول أنا مع الناس إن اهتدوا اهتديت وإن ضلّوا ضللت، ألا ليوطنن أحدكم نفسه على أنه إن كفر الناس أن لا يكفر)(٣)، ومعنى ذلك: أنه يشير إلى الثبات على المبدأ، وأن تكون للإنسان شخصيته المستقلة.

- **ورعه:**

من علامات الورع أن يبتعد عما فيه ريبة وشبهة؛ اتقاء لدينه وعرضه، كما يقول النبي ﷺ: (إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا

---

(١) المرجع نفسه: ج١ ص١٣٥.

(٢) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر ج٢ ص٣٢٥. زايلوهم: أي فارقوهم في الأفعال التي لا ترضي الله ورسوله. المرجع نفسه: ج٢ ص٣٢٥.

(٣) ابن الجوزي: صفة الصفوة ج١ ص١٦٦.

يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ. فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ)[١]، واتقاء الشبهات هو الورع بعينه الذي هو الترك لما حرم الله -تعالى- والاحتياط لما فيه شبهة، وتجنب ما يشك في حلّه من جميع الوجوه. قال ﷺ: (لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً لما به البأس)[٢]، وقد كان هذا منهج ابن مسعود في حياته، فهو الحذِر من كل ما فيه ريبة، أو يوصل إليها، لدرجة أنه يؤثر مخالطة البعير الأجرب الذي طلي بالقطران على المرأة العطرة قال: (لأن أزاحم عمداً جملاً قد هني بالقطران أحب إلي من أن أزاحم امرأة عطرة)[٣].

- **خشيته:**

وما ذلك إلا من شدة ورعه، وخشيته من الله سبحانه وتعالى فهو يؤثر ثواب الآخرة على نعيم الدنيا الزائل، فهو يرى أن الكنز الحقيقي هو ما ادخر عند الله سبحانه وتعالى لا هذه الأموال من نقد، وضياع وغيرها، التي هي عرضة للتلف والهلاك؛ قال: (من استطاع منكم أن يجعل كنزه في السماء حيث لا تأكله السوس ولا يناله السراق فليفعل فإن قلب الرجل مع كنزه)[٤]، ولا شك بأن القلب هو محل الخشية، والخشوع، ترشدنا إلى ذلك تلك القصة التي وقعت بين شاب مطأطئ رأسه وبين عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(١) مسلم: صحيح مسلم ج٣ ص١٢١٩-١٢٢٠بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
(٢) ابن ماجه: سنن ابن ماجه ج٢ ص١٤٠٩.
(٣) الزمخشري: الفائق في غريب الحديث ج٤ ص١١٦.
(٤) ابن الجوزي: صفة الصفوة ج١ ص١٦٦.

الذي انتهره قائلاً له: ارفع رأسك، فإن الخشوع هاهنا -مشيراً إلى القلب- لا إلى خشوع الجوارح الذي قد يشعر بالذلة والمهانة، فقد كان ابن مسعود يولي القلب اهتماماً كبيراً، فهو يقول: (إنما هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن، ولا تشغلوها بغيره)(١)، وحينما أعجب الناس بأجسام المشركين من حيث صحتها، ونضارتها صرف أنظارهم إلى ما هو أهم من ذلك؛ إذ بيّن أنهم -وإن كانوا أصحاء وذوي أجسام فخمة- فإن قلوبهم مريضة، على عكس المؤمن تماماً الذي هو أضعف جسماً، وأقل نضارة لكن أصح قلباً؛ قال أبو نعيم: (جاء ناس من الدهاقين إلى عبد الله ابن مسعود فتعجب الناس من غلظ رقابهم وصحتهم. قال فقال عبد الله: إنكم ترون الكافر من أصح الناس جسماً؛ وأمرضه قلباً، وتلقون المؤمن من أصح الناس قلباً؛ وأمرضهم جسماً، وأيم الله لو مرضت قلوبكم وصحت أجسامكم لكنتم أهون على الله من الجعلان)(٢).

وما هذا الاهتمام بالقلب؛ إلا لأنه مكان الصلاح والفساد؛ قال النبي ﷺ: (أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ. وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ. أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)(٣)، فالقلب هو وعاء المعرفة، والذكر، والخشوع، وإذا كان أحد السبعة الذين يستظلون بعرش الرحمن

(١) أبو نعيم: الحلية ج١ ص١٣١.

(٢) المرجع نفسه: ج١ ص١٣٥، والجعلان: واحده الجُعل كصُرَدِ الرجُلُ الأَسْوَدُ الدَميم أو اللجوجُ ودُوَيْبَةٌ الجمع جِعْلانٌ بالكسرِ. الفيروز آبادي: القاموس المحيط ج٣ ص٣٥٩.

(٣) مسلم: صحيح مسلم ج٣ ص١٢٢٠ بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

يوم لا ظل إلا ظله (رجل ذكر الله عَزَّلَ خالياً ففاضت عيناه)[١] -من خشية الله- فإن هذا النعت ينطبق على ابن مسعود؛ عن زيد بن وهب[٢] قال: (رأيت بعيني عبد الله أثرين أسودين من البكاء)[٣]، إن بكاءه هذا لم يكن على دنيا فانية، ولم يصب منها شيئاً، وإنما كان بكاؤه خوفاً من الله، وما سيلقاه غداً مكتوباً في صحيفته، وهذا مقام رفيع لا يكاد كثير من الناس يصل إليه؛ قال رجل في حضرته: (ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين أكون من المقربين أحبّ إليّ فقال عبد الله لكن هاهنا رجل ودّ أنه إذا مات

(١) الشَّنَوَاني: محمد بن علي بن منصور الشافعي (ت١٢٣٣هـ) فاضل مصري. ولي مشيخة الجامع الأزهر. نسبته إلى (شنوان الغرف) من قرى المنوفية. من كتبه (حاشية على شرح اللقاني على الجوهرة)، و(حاشية على مختصر البخاري لابن أبي جمرة)، و(حاشية على شرح العضدية في آداب البحث)، و(حاشية على شرح السمرقندية). الزركلي: الأعلام ج٦ ص٢٩٧. حاشية الشنواني على مختصر ابن أَبي جَمْرَة: محمد بن أحمد بن عبد الملك، ابن أبي جمرة الأموي بالولاء، أبو بكر (ت٥٥٩هـ) فقيه مالكي، من أعيان الأندلس. ولد بمرسية. وتفقه، وولي خطة الشورى، وتقلد قضاء مرسية وبلنسية وشاطبة وأوريولة، في مدد مختلفة، أقام بمرسية إلى أن توفي. من كتبه (نتائج الأبكار ومناهج النظار في معاني الآثار)، و(إقليد التقليد)، و(البرنامج المقتضب) وغيرها. الزركلي: الأعلام ج٥ ص٣١٩ بإيجاز. مختصر ابن أبي حمزة المسمى (جمع النهاية في بدء الخير وغاية) (تصحيح وتعليق: عبد الله الصديق الغماري) ن: مكتبة القاهرة بالأزهر مصر ط١ (ت١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م) ص٨٣.

(٢) زيد بن وهب: زيد بن وهب الجهني أدرك الجاهلية، يكنّى أبا سليمان، وكان مسلماً على عهد رسول الله ﷺ ورحل إليه في طائفة من قومه فبلغنه وفاته في الطريق، وهو معدود في كبار التابعين بالكوفة. ابن عبد البر: الاستيعاب القسم الثاني ص٥٥٩.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج١ ص٣٥٣.

لا يبعث)[١] -يعني نفسه- بل بلغت به الخشية، والخوف من الحساب -مع ما فيه من صلاح- أنه لو بُعث وخيّر بين الجنة والنار، أو أن يكون رماداً، لاختار الثالث وكان الأحب إليه[٢].

● عبادته:

ومن علامات خشيته أنه كان يدعوا إلى العمل لا إلى الاهتمام بالرواية، وجمع الآثار، قال: (ليس العلم بكثرة الرواية، ولكن العلم الخشية)[٣]، ذلك أن الخشية المصاحبة للعمل هي الموصلة إلى رضا الله عن العبد، فالعلم المجرد مهما بلغ لا يوصل إلى ما ينشده من قرب إلى الله -تعالى-؛ لذا نجد ابن مسعود يعزف عن الرجل الذي لا يكون في شيء من العمل الدنيوي أو الأخروي، فالصلاة أول ما ينهض له، ويحرص عليه من العمل الصالح؛ لأنها باب الملك؛ قال: (ما دمت في صلاة فأنت تقرع باب الملك ومن يقرع باب الملك يفتح له)[٤]، وهي الصلة بين العبد وربه، ومن هنا كان حريصاً على أن لا يقطع هذه الصلة.

وإذا كانت الصلاة فيها مناجاة العبد لربه، فإن القرآن مناجاة الله ﷻ لعبده، فإن عبد الله لم يغفل عن هذا الجانب، بل عُرف بكثرة قراءته للقرآن، وبخاصة في هدأة الليل، عندما يكون الناس نياماً. جاء في تهذيب

---

(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة ج١ ص١٥٩.

(٢) ينظر/ المرجع نفسه: ج١ ص١٥٩.

(٣) أبو نعيم: الحلية ج١ ص١٣١.

(٤) ابن الجوزي: صفة الصفوة ج١ ص١٦٤.

الأسماء: (وكان إذا هدأت العيون قام فيسمع له دوي كدوي النحل حتى يصبح)[١]، وما ذلك إلا لعلمه بأن القرآن حوى خير الدنيا، ونعيم الآخرة، وأنه (مأدبة الله)[٢]، كما يقول هو نفسه، وكثيراً ما ينصح بنشر القرآن (أي مدارسته)، وقد جعل صفات معينة لمن يحمل القرآن حقيقة بقوله: (ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس يفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون...)[٣].

- **دعاؤه:**

وإذا كانت الصلاة من معانيها في اللغة الدعاء، والقرآن في أكثر من موطن يطالب العبد بأن يدعو ربه متوجهاً إليه تضرعاً وخيفة؛ قال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٥].

فإن ابن مسعود لم ينس هذا الجانب؛ لعلمه أنه مخ العبادة، وأن في الدعاء إظهار العبودية لله، والافتقار إليه في جميع الأحوال؛ إذ لا غنى للعبد عن ربه، وقد كان رضي الله عنه مجاب الدعوة؛ قال حذيفة بن اليمان: (لقد

(١) النووي: تهذيب الأسماء ج١ ص٢٩٠.
(٢) أبو نعيم: الحلية ج١ ص١٣٠.
(٣) أبو نعيم: الحلية ج١ ص١٣٠.
(٤) سورة الأعراف: ٥٥.
(٥) سورة غافر: ٦٠.

علم المحفوظون من أصحاب محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- أن ابن أم عبد من أقربهم إلى الله زلفى)(١)؛ ذلك أنه كان متوجهاً إلى ربه بيقين قوي، وإيمان بالغ، وأنه لا يدعوا لعلو شرف، ولا لكثرة مال، وإنما كان دعاؤه الذي يحافظ عليه دائماً ولا يكاد يدعه: (اللهم إني أسئلك إيماناً لا يبيد، ونعيماً لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، ومرافقة النبي ﷺ في أعلى جنة الخلد)(٢)، ولقد بشّره النبي ﷺ بأن دعاءه مستجاب، فله أن يسأل، ومن الله الوفاء (عن عون بن عبد الله بن عتبة(٣)قال: بينما عبد الله يدعو بدعاء إذ مرّ به رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر، فلما جاز به رسول الله سمع دعاءه ورسول الله لا يعرفه. فقال: من هذا؟ سل تعطه)(٤)، وقد يتبادر إلى الذهن ما الدعاء الذي كان يدعو به حتى أن النبي ﷺ طلب منه أن يسأل فيوفّى ما سأل؛ هذا ما حدث لأبي بكر رضي الله عنه الذي كان يصحب النبي ﷺ، فقد رجع إلى عبد الله يسأله إعادة الدعاء عليه؛ ليحظى بقرب المناجاة، وإجابة الدعوة، فقال: (حمدت الله ومجّدته ثم قلت: لا إله إلا أنت وعدك حق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، ورسلك

---

(١) الذهبي: تذكرة الحفاظ ج١ ص١٤.

(٢) أبو نعيم: الحلية ج١ ص١٢٧.

(٣) عَوْن بن عَبْد الله: بن عتبة بن مسعود الهذلي (ت نحو ١١٥هـ) خطيب، راوية، ناسب، شاعر. كان من آدب أهل المدينة. وسكن الكوفة فاشتهر فيها بالعبادة والقراءة. خرج مع ابن الأشعث ثم هرب. صحب عمر بن عبد العزيز في خلافته. الزركلي: الأعلام ج٥ ص٩٨ بشيء من التصرف.

(٤) أبو نعيم: الحلية ج١ ص١٢٧- ١٢٨.

حق، وكتابك حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق)[١]، والمتأمل في هذا الدعاء يجد فيه الحمد، والتمجيد، والاعتراف الكامل بوعد الله ولقائه، وما لديه من جنة ونار، وإقرار بالرسل والأنبياء بصفة عامة، والنبي ﷺ والقرآن بصفة خاصة، فلا رائحة للدنيا وزخارفها من طلب المال، والجاه، والأولاد، وإنما هي العبودية المطلقة، والخلوص إلى الله سبحانه وتعالى.

- **صفاته الجسمية وحليته:**

وإذا كانت هذه صفاته الخلقية التي تسود السلف الصالح وبخاصة الصحابة، فإن ابن مسعود كان له من الصفات الجسمية ما أهله لأن يكون من أهل الجنة، ففي الحديث المشهور: (أنه كان يجتني سواكاً من الأراك وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه فقال رسول الله ﷺ: مم تضحكون؟ قالوا: يا نبي الله من دقة ساقيه، فقال: والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أُحُد)[٢]، وإذا كان كلام النبي ﷺ مجرداً فيه البشارة، ويحمل على الصدق دائماً، فكيف وقد أقسم على أن ساقيه يوم القيامة في الميزان عند الله تعدلان أُحُداً من حيث الثواب؟ لكثرة سعيهما في سبيل الله، ونصرة نبيه ﷺ وإذا كان للعبقرية مميزات كما يدعي أصحاب تلك النظرية، فإن بعض مميزاتهم تنطبق عليه، فهم يقولون: إن الطول المفرط، أو القصر المفرط، أو ضخامة الجسم،

(١) أبو نعيم: الحلية ج١ ص١٢٨.
(٢) ابن الجوزي: صفة الصفوة ج١ ص١٥٧.

أو نحولته، أو صلع الرأس وغير ذلك علامة من علامات العبقرية، فإن ابن مسعود كما يصفه أصحاب التراجم، والسير قصير القامة، حتى أن طوال القوم إذا جلسوا يوارونه، مع كونه قائماً، وكان أيضاً شديد الأُدمة (السمرة) دقيق الساقين، يقول ابن قتيبة: (كان رجلاً نحِيفاً قصِيراً، يكاد الجالِس يُواريه مِن قِصره، وكان شديد الأُدمة)[١]، وهذا صاحب غاية النهاية يصفه بقوله: (كان آدَم خفيف اللحم لطيف القَد أحمش[٢] الساقين)[٣]، وقد فهم أصحاب دائرة المعارف الإسلامية من ضحك الصحابة بخصوص دقة ساقيه أن تلك الحالة سخرية، وحاشا لصحابة رسول الله أن يكونوا كذلك، وإنما هي الملاطفة لا الاستخفاف

(١) ابن قتيبة: المعارف ج١ ص٢٤٩، والأُدمة في الإبل: البياض مع سواد المقلتين وهو في الناس السمرة الشديدة. مُرْتَضى الزَّبِيدي: محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، أبو الفيض، الملقب بمرتضى (ت١٢٠٥هـ) علّامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنفين. أصله من واسط (في العراق) ومولده بالهند (في بلجرام) ومنشأه في زبيد (باليمن) رحل إلى الحجاز، وأقام بمصر، فاشتهر فضله وانهالت عليه الهدايا والتحف، وكاتبه ملوك الحجاز والهند واليمن والشام والعراق والمغرب الأقصى والترك والسودان والجزائر. وتوفي بالطاعون في مصر. من كتبه (تاج العروس في شرح القاموس)، و(إتحاف السادة المتقين)، و(أسانيد الكتب الستة)، و(كشف اللثام)، و(معجم شيوخه)، و(مختصر العين) وغيرها. الزركلي: الأعلام ج٧ ص٧٠ باختصار. تاج العروس ن: دار ليبيا للنشر والتوزيع مصورة عن دار صادر بيروت لاط (ت١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦م) ج٨ ص١٨١.

(٢) أحمش: يقال رجل حمش الساقين وأحمش الساقين: أي دقيقهما. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ج١ ص٤٤٠.

(٣) ابن الجزري: غاية النهاية ج١ ص٤٥٨.

والازدراء، وهذا نص قولهم: (كان يقلد النبي في مظاهره، ولكنه كان موضع السخرية لنحافة ساقيه)[١]، فكيف يكون موضع سخرية، والحادثة لم تقع إلا مرة واحدة، فمن أين فهموا دوام السخرية !؟ وقد زعموا أيضاً أن له شعراً أحمر، وأن إرساله له من شعائر الدين، وهو وهم؛ إذ أن إطالة الشعر عادة سائدة في جزيرة العرب قبل الإسلام، وكانوا يجعلون على رؤوسهم الصمغ؛ حمايةً لهم من حر الشمس، وأما الذين يطيلون الشعر من أهل الأديان فهم المتعبدون من اليهود، وبخاصة رجال الدين منهم، ومعلوم أن النبي ﷺ نهى أمته عن تقليد الآخرين في أكثر من موضع، بل طالبهم بالمخالفة صراحة لليهود والنصارى، وهذا الذي ادّعته الدائرة من باب الإسقاط، كما يقول علماء النفس، وعبارتها: (وقد أرسل شعره الأحمر طويلاً، ولا ريب أن إرساله الشعر وارتداءه اللباس الأبيض والتطيب بالعطور تتصل بالشعائر الدينية)[٢]، وللحق فإن لابن مسعود شعراً طويلاً، ولكن ما ينكر على الدائرة ادعاؤها أنه أحمر، وأنه من شعائر الدين، وربما فهموا اللون الأحمر من كلمة (العسل) التي وردت في الطبقات على سبيل التشبيه عندما وصف شعره بأنه مصفّف لا تكاد تخرج شعرة واحدة على النظام؛ قال ابن سعد: (كان لعبد الله شَعْرٌ يرفعه على أذنيه كأنّما جُعل بعَسَل، قال وكيع: يعني لا يُغادر شَعْرَةً شَعْرَةً)[٣]، والذي يؤكد ما أثبت أولاً من أن شعره غير أحمر قول ابن قتيبة: (له شَعر

(١) فنسنك: دائرة المعارف الإسلامية ج١ ص٢٧٦.
(٢) المرجع نفسه: ج١ ص٢٧٦.
(٣) ابن سعد: الطبقات ج٣ ص١٥٨.

يبلغ تُرْقوته، يجعله وراء أُذنيه، وكان لا يُغيِّر شيبه)[١]، وإذا كان لا يغير شيبه، فمن أين جاء ذلك اللون ؟! وإن ادعوا أن ذلك قبل أن يشيب، فما المصدر الذي اعتمدوا عليه؟ إنهم يريدون أن يغمزوا بطريق خبيث في نسب عبد الله أن أصله أو جذوره تنحدر من الموالي، وهذه شعوبية منهم، وطمس للشخصية العربية، كأنما لسان حالهم يقول: العبقرية لا تكون عربية خالصة، وأما جعله للشعر خلف أذنيه، فتلك حالهُ عند الصلاة؛ عن هُبيرة بن يريم[٢] قال: (كان شَعْرُ عبد الله بن مسعود يبلغ تَرْقُوَتَهُ فَرَأَيْتُهُ إذا صلّى يجعله وراء أُذُنيه)[٣]، وحينما استقر في الكوفة متفرغاً للعلم بعد أن كان مجاهداً في سبيل الله ينتقل هنا وهناك، ونتيجة لهذه الراحة الجسمية أصبحت له بطن؛ قال سعيد بن المسيب[٤]: (رأيت ابن مسعود عظيم البطن أحمش الساقين)[٥]، وذكر الذهبي بعد نقله هذا الخبر تعقيباً على ذلك: (رآه سعيد لما قدم المدينة عام توفي سنة اثنتين

(١) ابن قتيبة: المعارف ج١ ص٢٤٩.

(٢) هبيرة بن يريم الشبامي من همذان، وروى هبيرة عن علي وعبد الله وعمار وكان أبوه يريم أبو العلاء قد روى عنه أيضاً. ابن سعد: الطبقات ج٦ ص١٧٠ -١٧١ باختصار.

(٣) المرجع نفسه: ج٣ ص١٥٨.

(٤) سَعِيد بن المُسَيَّب بن حَزْن بن أبي وهب المخزومي القرشي، أبو محمد (ت٩٤هـ) سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة. جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان يعيش من التجارة بالزيت، لا يأخذ عطاءاً. وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته، حتى سُمي راوية عمر. توفي بالمدينة. الزركلي: الأعلام ج٣ ص١٠٢. وابن سعد: الطبقات من ص١١٩ -١٤٣.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج١ ص٣٣٢.

وثلاثين)[١]، ولقد كان رضي الله عنه حسن الهيئة، طيب الرائحة، حتى أنه كان يعرف في الليل برائحته الطيبة؛ عن طلحة قال: (كان عبد الله يُعرفُ بالليل بريح الطّيب)[٢]، وكان أحب الألوان إليه الأبيض، وأنه (يتختَّم بالحديد)[٣]، وكان لا يحب إطالة الثياب، ويعتبر ذلك مدعاة للكبر والخيلاء، ولولا ما به من دقة الساقين لكان أول فاعل لذلك، لكن دقة ساقيه جعلته يطيل ثوبه بقدر ما يسترهما؛ جاء في الزاد: (أنه رأى رجلاً قد أسبل إزاره فقال: ارفع إزارك. فقال الرجل: وأنت يا ابن مسعود فارفع إزارك. فقال: إني لست مثلك إن بساقي حموشة وأنا آدم الناس، فبلغ ذلك عمر فضرب الرجل قائلاً أترد على ابن مسعود)[٤]، أجل ليس من حقه أن يردّ على ابن مسعود ذلك الأشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم دلًّا، وهدياً، وسمتاً، وهو على الرغم من نحافة جسمه، وسمرته الشديدة، وقصر قامته، إلا أنه كان موصوفاً بالذكاء، والفطنة، وبالشجاعة في الحق والحرب؛ عن إبراهيم قال: (كان عبد الله لطيفاً فطيناً)[٥]، وقال الذهبي: (كان معدوداً في أذكياء العلماء)[٦]، فلا وزن لبنية الجسم وتكوينه، مع وجود العلم، والإيمان، واليقين.

---

(١) المرجع نفسه: ج١ ص٣٣٢.
(٢) ابن سعد: الطبقات ج٣ ص١٥٧.
(٣) ابن قتيبة: المعارف ج١ ص٢٤٩.
(٤) الشنقيطي: زاد المسلم ج٤ ص٥٦.
(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج١ ص٣٣٢.
(٦) المرجع نفسه: ج١ ص٣٣٢.

والمتأمل في شخصية ابن مسعود يجدها صورة من هدي النبي ﷺ قولاً وفعلاً، ومظهراً ومخبرًا، فلا أثر لزخارف الدنيا من اكتناز للمال، ولبس الفاخر من الثياب، ولا طلب الجاه، ولا رئاسة، وإنما هو السعي الدائب نحو رضا الله، والفوز بالنعيم الذي لا ينقطع.

● وفاته ووصاياه وأمواله:

وكان هذا دأبه إلى أن وافاه الأجل، في السنة الثانية والثلاثين من الهجرة، على أكثر الأقوال(١)، وذلك بعد حضوره المدينة بشهر(٢) إثر مرض انتابه، لم تذكر المراجع بخصوصه شيئاً، وإنما اكتفت بذكر عيادة عثمان رضي الله عنه له، وفي بعض المصادر أنه استغفر كل منهما لصاحبه(٣)، وسيأتي مزيد الحديث عنها في قضية مصحفه عند الحديث بينه وبين عثمان رضي الله عنه، واختلفت كتب التاريخ والتراجم فيمن تولى أمر دفنه والصلاة عليه، بين ثلاثة هم: الزبير بن العوام، وعمار بن ياسر، وعثمان ابن عفان رضي الله عنهم جميعاً، ورجح ابن سعد أن عثمان هو الذي تولى أمر دفنه والصلاة عليه. ثم هم بعد ذلك متفقون على أنه دفن بالبقيع بالمدينة المنورة، عن عمرٍ تجاوز السّتين بقليل، وكان رضي الله عنه قد أوصى وهو في مرضه بوصايا،

---

(١) وهناك أقوال تذكر أن ابن مسعود توفي في السنة الثالثة والثلاثين من الهجرة قبل مقتل عثمان، والأبعد من هذا من يقول قبل مقتل عمر. ينظر/ الشنقيطي: زاد المسلم ج٤ ص٥٥، وابن الأثير: أسد الغابة ج٤ ص٢٦٠، وابن حجر: تهذيب التهذيب ج٦ ص٢٨.

(٢) ينظر/ الراجحي: عبد الله بن مسعود ص٣٨-٤٠.

(٣) ينظر/ ابن سعد: الطبقات ج٣ ص١٦٠، والبلاذري: أنساب الأشراف ج٥ ص٣٧.

منها فيما يكفّن فيه وأين يدفن؟ ومن يتولى أمر عياله بعده؟ فبخصوص الكفن، والمكان ذكر صاحب الطبقات: (أنه أوصى بأنْ يُكَفّنَ في حُلّةٍ بمائتي درهم، وأن يدفن قرب قبر عثمان بن مظعون)(١)، وأما من يتولّى أمر عياله، وأمواله بعده، فهما الزبير ابن العوام، وابنه عبد الله رضي الله عنهما، ونص الوصية بعد ذكر البسملة: (هذا ما أوصى عبد الله بن مسعود، إن حَدَثَ به حَدَثٌ في مرضه إنّ مرجع وصيّته إلى الزبير بن العوّام وإلى ابنه عبد الله بن الزبير، وإنّهما في حِلّ وبِلّ فيما ولّيا من ذلك وقَضَيا من ذلك لا حَرَجَ عليهما في شيءٍ منه، وإنه لا تُزَوّجُ امرأة من بناته إلّا بعِلْمِهِما ولا يُحْجَرُ ذلك عن امرأته زينب بنت عبد الله الثّقفيّة. وكان فيما أوصى به في رقيقه: إذا أدّى فلان خمسمائة فهو حُرّ)(٢).

• زوجه وأولاده:

وقد ترك ابن مسعود رضي الله عنه زوجاً وأولاداً، رووا الحديث عنه بقدر مختلف، وتكاد تتفق كتب التراجم على أنه له زوجة واحدة، وهناك روايات تذكر أنه له زوجتين اثنتين، وسبب ذلك ورود حديث عنه من طريق زوجه باسمين مختلفين تارة باسم زينب، وتارة أخرى باسم (رائطة أو ريطة)، والذين يذهبون إلى أنها زوجة واحدة يجعلون رائطة أو ريطة

(١) ابن سعد: الطبقات ج٣ ص١٥٩، وربما كان اختيار ابن مسعود لمجاورة ابن مظعون يرجع إلى أمر النبي صلى الله عليه وسلم بدفن من يموت من الصحابة عند قبر ابن مظعون لأنه أول من دفن بالبقيع. ينظر/ المرجع نفسه: ج٣ ص٣٩٧.

(٢) ابن سعد: الطبقات ج٣ ص١٥٩.

لقباً لزينب، ولذا يذكر صاحب الاستيعاب اسم زينب، وأبيها، ولقبها كاملاً دون (ريطة)، مع إيراده للاختلاف في الاسم، وذكر الحديث المروي بالاسمين(١)، وهذا هو اسمها كاملاً: (زينب بنت عبد الله بن معاوية بن عتاب بن الأسد بن غاضرة بن حفيظ بن قيس وهو ثقيف فهي ابنة أبي معاوية الثقفي)(٢)، روت الأحاديث عن رسول الله ﷺ وعن زوجها ابن مسعود، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وقد روى عنها ابنها أبو عبيدة بن عبد الله، وعمر بن الحارث بن أبي ضرار، وبسر بن سعيد، وعبيد بن السباق، وآخرون(٣)، وممن ذكرهم عمر رضا كحَّالة الذي ذكر أن زينب روت ثمانية أحاديث بينما ابن حزم عدّها في أصحاب السّبعة(٤).

(١) ينظر/ ابن عبد البر: الاستيعاب القسم الرابع ص١٨٤٨-١٨٥٦، وابن حجر: الإصابة ج٤ ص٣١٠-٣١٩.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب القسم الرابع ص١٨٥٦.

(٣) ينظر/ ابن حجر: الإصابة ج٤ ص٣١٩.

(٤) ينظر/ كحالة عمر رضا: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ن: مؤسسة الرسالة بيروت ط٣ (ت١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م) ج٢ ص١١٥، وابن حَزْم: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد (ت٤٥٦هـ) عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام. كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه. ولد بقرطبة. وكانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة وتدبير المملكة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، فكان من صدور الباحثين فقيهاً حافظاً يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة. انتقد كثيراً من العلماء والفقهاء. رحل إلى بادية لَبْلة (من بلاد الأندلس) فتوفي فيها. رووا عن ابنه الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تآليفه نحو ٤٠٠ مجلد. وكان يقال: لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان. أشهر مصنفاته (الفصل في الملل والأهواء والنحل)، وله (المحلى)، و(جمهرة الأنساب) و(الناسخ والمنسوخ) و(ديوان شعر) و(جوامع السيرة) و(التقريب) و(مراتب العلوم)، و(الإحكام لأصول الأحكام)، و(مداواة النفوس) و(طوق الحمامة)

وأما أبناء عبد الله وبناته، فقد بينت كتب التاريخ والتراجم أن له بناتاً، ولم تتعرض لعددهن، كما فعلت في جانب البنين، وقد جاء في سير أعلام النبلاء ذكر اسم واحدة منهن وهي سارة التي روت حديث جني ابن مسعود للأراك، وقول النبي ﷺ فيه حين ضحك بعض الصحابة من دقة ساقيه(١): (والذي نفسي بيده إن عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من أُحد)(٢)، فمن الكتب التاريخية التي أثبتت أن له بناتاً (البداية والنهاية) عند الحديث عن مرض ابن مسعود، وعيادة عثمان له(٣) ولكن دون ذكر العدد والأسماء، ويفهم منه أيضاً أن ابن مسعود لا يملك تلك المبالغ المشار إليها في تركته من أنه قد ترك أموالاً، وعروضاً، ورقيقاً، وماشية، أما عدد بنيه فتكاد تتفق الكتب على أن له من الولد ثلاثة هم كأمثال الدنانير نضارة(٤)، اللهم إلا ما كان من محقق تفسير الطبري الذي قال: (ولا نعرف لابن مسعود من الولد إلا اثنين عبد الرحمن وفي سماعه من أبيه خلاف والراجح أنه سمع منه، وأبو عبيدة واسمه عامر ولم يسمع من أبيه تركه صغيراً)(٥)، قال هذا الكلام عقب تعليقه على الرواية التي جاءت

وغيرها. الزركلي: الأعلام ج٤ ص٢٥٤-٢٥٥ باختصار. جوامع السير (تحقيق: إحسان عباس) ن: دار المعارف مصر لاط لات ص٣٣١.

(١) ينظر/ الذهبي: سير أعلام النبلاء ج١ ص٣٤٣.

(٢) المرجع نفسه: ج١ ص٣٤٣.

(٣) ينظر/ ابن كثير: البداية والنهاية ج٧ ص١٦٣.

(٤) ينظر/ أبو نعيم: الحلية ج١ ص١٣٣.

(٥) الطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن (تحقيق: محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر) ن: دار المعارف مصر لاط لات ج١ ص٤٥ الهامش.

من طريق أبي عيسى عن أبيه عن جده، وبين أنه لا يوجد في الرواة من يكنّى بأبي عيسى، وقال متشككاً إن كان لعبد الله ابنا ترك هذا الشخص فلا بأس به، ثم جزم بأنه لا يعرف لابن مسعود من الولد إلا اثنين[(١)]، ويبدو أن (أبا عيسى) تحريف في النسخ من (أبي عميس) ابن عتبة بن عبد الله، فسقوط الميم هو الذي أوقع المحقق في لبس، فهذا ابن قتيبة يذكر في معارفه أن (من ولد عبد الله بن مَسعود: عبدُ الرحمن بن عبد الله، وعُتبة بن عبد الله، وأبو عُبيدة بن عبد الله)[(٢)]، وحين عرض ابن قتيبة لعقب كل ولد قال: (وأما عُتبة بن عبد الله فله عَقب، منهم: أبو عُميس)[(٣)]، فالثابت أن له من البنين ثلاثة هم: عبد الرحمن، وعتبة، وأبو عبيدة، ثم اختلف رجال الحديث في سماعهم من أبيهم، فرجّح الأكثر أن عبد الرحمن[(٤)] سمع من أبيه، وأما أبو عبيدة فقد ذكروا أنه لم يسمع من أبيه؛ لصغر سنّه، فأحاديثه كلها منقطعة من جهة أبيه[(٥)]، وسكتوا عن عتبة، ولعل هذا السكوت هو الذي جعل أحمد شاكر يقطع بأن ليس لعبد الله من الولد غير اثنين، وبيّن ابن حجر في كتابه (التقريب) أن عبد الرحمن ثقة، من صغار الطبقة الثانية، توفي سنة (٧٩هـ)، وأن سماعه من أبيه قليل، وأن أبا

---

(١) ينظر/ المرجع نفسه: ج١ ص٤٠.

(٢) ابن قتيبة: المعارف ج١ ص٢٤٩.

(٣) المرجع نفسه: ج١ ص٢٤٩.

(٤) عبد الرحمن وبه يكنّى -أي ابن مسعود- (عن نويفع مولى ابن مسعود قال: كنّاني النبي ﷺ أبا عبد الرحمن قبل أن يولد لي). الذهبي: سير أعلام النبلاء ج١ ص٣٣٣.

(٥) ينظر/ النووي: تهذيب الأسماء واللغات ج١ ص٢٩٠.

عبيدة ثقة هو الآخر، من كبار الطبقة الثالثة، توفي بعد سنة (٨٠هـ)، ورجّح عدم سماعه من أبيه، وسكت هو الآخر عن عتبة، بل لم يذكره أصلاً[١]، ومن رجال الحديث من يذكر أن عبد الرحمن توفي أبوه وله من العمر ست سنوات، وعلى هذا لا يثبت له سماع[٢]، ولكن الأكثر على ثبوت سماعه من أبيه، وقد عدّه الشنقيطي فيمن روى عن ابن مسعود[٣].

• تلاميذه:

وإن أعظم ما ترك عبد الله بعده علماً لا يزال الناس ينهلون منه، ويرجعون إليه، فيما ألمّ بهم، وهذا العلم الغزير نقله عنه بأمانة وصدقٍ تلاميذه الذين نقلوه عنه، وطبقوه هم أنفسهم قبل أن يأمروا به غيرهم، وتلاميذه مشهود لهم بالعلم، والورع، والتقوى، والثقة، روت عنهم الكتب الستة، وترجموا في أمهات كتب السير، والتراجم، والتاريخ، ورجال الحديث وهم خلق كثير؛ جاء ذكر طائفة منهم في (وقعة صفّين) بالعدد لا الأسماء أنهم بلغوا الأربعمائة رجل[٤]، وفي هذا دليل على

---

(١) ينظر/ ابن حجر: تقريب التهذيب (تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف) ن: بيروت ط٢ (ت١٣٩٥هـ -١٩٧٥م) ج٢ ص٤٨٧-٤٨٨.

(٢) ينظر/ النووي: تهذيب الأسماء واللغات ج١ ص٢٩٠.

(٣) ينظر/ الشنقيطي: زاد المسلم ج٤ ص٥٤.

(٤) ينظر/ المنقري: نَصْر بن مُزَاحِم بن سيار التميمي الكوفي، أبو الفضل (ت٢١٢ هـ) مؤرخ، كان عطاراً بالكوفة. ثم سكن بغداد. وهو ثبت، صحيح النقل، غير منسوب إلى هوى. من كتبه (الغارات)، و(الجمل)، و(مقتل الحسين)، و(المناقب)، و(وقعة صفين)، و(النهروان) وسواها. الزركلي: الأعلام ج٨ ص٢٨ باختصار. وقعة صفين =

مكانته العلمية، وأنه معين لا ينضب، أو كما وصفه تلميذه مسروق حين حصر العلم في ستة من الصحابة، ثم حصر الستة في اثنين هما: ابن مسعود، وعلي، ووصف علم الصحابة بأنهم كالإخاذ -أي مجتمع الماء- الذي يروي الرجل، والرجلين، والعشرة، والإخاذ الذي لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم[١]، فجعل ابن مسعود من هذا الصنف الأخير، وهذا العدد من الذين تتلمذوا عليه، لم يكونوا بدرجة واحدة في العلم، بل هم متفاوتون بحسب الملازمة قلة وكثرة، ولكنهم في مجموعهم يمثلون ابن مسعود خلقاً وسيرة، وإحاطة بالعلوم الإسلامية من قراءة، وتفسير، وحديث، وفقه بالأحكام، ويمكن تناول بعض تلاميذه مصداقاً لما قيل، فهذا علقمة بن قيس بن عبد الله فقيه العراق، المتوفى سنة (٦٢هـ)[٢] الذي قال فيه الشعبي حين الحديث عن تلاميذ ابن مسعود: (كان علقمة أبطن القوم به)[٣]، ومعنى العبارة أعرفهم بما عنده من علم؛ لذا يقول فيه هو نفسه: (ما أقرأ شيئاً وما أعلم شيئاً إلا وعلقمة يقرؤه ويعلمه)[٤]، وكان هذا التلميذ أشبه بأستاذه هدياً، ودلًّا، وسمتاً،

= (تحقيق: عبد السلام محمد هارون) ن: المؤسسة السعودية مصر ط٢ (ت١٣٨٢هـ) ص١١٥.

(١) مر ذكر الأثرين في أقوال التابعين فيه.

(٢) ينظر/ الذهبي: تذكرة الحفاظ ج١ ص٤٨.

(٣) السيوطي: طبقات الحفاظ (تحقيق: على محمد عمر) ن: مكتبة وهبة مصر ط١ (ت١٣٩٣ هـ -١٩٧٣م) ص١٢-١٣.

(٤) الذهبي: تذكرة الحفاظ ج١ ص٤٨.

وأحسنهم صوتاً عند قراءة القرآن حتى إن أستاذه كان يطلب منه أن يقرأ له[١]؛ ومن تلاميذه مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية الهمذاني الكوفي[٢] توفي سنة (٦٣هـ)، كان من طلاب العلم، ولم يكن كعلقمة، فقد أخذ من ابن مسعود وغيره؛ قال فيه الشعبي مرة: (ما علمت أحداً كان أطلب للعلم منه)[٣]، وقال مرة أخرى في معرض حديثه عن تلاميذه: (كان مسروق قد خلط منه ومن غيره)[٤]، وكان علي بن المديني -شيخ البخاري- يؤثره، ويقدمه على غيره من تلاميذ ابن مسعود[٥]، وكان شريح القاضي يرجع إليه في الفتوى، ويستشيره في كثير من المسائل.

ومن تلاميذه الربيع بن خيثم (أبو زيد الثوري الكوفي)، توفي زمن يزيد ابن معاوية[٦]، كان أكثر أصحاب عبد الله اجتهاداً، وورعاً، وصدقاً، فهو الإمام القدوة، الذي لا يسأل عن مثله[٧]، قال له ابن مسعود: (يا أبا يزيد لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين)[٨](يعني المتواضعين). ومن تلاميذه أبو وائل شقيق بن سلمة

---

(١) ينظر/ ابن حجر: تهذيب التهذيب ج٧ ص٢٧٧.
(٢) ينظر/ المرجع نفسه: ج١٠ ص١٠٩-١١١.
(٣) الذهبي: تذكرة الحفاظ ج١ ص٤٩.
(٤) السيوطي: طبقات الحفاظ ص١٢-١٣.
(٥) ينظر/ ابن حجر: تهذيب التهذيب ج١٠ ص١١٠.
(٦) المرجع نفسه: ج١ ص٥٧.
(٧) ينظر/ المرجع نفسه: ج١ ص٥٧، والسيوطي: طبقات الحفاظ ص ١٢-١٣.
(٨) المرجع نفسه: ج١ ص٥٧.

الأسدي الكوفي، المتوفى سنة (٨٢هـ)[١] شيخ الكوفة، وعالمها، ثقة لا يسأل عن مثله، ولد بالجاهلية، وأسلم زمن الرسول ﷺ، ولم يدركه، حفظ القرآن في شهرين، وكان كثير الحديث، وهو أدرى بحديث ابن مسعود من غيره من تلاميذه[٢]. وهؤلاء وغيرهم رووا عن ابن مسعود، وعن غيرهم من الصحابة، كما روى عنهم هم أنفسهم خلق كثير، وهم الذين يمثلون مدرسة القراء في الكوفة، كما يشير إلى ذلك الراجحي، ويصفهم بأنهم هم الذين وضعوا مبدأ الزهد الحقيقي الذي لا يرجع إلى رد الفعل، ويسوق لذلك أمثلة تؤيد ما ذهب إليه[٣].

ويظهر من هذا كله أثر ابن مسعود في تلاميذه، الذين كانوا صورة منه بعده في جميع مواقفهم، فهم أبعد الناس عن الفتن، كما كان أستاذهم، وخير شاهد على ذلك أحداث وقعة صفين؛ قال نصر بن مزاحم المنقري: (إن أصحاب عبد الله بن مسعود أتوه (أي علي رضي الله عنه) وفيهم عبيدة السلماني وأصحابه فقالوا له: إنّا نخرج معكم ولا ننزل عسكركم ونعسكر على حدة حتى ننظر في أمركم وأمر أهل الشام فمن رأيناه أراد ما لا يحل له، أو بدا منه بغي كنا عليه؛ فقال علي: مرحباً وأهلاً هذا هو الفقه في الدين والعلم بالسّنة من لم يرض بهذا فهو جائر خائن)[٤].

---

(١) ينظر/ المرجع نفسه: ج١ ص٦٠، وابن حجر: تهذيب التهذيب ج٤ ص٣٦١-٣٦٢.
(٢) ينظر/ المرجع نفسه: ج١ ص٦٠.
(٣) ينظر/ الراجحي: عبد الله بن مسعود ص١٠٩-١١٠ فما بعد.
(٤) المنقري: وقعة صفين ص١١٥.

• علمه:

• ابن مسعود العالم والمتعلم والمعلّم:

نعم! لقد تعلم من رسول الله ﷺ أمور دينه، ودنياه في خاصة نفسه، ومع من حوله، فهو الملازم له من حين إسلامه إلى أن التحق بالرفيق الأعلى، لم يتخلف عنه في غزوة من الغزوات، فهو الصاحب له في الحضر والسفر، حتى حظي بمنزلة الدخول عليه، إذا غيره حجب، فهو صاحب السّر، والسّواك؛ قال عنه النبي ﷺ في بداية إسلامه: (إنّك غلام معلَّم)[١]، ومن مقتضيات العالم أن يكون أميناً، ولقد كان ابن مسعود مؤتمناً، كما قال هو عن نفسه في قصة إسلامه[٢].

وما من صحابي إلا يشهد بفضل ابن مسعود، ومدى علمه، حتى إن بعض الصحابة لا يتقدم لإمامة الصلاة وهو في بيته، في حضور ابن مسعود، وهذا دليل على مدى علمه، فلو لم يكن كذلك، ما قُدّم للإمامة مع أنه في غير بيته، وربّ الدار أولى بها[٣].

---

(١) ابن سعد: الطبقات ج٣ ص١٥١.

(٢) ينظر/ المرجع نفسه: ج٣ ص١٥٠-١٥١.

(٣) ينظر/ ابن أَبي داوُد: عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، أبو بكر (ت٣١٦هـ) من كبار حفاظ الحديث. له تصانيف. كان إمام أهل العراق، وعمي في آخر عمره. ولد بسجستان، ورحل مع أبيه رحلة طويلة، واستقر وتوفي ببغداد. من كتبه (المصاحف)، و(المسند)، و(السنن)، و(التفسير)، و(القراآت)، و(الناسخ والمنسوخ). الزركلي: الأعلام ج٤ ص٩١. كتاب المصاحف (تصحيح: آرثر جفري) ن: المطبعة الرحمانية مصر ط١ (ت١٢٠٥هـ - ١٩٣٦م) ص١٤، والراجحي: عبد الله بن مسعود ص ٧٤.

وفي إرسال عمر بن الخطاب رضي الله عنه له إلى الكوفة، دليل آخر على غزارة علمه، وفطنته، ذلك أن الكوفة من الأمصار المتحضرة؛ لاجتماع الثقافات المختلفة فيها، فهي تحتاج ممن يتصدّر للتعليم فيها لأن يكون على قدر عال من المعرفة؛ ليواجه ما قد يعرض من أسئلة، ومسائل مختلفة، قد لا يكون فيها نص من كتاب الله، وسنة نبيه، وعبد الله من هذا القبيل؛ لذا يقول عمر رضي الله عنه ممتناً على أهل الكوفة مؤكداً كلامه بالقسم: (إني والله الذي لا إله إلا هو آثَرْتُكُمْ به على نفسي فخُذوا منه)[١].

وقد مرت شواهد كثيرة دالة على منزلته، وفضله، وعلمه، عند الحديث عن أقوال الآخرين فيه، وسيكون الحديث هنا عن حثه على العلم، وطرائق تحصيله، والغاية من العلم عنده، مع ذكر خطبته الشهيرة، والتي تعنى بأمور الدين، والدنيا، فمن حثه على التحصيل قوله: (عليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إليه)[٢]، ومعلوم أن الإنسان يأتي إلى هذه الحياة وليس له من العلم شيء، قال الله -تعالى-: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾[٣]، ومن هذا الهدي القرآني قال ابن مسعود كلمته التي أخذها الشاعر فيما بعد، فصارت مثلاً سائراً: (إن الرجل لا يولد عالماً وإنما العلم بالتعلم)[٤]، وقول الشاعر:

(١) ابن سعد: الطبقات ج٣ ص١٥٧.

(٢) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ج١ ص٨٧.

(٣) سورة النحل: ٧٨.

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد ج٢ ص٦٨.

(تعلّم فليس المرء يولد عالماً   وليس أخو علم كمن هو جاهل)[١].

وبلغ احترام ابن مسعود للعلم درجة جعلته يضعه في منزلة الصلاة؛ قال: (الدراسة صلاة)[٢]، وعلّل نسيان بعض الناس للعلم أنه لا يكون إلا عن خطيئة، أو ذنب وقع منهم؛ قال: (إني لأحسب أن الرجل ينسى العلم قد علمه بالذنب يعمله)[٣]، وفي الحلية (للخطيئة يعملها)[٤]، وما هذا النسيان الناشئ عن ارتكاب الذنب إلّا دليل على أن العلم نور لا يستقرُّ إلا في قلوب المؤمنين.

لذا يقول في مقام آخر: (اثنان منهومان لا يشبعان أبداً؛ طالب علم وطالب دنيا، أما طالب العلم فإنه يزداد قرباً من الرحمن ثم قرأ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[٥]، وأما طالب الدنيا فإنه يزداد طغياناً، ثم قرأ ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[٦])، ويحرص ابن مسعود على تحصيل العلم؛ لما فيه من رضا الرحمن، حتى إن الملائكة تُظل طالب العلم بأجنحتها، فيوجّه نصحه إلى عامة الناس بقوله: (اُغد عالماً أو متعلماً ولا تغد فيما دون ذلك فإنما بين ذلك جاهل أو جهل وأن الملائكة تبسط أجنحتها لرجل غدا

---

(١) المرجع نفسه: ج٢ ص٦٨.

(٢) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ط٢ ج١ ص٢٦.

(٣) المرجع نفسه: ج١ ص١٩٦.

(٤) أبو نعيم: الحلية ج١ ص١٣١.

(٥) سورة فاطر: ٢٨.

(٦) سورة العلق: ٦-٧.

يطلب العلم من الرضا لما يصنع)[١]، ويوجّه نُصحه إلى تلاميذه بخصوص طلب العلم قائلاً: (كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى)[٢].

• ابن مسعود المربي:

ومع حرصه على تحصيل العلم، فإنه لا يجعل التحصيل غاية في نفسه، وإنما المقصد من وراء ذلك كله التطبيق، والعمل بما تعلّمه؛ لذا يقول: (تعلموا فإذا علمتم فاعملوا)[٣]، وابن مسعود حريص على أن لا يكون تلاميذه من ذلك النوع من أهل الكتاب؛ لما فيهم من ضلال، وخلط الحق بالباطل، فيقول لهم: (لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا أن تكذّبوا الحق أو تصدّقوا بباطل)[٤]، كما يوجه تلاميذه إلى اتباع السلف الصالح، والأخذ بما جاء في السنة، ففي ذلك بعد عن البدعة، ونجاة من الضلال؛ جاء في جامع بيان العلم وفضله عن عبد الله بن مسعود قال: (القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة)[٥]، ومع نهيه عن الأخذ من أهل الكتاب، وعن الابتداع؛ لما في ذلك من بعد عن الحق، فهو ينصح كذلك بعدم إخضاع العلم للهوى، بل على المتعلم أن يقبل بالحق ممن أتاه به، ولو كان ذا عداوة، ويترك

---

(١) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ج١ ص٢٩.
(٢) المرجع نفسه: ج١ ص١٢٦.
(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد ج٢ ص٧٦.
(٤) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ج٢ ص٤٠.
(٥) المرجع نفسه: ج١ ص١٦٩.

الباطل ممن أتاه به، ولو كان صديقاً، أو قريباً؛ قال ابن مسعود لرجل أتاه يطلب نصحه: (من جاءك بالحق فاقبل منه وإن كان بعيداً بغيضاً، ومن جاءك بالباطل فاردد عليه وإن كان حبيباً قريباً)(١).

ومن توجيهاته لتلاميذه إذا أرادوا أن يعلّموا الناس أن يكونوا على دراية بحال المتلقي، فلا يعلّموه إلا وهو مستعد لقبول ما يقال له؛ جاء في الفائق رواية عن ابن مسعود: (حدّث القوم ما حدجوك بأبصارهم)(٢)، ومعنى هذا أن يحدّث الناس وهم في حال استعداد، ونشاط، وإقبال على المعلم.

● طريقته العملية في التعليم:

وابن مسعود في كل هذه التوجهات كان هو أول من يعمل بها، يطبق تلك المبادئ على نفسه، وهو بهذا يعلّم تلاميذه بالفعل لا بالقول وحده، فمن الثابت عنه أنه كان يتصدى لتعليم الناس عشية كل خميس، ولا يطيل درسهُ، خشية الملل والسأم على تلاميذه، بالرغم من حرصهم على الزيادة، وهذا المسلك استقاه من الأستاذ الأكبر محمد بن عبد الله ﷺ؛ جاء في صحيح البخاري عن أبي وائل قال: «كانَ عَبْدُ اللهِ يُذَكِّرُ النَّاسَ في كُلِّ خَمِيسٍ، فقال لَهُ رَجُلٌ: يا أبا عَبْدِ الرَّحْمنِ لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ، قال: أمَا إنه يَمْنَعُنِي مِنْ ذلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أن أُمِلَّكُمْ وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ (أي أتعهدكم) بالمَوْعِظَةِ كما كانَ النبيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنا بِها مَخافَةَ السَّآمَةَ عَلَيْنا»(٣)،

(١) أبو نعيم: الحلية ج١ ص١٣٤.

(٢) الزمخشري: الفائق ج١ ص٢٦٤.

(٣) البخاري: صحيح البخاري بحاشية السندي ج١ ص٢٤.

وفي مقام آخر يبيّن أن القلوب قد تكون مستعدة لتلقي ما تُذكَّر به، وقد لا يكون عندها ذلك الاستعداد، فيبين أن على المعلّم، والمتعلم انتهاز فرصة نشاطها، وألا يكرهها في حالة فتورها؛ لأن ذلك غير مُجْدٍ -وهو ما يُعرف في اصطلاح هذا العصر بالاستعداد الذهني- جاء في الحلية: (قال عبد الله بن مسعود: إن للقلوب شهوة وإقبالاً وإن للقلوب فترة وإدباراً، فاغتنموها عند شهوتها وإقبالها، ودعوها عند فترتها وإدبارها)[(١)]، ومن الأمور المساعدة على نشاط القلب وإقباله، والمبعدة لفتوره وإدباره تنوع الدرس الواحد، فلا يسير على نمط معين، وإنما ينبغي أن يكون فيه تلوين، وتنويع؛ لأن في ذلك بعث للنشاط، فيضع ابن مسعود أصلاً تربوياً يعالج مثل هذه الحالات، ذلك هو قوله: (القلوب تملّ كما تملّ الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة)[(٢)]. وفي هذا القدر المساق في علمه بصفة عامة قدر كافٍ، وما إيراده إلا مدخل لحياته العقلية، التي أثْرت الفكر الإسلامي في جميع علومه من قراءة، وتفسير، وحديث، وفقه، وفي الباب الآتي تتضح جهود ابن مسعود في القرآن، وعلومه.

(١) أبو نعيم: الحلية ج١ ص١٣٤.
(٢) المبرد: الكامل في اللغة والأدب ج٢ ص٢٨٥.

الباب الثاني

جهود ابن مسعود في علوم القرآن

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

حثه على تعلم القرآن والعمل به واحترامه

• حثه على تعلم القرآن والعمل به واحترامه:

لمّا كان القرآن هو المصدر الأول للتشريع، أولاه المسلمون عناية كبرى حفظاً، وضبطاً، وترتيلاً، وفهماً لمعانيه، حتى أحدثوا علوماً كثيرة تتعلق بذلك؛ ليبقى كما أنزل، فلا يتطرق إليه التبديل، والتغيير، كما حدث للكتب الإلهية السابقة، فمن تلك العلوم: علم القراءات الذي يعنى بضبط الكلمات نطقاً، وشكلاً، ونقطاً، ولقد كان ابن مسعود ﵁ من الذين يعنون بضبط الرواية، والتحري في الأداء، وكان يزجر تلاميذه عن التهاون في ضبط الألفاظ، ولقد كان ﵁ يقرأ القرآن مرتلاً، يعطي كل حرف حقه، حتى إن الرسول ﷺ قال ممتدحاً قراءته: (من سرّه أن يقرأ القرآن غضًّا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد)(١)، وفي رواية أخرى: (من أحب أن يسمع القرآن جديداً غضاً كما أنزل فليسمعه من ابن مسعود)(٢)، وقد فسّر الغض بالرّطب، غير أن القرطبي أورد معنى آخر، قال في كتابه الجامع: (قال بعض العلماء: معنى قوله: (غضًّا كما أنزل) أي إنه كان يقرأ الحرف الأوّل الذي أنزل عليه القرآن دون الحروف السبعة التي رُخّص لرسول الله ﷺ في قراءته عليها)(٣)، وسيأتي مناقشة هذا الرأي قريباً، ذلك لثبوت أن قراءة ابن مسعود ﵁ هي آخر القراءات التي عرضها جبريل ﵇ على النبي ﷺ

---

(١) المتقي الهندي: كنز العمال ج١٢ ص٢٨٧.

(٢) المرجع نفسه: ج١٢ ص٢٨٦-٢٨٧.

(٣) القرطبي: الجامع مج ١ ج١ ص٤٢.

والذي يؤكد أن الغض معناه: الرطب الجديد، تأثّر النبي ﷺ بقراءته وبكاؤه: (عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال: قال لي النبي ﷺ: اقرأ عليّ، قلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: نعم، فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾(١) قال: حسبك الآن، فالتفتّ إليه فإذا عيناه تذرفان)(٢)، لمّا رأى عبد الله رضي الله عنه رسول الله ﷺ تذرف عيناه بالدمع كفّ عن القراءة، فالمراجع كلها تروي هذا الخبر على أن بكاء النبي ﷺ كان من أجل حسن قراءة ابن مسعود، ولكن هناك فهم آخر في هذا مع ثبوت حسن قراءته، وهو أن النبي ﷺ بكى من المسئولية التي جاءت في الآية، بدليل قول رسول الله ﷺ لابن مسعود حينما بلغها: (حسبك الآن)، فلو كان بكاؤه من أجل حسن القراءة، والتخشع فيها، لما بكى عند هذه الآية فحسب؛ ذلك أن الآية فيها من المسئولية الملقاة على عاتق النبي ﷺ ما لا يخفى، وبخاصة أنها تقدمت باستفهام عظيم (فكيف؟)، والشهادة في حد ذاتها مسئولية جسيمة تقتضي الإحاطة بالمشهود عليه، وقد علل ابن حجر بكاء النبي ﷺ بأنه رحمة منه لأمته، قال: (والذي يظهر أنه بكى رحمةً لأمته لأنه علم أنه لابد أن يشهد عليهم بعملهم، وعملهم قد لا يكون مستقيماً فقد

---

(١) سورة النساء: ٤١.

(٢) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ن: مكتبة مصطفى الحلبي مصر ط٣ (ت١٣٧٨هـ-١٩٥٩م) ج١٠ ص٤٧١.

يفضي إلى تعذيبهم. والله أعلم)[١].

ولكن قد يكون حسن القراءة من عبد الله بن مسعود رضي الله عنه جسّم صورة الموقف الرهيب في نفس رسول الله ﷺ، حتى كان منه ما كان، ولا يراد بحسن القراءة التطريب، وإنما إعطاء الحروف حقّها، والوقف عند مواطنه، وإخراج الاستفهام، والتعجب في حينه، فهي إذاً قراءة متأنية، لا تعنى بجمع الكلمات فقط، وإنما تستشعر ما في تلك الكلمات من معان، فتبرزها، كأنما هي مواقف حيّة، يراها السامع بقلبه، كما يرى الناظر بنظره، لذا كان النبي ﷺ يأمر بأخذ القرآن منه، ومن ثلاثة غيره مع الابتداء به، أخرج مسلم في صحيحه من طريق عبد الله بن عمرو بن العاص[٢] قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: خذوا القرآن من أربعة: من ابن أم عبد فبدأ به ومعاذ بن جبل وأبيّ بن كعب[٣] وسالم مولى أبي

(١) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ج١٠ ص٤٧١.

(٢) عبد الله بن عمرو بن العاص (ت٦٥هـ) من قريش: صحابي، من النساك. كان يكتب في الجاهلية، ويحسن السريانية. وأسلم قبل أبيه. وكان يشهد الحروب والغزوات. ويضرب بسيفين. وشهد صفين مع معاوية. واختلفوا في مكان وفاته. له ٧٠٠ حديث. الزركلي: الأعلام ج٤ ص١١١ باختصار.

(٣) أبَيّ بن كَعْب بن قيس بن عبيد، من بني النجار، من الخزرج، أبو المنذر (ت٢١هـ) صحابي أنصاري. كان قبل الإسلام حبراً من أحبار اليهود، ولما أسلم كان من كتّاب الوحي. وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان يفتي على عهده. وكتب كتاب الصلح لأهل بيت المقدس. وله في الصحيحين وغيرهما ١٦٤ حديثاً. مات بالمدينة. الزركلي: الأعلام ج١ ص٨٢ بشيء من الاختصار.

حذيفة[١])[٢]، وما الأمر بالأخذ من هؤلاء إلا دليل على ضبطهم للقراءة وإجادتهم لها.

● منزلة قراءته عند الصحابة:

ولقد كان كذلك، حتى إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال فيه -حينما أتاه رجل يذكر له أن رجلاً يملي المصاحف عن ظهر قلب، فلما علم أنه ابن مسعود رضي الله عنه- قال: (ما أعلم أحداً أحق بذلك منه)[٣]، فقد فتر غيظه، وذهب عنه الغضب، بعد أن امتلأ غيظاً، وغضباً حال سماع الخبر ابتداء، وهذا يدل على ثقة عمر فيه، فلو كان غيره، ما ذهب عنه الغضب، وأما عليّ رضي الله عنه فقد قال فيه- حينما طلب منه أهل الكوفة أن يحدثهم عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم مبتدئين بعبد الله- قال: (علم القرآن والسنة ثم انتهى، وكفى بذلك علماً)[٤]، وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يحب

---

(١) سالم مَوْلى أبي حُذَيْفة: سالم بن معقل، أبو عبد الله، مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس (ت١٢ هـ) صحابي، من كبارهم وكبار قرائهم. فارسي الأصل أعتقته ثبيتة زوج أبي حذيفة، صغيراً. وهو من السابقين إلى الإسلام. كان يؤم المهاجرين الأولين. ويروى أن عمر قال في الشورى لما طعن: لو كان سالم حياً ما جعلتها شورى. شهد بدراً، ثم كان معه لواء المهاجرين يوم اليمامة. وقد سبقه مولاه أبو حذيفة فأوصى أن يدفن بجانبه. الزركلي: الأعلام ج٣ ص٧٣ بشيء من الإيجاز.

(٢) النووي: شرح النووي على صحيح مسلم ن: دار إحياء التراث العربي بيروت-لبنان مصر ط٢ (ت١٣٩٢هـ-١٩٧٢م) ج١٦ ص ١٧-١٨.

(٣) أبو نعيم: الحلية ج١ ص١٢٤.

(٤) المرجع نفسه: ج١ ص١٢٩.

ابن مسعود، وبخاصة بعد أن سمع أمر النبي ﷺ بأخذ القرآن من أربعة، وابتدأ بابن مسعود رضي الله عنه، جاء في صحيح مسلم (عن مسروق قال: كنا نأتي عبد الله بن عمرو فنتحدث إليه وكان ابن نميرة عنده فذكرنا يوماً عبد الله بن مسعود فقال: لقد ذكرتم رجلاً لا أزال أحبه بعد شيء سمعته من رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: خذوا القرآن من أربعة من ابن أم عبد فبدأ به)[١].

● اعتداده بقراءته:

ولهذه المنزلة التي حظي بها ابن مسعود رضي الله عنه من قبل رسول الله ﷺ، وصحابته -رضوان الله عليهم-، جعلته يعتد بما حفظ من النبي ﷺ، ويتمسك به، إذ لا منازع له في ذلك، جاء في الطبقات: (عن القاسم يعني ابن عبد الرحمن قال: كان جبريل ينزل على رسول الله ﷺ يقرئه القرآن كل عام في رمضان مرة حتى إذا كان العام الذي قبض فيه رسول الله ﷺ نزل جبريل فأقرأه القرآن مرتين، قال عبد الله: فقرأت القرآن من في رسول الله ﷺ ذلك العام، والله لو أني أعلم أن أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغنيه الإبل لركبت إليه، والله ما أعلمه)[٢]، وفي رواية للبخاري من طريق شقيق (عن عبد الله قال: والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة، والله لقد علم أصحاب النبي ﷺ أني من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم، قال شقيق: فجلست في الحلق أسمع ما

(١) النووي: شرح صحيح مسلم ج١٦ ص ١٧.
(٢) ابن سعد: الطبقات ج٣ص ١٩٥-١٩٦.

يقولون فما سمعت راداً يقول غير ذلك)[١]، وما هذا الاعتداد منه بنفسه إلا لتأكده من حفظه، ولو لم يكن كذلك ما وصف رسول الله ﷺ قراءته بالجديدة الغضّة، ولا أمر المسلمين بالأخذ منه.

● منزلته عند غير الصحابة:

وهذا الأمر هو الذي جعل سعيد بن جبير[٢] - من التابعين - يقرأ بقراءته ليلة، وبقراءة زيد ابن ثابت ليلة أخرى من ليالي رمضان، جاء في كتاب المصحف المرتل: (قد كان سعيد بن جبير -وهو من التابعين- يؤم الناس في شهر رمضان فيقرأ ليلة بقراءة عبد الله (يعني ابن مسعود) وليلة بقراءة زيد بن ثابت)[٣].

---

(١) ابن حجر: فتح الباري ج١٠ص٤٢٢، وأورد سعيد الأفغاني محقق كتاب حجة القراءات لأبي زرعة رواية أخرى جاء في نهايتها: (فمن قرأ على قراءتي فلا يدعنها رغبة عنها، ومن قرأ علي شيء من هذه الحروف فلا يدعنه رغبة عنه، فإن من جحد بآية جحد به كله)، أبو زرعة: عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة بن زنجلة (ت حوالي ٤٠٣هـ) عالم بالقرآت كان قاضياً مالكياً. وصنف كتباً منها (حجة القرآت) حققه الأستاذ سعيد الأفغاني، و(شرف القراء في الوقف والابتداء). الزركلي: الأعلام ج٣ ص٣٢٥ باختصار. حجة القراءات (تحقيق: سعيد الأفغاني) ن: مؤسسة الرسالة بيروت وجامعة بنغازي ليبيا ط٢ (ت ١٢٩٩هـ - ١٩٧٩م) ص٨ الهامش.

(٢) سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي الكوفي، كان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه يقول: أليس فيكم ابن أم الدهماء؟ يعنيه، وقال عمرو بن ميمون عن أبيه: لقد مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه، قتله الحجاج في شعبان سنة اثنتين وتسعين وهو ابن تسع وأربعين سنة. السيوطي: طبقات الحفاظ ص٣١.

(٣) لبيب السعيد: المصحف المرتل بواعثه ومخططاته ن: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بيروت لاط (ت١٣٨٧هـ-١٩٦٧م) ص١١٩.

بل إن الأعمش[(١)] -وهو من التابعين أيضاً- أصرّ على التمسّك بقراءة ابن مسعود، على الرغم من تهديد الحجّاج بن يوسف لمن يفعل ذلك، قال ابن الأثير من طريق عاصم بن بهدلة: (والله لو أمرتكم أن تخرجوا من هذا الباب فخرجتم من هذا حلّت لي دماؤكم لا أجد أحداً يقرأ علي قراءة ابن أم عبد (يعني ابن مسعود) إلا ضربت عنقه ولأحكنّها من المصحف ولو بضلع خنزير، وقد ذكر ذلك عند الأعمش فقال: وأنا سمعته يقول: فقلت في نفسي: لأقرأنّها على رغم أنفك)[(٢)]، ولعل تهديد الحجاج بضرب عنق من يقرأ بقراءته، وحكّها من المصحف بما قال، ناتج عن النقل المخلوط بالتفسير، أو المضاف إلى مصحفه من قبل بعض الغلاة، كما سيأتي عند التعرض للقراءة الشاذّة، و إلا فهو يدرك أن قراءته صحيحة، لما عرف به من ملازمته للرسول ﷺ، فقراءته مشهود لها بالحسن، والجودة، والضبط، قال ابن الجزري: (هو الإمام في تجويد القرآن وتحقيقه وترتيله مع حسن الصوت)[(٣)]، ثم ساق خبراً يؤكد ذلك (عن أبي عثمان النهدي قال صلى بنا ابن مسعود المغرب بقل هو الله أحد

---

(١) الأعْمَش: سليمان بن مهران الأسدي بالولاء، أبو محمد (ت١٤٨هـ) تابعي مشهور. أصله من بلاد الريّ، ومنشأه ووفاته في الكوفة. كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض، يروي نحو ١٣٠٠ حديث، قال السخاوي: قيل: لم يُر السلاطين والملوك والأغنياء في مجلس أحقر منهم في مجلس الأعمش مع شدة حاجته وفقره. الزركلي: الأعلام ج٣ ص١٣٥ باختصار.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج٤ ص٥٨٦.

(٣) ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء ج١ ص٤٥٩.

ولوددت أنه قرأ بسورة البقرة من حسن صوته وترتيله)[١].

- **من عرض عليه القرآن والقراءات المنتهية إليه ومن كان يقرأ له:**

ومن المسلّم به أن ابن مسعود ﷺ قد عرض القرآن على النبي ﷺ كما تلّقاهُ منه، ثم عرضه عليه خلق كثير منهم: (الأسود وتميم بن حذلم والحارث بن قيس وزر بن حبيش وعبيد بن قيس وعبيد بن نضلة وعلقمة وعبيدة السلماني وعمرو بن شرحبيل وأبو عبد الرحمن السلمي وأبو عمرو الشيباني وزيد بن وهب ومسروق)[٢]، ويكفيه أن أربعاً من القراءات السبعة المعتمدة تنتهي إليه بسند صحيح، ذكر منهم ابن الجزري ثلاثة وترك (أبا عمرو بن العلاء)، وقد علل عبد الصبور شاهين ذلك الترك بقوله: (وإنما أغفل النص على أبي عمرو، لِمَا عرف عن قراءاته من أنها مجموعة اختيارات مما انتهى إليه من روايات تلقاها عن شيوخه الكثيرين)[٣]، ولفظ ابن الجزري: (وإليه تنتهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي)[٤]، وأضاف ابن الجزري انتهاء قراءة خلف، والأعمش إليه، وهما من غير السبعة، وهذا العدد شاركه فيه عليّ ﷺ، فإليهما تنتهي قراءة الأربعة المذكورين، وإلى (أبيّ أيضاً، غير أن الأخير اختصّ

(١) المرجع نفسه: ج١ص٤٥٩.
(٢) ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء ج١ ص٤٥٨.
(٣) عبد الصبور شاهين: تاريخ القرآن ن: دار الكتاب العربي مصر لاط (ت١٩٦٧م) ص١٣٢.
(٤) ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء ج١ ص٤٥٩.

بقراءتين أخريين انتهتا إليه هما قراءة نافع وابن كثير)[١]، ومع حسن قراءته، وجودتها، إلا أنه كان يحب أن يسمع القرآن من غيره، كما فعل معه النبي ﷺ، فقد كان علقمة من أحب تلاميذه إليه، وكان يطلب منه أن يقرأ عليه القرآن، وكلما فرغ طلب منه المزيد[٢]، ذلك أن المستمع يعيش مع المعاني أكثر مما لو كان يقرأ هو بنفسه، إضافة إلى حسن صوت علقمة، جاء في روائع البيان: (كان ابن مسعود تعجبه قراءة علقمة الأسود، وكان حسن الصوت، فكان يقرأ له علقمة فإذا فرغ قال له: زدني فداك أبي وأمي)[٣]، وقد عقّب الراجحي على هذا بقوله: (هي كلمة لا يقولها إلا رجل تستغرقه نشوة شاملة لدى سماعه القرآن على صورة من التحقيق وجمال الصوت)[٤]، فكلما كانت القراءة جيدة، والصوت حسن كلما كانت المعاني أوضح وأدخل في النفس؛ لما فيها من بعد عن الصّخب، والتّطريب، وإظهار مقدرة القارئ في التلاعب بالألفاظ، وخلط القراءات بعضها ببعض، والترنم، والزيادة في المدّ عن أصوله، مما يبعد المستمع عن التدبر في المعاني؛ لاشتغاله بجمال الصوت كأنما يستمع لأي قينة من القيان، وليس هذا المقصود من حسن تلاوة ابن

(١) المرجع نفسه: ج١ ص٤٥٩.

(٢) ينظر/ عبد الصبور شاهين: تاريخ القرآن ص١٥٠-١٦٤.

(٣) الصابوني: محمد علي، روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن ن: مكتبة الغزالي- دمشق ط٢(ت١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م) ج٢ ص٦٢٨ قوله علقمة الأسود، صوابه: علقمة بن قيس، ينظر تلاميذه.

(٤) الراجحي: عبد الله بن مسعود ص٤٥.

مسعود ﵁، ولا تلميذه علقمة، بل المقصود القراءة المتأنية التي تعطي الحرف حقه، والكلمة مدلولها؛ ليتم الخشوع، والتأثر في نفس السامع، وكان يزجر المسرع في قراءته للقرآن، حتى أثر عنه قوله لمن كان يفعل ذلك: (أهذًّا كهذّ الشعر)[١]؟! لمّا بلغه أن رجلاً قرأ المفصل في ليلة، والهذّ: هو الإفراط في السرعة.

• حثه على تعلم القرآن والعمل به وما ينبغي لحامل القرآن أن يتصف به:

ولذا كان ﵁ يختم القرآن في سبع ليال[٢] يقرأ كل ليلة بسُبْع، وأورد صاحب قوت القلوب: (أنه روي عنه (أي ابن مسعود) أنه سبَّع القرآن في سبع ليال فكان يقرأ في كل ليلة بسبعه)[٣]، هذا في غير رمضان، أما في رمضان فكان يختمه في ثلاث ليال؛ رغبة في كثرة الأجر، جاء في غاية النهاية في طبقات القراء (روينا عنه (أي ابن مسعود) أنه كان يقرأ القرآن في غير رمضان في الجمعة وفي رمضان في ثلاث)[٤].

• تسميته للقرآن بأسماء عدة وامتداحه لبعض السور:

ومما يدل على ملازمته للقرآن، أنه سماه بأسماء عدة منها: الميراث، (عن سليمان بن مهران قال: بينما ابن مسعود يوماً معه نفر من أصحابه إذ

(١) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر ج٥ ص٢٥٥.
(٢) قراءة القرآن في سبع ليال هي أدنى مدة أمر بها النبي ﷺ عبد الله بن عمرو بن العاص حينما طلب منه أن يقرأ القرآن في أقل وقت ونهاه أن يزيد على هذا. ينظر/ سنن أبي داود ج٢ ص٢١٢.
(٣) أبو طالب المكي: قوت القلوب ج١ ص٥٨.
(٤) ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء ج١ ص٤٥٩.

مر أعرابي فقال: على ما اجتمع هؤلاء؟ فقال ابن مسعود: على ميراث محمد ﷺ يقتسمونه)[١]، وسماه مرة أخرى بالمأدبة، وهي تسمية لم يسبق إليها، كما ذكر الراجحي، ولفظه: (أن ابن مسعود هو أول من أطلق هذه التسمية على النص الكريم باعتباره موطن العلم لا موطن سواه)[٢]، وتسميته له بالمأدبة أوردها صاحب الحلية: (عن أبي الأحوص. قال: قال ابن مسعود: إن هذا القرآن مأدبة الله، فمن استطاع أن يتعلم منه شيئاً فليفعل)[٣]، وأورد القرطبي في جامعه نقلاً عن أبي عبيد في غريبه (قال أبو عبيد عن عبد الله قال: إن هذا القرآن مأدبة الله فمن دخل فيه فهو آمن. قال: وتأويل الحديث أنه مَثَلٌ، شَبّه القرآن بصنيع صنعه الله عز وجل للناس، لهم فيه خير ومنافع، ثم دعاهم إليه. يقال: مأدُبة ومأدَبة ؛ فمن قال: مأدُبة؛ أراد الصنيع يصنعه الإنسان فيدعو إليه الناس. ومن قال: مأدَبة ؛ فإنه يذهب به الأدب، يجعله مَفْعَلة من الأدب، ويحتج بحديثه الآخر: (إن هذا القرآن مأدَبة الله- عزّ وجلّ- فتعلّموا من مأدبته). وكان الأحمر يجعلهما لغتين بمعنىً واحد، ولم أسمع أحداً يقول هذا غيره. قال: والتفسير الأوّل أعجب إليّ)[٤]، وقد سماه مرة أخرى بالحبل عند

---

(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة ج١ ص١٦٦.

(٢) الراجحي: عبد الله بن مسعود ص٤٧.

(٣) أبو نعيم: الحلية ج١ ص١٣٠.

(٤) القُرْطُبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله (ت٦٧١هـ) من كبار المفسرين، صالح متعبد. من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمينة ابن خصيب بمصر وتوفي فيها. من كتبه: (الجامع لأحكام القرآن)، و(الأسنى في شرح أسماء =

تفسيره لقول الله -تعالى-: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾(١) (قال ابن مسعود: حبل الله القرآن)(٢)، والتسمية الغالبة على القرآن بالمصحف هي أيضاً من الأسماء التي أطلقها عليه ابن مسعود رضي الله عنه ذكر صاحب البرهان نقلاً عن تاريخ المظفري(٣): (لما جمع أبو بكر القرآن قال: سموه فقال بعضهم: سموه إنجيلاً فكرهوه، وقال بعضهم: سموه السِّفر فكرهوه من يهود.

فقال ابن مسعود: رأيت للحبشة كتاباً يدعونه: المصحف فسموه به)(٤)، وعلى هذا فتكون تسمية القرآن بالمصحف متأخرة، وأنها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولقد كان رضي الله عنه يصور القرآن، ويشبهه بما يحبّبه، ويقربه من النفوس، والقلوب، من ذلك قوله: (إن لكل شيء سناماً وإن سنام القرآن سورة البقرة وإن لكل شيء لباباً ولباب القرآن المفصل)(٥)، وقال في موطن آخر يمتدح طوال السور: (إذا وقعت في (آل حم) وقعت

= الله الحسنى)، و(التذكار في أفضل الأذكار)، و(التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة)، و(التقريب لكتاب التمهيد).

الزركلي: الأعلام ج٥ ص٣٢٢ باختصار. الجامع لأحكام القرآن ن: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان ط١(ت١٤٠٨هـ -١٩٨٨م) مج١ ج١ ص٨.

(١) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٢) القرطبي: الجامع مج٢ ج٤ ص١٠٢.

(٣) المظفري: هو إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم الحموي المعروف شهاب الدين (ت٦٤٢هـ) مؤرخ بحاث من علماء الشافعية. ينظر/ الزركلي: الأعلام ج١ ص٤٩ باختصار.

(٤) الزركشي: البرهان ج١ ص٢٨١.

(٥) الخطيب التبريزي: مشكاة المصابيح ج١ ص٦٧٠.

في روضات دمثات أتأنق فيهن)[١]، وقد بيّن صاحب الفائق معنى الدمث: (المكان السهل ذو الرمل والتأنق: تطلّب الأنيق المعجب وتتبّعه)[٢]، وقال في موطن آخر: (الأنعام من نواجب القرآن أو نجائب القرآن)[٣]-أي عتاقه-.

- **كراهيته تنكيس القرآن ونقط المصاحف وبيعها وتجويزه القراءة بالتلحين:**

ومن أدب ابن مسعود رضي الله عنه مع كتاب الله -تعالى- أنه كان يقرأهُ من بدايته إلى نهايته -أي من الفاتحة إلى الناس-، ويكره البدء بآخره، وحين (قيل له: إن فلاناً يقرأ القرآن منكوساً، فقال: ذلك منكوس القلب)[٤]،

---

(١) الزمخشري: الفائق في غريب الحديث ج١ ص٦٧.

(٢) المرجع نفسه: ج١ ص٦٧.

(٣) الزركشي: البرهان ج٣ ص٤٠٩.

(٤) ابن الأثير: النهاية ج٥ ص١١٥، والهروي: القاسم بن سلّام الهروي الأزدي الخزاعي، بالولاء، الخراساني البغدادي، أبو عُبيد (ت٢٢٤هـ) من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه. من أهل هراة. ولد وتعلم بها. وكان مؤدباً. ورحل إلى بغداد ومصر. وحج، فتوفي بمكة. من كتبه: (غريب الحديث) وهو أول من صنف في هذا الفن، و(الطهور) في الحديث، و(الأجناس من كلام العرب)، و(أدب القاضي)، و(فضائل القرآن)، و(الأمثال)، و(المذكر والمؤنث) وغيرها. قال الجاحظ: لم يكتب الناس أصح من كتبه، ولا أكثر فائدة. الزركلي: الأعلام ج٥ ص١٧٦ باختصار. غريب الحديث بإشراف الدكتور محمد عبد المعيد خان: أستاذ آداب اللغة العربية بالجامعة العثمانية، ومدير إدارة المعارف العثمانية ن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن- الهند ط١ (ت ١٣٨٧هـ -١٩٦٧م) ج٤ ص١٠٣.

وقد شاركه في هذا الحكم ابن عمر[١] رضي الله عنه، وبيّن صاحب النهاية أن هذه العبارة تحمل معنيين، أولها: أن يبدأ القارئ بآخر السورة ويرجع بها إلى أولها، وثانيها: أن يبدأ من آخر القرآن -أي من سورة الناس إلى أن ينتهي إلى البقرة[٢]، والثاني أقرب لما فيه من سهولة، ويسر، وأما الأول فلا يكاد يقدم عليه إلا المتشدق، وهو فعل تأباه الشريعة، بل إن القرطبي ذكر أن فعل ذلك حرام[٣]، وقال أبو عبيد الهروي في شرحه لقول ابن مسعود رضي الله عنه: (يتأوله كثير من الناس أنه أن يبدأ الرجل من آخر السورة فيقرأها إلى أولها، وهذا شيء ما أحسب أحداً يطيقه ولا كان هذا في زمان عبد الله ولا أعرفه)[٤]، ثم قال في نهاية بحثه، ومناقشته لهذا الحديث: (إنما جاءت الرخصة في تَعَلُّم الصبي والعجمي من المفصّل لصعوبة السور الطوال عليهما، فهذا عذر، فأمّا من قرأ القرآن وحفظه ثم تعمّد أن يقرأه من آخره إلى أوّله فهذا النكسُ المنهيّ عنه، وإذا كرهنا هذا فنحن للنكس من آخر السورة إلى أوّلها أشدّ كراهة إن كان ذلك يكون)[٥]، وعندما تعرض ابن حجر لشرح حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في ردها على العراقي بقولها: (وما يضرك أيه قرأت قبل؟)[٦]، نقل عن ابن بطال قوله:

---

(١) ينظر/ القرطبي: الجامع مج٢ ج٣ ص٧٢-٧٣.

(٢) ينظر/ ابن الأثير: النهاية ج٥ ص١١٥.

(٣) ينظر/ القرطبي: الجامع مج١ ج١ ص٦١.

(٤) الهروي: غريب الحديث ج٤ ص١٠٣.

(٥) المرجع نفسه: ج٤ ص١٠٥.

(٦) ابن حجر: فتح الباري ج١٠ ص٤١٤-٤١٥.

(لا نعلم أحداً قال بوجوب ترتيب السور في القراءة لا داخل الصلاة ولا خارجها، بل يجوز أن يقرأ الكهف قبل البقرة، والحج قبل الكهف مثلاً، وأما ما جاء عن السلف من النهي عن قراءة القرآن منكوساً فالمراد به أن يقرأ من آخر السورة إلى أولها، وكان جماعة يصنعون ذلك في القصيدة من الشعر مبالغة في حفظها وتذليلاً للسانه في سردها فمنع السلف ذلك في القرآن فهو حرام فيه)(١)، ومن الأمور التي كرهها ابن مسعود ﵁ نقط المصحف بالسواد، وقد تابعه في ذلك أبو عمرو الداني في كتابه المقنع، قال: (ولا أستجيز النقط بالسواد لما فيه من التغيير لصورة الرسم، وقد وردت الكراهة بذلك عن عبد الله بن مسعود وعن غيره من علماء الأمة)(٢)، غير أن النقط، والشكل أجمعت عليه الأمة فيما بعد، وذلك عندما تفشى اللحن، والخطأ في القراءات(٣)، فالعلة التي من أجلها كره

---

(١) المرجع نفسه: ج١٠ ص٤١٥.

(٢) أبو عَمْرو الدَّاني: عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الداني، ويقال له: ابن الصيرفي، من موالي بني أمية (ت٤٤٤هـ) أحد حفاظ الحديث، ومن الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره. من أهل دانية بالأندلس. دخل المشرق، فحج وزار مصر، وعاد فتوفي في بلده. له أكثر من مئة تصنيف، منها (التيسير) في القراآت السبع، و(الإشارة)، و(التجديد في الإتقان والتجويد)، و(المقنع) في رسم المصاحف ونقطها، و(البيان في عدّ آي القرآن)، و(طبقات القراء) وغير ذلك. الزركلي: الأعلام ج٤ ص٢٠٦ باختصار. المقنع في معرفة رسوم أهل الأمصار مع كتاب النقط (تحقيق: محمد أحمد دهان) ن: مكتبة النجاح طرابلس- ليبيا لاط لات ص١٢٥-١٢٦.

(٣) ينظر/ القرطبي: الجامع مج١ ج١ ص٦٤، وزكي الدين شعبان: أصول الفقه الإسلامي ن: دار الكتب بيروت- منشورات الجامعة الليبية كلية الحقوق بنغازي ط٢ (ت١٩٧١م) ص٤٥ فما بعد.

الداني نقط المصحف بالسواد قد زالت -ولله الحمد- بفضل وضع العلامات التي أوجدها الخليل بن أحمد الخاصة بضبط الشكل، فهي لا تختلط مع النقط الذي أحدثه نصر بن عاصم الليثي والخاص ببيان الحرف المعجم من غيره، ثم إن الكتابة الحالية كلها بلون واحد، فلا لبس، ولا تغيير، وبالتالي فلا كراهة.

ومن أدب ابن مسعود رضي الله عنه مع القرآن، وإجلاله له، كراهيته بيع المصاحف، وشرائها، (عن علقمة عن عبد الله أنه كره بيع المصاحف وشرائها)(١)، وقد وافقه في كراهيته البيع من الصحابة: عمر وابنه رضي الله عنهما، وبيّن عمر رضي الله عنه أن الذي دفع الناس إلى عملية البيع وجود المشتري، قال السجستاني في كتابه المصاحف: (قال: لو لم يجدوا من يشتريها ما كتبوها)(٢)، ولقد شدّد ابن عمر رضي الله عنه في عملية بيع المصاحف حتى ودّ أن الأيدي تقطع، وكان يقول دائماً: (بئست التجارة)(٣)، وأورد السجستاني روايات عدة تبين كراهية ابن عمر رضي الله عنهما لبيع المصاحف، وتمنيه أن تقطع الأيدي، من تلك الروايات ما جاء من طريق سعيد بن جبير عن ابن عمر قال: (وددت أني رأيت الأيدي تقطع في بيع المصاحف)(٤)، وقد سار على هذا النهج جماعة من التابعين، منهم سعيد ابن المسيب، والحسن

(١) السجستاني: كتاب المصاحف ص٣٦٧.
(٢) المرجع نفسه: ص٣٦٦.
(٣) المرجع نفسه: ص٣٦٥.
(٤) المرجع نفسه: ص٣٦٩.

البصري، وإبراهيم النخعي، وسعيد بن جبير[١].

ومن أدب ابن مسعود ﵁ مع القرآن أنه كان ينهى عن الاختلاف فيه، قال: (لا تختلفوا في القرآن ولا تتنازعوا فيه فإنه لا يختلف ولا يتساقط . . .)[٢]، وهذا النهي بخصوص اختلاف القراءات، وقد استقاه من رسول الله ﷺ عند ما اختلف ابن مسعود، وغيره من الصحابة ﵃ في قراءة سورة طسم، أخرج صاحب المشكاة (عن ابن مسعود ﵁ قال: سمعت رجلاً قرأ، وسمعت النبي ﷺ يقرأ خلافها، فجئت به النبي ﷺ فأخبرته، فعرفت في وجهه الكراهية فقال: كلاكما محسن فلا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا)[٣]، والروايات المنقولة عن ابن مسعود ﵁ كلها تؤكد أن

(١) المرجع نفسه: ص٣٦٥-٣٦٨.

(٢) القاسمي: جمال الدين(أو محمد جمال الدين) بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسين السبط (ت١٣٣٢هـ) إمام الشام في عصره، علماً بالدين، وتضلعاً من فنون الأدب. مولده ووفاته في دمشق. كان سلفيَّ العقيدة لا يقول بالتقليد. رحل إلى مصر، وزار المدينة. ثم انقطع في منزله للتصنيف وإلقاء الدروس الخاصة والعامة، في التفسير وعلوم الشريعة الإسلامية والأدب. ونشر بحوثاً كثيرة في المجلات والصحف. اطلعت له على اثنين وسبعين مصنفاً منها:(دلائل التوحيد)، و(ديوان خطب)، و(الفتوى في الإسلام)، و(شرح لقطة العجلان)، و(تنبيه الطالب إلى معرفة الفرض والواجب)، و(جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب)، و(محاسن التأويل) في تفسير القرآن وغيرها. الزركلي: الأعلام ج٢ ص١٣٥ باختصار. تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي) ن: دار إحياء الكتب العربية الحلبي وشركاه مصر ط١ (ت١٣٧٦هـ -١٩٥٧م) ج١ ص٢١٠.

(٣) الخطيب التبريزي: مشكاة المصابيح ج١ ص٦٧٩.

نهيه عن الاختلاف في القراءة، ومما يدل على ذلك النهي ما جاء من طريق شقيق قال: (قال عبد الله ابن مسعود: إني قد سمعت القرّاء فوجدتهم متقاربين فاقرؤا كما علمتم وإياكم والتنطع فإنما هو كقول أحدكم: هلم وتعال)(١)، فالمثل الذي أورده ابن مسعود رضي الله عنه يبيّن أن المعنى واحد، وإن اختلفت الألفاظ، فكلها تدل على معنى الإقبال.

وفي مقام آخر لم يكتف بالنهي عن الاختلاف في القراءة فحسب، بل بيّن أن من أنكر حرفاً من القرآن فقد كفر به كله، نقل صاحب النشر عن ابن مسعود قوله: (لا تختلفوا في القرآن ولا تتنازعوا فيه فإنه لا يختلف ولا يتساقط، ألا ترون أن شريعة الإسلام فيه واحدة، حدودها وقراءتها وأمر الله فيها واحد، ولو كان من الحرفين حرف يأمر بشيء ينهى عنه الآخر كان ذلك الاختلاف ولكنه جامع ذلك كله؛ ومن قرأ على قراءة فلا يدعها رغبة عنها فإنه من كفر بحرف منه كفر به كله)(٢)، ومع هذا الحرص من ابن مسعود رضي الله عنه على عدم الاختلاف في القرآن، والتنازع فيه، ومع هذه الآداب الجمّة مع كتاب الله- تعالى-، ومنزلة قراءته، وحب الرسول السماع منه، وأمره صلى الله عليه وسلم بالأخذ عنه مع ثلاثة آخرين، وثبوت رجوع أربع قراءات من السبع إليه كما مر.

(١) القاسمي: محاسن التأويل ج١ ص٢٨٦.

(٢) ابن الجزري: النشر في القراءات العشر (تصحيح: علي محمد الضباع) ن: مكتبة مصطفى البابي الحلبي- مصر ط١(ت١٣٨١هـ-١٩٦١م) ج١ ص٥١ .

• هل يصلى بقراءته أم لا ؟:

إلا أنه قد قيل عن قراءته: إنها شاذة، ورووا أن مالكاً أفتى بعدم صحة صلاة من يصلي خلف إمام يقرأ بقراءة ابن مسعود، وغيره من الصحابة رضي الله عنهم، مادامت القراءة مخالفة لرسم المصحف، ونص الرواية: (قال مالك رحمه الله فيمن قرأ في صلاة بقراءة ابن مسعود وغيره من الصحابة مما يخالف المصحف: لم يُصَل وراءه)[١]، على أنه أجاز في موطن آخر قراءة ابن مسعود رضي الله عنه، وعقّب عليها بأن ذلك واسع، (قال ابن وهب: أخبرني مالك قال: أقرأ عبد الله بن مسعود رجلاً: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾[٢] فجعل الرجل يقول: (طعام اليتيم) فقال: (طعام الفاجر) فقلت لمالك: أترى أن يقرأ بذلك؟ قال: نعم أرى أن ذلك واسعاً)[٣]، فقد أجاب ابن وهب بنعم إلى آخر العبارة، مع أن كلمة فاجر تخالف رسم المصحف بلا شك، فإجازته مرة، ومنعه أخرى تناقض بيّن، وإذا ثبت أن قراءة عاصم منتهية إليه، فإن الصلاة بهذه القراءة جائزة باتفاق الأمة، فكيف لا يصلى بقراءة ابن مسعود؟ وقد صلى بها في رمضان من التابعين سعيد بن جبير، وكذلك الأعمش متحدياً بها الحجاج[٤]، و أيّاً ما كان ففي الصلاة بالقراءة الشاذة اختلاف بين العلماء بسطه صاحب النشر[٥].

---

(١) الزركشي: البرهان ج١ ص٢٢٢.

(٢) سورة الدخان: ٤٣.

(٣) الزركشي: البرهان ج١ ص٢٢٢.

(٤) ينظر/ ص ٨٠-٨١ من هذه الدراسة.

(٥) ابن الجزري: النشر ج١ ص١٤.

● **معنى الشذوذ :**

ولكي يكون الأمر بيناً، لابد من معرفة معنى الشذوذ، وحدوده، جاء في أساس البلاغة:

شذَّ عن الجماعة شذُوذًا : انفرد عنهم.

من المجاز : (هو شاذّ عن القياس)[١]، وقال صاحب القاموس : (شَذَّ يَشُذُّ ويَشِذُّ شَذًّا وشُذوذاً نَدَرَ عنِ الجُمْهورِ . . . وأشَذَّ جاءَ بقَوْلٍ شاذٍّ)[٢]، وأما في اصطلاح القراءات، فقد أورد أبو زرعة في تعريفه : (أن علماء القراءات على فريقين، وأن خلافهم مبني على الشروط الثلاثة المعروفة بينهم، وهي :

١- صحة السند بالقراءة إلى رسول الله ﷺ متواترة من أول السند إلى آخره.

٢- موافقة القراءة رسم المصحف العثماني.

٣- موافقتها وجهاً من وجوه العربية مجمعاً عليه أو مختلفاً فيه اختلافاً لا يضر مثله)[٣].

وتعريف الشّاذّ على هذا يكون بمخالفة شرط من هذه الشروط الثلاثة، قال أبو زرعة : (أما القراءة الشاذة فهم في تعريفها فريقان : الأول جعلها فيما توافر فيه الشرط الأول، والثالث، وتخلّف الشرط الثاني، وهو موافقة رسم المصحف الإمام، والثاني جعلها فيما فقد التواتر من الشرط الأول فمهما تجتمع الشروط الثلاثة في قراءة بسند صحيح غير متواتر فهي عندهم

---

(١) الزمخشري : أساس البلاغة ص٤٨٣.

(٢) الفيروز آبادي : القاموس المحيط ج١ ص٣٦٧ - ٣٦٨.

(٣) أبو زرعة : حجة القراءات ص١١-١٢.

شاذة)[١]، وأما أبو عبيدة -القاسم بن سلّام- فقد بيّن الغاية من القراءة الشاذة بقوله: (المقصد من القراءة الشّاذّة تفسير القراءة المشهورة وتبيين معانيها، كقراءة عائشة وحفصة ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [٢] صلاة العصر وقراءة ابن مسعود (فاقطعوا أيمانهما)[٣] مكان ﴿فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾)[٤].

❖ ❖ ❖

(١) ينظر/ المرجع نفسه: ص١٤.

(٢) سورة البقرة: ٢٣٨.

(٣) القاسمي: محاسن التأويل ج١ ص٣٨، والآية من سورة المائدة: ٣٨.

(٤) سورة المائدة: ٣٨.

الفصل الثاني

ما أثر عن ابن مسعود من قراءات ومواقفه من قراءة القرآن بالمعنى وأسباب النزول

- **قراءته الشاذة تفسير لا قرآن:**

ومن هذا البيان لمعنى الشذوذ يتضح أن قراءة ابن مسعود ﵁ المنقولة عنه بالسند الصحيح لا تخالف رسم المصحف الإمام، وما أجمع عليه الصحابة، والأمة من بعد، وما نسب إليه من القراءات الشاذة فيه نوع من التحيز، ذلك أن تلك الروايات المدعاة أنها قراءة هي في حقيقتها تفسير لا قرآن، وقد أكد هذه الحقيقة أبو حيان في كتابه البحر، وقد ساق عبد الصبور شاهين في تاريخ القرآن أمثلة عديدة[١]، وكيف أن صاحب البحر يتعقّب تلك الأمثلة، ويقرر أنها تفسير لا قرآن، من ذلك على سبيل المثال قراءته في سورة الإسراء: (ووصى ربك)[٢] في مكان ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾[٣]، قال أبو حيان: (ينبغي أن يحمل ذلك على التفسير، لأنها قراءة مخالفة لسواد المصحف والمتواتر هو ((وقضى)) وهو المستفيض عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهم، في أسانيد القراء السبعة)[٤]، ومما يزيد القضية توضيحاً من أن القراءة المنسوبة إليه تفسير لا قرآن، إقحام بعض الأحاديث في مصحفه، وإيرادها على أنها قراءة، مثال ذلك ما نسب إليه في سورة آل عمران: (إن الدين عند الله الحنيفية)[٥]، في مكان قوله تعالى: ﴿إِنَّ

---

(١) ينظر/ عبد الصبور شاهين: تاريخ القرآن ص١٣١.
(٢) المرجع نفسه: ص١٣١.
(٣) سورة الإسراء: ٢٣.
(٤) أبو حيان: البحر المحيط ج٦ ص٢٥.
(٥) المرجع نفسه: ج٢ ص٤١٠.

﴿ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[١]، وقد تعقب ابن الأنباري مثل هذه النصوص بقوله: (ولا يخفى على ذي تمييز أن هذا كلام من النبي ﷺ على جهة التفسير أدخله بعض من يدخل الحديث في القراءات)[٢]، وهناك شيء آخر يوضح صحة هذا الاتجاه، وهو أن ما يروى عنه في الغالب تفسير لا قرآن: (إن ابن مسعود كان إذا اجتمع إخوانه نشروا المصحف فقرءوا وفسَّر لهم)[٣]، فقد يقوم بعض الحاضرين بتسجيل تفسير بعض الكلمات على أنها قراءة، أو ربما من جاء بعدهم ضم تلك التهميشات إلى المصحف، ظنّا منه أنها قرآن، وبرهان ذلك، أي أن قراءته توضيح وتفسير ما روي عن مجاهد قال: (لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود قبل أن أسأل ابن عباس، ما احتجت أن أسأله عن كثير مما سألته)[٤]، والذي لا شك فيه أن القراءة الشاذة المنسوبة إليه هي من طريق الآحاد، فلا يعارض بها طريق التواتر، ثم إن تلك الآحاد مروية من طريق الأعمش[٥]، وهو متّهم بالتّدليس، والحق الذي لا جدال فيه أن قراءته موافقة لسواد المصحف، ولا تكاد تخالفه إلا في النواحي الإعرابية فيما يروى من الشّواذ[٦].

(١) سورة آل عمران: ١٩.

(٢) أبو حيان: البحر المحيط ج٢ ص٤١٠.

(٣) ابن الجزري: غاية النهاية ج١ ص٤٥٩.

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية ج١ ص٣٧٦-٣٧٧.

(٥) الأعمش: ثقة حافظ عارف بالقراءة ورع لكنه يدلس. تقريب التهذيب ج١ ص٣٣١.

(٦) ينظر/ عبد الصبور شاهين: تاريخ القرآن ص١٣٣.

ومن العرض السابق يتبين أن وصف قراءة ابن مسعود رضي الله عنه بالشذوذ وصف يحتاج إلى تنقية، حيث بان أن تلك القراءة الموسومة بالشذوذ هي إما تفسير، وإما من طريق الآحاد، وإما من طريق راوٍ مدلّس، وإما من وضع الغلاة، الأمر الذي يدعو إلى الجزم بأن قراءة ابن مسعود رضي الله عنه موافقة لرسم المصحف، وما أجمعت عليه الأمة، وما إيراد تلك الموسومات بالشذوذ إلا ترويجاً لمعتقدات فاسدة، ولزرع بذور الشك في نص كتاب الله، وغرس الخلاف بين المسلمين.

● الموازنة بين مصحفه ومصاحف بعض الصحابة:

ثم لِمَ هذه الهالة وتلك الأضواء المسلطة على مصحف ابن مسعود دون غيره من الصحابة؟ مع ما ثبت عنهم من قراءات شاذة، وما عرف من مصاحف خاصة بهم، لا يتفق ترتيبها مع ترتيب المصحف المعروف، كمصحف أبيّ بن كعب، وابن عباس، وعليّ -رضي الله عنهم جميعاً-؟! وكيف توصف قراءاته بالشذوذ؟! مع إقرارهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قرأ بذلك؟! مثل ما جاء في سورة يوسف في قوله تعالى: (ما تبغي) بالتاء ابن مسعود ومعه النبي صلى الله عليه وسلم مكان ﴿مانبغي﴾ بالنون)[1]، وما جاء في سورة الزخرف

(١) ابن خالَوَيْه: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (ت٣٧٠هـ) لغوي، من كبار النحاة. أصله من همذان. زار اليمن وأقام بذمار، وانتقل إلى الشام فاستوطن حلب. وعظمت بها شهرته، وعهد إليه سيف الدولة بتأديب أولاده. وتوفي في حلب. من كتبه (شرح مقصورة ابن دريد)، و(مختصر في شواذ القرآن)، و(إعراب ثلاثين سورة من القرآن العزيز)، و(ليس في كلام العرب)، و(الشجر)، و(الاشتقاق)، و(المقصور والممدود)، و(البديع) وغيرها. الزركلي: الأعلام ج٢ ص٢٣١ باختصار. مختصر في =

في قول الله -تعالى-: ((ونادوا يا مال) على الترخيم النبي ﷺ وعليّ رضي الله عنه وابن مسعود رضي الله عنه)[١]، والآية في المصحف ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ﴾[٢] بإثبات الكاف، فهذان نصان، تضمنا قراءة لابن مسعود، ورسول الله ﷺ، بل النص الثاني زاد قراءة عليّ رضي الله عنه، فإذا كانت قراءة الرسول ﷺ شاذة كما زعموا، فمن أين القراءة الصحيحة؟! إن هذه الأمثلة، وأضرابها لا يقصد من ورائها إلا الإخلال بكتاب الله -تعالى- وأنّى لهم ذلك ! ولكي يتضح الكلام أكثر فهذه أمثلة من القراءات الشاذة المروية عن غير ابن مسعود رضي الله عنه، والمخالفة لرسم المصحف شكلاً، ومعنى، وزيادة، ونقصاً، من ذلك ما ورد في مصحف أبيّ: (قرأ أبيّ: وغير الضالين)[٣] بدلاً من: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[٤]، وقرأ أيضاً: (فتذروها كالمسجونة)[٥] بدلاً من: ﴿كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾[٦]، وقرأ أيضاً: (فزعت قلوبهم)[٧] بدلاً من: ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[٨]، وقرأ أبيّ: (إن الذين اتقوا إذا طاف من

= شواذ القرآن من كتاب البديع نشر: برجستراسر ن: المطبعة الرحمانية - مصر لاط (ت ١٩٣٤م) ص٦٤، والآية من سورة يوسف: ٦٥.

(١) المرجع نفسه: ص١٣٦.

(٢) سورة الزخرف: ٧٧.

(٣) أبو حيان: البحر المحيط ج١ ص٢٩.

(٤) سورة الفاتحة: ٧.

(٥) أبو حيان: البحر المحيط ج٣ ص٣٦٥.

(٦) سورة النساء: ١٢٩.

(٧) أبو حيان: البحر المحيط ج٤ ص٤٥٧.

(٨) سورة الأنفال: ٢.

الشيطان طائف تأملوا فإذا هم مبصرون)[(١)]، والنص في المصحف ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾[(٢)]، وأما قراءة ابن عباس رضي الله عنه المخالفة لرسم المصحف، فمنها قراءته: (وإن عزموا (السراح))[(٣)] مكان: ﴿وَإِنۡ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ﴾[(٤)]، ومنها قراءته أيضاً: (أربعة أشهر وعشر ليالٍ)[(٥)] بزيادة ليالٍ، وقرأ أيضاً: (وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين)[(٦)] بزيادة (فكان كافراً)، والآية: ﴿وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ﴾[(٧)].

وقرأ: (وأقيموا الحج والعمرة للبيت)[(٨)]، وفي المصحف ﴿لِلَّهِ﴾[(٩)] مكان للبيت، وبعد فهذه القراءات الشاذة المنسوبة إلى أبيّ، وابن عباس، وابن مسعود، وغيرهم من الصحابة -رضوان الله عليهم-، بل منها ما هو منسوب أيضاً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ويؤيد ذلك ما ذهب إليه عبد الصبور شاهين من رد هذه القراءات إلى أسباب متعددة منها: قراءات ذات طابع

---

(١) أبو حيان: البحر المحيط ج٤ ص٤٥٠.

(٢) سورة الأعراف: ٢٠١.

(٣) أبو حيان: البحر المحيط ج٢ ص١٨٣.

(٤) سورة البقرة: ٢٢٧.

(٥) أبو حيان: البحر المحيط ج٢ ص٢٢٣، والآية من سورة البقرة: ٢٣٤.

(٦) أبو حيان: البحر المحيط ج٦ ص١٥٤.

(٧) سورة الكهف: ٨٠.

(٨) السجستاني: كتاب المصاحف ص٧٣.

(٩) سورة البقرة: ١٩٦، والآية في المصحف: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ﴾.

لهجي، ومنها ما هي ذات طابع تفسيري، ومنها ما تتضمن نصوصاً يقال إنها من القرآن(١).

فمن النوع الأول ما نقله عبد الصبور شاهين عن كتاب (شواذ القراءات) للكرماني(٢)، (وقرأ أبيّ وابن مسعود: ﴿وإني عتّ بربّي﴾(٣) مكتوبة بغير ذال)(٤)، وقد وجه هذه القراءة بأنها راجعة إلى التأثر الصوتي الناشئ من تجاور صوت مجهور بصوت مهموس(٥)، وقرأ أبيّ، وابن مسعود: (إنا انطيناك بالنون بدلاً من العين)(٦)، وهذه ظاهرة لهجية تعرف بالإستنطاء وهو قلب العين الساكنة نوناً إذا جاورت الطاء، وهي لهجة خمس قبائل من العرب: هذيل، وسعد ابن بكر، والأزد، وقيس، والأنصار(٧).

ومن النوع الثاني -أي القراءة ذات الطابع التفسيري- (قرأ أبيّ وابن مسعود: كلما أضاء لهم مرّوا فيه (ومضوا فيه) بدلاً من ﴿مَّشَوْاْ فِيهِ﴾)(٨)،

---

(١) ينظر/ عبد الصبور شاهين: تاريخ القرآن ص١٣٨ فما بعد.

(٢) ذكر صاحب تاريخ القرآن: أن كتاب شواذ القراءات واختلاف المصاحف مصور مخطوط وتوجد منه نسخة خاصة لمكتبة كلية دار العلوم، تاريخ القرآن ص٢٦٧.

(٣) ﴿إِنِّي عُذْتُ﴾ سورة غافر: ٢٧.

(٤) عبد الصبور شاهين: تاريخ القرآن ص١٥٢.

(٥) ينظر/ المرجع نفسه: ص١٥٢.

(٦) المرجع نفسه: ص١٥٢.

(٧) ينظر/ المرجع نفسه: ص١٣٨-١٥٢.

(٨) المرجع نفسه: ص١٥٣ نقلاً عن كتاب شواذ القراءات للكرماني، والآية من سورة البقرة: ٢٠.

وقرأ أبيّ وابن عباس: (للذين يقسمون من نسائهم)(١) بدلاً من ﴿يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾(٢)، وقد تعقب هذه القراءة بأنها تفسيرية من طريق الحفاظ، فهم يضعون لفظاً مكان آخر؛ لمزيد البيان، مع درايتهم بألفاظ الوحي المنزل، فلا يغيب عنهم لفظ واحد منه(٣)، والذي يؤكد صحة هذا الاتجاه ما أورده القرطبي في تفسيره حيث قال: (وما يؤثر عن الصحابة والتابعين أنهم قرؤوا بكذا وكذا وإنما ذلك على جهة البيان والتفسير، لا أن ذلك قرآن يُتلى)(٤).

وهذا الضرب الأخير -أي وضع لفظ مكان آخر- وهو ما يسمى بالترادف، كان اللبنة الأولى في علم التفسير، وكي لا يكون البحث مطولاً بكثرة النقول، يكتفى بالإشارة إلى ما كتبه عبد الصبور شاهين عن مظاهر القراءة عند ابن مسعود، اللهجية، والتفسيرية، وما وافقت رسم المصحف، وما خالفته، وكذلك ما كتبه عبد الجواد الطيب في مجلة الثقافة العربية تحتَ عنوان: ابن مسعود والمدرسة الكوفية، وما كتب غيرهما من المتقدمين والمتأخرين، غير أن هذين الفاضلين تناولا القراءة بمزيد من التحليل، والتوجيه الموافق لما عليه جمهور الأمة، فهما يؤكدان بأن معظم القراءات المعتمدة من العشرة، والسبعة راجعة إليه

(١) المرجع نفسه: ص١٥٣.
(٢) سورة البقرة: ٢٢٦.
(٣) ينظر/ عبد الصبور شاهين: تاريخ القرآن ص١٥٥.
(٤) القرطبي: الجامع مج١ ج١ ص٦١.

وإلى تلاميذه[١].

وعلى هذا فوصف قراءته بالشذوذ ينبغي أن يؤخذ بشيء من العناية، فلا يلقى الكلام جزافاً، كما هو الحال عند الذين يتخذون تلك القراءات ذريعة لغايات يسعون إليها، كتأييد مذهب سياسي، أو تشكيك في تراث الأمة الإسلامية، وما ثبت من طرق صحيحة في بعض قراءاته لم يكن من باب لفظ القرآن المنزل، وإنما هو تيسير على المتلقّي؛ ليدرك معنى اللفظ الوارد، وأغلب تلك الروايات آحادية، والقرآن يؤخذ بالتواتر لا بالآحاد[٢]، وفي كثير من الحالات يتنازل ابن مسعود رضي الله عنه عن لهجته، ولهجة قريش، إلى غيرها من لهجات الوافدين إليه لتلقي القراءة، والعلم، وقد يبدل لفظاً مكان آخر للكنة في لسان المتلقي في حدود الأحرف المرخص فيها، كما هو الحال في إبدال لفظ (فاجر) مكان (الأثيم) كما مرّ، حيث كان المتلقي ينطقها: (اليتيم)، فموقف ابن مسعود المعلم يقتضي منه المرونة بحسب حال المتلقي[٣].

---

(١) ينظر/ عبد الصبور شاهين: تاريخ القرآن ص١٣٤ فما بعد، وعبد الجواد الطيب: مجلة الثقافة العربية- ليبيا أبريل (ت١٩٧٧م) (شخصيات عربية) ابن مسعود والمدرسة الكوفية ص٦٧ فما بعد، و السجستاني: كتاب المصاحف ص٥٤ فما بعد، وأبو زرعة: حجة القراءات مبثوثاً فيها.

(٢) ينظر/ ابن الجزري: النشر ج١ ص٣٢.

(٣) ينظر/ عبد الصبور شاهين: تاريخ القرآن ص١٣٩-١٤٠.

• دعوى خلطه القرآن بالتفسير والقراءة بالمعنى:

وبعض الرواة ينقلون تلك الحالات ظناً منهم أنها قرآن، وحاشا لابن مسعود المتحري في الأداء، والمشدد في ضبط الألفاظ أن يفعل ذلك، فإذا كان يتحرج في رواية الحديث خوفاً من أن يزيد فيه، أو ينقص، فكيف يزيد، أو ينقص في كلام الله؟! وهناك دعوى أخرى، أنه يخلط القرآن بالتفسير، وهي دعوى باطلة لما أثر عنه أنه قال: (جردوا القرآن ولا تلبسوا به ما ليس منه)[(١)]، وهذا الأمر بالتجريد موجّه إلى غيره؛ لخوف اللبس عليهم، أما بالنسبة له، وبقية الصحابة، فالثابت عنه وجود بعض الكلمات التفسيرية في مصاحفهم؛ لأنهم آمنون من اللبس، والخلط بين التفسير، وكلام الله[(٢)]، وهناك دعوى ثالثة أكثر بطلاناً، بل هي كاذبة، وهي دعواهم أنه كان يجيز القراءة بالمعنى، وكيف يكون منه ذلك؟! وهو القائل فيما يرويه عنه شقيق قال: (سمعت القراءة[(٣)] فوجدتهم متقاربين فاقرءوا كما علمتم وإياكم والتنطع والاختلاف)[(٤)]، ومع كراهيته المطلقة لخلط التفسير بالقرآن، وكذلك عدم قبوله للقراءة بالمعنى، إلا أنه كان في بعض الحالات يسمح بكتابة بعض التهميشات لمن علم منهم الفطنة، والتمييز بين كلام الله وغيره، وأما إبداله لفظاً

(١) ابن الجزري: النشر ج١ ص٣٢.
(٢) ينظر/ المرجع نفسه: ج١ ص٣٢.
(٣) القراءة: كذا في الأصل بإثبات التاء مفردة والصواب: (القرآت) بالجمع كما جاءت في كتاب النشر للمؤلف نفسه. ينظر/ المرجع نفسه: ج١ص٣٢.
(٤) ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء ج١ ص٤٥٩.

مكان آخر، فقد كان ذلك أيام الرخصة بالقراءة بالحروف السبعة، أما بعد أن سجل على حرف، فقد كان لا يحبذ ذلك، ولا يرغب فيه، خشية الاختلاف، وأن يزاد في كلام الله ما ليس منه(١)، فصنيعه السابق كان كما يقول عبد الصبور شاهين: إن هذه الإباحة كانت في حدود القراءة لا التسجيل، فالحرف المسجل عند ابن مسعود لا يختلف عن رسم المصحف المعهود، ومراده بالتسجيل: (أي قبل الاتفاق على الحرف الذي أجمعت عليه الأمة)، فهذا ابن حزم يقول: (وقرأ (زر) عن ابن مسعود وهي خير القرآن عندنا، من غير أن ننكر غيرها ومعاذ الله من ذلك)(٢).

وقد قال هذه الكلمة بعد ذكره لقراءة عاصم بن أبي النجود من طريق زرّ بن حبيش، وقد بيّن عبد الجوّاد الطيب في مقاله: (ابن مسعود والمدرسة الكوفية) في أكثر من مرّة: (أن قراءة أبي بكر بن عياش عن عاصم هي دائماً قراءة عاصم عن زرّ بن حبيش عن ابن مسعود)(٣).

● ترتيب مصحف ابن مسعود:

ومع هذا كله فالعديد يرون أن مصحف ابن مسعود رضي الله عنه يخالف ترتيبه ترتيب المصحف المعهود، وقبل بيان ذلك الترتيب الذي جاء في الفهرست والإتقان، تجدر الإشارة إلى أن إبراهيم الأبياري قد أورد في

---

(١) ينظر/ عبد الصبور شاهين: تاريخ القرآن ص٥٧-٧٧.

(٢) ابن حزم: جوامع السير ص٢٧٠.

(٣) عبد الجواد الطيب: مجلة الثقافة العربية (ابن مسعود والمدرسة الكوفية) ص٦٨.

كتابه تاريخ القرآن[١] جدولاً يتضمن ترتيب مصحف علي رضي الله عنه، وأبيّ، وابن مسعود، وابن عباس -رضي الله عنهم جميعاً-، وذكر أن مصحف عليّ كان مرتباً بحسب النزول[٢]، غير أن الجدول مبدوء بسورة البقرة، والجل متفق على أن أول سورة نزلت هي العلق[٣] ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، ووهم من يقول سورة المدثر، وقد تكفل السيوطي بسرد تلك الأقوال، والموازنة بينهما في كتابه الإتقان[٤]، والناظر إلى تعداد السور في كل مصحف يجد فروقاً كبيرة بينها، فأكملها مصحف ابن عباس، وأقلها مصحف أبيّ، حيث كان العدد عنده مائة وخمس سور، ومصحف الإمام ينقص ثلاثة، ولم يبين ما هي، ولا سبب حذفها من مصحفه، وقد نقل الأبياري من الفهرست ترتيب مصحف ابن مسعود، وأنقص سورتين عن المنقول[٥]، وبيّن صاحب الفهرست أن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين، ولا الفاتحة[٦]، ثم قال مرة أخرى: (قد رأيت مصحفاً قد كتب منذ نحو مائتي

(١) ينظر/ إبراهيم الأبياري: تاريخ القرآن ن: مطابع دار القلم القاهرة- مصر لاط (ت١٣٨٤ هـ- ١٩٦٤م) ص٧٢ فما بعد.

(٢) ينظر/ المرجع نفسه: ص٧٢ فما بعد.

(٣) ينظر/ السيوطي: الإتقان ن: المكتبة الثقافية -بيروت لاط (ت١٩٧٣م) ج١ ص٢٤.

(٤) ينظر/ المرجع نفسه: ج١ ص٢٣ فما بعد.

(٥) ينظر/ إبراهيم الأبياري: تاريخ القرآن ص٧٢ فما بعد.

(٦) ينظر/ ابن النَّدِيم: محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق، أبو الفرج بن أبي يعقوب النديم (ت٤٣٨هـ) صاحب كتاب (الفهرست) من أقدم كتب التراجم ومن أفضلها. وهو بغدادي، يُظن أنه كان ورّاقاً يبيع الكتب. يدل كتابه على ذلك. وله كتاب آخر سماه (التشبيهات). الزركلي: الأعلام ج٦ ص٢٩ باختصار. الفهرست ن: دار المعرفة =

سنة فيه فاتحة الكتاب)[١]، وما نقله ابن النديم عن الفضل بن شاذان مائة وعشر سور، ولم يذكر السورة المتممة للرابعة عشر بعد المائة.

والخلاصة من هذا العرض دفع الدعاوى الباطلة، والنقد الموجه إلى مصحف ابن مسعود، ذلك أنه لم يكن منفرداً بهذا، فعليّ رضي الله عنه وكذلك أبيّ،لم تكن مصاحفهما تامة العدد، ولا متفقة الترتيب مع المصحف المجمع عليه، ومع ذلك فإن الأضواء غير مسلطة عليها بقدر ما هي على مصحف ابن مسعود، مع أن الأخير امتاز بذكر سبب الحذف[٢]، وهذا هو ترتيب مصحفه طبقاً لما جاء في الإتقان على أفضل وجه، وقد بلغت عدد سوره مائة وإحدى عشرة سورة:

(الطوال: ١.البقرة ٢. النساء ٣. آل عمران ٤.الأعراف ٥.الأنعام ٦.المائدة ٧.يونس).

(المئون: ٨.التوبة ٩.النحل ١٠. هود ١١.يوسف ١٢.الكهف ١٣.بني إسرائيل(الإسراء) ١٤.الأنبياء ١٥.طه ١٦.المؤمنون ١٧.الشعراء ١٨.الصافات).

(المثاني: ١٩. الأحزاب ٢٠.الحج ٢١.القصص ٢٢. طس (النمل) ٢٣.النور ٢٤.الأنفال ٢٥.مريم ٢٦.العنكبوت ٢٧. الروم ٢٨.يس ٢٩.الفرقان ٣٠.الحجر ٣١.الرعد ٣٢.سبأ ٣٣.الملائكة (فاطر)

= للطباعة -بيروت لاط (ت١٣٩٨هـ -١٩٧٨م) ص٤٠.

(١) المرجع نفسه: ص٤٠.

(٢) ينظر/ ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص٣٣-٣٤.

٣٤.إبراهيم ٣٥.ص ٣٦.محمد ٣٧. لقمان ٣٨.الزمر).

(الحواميم: ٣٩.حم المؤمن(غافر) ٤٠.الزخرف ٤١.السجدة وهي فصلت ٤٢.حمعسق(الشورى) ٤٣.الأحقاف ٤٤.الجاثية ٤٥.الدخان).

(الممتحنات: ٤٦.الفتح ٤٧.الحشر ٤٨.الحديد ٤٩.تنزيل السجدة ٥٠.ق ٥١.الطلاق ٥٢.القلم ٥٣. الحجرات ٥٤.الملك ٥٥.التغابن ٥٦.المنافقون ٥٧.الجمعة ٥٨.الصف ٥٩.الجن ٦٠.نوح ٦١.المجادلة ٦٢.الممتحنة ٦٣.التحريم).

(المفصل: ٦٤.الرحمن ٦٥.النجم ٦٦.الطور ٦٧.الذاريات ٦٨.القمر ٦٩.الحاقة ٧٠.الواقعة ٧١.النازعات ٧٢.المعارج ٧٣.المدثر ٧٤.المزمل ٧٥.المطففين ٧٦.عبس ٧٧.الإنسان ٧٨.المرسلات ٧٩.القيامة ٨٠.النبأ ٨١.التكوير ٨٢.الانفطار ٨٣.الغاشية ٨٤.الأعلى ٨٥.الليل ٨٦.الفجر ٨٧.البروج ٨٨.الانشقاق ٨٩.العلق ٩٠.البلد ٩١.الضحى ٩٢.الطارق ٩٣.العاديات ٩٤.الماعون ٩٥.القارعة ٩٦.البينة ٩٧.الشمس ٩٨.التين ٩٩.الهمزة ١٠٠.الفيل ١٠١.قريش ١٠٢.التكاثر ١٠٣.القدر ١٠٤.الزلزلة ١٠٥.العصر ١٠٦.النصر ١٠٧.الكوثر ١٠٨.الكافرون ١٠٩.المسد ١١٠.الإخلاص ١١١.الشرح، فليس فيه الفاتحة ولا المعوذتان)(١).

• دعوى إسقاط الفاتحة والمعوذتين:

وحول هذا القول الأخير ثار جدل طويل بين مصحح للرواية، ومكذب لها، ومن كذّب الرواية فقد أراح نفسه من البحث، والخوض فيها، أما

(١) ابن النديم: الفهرست ص٤٠، والسيوطي: الإتقان ج١ ص٢٤.

من صحّح الرواية فقد ذهب مذاهب شتى في كيفية التصحيح، فمن قائل إنه حكّها من المصحف لظنه أنهما رقى، وليستا من كتاب الله، هذا بالنسبة للمعوذتين، أما الفاتحة فليسر حفظها ؛ لكونها قصيرة، وواجبة على كل مسلم في كل صلاة، ومن قائل إنه لم يثبت في المصحف إلا ما سمع من رسول الله ﷺ إثباته، لذا لم يكتب إلا ما بلغه، أو سمعه من رسول الله ﷺ أن يكتب(١)، وقد مرّ أن قراءة عاصم منتهية إليه، وفيها الفاتحة والمعوذتان، وكيف لابن مسعود أن ينكر حرفاً من كتاب الله؟! وهو الراوي لقول النبي ﷺ: (من أنكر حرفاً من القرآن فقد كفر)(٢)، وقد أورد تلك الأقوال السيوطي في كتابه الإتقان، والزركشي في كتابه البرهان(٣)، فلا حاجة لإعادتها هنا، ومن العلماء من ذهب إلى محاولة التوفيق بين الرواية التي تثبت أن مصحف ابن مسعود خالٍ من المعوذتين

---

(١) ينظر/ السيوطي: الإتقان ج١ ص٧٩-٨٠، وابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص٣٣-٣٤.

(٢) العِراقي: عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، أبو الفضل، زين الدين، المعروف بالحافظ العراقي(ت٨٠٦هـ) بحاثة، من كبار حفاظ الحديث. أصله من الكرد، ومولده في رازنان تحوّل مع أبيه إلى مصر، فتعلم ونبغ فيها. وقام برحلة إلى الحجاز والشام وفلسطين، وعاد إلى مصر، وتوفي بها. من كتبه (المغني)، و(نكت منهاج البيضاوي) في الأصول، و(ذيل على الميزان)، و(الألفية) في مصطلح الحديث، وشرحها (فتح المغيث)، و(التحرير) في أصول الفقه، و(التقييد والإيضاح) في مصطلح الحديث، و(طرح التثريب في شرح التقريب)، و(شرح الترمذي) وغيرها. الزركلي: الأعلام ج٣ ص٣٤٤-٣٤٥ باختصار وتصرف. طرح التثريب وشرح التقريب ن: دار المعارف حلب سورية لاط (ت١٣٥٣هـ) ج٨ ص٣٧.

(٣) ينظر/ السيوطي: الإتقان ج١ ص٧٩-٨٠، والزركشي: البرهان ج٢ ص١٢٧-١٢٨.

والفاتحة، وبين الرواية التي تؤكد أن الفاتحة والمعوذتين مثبتة في مصحفه، كابن حجر يقول السيد أحمد صقر: (قد أبى ابن حجر إلا أن يصحح تلك الرواية، فقال في شرح البخاري: (فقول من قال إنه كذب عليه مردود، والطعن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل بل الرواية صحيحة، والتأويل محتمل). ثم لم يستطع تأويلاً مقبولاً، والله يغفر لنا وله)(١)، وصدق السيد أحمد صقر فيما قال، فإن الخوض في مثل هذا لا يجدي نقيراً، وبخاصة أن الأمة مجمعة على المصحف الموجود بين أيدينا، فلا تمسك بمصحف ابن مسعود، وما فيه من نقص، أو زيادة، ولا بمصحف أبيّ وما فيه من زيادة سورتي الحفد، والخلع المنسوبتين إلى مصحف ابن مسعود أيضاً(٢)، ويكفي تلخيصاً لهذا قول ابن العربي: (إن مصحف ابن مسعود قد سقط اعتباره بالإجماع فلا يعارض بهذه الأحاديث)(٣)، يشير إلى حديث: (خذوا القرآن من أربعة...)، وحديث: (من سره أن يقرأ القرآن غضاً...) السالف

(١) الباقِلَّانِي: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر (ت٤٠٣هـ) قاض، من كبار علماء الكلام. انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة. ولد في البصرة، وسكن بغداد فتوفي فيها. كان جيد الاستنباط، سريع الجواب. من كتبه (إعجاز القرآن)، و(الإنصاف)، و(مناقب الأئمة)، و(دقائق الكلام)، و(الملل والنحل)ن و(هداية المرشدين)، و(الاستبصار) و(كشف أسرار الباطنية)، و(التمهيد) وغيرها. الزركلي: الأعلام ج٦ ص١٧٦ باختصار. إعجاز القرآن (تحقيق: السيد أحمد صقر) ن: دار المعارف - مصرط٣ (ت١٩٦٣م) ص٢٩١.

(٢) ينظر/ لبيب السعيد: المصحف المرتل بواعثه ومخططاته ص٤٣٣-٤٣٤.

(٣) ابن العربي: عارضة الأحوذي ج١٣ ص٢١٣.

تخريجهما، وإن كان تعبيره بلفظ: سقط اعتباره بالإجماع فيه شيء من التجني، والإجحاف في حق ابن مسعود رضي الله عنه، فمن الذي أسقطه؟ ومن هم المجمعون على ذلك؟ ولو عبّر بأجمعت الأُمة على مصحف عثمان رضي الله عنه دون غيره لكان أفضل مما قال، وربما مراده بالمصحف الذي سقط اعتباره ذلك الخالي من المعوذتين.

• قراءة ابن مسعود هي العرضة الأخيرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

والذي يؤكد هذا (أي أن قراءة ابن مسعود كانت هي العرضة الأخيرة التي عرضها جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم) ما روي عن القاسم -يعنى ابن عبد الرحمن- قال: (كان جبريل ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم يقرئه القرآن كل عام في رمضان مرة حتى إذا كان العام الذي قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل جبريل فأقرأه القرآن مرتين، قال عبد الله: فقرأت القرآن من في رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك العام والله لو أني أعلم أن أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغنيه الإبل لركبت إليه، والله ما أعلمه)(١)، فالمستفاد من هذه الرواية أنه حضر العرضة الأخيرة، وأن لا أحد من الصحابة أعلم منه بكتاب الله، ذلك لتلقّيه القرآن من في رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأوضح من هذه الرواية، وأكملها تلك التي جاءت في المسند، فقد بيّنت أنه علم الناسخ، والمنسوخ وما بُدل (عن ابن عباس قال: أي القراءتين تعدّون أوّل؟ قالوا: قراءة عبد الله، قال: لا بل هي الآخرة كان يعرض القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل عام مرة فلما كان العام الذي قبض فيه عرض عليه مرتين فشهد عبد

(١) ابن سعد: الطبقات ج٢ ص١٩٦.

الله فعلم ما نسخ وما بدّل)[١]، فابن مسعود رضي الله عنه من الذين حفظوا القرآن، قبل أن يقبض رسول الله ﷺ كاملاً بما في ذلك الفاتحة والمعوذتان، وقد ردّ القرطبي على من زعم أن ابن مسعود رضي الله عنه مات قبل أن يحفظ القرآن كله بدليلين أولهما: قول رسول الله ﷺ: (خذوا القرآن من أربعة. . .)[٢] الحديث، وبدأ بابن مسعود، فلو لم يكن حافظاً له، ما أوصى بالأخذ منه، هذا هو وجه الاستدلال، وأما الدليل الثاني فهو: (أن كل قارئ من القراء السبعة عزا قراءته إلى رجل من الصحابة قرأها على رسول الله ﷺ غير مستثن من القرآن شيئاً، ومن أولئك القراء عاصم ابن أبي النجود، فقد أسند قراءته إلى علي وابن مسعود رضي الله عنهما، ومعلوم أن القراءات السبعة متصلة الإسناد ورجالها ثقات)[٣]، أفيقال بعد هذا كله: أن مصحف ابن مسعود خالٍ من المعوذتين والفاتحة، أو يُدّعى أنه أسقط المعوذتين؟! إنه قول باطل، وزعم غير صحيح[٤].

- **قضية مصحفه:**

- **أولاً : بينه وبين عثمان:**

وقد رتب المستشرقون على هذا الزعم وجود خلاف، وخصومة بين ابن مسعود، وعثمان رضي الله عنهما، وأن ابن مسعود قد حسد زيد بن ثابت رضي الله عنه

(١) ابن حنبل: المسند ج٥ ص١٤١.

(٢) مرّ تخريجه.

(٣) القرطبي: الجامع مج١ ج١ ص٥٩.

(٤) ينظر/ الباقلاني: إعجاز القرآن ص٢٩١ الهامش.

حين ولّي نسخ المصحف دونه، وأنه أنكر على عثمان تحريق المصاحف، وأبى تسليم مصحفه إلى رسوله عبد الله بن عامر، والقضية مبسوطة في عديد من المراجع، وبخاصة تلك التي تعنى بدراسة القرآن جمعاً، وتدويناً، وترتيبا، ككتاب المصاحف للسجستاني، والذي يتلخص من العرض التاريخي أن القرآن قد جمع ثلاث مرات:

أولاها: زمن رسول الله ﷺ، فقد كان مجموعاً في صدور الحفظة، وفي الرقاع، وجريد النخل، وعظام الأكتاف، وغير ذلك مما يمكن الكتابة عليه في ذلك العصر.

وثانيها: زمن أبي بكر رضي الله عنه باقتراح من عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد أن استحر القتل بالقراء يوم اليمامة، بين المسلمين والمرتدين من أتباع مسيلمة الكذاب، فقد ظل ذلك المجموع في الصحف مع أبي بكر، ثم عند عمر، ثم أودعه بعد ذلك عند حفصة(١) أم المؤمنين رضي الله عنها.

وثالثها: أيام خلافة عثمان رضي الله عنه بتحريض من حذيفة رضي الله عنه، وذلك بعد أن وجد الخلاف بين المسلمين في القراءات، إذ كان كل قطر يتمسك بقراءة الصحابي الذي نزل فيه، فخشي أن تختلف الأمة في كتابها كما اختلفت الأمم السابقة في كتبها، فقد استجاب عثمان رضي الله عنه لاقتراح حذيفة رضي الله عنه، وبخاصة بعد أن لمس ذلك الخلاف في المدينة بنفسه(٢).

---

(١) ينظر/ السجستاني: كتاب المصاحف ص٢٠-٢١.

(٢) ينظر/ السجستاني: كتاب المصاحف ص٢١، وابن خلدون: تاريخ العبر في ديوان المبتدأ والخبر ج١٠ ص٩-١٠، وإبراهيم الأبياري: تاريخ القرآن ص٨٦-٩٢-٩٣.

والذي قام بالجمع زمن أبي بكر زيد بن ثابت الأنصاري، وقد ولي رئاسة اللجنة المشكلة من قبل عثمان رضي الله عنه في الجمع الثالث، وهذا هو الذي وقف عنده بعض المستشرقين كبلاشير، وآرثر جفري، مسلطين الأضواء على ما حصل من ابن مسعود في إنكاره على عثمان لاختياره زيداً دونه، فيوردون الروايات التي تبين أن ابن مسعود لم يذعن لما قام به الخليفة من جمع الأمة على مصحف واحد، وتحريق ما عداه من المصاحف دون غيرها من الروايات التي تؤكد أن ابن مسعود قد رضي بعمل عثمان رضي الله عنه(١)، بل زجر الذين حاولوا أن يجعلوه متمسكاً بما بدر منه حال الغضب ابتداءً(٢)، (روى الأعمش عن زيد بن وهب قال: لما بعث عثمان إلى عبد الله بن مسعود يأمره بالقدوم عليه بالمدينة وكان بالكوفة اجتمع الناس عليه فقالوا: أقم ونحن نمنعك أن يصل إليك شيء تكرهه؛ فقال عبد الله: إن له عليّ حق الطاعة وإنها ستكون أمور وفتن فلا أحب أن أكون أوّل من فتحها فردّ الناس وخرج إليه)(٣)، نعم إن له حق الطاعة عليه، فهو خليفته وخليفة المسلمين، فلا ينبغي أن يخرج عليه فيما هو حق، وكيف يفعل ذلك وهو الداعية دائماً إلى نبذ الخلاف؟ لقد رضي بفعله كما رضي غيره من الصحابة رضي الله عنهم، والذي يؤكد ذلك ما جاء في كتاب المصاحف تحت عنوان: (رضاء عبد الله بن مسعود لجمع عثمان

---

(١) ينظر/ الراجحي: عبد الله بن مسعود ص٦٤.

(٢) ينظر/ صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن ن: دار العلم للملايين -بيروت ط٣ (ت١٩٦٤م) ص٨٢ الهامش.

(٣) ابن الأثير: أسد الغابة ج٣ ص٢٦٠.

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ المصاحف)[١]، والذي يحسم هذا الأمر أن جمع القرآن كان في السنة الخامسة والعشرين على أصح الروايات، حتى أن ابن حجر قال: (غفل بعض من أدركناه فزعم أن ذلك كان في حدود السنة الثلاثين، ولم يذكر لذلك مستنداً)[٢]، ويؤكد الراجحي بأن نسخ المصاحف كان في السنة الخامسة والعشرين بأمور منها: أن سعيد بن العاص قد عين والياً على الكوفة في سنة تسع وعشرين بعد عزل الوليد، وهو أحد الأربعة المكلفين من قبل عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بنسخ المصحف، وقد أوكل إليه الإملاء، كما أوكل إلى زيد الكتابة، فكيف يكون استدعاء ابن مسعود من أجل رفضه للمصحف؟ وقد مر على نسخه قرابة الخمس سنوات، ومما استدل به أيضاً أن فتح أرمينية كان في السنة الخامسة والعشرين في ولاية الوليد، وذكر أن الذي ربط بين استدعاء ابن مسعود من قبل عثمان وبين رفضه للمصحف قد وقع في خطأ تاريخي، فاستدعاء عثمان له لم يكن من أجل الرفض، وإنما لأمر آخر[٣]، ثم إنه لم يمكث في المدينة بعد الاستدعاء إلا فترة يسيرة، ثم التحق بالرفيق الأعلى، بدليل حضوره وفاة أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ التي كانت في السنة الثانية والثلاثين[٤]، ومما يبين أن لا

---

(١) السجستاني: كتاب المصاحف ص١٨.

(٢) ابن حجر: فتح الباري ج١٠ ص٣٩٢.

(٣) مراده بالأمر الآخر: عصمة الدولة من الولاة المقتدرين وكانت تلك سياسة عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذي يعزل الولاة لا لشكاية ولا لقصاص، وإنما لسلامة الدولة من أصحاب مراكز القوى والنفوذ. ينظر/ الراجحي: عبد الله بن مسعود ص٦٤.

(٤) ينظر/ ابن حجر: فتح الباري ج١٠ ص٣٦١، و الراجحي: عبد الله بن مسعود ص٥٩-٦٠-٦٣-٦٤.

علاقة بين الاستدعاء، وبين قضية المصحف ما جاء في كتاب التمهيد من أن ابن مسعود كان يكره المقام بالكوفة لما يرى من أهلها من تمرد، واختلاف بينهم، ولوجوده خالياً من العمل وبخاصة بعد أن عزل عن بيت مال المسلمين، وهو النابذ لمن لا عمل له، فقد كان يستأذن عثمان رضي الله عنه في الرجوع إلى المدينة فلا يأذن له، وحين ألح عليه في الرجوع (كتب عثمان رضي الله عنه إلى ابن مسعود رضي الله عنه فأذن له في الخروج، فخرج لستة أشهر بقيت من إمارة عثمان رضي الله عنه)(١)، والخبر الذي اعتمد عليه المستشرقون ما أورده اليعقوبي في تاريخه: (وكان ابن مسعود بالكوفة، فامتنع أن يدفع مصحفه إلى عبد الله بن عامر، وكتب إليه عثمان: أن أشخِصْه، إنّه لم يكن هذا الدين خبالاً، وهذه الأمّة فساداً. فكلّمه ابن مسعود بكلام غليظ فأمر به عثمان، فجُرّ برجله حتى كُسر له ضلعان، فتكلّمت عائشة، وقالت قولاً كثيراً... واعتلّ ابن مسعود، فأتاه عثمان يعوده، فقال له: ما كلام بلغني عنك؟ قال: ذكرت الذي فعلته بي، إنك أمرت بي فوطئ جوفي، فلم أعقل صلاة الظهر، ولا العصر، ومنعتَني عطائي. قال: فإنّي أُقيدك من نفسي فافعل بي مثل الذي فُعل بك! قال: ما كنت بالذي أفتح القصاص على الخلفاء. قال: فهذا عطاؤك، فخذه. قال: منعتنيه وأنا

(١) المالقي: محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن بكر، أبو عبد الله الأشعري المالكي (ت٧٤١هـ) فاضل أندلسي. ولي الخطابة والقضاء بغرناطة. وزار مصر والشام. وقتل شهيداً بيد العدوّ في الوقعة الكبرى بظاهر طريف. له (التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان بن عفان). الزركلي: الأعلام ج٧ ص١٣٨. التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان (تحقيق: محمود يوسف زايد) ن:دار الثقافة بيروت ط١(ت١٩٦٤م)ص٦٥ .

محتاج إليه، وتعطينيه وأنا غنيّ عنه؟ لا حاجة لي به، فانصرف. فأقام ابن مسعود مغاضباً لعثمان حتى توفي)(١)، وهذا الذي ذكره اليعقوبي لا يتفق، وسيرة الصحابيين الجليلين، بل لا يصدر عمن هو أدنى منهما منزلة، ثم إن آخر الرواية يبطل أولها، ففي آخر الخبر يذكر أن ابن مسعود اعتل (أي انتابه مرض لم يكن ناشئاً عن انكسار الضلعين)، وأن عثمان رضي الله عنه قد جاءه عائداً، وحين ذكر له ابن مسعود ما كان منه في الماضي، قال له عثمان وهو الخليفة: (فإني أقيدك من نفسي فافعل بي مثل الذي فُعل بك!) فأجابه ابن مسعود ذو النظر الثاقب، والأشبه برسول الله ﷺ، والنابذ للفتن والخلاف -مهما كانت الأسباب- بقوله: (ما كنت بالذي أفتح القصاص على الخلفاء)، وبعد هذه الإجابة الدالة على كمال سماحة ابن مسعود، يصرّ اليعقوبي على أن عثمان قد خرج من عنده، وبقي ابن مسعود مغاضباً له حتى وفاته(٢)، في حين أن غيره يذكر أنهما تراضيا، واستغفر كل منهما للآخر(٣)، وهي السجية الإسلامية الصحيحة؛ لعلمهم أنه لا يحل هجر الأخ المسلم، وبخاصة إذا زاد على الثلاث، والرواية الثانية التي اعتمد عليها مثيروا الفتن قول ابن مسعود في بداية الأمر: (يا أهل الكوفة ويا أهل العراق: اكتموا المصاحف التي عندكم وغلوها فإن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ (٤) فألقوا الله

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٧٠-١٧١.
(٢) ينظر/ المرجع نفسه: ج٢ ص١٧٠-١٧١.
(٣)ينظر/ السجستاني: كتاب المصاحف ص١٨.
(٤) سورة آل عمران: ١٦١.

بالمصاحف)[1]، والذي يؤكد أن هذا القول كان منه ابتداء وجود الرواية الثانية التي تذكر أنه رضي بما قام به عثمان ﷺ السالف الإشارة إليها عن كتاب المصاحف، وكذلك الخبر الذي يؤكد أن ابن مسعود كان يقرأ في المصحف الإمام ليقيم الناس عليه، وقد أورده صاحب المصاحف من طريق عبد الأعلى بن الحكم الكلابي: (قال عبد الأعلى: أتيت دار أبي موسى الأشعري فإذا حذيفة بن اليمان وعبد الله بن مسعود وأبو موسى الأشعري فوق إجار لهم- أي سطح- فقلت: هؤلاء الذين أريد فأخذت أرتقي إليهم فإذا غلام على الدرجة فمنعني فنازعته فالتفت إليّ بعضهم قال: خلّ عن الرجل فأتيت حتى جلست إليهم فإذا عندهم مصحف أرسل به عثمان وأمرهم أن يقيموا مصاحفهم عليه؛ فقال أبو موسى: ما وجدتم في مصحفي هذا من زيادة فلا تنقصوها وما وجدتم من نقصان فاكتبوه، فقال حذيفة: كيف بما صنعنا؟)[2]، فالمعترض في هذا هو أبو موسى لا ابن مسعود، الذي ظل ساكتاً طوال الحوار المذكور، وهذا يدل على اقتناع منه بالمصحف العثماني إن جاز التعبير، والذي يبدو أن ابن مسعود لم يعترض على الكتابة في حد ذاتها، وإنما اعتراضه كان على أن يلزم بتلك القراءة، وهو الذي أخذ القراءة من في رسول الله ﷺ مباشرة، وبخاصة فيما يزيد على السبعين سورة بقليل، لذا يقول الذهبي: (إن زيداً كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ فهو إمام في الرسم وابن مسعود إمام في الأداء)[3]، وفي

(١) السجستاني: كتاب المصاحف ص١٧.
(٢) السجستاني: كتاب المصاحف ص٣٦.
(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج١ ص٣٤٩.

هذا القول بعض النظر، ذلك أن عبد الله من كتاب الوحي أيضاً، ومع كونه إماماً في الأداء، فقد رجع إلى ما اتفقت عليه الأمة بعد أن زال عنه الغضب، والانفعال الطارئ[(١)]، فهو بشر يغضب، ويرضى، والعبرة دائماً بالخاتمة، وقد ثبت عنه الرضى، فلا داعي لإثارة كراهيته الواقعة منه ابتداءً، وبخاصة إذا علمنا أن عثمان رضي الله عنه قد أطلق للناس القراءة على غير المصحف الإمام. جاء من طريق إسماعيل بن أبي خالد: (لما نزل أهل مصر الجحفة يعاتبون عثمان رضي الله عنه صعد عثمان المنبر)[(٢)]، وذكر الرواية مطولة، منها قوله: (أما القرآن فمن عند الله إنما نهيتكم لأني خفت عليكم الاختلاف فاقرأوا على أي حرف شئتم)[(٣)]، وبهذا يتضح أن الخلاف بين ابن مسعود، وعثمان رضي الله عنهما خلاف وقتي، فلا مستمسك للمستشرقين به، ولا حجة لهم فيه.

● ثانياً: بينه وبين زيد بن ثابت:

ومما تمسكوا به وحاولوا إثارة الغبار حوله زعمهم أن ابن مسعود كره أن يتولى زيد نسخ المصاحف دونه، واعتمدوا على روايات جاء بها السجستاني، منها: (أن عبد الله بن مسعود كره لزيد بن ثابت نسخ المصاحف فقال: يا معشر المسلمين أعزل عن نسخ (كتاب) المصاحف وتولاها رجل والله لقد أسلمت وإنه لفي صلب أبيه كافراً)[(٤)] -يريد زيداً- وقبل الخوض في هذا الخلاف المزعوم، يحسن إيراد ما ذكره صبحي

(١) ينظر/ صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن ص٨٢ الهامش.

(٢) السجستاني: كتاب المصاحف ص٣٦.

(٣) السجستاني: كتاب المصاحف ص٣٦.

(٤) المرجع نفسه: ص١٧.

الصالح في هذا الشأن، فهو يبطل القضية من أساسها، قال: (ولكننا نستبعد صدور هذه الأقوال عن ابن مسعود وإن صدرت فهي لا تدل إلا على الانفعال الذي اعتراه حين نحي عن لجنة جمع القرآن)(١)، والذي يؤكد ما ذهب إليه صبحي الصالح من أن تلك الأقوال مصدرها الانفعال ما نقله القرطبي عن ابن الأنباري: (قال أبو بكر: وما بدا من عبد الله بن مسعود من نكير ذلك فشيء نتجه الغضب ولا يعمل به ولا يؤخذ به ولا يشك في أنه رضي الله عنه قد عرف بعد زوال الغضب عنه حسن اختيار عثمان ومن معه من أصحاب رسول الله ﷺ)(٢)، ولعل غضبه ناتج من أنه يرى أنه هو أحق منه لأمرين، أولهما: أنه سبقه في الأخذ عن رسول الله ﷺ، وثانيهما: أنه أكبر منه سناً، وبالتالي فهو أسبق منه دخولاً في الإسلام.

جاء من طريق أبي وائل في نهاية الرواية المنقولة سابقاً: (فكيف تأمروني أن أقرأ قراءة زيد ولقد قرأت من في رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة ولزيد ذؤابتان يلعب مع الصبيان)(٣)، فهو إذاً أخذ سبعين سورة، وزيد لا يزال صبياً، فالكراهة المزعومة لم تكن من أجل النسخ، وإنما من أجل التنازل عن القراءة، وقد مرّ قريباً أن زيداً إمام في الرسم، وعبد الله إمام في الأداء(٤)، والرواية المثبتة في أول الحديث والتي

(١) صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن ص٨٢.

(٢) القرطبي: الجامع مج١ ج١ ص٥٣.

(٣) السجستاني: كتاب المصاحف ص١٥.

(٤) المرجع نفسه: ص١٧.

مفادها التصريح بكراهيته لعزله عن نسخ المصاحف، حاول السجستاني أن يجد لها مخرجاً، وتعليلاً، فبين أن سبب الكراهية يرجع إلى أن عبد الله بدريّ وزيد ليس كذلك، وإنما ولي زيد النسخ؛ لأنه كان من كتاب الوحي، وهذا يشعر بوجود التفاضل بينهما(١).

وقد حاول غير السجستاني أن يقيم موازنة بين زيد وعبد الله، فجمع فضائل كل على حدة؛ ليخلص بذلك إلى نتيجة مرضية، ولكن لم يستطع(٢)، وأفضل ما قيل بعد جمع مزايا كل صحابي أن الأفضلية في شيء معين لا تقتضي التقدمة، ولا تقتضي الطعن في سواه، وضرب ابن الأنباري لذلك مثلاً بزيد بن ثابت الذي كان أحفظ للقرآن من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فهو وإن كان أحفظ منهما ليس بأفضلهما، ولا مساوٍ لهما(٣)، ومن المزايا التي ذكروها في جانب عبد الله أنه أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ وأقدم في الإسلام من زيد، وأكثر سوابق منه، وأنه أحد الأربعة الذين أمر رسول الله ﷺ بالأخذ منهم، أما المزايا التي ذكرت في جانب زيد بن ثابت رضي الله عنه فمنها أنه من كتّاب الوحي، وأنه أحفظ للقرآن من ابن مسعود، وأنه حضر الجمع الأول، بل كلف به من قبل أبي بكر رضي الله عنه وأنه شهد العرضة الأخيرة، وفي هذه المزايا نظر، فعبد الله رضي الله عنه من كتّاب الوحي أيضاً، وهو من حفّاظ القرآن أيضاً، ويكفي أمر

---

(١) ينظر/ المرجع نفسه: ص١٧-١٨.

(٢) ينظر/ لبيب السعيد: المصحف المرتل بواعثه ومخططاته ص٤٢٤-٤٢٥.

(٣) ينظر/ القرطبي: الجامع مج١ ج١ ص٥٣.

الرسول ﷺ بالأخذ منه، وقد ناقش هذه القضية القرطبي، وخلص إلى أن ابن مسعود رضي الله عنه كان يحفظ القرآن كله، ورسول الله ﷺ حيّ لا كما يدعي غيره أنه أتم الحفظ بعد قبض رسول الله ﷺ وأنه قد شهد العرضة الأخيرة، وعلم ما بدّل ونسخ(١)، وفي هذا الخصوص يذكر لبيب السعيد أنه توجد رواية تقرر أن ابن مسعود شهد العرضة الأخيرة وأحال إلى كتاب النشر، وفي جانب زيد رضي الله عنه ذكر أنه شهد العرضة الأخيرة يقيناً، وأحال الأمر إلى كتابي البرهان، والإتقان(٢)، وفي حين أن كتاب المسند للإمام أحمد بن حنبل، وهو الأقدم من الجميع توجد فيه الرواية من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقد قال أحمد شاكر المحقق للمسند، تعقيباً على تلك الرواية: بأن إسنادها صحيح(٣)، والأقدم من أحمد بن حنبل أيضاً كتاب الطبقات لابن سعد، فهو يذكر أيضاً رواية تصرح بأن ابن مسعود رضي الله عنه شهد العرضة الأخيرة، وتلك الرواية من طريق القاسم بن عبد الرحمن بن مسعود(٤)، فهل الإتقان، والبرهان أكثر يقيناً من الطبقات، والمسند، والنشر، ومجمع الزوائد(٥)؟!

(١) ينظر/ القرطبي: الجامع مج١ ج١ ص٥٣-٥٩.
(٢) ينظر/ لبيب السعيد: المصحف المرتل بواعثه ومخططاته ص٤٢٥.
(٣) ينظر/ ابن حنبل: المسند ج٥ ص٤-٨-١٤١-١٤٢.
(٤) ينظر/ ابن سعد: الطبقات ج٢ ص١٩٦.
(٥) ينظر/ ابن الجزري: النشر ج١ ص٣٢، والهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٩ ص٢٨٨.

● الرأي المرتضى:

وأفضل ما يقال في تولية زيد نسخ المصاحف دون ابن مسعود، هو أن زيداً حضر النسخ في الجمع الأول زمن أبي بكر، كما قال عثمان رضي الله عنه: (من يعذرني من ابن مسعود؟ غضب إذ لم أوّله نسخ المصاحف هلّا غضب على أبي بكر وعمر إذ عزلاه عن ذلك؟! وولّيا زيداً فاتبعت فعلهما)[١]، وإن ابن مسعود رضي الله عنه كان بالكوفة أيام قيام عثمان رضي الله عنه بعملية النسخ التي كانت تقتضي التعجل بالأمر، لحسم الخلاف حول قراءة القرآن، وحمل الناس على لغة قريش[٢].

والحق أن ابن مسعود رضي الله عنه قد رضي بما قام به عثمان رضي الله عنه وإن بدت منه معارضة في أول الأمر، قال الفخر الرازي: (فقد نقل عن ابن مسعود حذف المعوذتين وحذف الفاتحة عن القرآن، ويجب علينا إحسان الظن به وأن نقول: إنه رجع عن هذه المذاهب)[٣]، وخير ما يستدل به على أن

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج٢ ص٣١١.

(٢) ينظر/ لبيب السعيد: المصحف المرتل بواعثه ومخططاته ص٤٢٥.

(٣) فخر الدين الرَّازي: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) الإمام المفسر. أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. وهو قريشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الريّ وإليها نسبته، رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة. أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها. وكان يحسن الفارسية. من تصانيفه (مفاتيح الغيب)، و(لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات)، و(معالم أصول الدين)، و(عصمة الأنبياء)، و(الإعراب)، و(المحصول في علم الأصول)، و(الأربعون في أصول الدين)، و(الفراسة)، و(الهندسة) وسواها. وله شعر بالعربية والفارسية، وكان واعظاً بارعاً =

مصحف ابن مسعود رضي الله عنه كغيره من المصاحف لا زيادة ولا نقص، قراءة عاصم بن أبي النجود المنتهية إلى عبد الله بسند متصل عن رجال ثقات[١]، وما ينسب إليه من قراءات مرّ ذكرها في صحف مختلفة قد انتهت، وانقرضت أيام ابن النديم، الذي قال عنها: (رأيت عدة مصاحف ذكر نساخها أنها مصحف ابن مسعود ليس فيها مصحفان متفقان، وأكثرها في رق كثير النسخ، وقد رأيت مصحفاً قد كتب منذ نحو مائتي سنة فيه فاتحة الكتاب)[٢]، فلو كانت تلك المصاحف منقولة بطريق صحيح ما اختلف مصحف عن مصحف، ولا وجدت فيه تلك الأخطاء، و قول ابن النديم الأخير يدل صراحة على وجود الفاتحة، وهذا خلاف ما قيل من أنه كان لا يثبتها في مصحفه، ومهما يكن من شيء فإن ذلك المصحف قد انتهى، واندثر بعد إجماع الأمة على المصحف الإمام، وبقيت قراءته الصحيحة التي جاءت من طريق عاصم بن أبي النجود المعترف بها في العالم الإسلامي، فقضية اشتراك ابن مسعود رضي الله عنه في كتابة المصحف، أو عدم اشتراكه لا تقلل من قدْره، أو تزيد، فابن مسعود هو ابن مسعود، كما أنها لا تقلل من شأن من تولوا نسخه؛ لأنهم من الثقات الذين قبلت الأمة علمهم وسارت عليه.

= باللغتين. الزركلي: الأعلام ج٦ ص٣١٣ باختصار. التفسير الكبير مفاتيح الغيب ن: المطبعة البهية- مصر ط١ (ت١٢٥٢هـ-١٩٢٤م) ج١ ص٢١٢.

(١) ينظر/ القرطبي: الجامع مج١ ج١ ص٥٩.

(٢) ابن النديم: الفهرست ص٤٠.

• علمه بالقرآن وأسباب نزوله:

وقد مرّ في أكثر من موضع أن ابن مسعود رضي الله عنه علم القرآن، فأحل حلاله، وحرم حرامه، وعلم ما بدّل منه، وما نسخ، ولذا كان أهلاً لأن يتصدى لتفسير القرآن الكريم، واستنباط الأحكام منه، وبخاصة أنه كان من أكثر الصحابة ملازمة لرسول الله ﷺ حتى أنه يعرف الآية فيما نزلت، وفي أي مكان نزلت، وفي أي وقت، وباختصار فهو من أعلم الصحابة بالقرآن بدون منازع. أخرج البخاري في صحيحه: (عن مسروق قال: قال عبد الله رضي الله عنه: واللهِ الَّذِي لَا إلهَ غَيْرُهُ ما أُنزلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ إلَّا أنا أَعْلَمُ أيْنَ أُنْزِلَتْ ولَا أُنْزِلَتْ آيةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ إلَّا أنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ وَلَوْ أعْلَمُ أحداً أعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللهِ تبلغُهُ الإبِلُ لَرَكِبْتُ إلَيْهِ)(١)، قال أبو وائل: فلما نزل عن المنبر، جلست في الحلق فما أحد ينكر ما قال(٢)، وقد أخرج الطبري في تفسيره رواية أخرى (عن مسروق قال: قال عبد الله: والذي لا إله غيره ما نزلت آية في كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت وأين نزلت...)(٣)، وذكر بقية الرواية التي تؤكد أنه أعلم بكتاب الله من غيره، ولو وجد غيره لارتحل إليه، وما أحد من الحاضرين أنكر عليه ما قاله، ومن الشواهد الدالة على معرفته بمكان النزول، وسببه، بل وحضوره لحظة الوحي، ما جاء في زاد المستنير: (عن عبد الله رضي الله عنه قال: بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث وهو متكئ على عسيب

(١) البخاري: صحيح البخاري بحاشية السندي ج٣ ص٢٢٨.

(٢) ينظر/ المرجع نفسه: ج٣ ص٢٢٨.

(٣) الطبري: تفسير جامع البيان عن تأويل القرآن (تحقيق: محمود محمد شاكر وأخيه) ن: دار المعارف مصر ط٢ لات مج١ ج١ ص٨٠.

(جريد النخل) إذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح . . . فسألوه عن الروح، فأمسك النبي ﷺ فلم يردّ عليهم شيئاً فعلمت أنه يوحى إليه فقمت مقامي فلما نزل الوحي قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾)[١]، ومن الآيات التي بين سبب نزولها، وأنه قد حضر المسألة التي نزلت الآية بسببها، ما رواه هو نفسه، جاء في الجامع الصحيح للترمذي: (عن ابن مسعود: أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة حرام فأتى النبي ﷺ فسأله عن كفارتها فنزلت: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾ [٢] فقال الرجل: ألي هذه يا رسول الله؟ فقال: لك ولمن عمل بها من أمتي)[٣]، ومن يتبع ذلك في كتب التفسير يجد الكثير من ذلك، وكفى ما قاله عقبة بن عامر: (ما أدري أحداً أعلم بما نزل على محمد من عبد الله)[٤].

(١) ابن الجوزي: زاد المستنير في علم التفسير ن: المكتب الإسلامي دمشق ط١ (ت١٢٨٤هـ-١٩٦٤م) ج٧ ص١١٢-١١٤، والآية من سورة الإسراء: ٨٥، و نحوه في القرطبي: الجامع مج٥ ج١٠ ص٣٢٣.

(٢) سورة هود: ١١٤.

(٣) التِّرْمِذي: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي البوغي، أبو عيسى (ت٢٧٩هـ) من أئمة علماء الحديث وحفاظه، من أهل ترمذ تتلمذ للبخاري، وشاركه في بعض شيوخه. وقام برحلة إلى خراسان والعراق والحجاز وعمي في آخر عمره. وكان يضرب به المثل في الحفظ. مات بترمذ. من تصانيفه (الجامع الكبير) باسم (صحيح الترمذي)، و(الشمائل النبوية)، و(التاريخ)، و(العلل). الزركلي: الأعلام ج٦ ص٣٢٢ باختصار. الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي (تحقيق: كمال يوسف الحوت) ن: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان لاط (ت١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) ج٥ ص٢٧٢.

(٤) الذهبي محمد حسين: التفسير والمفسرون ج١ص٨٦.

والمعرفة بسبب النزول منزلة شريفة، ولها خطرها عند التصدي للتفسير، ولذا قال مجاهد: (أحب الخلق إلى الله تعالى أعلمهم بما أنزل)(١)، وهذه المنزلة جعلته يتصدر للتفسير، وبيان ما في القرآن من أحكام، ومعاني، وإيضاح ما أشكل من لفظة، وما تشابه، ولو أمضى في السورة الواحدة يوماً كاملاً (عن مسروق قال: كان عبد الله يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها ويفسرها عامة النهار)(٢)، وهذا السلوك منه اقتداءً برسول الله ﷺ الذي كان يعلمهم المعنى كما يعلمهم اللفظ، نقل السيوطي عن ابن تيمية قوله: (يجب أن يعلم أن النبي ﷺ بيّن لأصحابه معاني القرآن كما بيّن لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (٣) يتناول هذا وهذا)(٤) -أي اللفظ والمعنى-، وقد مر أن ابن مسعود رضي الله عنه إذا اجتمع إخوانه نشروا المصحف فقرأوا، وفسّر لهم، وقد ثبت عنه أيضاً، وعن الصحابة -رضوان الله عنهم- أنهم كانوا يتعلمون العشر آيات، فما ينتقلون إلى غيرها حتى يعلموا ما فيها من العلم، والعمل(٥).

---

(١) القرطبي: الجامع مج١ ج١ ص٢٦.
(٢) الطبري: جامع البيان مج١ ج١ ص٨١.
(٣) سورة النحل: ٤٤.
(٤) السيوطي: الإتقان ج٢ ص١٧٦.
(٥) ينظر/ ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء ج١ ص٤٥٩، والسيوطي: الإتقان ج٢ ص١٧٦.

الفصل الثالث

منزلته بين المفسرين من الصحابة وتأسيسه لمدرسة التفسير بالكوفة وكراهيته التكلف وبيان طريقته في التفسير

• منزلته بين المفسرين من الصحابة:

لمّا كان النبي ﷺ يفسر القرآن لأصحابه لم يكونوا على درجة واحدة من الحضور، والملازمة، فمنهم المقل، ومنهم المكثر؛ لظروف مختلفة لكل واحد منهم، وكان ابن مسعود من الملازمين للنبي ﷺ ولذا أكثر النقل عنه في التفسير، وحين تعرض السيوطي للمفسرين من الصحابة عدّه فيهم قال: (اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس وأبيّ بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير)(١)، ثم بيّن بعد ذلك أن أكثر الخلفاء رواية عنه علي ابن أبي طالب رضي الله عنه؛ لتفرغه عن مهام الخلافة مدة طويلة، وكذلك تأخر وفاته عنهم، وأما الثلاثة الباقون فالمروي عنهم نزر يسير؛ لاشتغالهم بمهام الدولة، وأمور المسلمين، والفتوحات، وتقدم وفاتهم، ثم ذكر السيوطي ابن مسعود بعد الخلفاء مباشرة، وذكر بعده ابن عباس(٢)، وحين رتب الذهبي هؤلاء الصحابة جعل ابن عباس بالمنزلة الأولى، وابن مسعود بالمنزلة الثانية، وحين أراد أن يدلّل على ذلك لم يكن موفقاً لنقله عن السيوطى، وذكر دليلاً مفاده أن ابن مسعود أكثر من عليّ، ولم يفطن بأن الموازنة بين ابن مسعود، وبين ابن عباس لا عليّ(٣)، مع أنه في نفس كتابه (التفسير والمفسرون) أورد طعوناً على ابن عباس من قبل بعض

---

(١) السيوطي: الإتقان ج٢ ص١٨٧.

(٢) ينظر/ المرجع نفسه: ج٢ ص١٨٧.

(٣) ينظر/ الذهبي محمد حسين: التفسير والمفسرون ج١ ص٦٤- ٧٢.

المستشرقين، وأحمد أمين، وحاول الرد عليها، ولم يفعل مثل هذا مع ابن مسعود، بل أتى بالطرق التي روت عنه، وذكر أنها صحيحة، ولم يطعن إلا في طريق واحدة وصفها بالانقطاع، وأنها غير مرضية[١].

وقد نقل القرطبي في تفسيره عن ابن عطية ما خلاصته: (أن الإمام علي بالمنزلة الأولى يتلوه ابن عباس ويكون بعد ذلك ابن مسعود)[٢] (أي أنه بالمنزلة الثالثة)، وسواء أكان بالمنزلة الثانية أم الثالثة، فإن المأخوذ عنه، وعن الصحابة (حسن مقدم لشهودهم التنزيل ونزوله بلغتهم)[٣]، وما أطيب قول النووي حيث يقول: (وكان من كبار الصحابة وساداتهم وفقهائهم ومقدميهم في القرآن والفقه والفتوى)[٤]، وقد مر في الفصل الأول من هذا الباب مكانة قراءته عند الرسول ﷺ، والصحابة ﭫ، ومدى علمه، وإحاطته بالقرآن فهماً، ومعرفة بأسباب النزول، الذي يُعدّ أداة من أدوات تيسير فهم آيات الله -تعالى- والمراد منها، وهذه المنزلة أهلته لأن يكون قاضياً، ومعلماً بالكوفة، فقد ثبت أن عمر بن الخطاب ﭬ أرسله ليعلم أهل الكوفة أمور دينهم، وقد آثرهم به على نفسه، جاء في كتاب أسد الغابة قول عمر بن الخطاب ﭬ: (إني قد بعثت عمار بن ياسر أميراً وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً وهما من النجباء من

---

(١) ينظر/ المرجع نفسه: ج١ ص٧٨-٨٨.

(٢) القرطبي: الجامع مج١ ج١ ص٣٥.

(٣) القرطبي: الجامع مج١ ج١ ص٣٥.

(٤) النووي: تهذيب الأسماء واللغات ج١ ص٢٨٩.

أصحاب رسول الله ﷺ من أهل بدر؛ فاقتدوا بهما وأطيعوا واسمعوا قولهما وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي)(١)، فأنعم به من إثار! فقد أغناهم عبد الله بن مسعود بعلمه الغزير المبارك، وبخاصة بعد أن تفرغ للتدريس، وترك مهام القضاء، وبيت مال المسلمين بالكوفة، فقد كان من طريقته في التعليم، أن ينشر كتاب الله بين تلاميذه، ويفتتح السورة، ثم يفسرها عامة نهاره، مبتدءاً بتفسير القرآن بالقرآن، ثم بما سمع من رسول الله ﷺ، ومن غيره من الصحابة، ثم بما تقتضيه قرائن الأحوال -أسباب النزول-، ثم بما تقتضيه اللغة، ونقله عن رسول الله كان الأحب إليه من أن يتكلف الطرق الأخرى في التفسير.

• تأسيسه لمدرسة التفسير بالكوفة وأثر تلاميذه:

وهذا المنهج أي التمسك بالمسموع من رسول الله ﷺ أو من أحد الصحابة الراوين عنه هو المعروف بالتفسير بالمأثور، وهذا المذهب أسسه ابن مسعود رضي الله عنه بالكوفة، وأصّله هو، وتلاميذه من بعده(٢)، حتى خرجت فيما بعد كتب جمعت أقوال الصحابة من ذلك ما قام به سفيان بن عيينة(٣)، ....

(١) ابن الأثير: أسد الغابة ج٣ ص٢٥٨-٢٥٩.

(٢) ينظر/ الراجحي: عبد الله بن مسعود ص٨١.

(٣) سفيان بن عيينة: بن ميمون العلامة الحافظ شيخ الإسلام أبو محمد الهلالي الكوفي محدث الحرم، ولد سنة سبع ومائة وطلب العلم في صغره سمع عمرو بن دينار والزهري وزياد بن علاقة وأبا إسحاق والأسود بن قيس وزيد بن أسلم وعبد الله بن دينار ومنصور ابن المعتمر وعبد الرحمن بن القاسم وأمماً سواهم، حدث عنه الأعمش وابن جريج =

ووكيع بن الجراح[١]، إلى أن وصل التفسير بالمأثور إلى قمته على يد ابن جرير الطبري، وما قام به السيوطي من جمع ذلك كله في كتابه الموسوم (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) ومما لا شك فيه: (أن أهل الكوفة هم الذين حملوا علم ابن مسعود في التفسير، لوجوده بينهم، يجلس إليهم فيأخذون عنه ويروون له)[٢]، جاء في رواية عن أبي البختري قال: (سئل علي رضي الله عنه عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وبخاصة بعد ما سمعوه من علي رضي الله عنه فقال: عن أيهم تسألون؟ قالوا: أخبرنا عن عبد الله بن مسعود قال: عَلِم

= وشعبة وغيرهم، كان إماماً حجة حافظاً واسع العلم كبير القدر قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز. قال العجلي: كان ابن عيينة ثبتاً في الحديث وحديثه نحو من سبعة الآف ولم يكن له كتب، قال علي بن الجعد: سمعت ابن عيينة يقول: من زيد في عقله نقص من رزقه. اتفقت الأئمة على الاحتجاج بابن عيينة لحفظة وأمانته، مات في جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائة. الذهبي: تذكرة الحفاظ ن: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان لاط لات ج١ ص ٢٦٢-٢٦٥ باختصار.

(١) وكيع بن الجراح بن مليح الإمام الحافظ الثبت محدث العراق أبو سفيان الرواسي الكوفي أحد الأئمة الأعلام، ولد سنة تسع وعشرين ومائة، سمع هشام ابن عروة والأعمش وجعفر بن برقان وإسماعيل بن أبي خالد وابن عون وابن جريج وسفيان والأوزاعي وخلائق، وعنه ابن المبارك مع تقدمه وأحمد وابن المديني ويحيى بن معين وإسحاق وزهير وابنا أبي شيبة وأبو كريب وعبد الله بن هشام وعلي بن حرب وإبراهيم بن عبد الله القصار وأمم سواهم. كان يصوم الدهر ويختم القرآن كل ليلة. وقال أحمد: ما رأيت أوعى للعلم ولا أحفظ من وكيع. قال ابن عمار: ما كان بالكوفة في زمان وكيع أفقه ولا أعلم بالحديث منه. توفي وكيع بفيد راجعاً من الحج سنة سبع وتسعين ومائة يوم عاشوراء. المرجع نفسه: ج١ ص٣٠٦-٣٠٩ باختصار.

(٢) الذهبي: محمد حسين: التفسير والمفسرون ج١ ص٨٧ بتصرف.

القرآن وعلم السنة ثم انتهى وكفى به علماً)[١]، وما أثر عن عقبة بن عامر رضي الله عنه حيث قال: (ما أدري أحد علم بما نزل على محمد ﷺ من عبد الله، فقال أبو موسى: إن تقل ذلك فإنه كان يسمع حين لا نسمع ويدخل حين لا ندخل)[٢]، وهذا الأثر وغيره يدل على غزارة علمه، وإحاطته بكتاب الله لفظاً، ومعناً، قال أبو وائل: (خطبنا ابن مسعود على المنبر فقال: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[٣]، غلوا مصاحفكم، وكيف تأمروني أن أقرأ على قراءة زيد ابن ثابت وقد قرأت القرآن من في رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة وإن زيد بن ثابت ليأتي مع الغلمان له دؤابتان، والله ما نزل من القرآن شيء إلا وأنا أعلم في أي شيء نزل، وما أحد أعلم بكتاب الله مني، وما أنا بخيركم، ولو أعلم مكاناً تبلغه الإبل أعلم بكتاب الله مني لأتيته. قال أبو وائل: فلما نزل عن المنبر جلست في الحلق، فما أحد ينكر ما قال)[٤]، وقال الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون: (وبالجملة فابن مسعود كما قيل: أعلم الصحابة بكتاب الله تعالى، وأعرفهم بمحكمه ومتشابهه وحلاله وحرامه، وقصصه وأمثاله، وأسباب نزوله، قرأ القرآن فأحل حلاله وحرم حرامه، فقيه في الدين، عالم بالسنة، بصير بكتاب الله)[٥]، وخير شاهد على ذلك قول أبي موسى

(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة ج١ ص١٥٧-١٥٨.

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٧ ص٤٤٦-٤٤٧، وابن سعد: الطبقات ج٢ ص٣٤٣.

(٣) سورة آل عمران: ١٦١.

(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٧ ص٤٤٦-٤٤٧.

(٥) الذهبي محمد حسين: التفسير والمفسرون ج١ ص٨٦.

الأشعري: (لا تسألونا عن شيء ما دام هذا الحبر -يعني ابن مسعود- بين أظهرنا)[١]، وقال في مقام آخر: (مجلس كنت أجالسه ابن مسعود أوثق في نفسي من عمل سنة)[٢]، وهذا معاذ بن جبل رضي الله عنه وهو في فراش الموت يقول لمن طلب منه أن يوصيهم بمن يأخذون العلم عنه من بعده، جاء من طريق يزيد بن حمير قال: (لما حضر معاذ الموت قلنا: أوصنا؟ قال: قال: أجلسوني، ثم قال: إن الإيمان والعلم مكانهما من ابتغاهما وجدهما، قالها ثلاثاً، فالتمسوا العلم عند أربعة: أبي الدرداء وسلمان وابن مسعود وعبد الله بن سلام)[٣]، ومما يدل على علمه الواسع أنه سئل رضي الله عنه (بم وجدت العلم؟ قال: بلسان سؤول وقلب عقول)[٤]، وما ذلك إلا لحرصه على نفع نفسه وغيره؛ لعلمه أن تعلم العلم، وتعليمه للناس؛ سعياً لمرضات الله، فيه ثواب عظيم يرشد إلى ذلك ما رواه هو نفسه، جاء في كتاب غرائب القرآن: (عن ابن مسعود مرفوعاً: من طلب العلم

---

(١) حسين يوسف موسى وعبد الفتاح الصعيدي: الإفصاح في فقه اللغة ج٢ ص١٢٦٥، وابن سعد: الطبقات ج٢ ص٣٤٣.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج١ ص٣٥٢.

(٣) المرجع نفسه: ج١ ص٣٩٥.

(٤) النِّظَام النَّيْسَابُوري: الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، نظام الدين (ت بعد ٨٥٠هـ) يقال له الأعرج: مفسر، له اشتغال بالحكمة والرياضيات. منشأه وسكنه في نيسابور. له كتب، منها (غرائب القرآن ورغائب الفرقان)، و(لبّ التأويل)، و(تعبير التحرير)، و(شرح الشافية) وغيرها. الزركلي: الأعلام ج٢ ص٢١٦ بشيء من التصرف. غرائب القرآن ورغائب الفرقان عن الطبعة الأولى- الأميرية ببولاق (ت١٣٢٣هـ) ن: دار المعرفة بيروت-لبنان (ت١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) مج١ ج١ ص٢٢٦ بهامش الطبري.

ليحدّث به الناس ابتغاء وجه الله أعطاه الله أجر سبعين نبياً)[١]، ولم يكتف ابن مسعود بتعلم القرآن، بل قام بتعليمه في المدينة قبل أن يذهب إلى الكوفة، قال السيوطي في الإتقان: (المشتهرون بإقراء القرآن من الصحابة سبعة: عثمان، وعليّ، وأُبيّ، وزيد بن ثابت، وابن مسعود، وأَبو الدَّرداء، وأَبو موسى الأَشعري)[٢]، ومما لا شك فيه أن من تصدى لتعليم شيء، أن يكون ملماً به، عارفاً بجوانبه، فإقراؤه للقرآن يبطل دعوى حكه للفاتحة، والمعوذتين من المصحف، إذ أول ما يبتدئ به متعلم القرآن سورة الفاتحة، واسمها شاهد عليها، كما أن المبتدئ في تعلم القرآن يبدأ به من قصار السور، ومعلوم أن المعوذتين من قصار المفصل، وسيأتي مزيد إيضاح لهذه القضية -أعني ادعاء حكه الفاتحة، والمعوذتين من المصحف- في محلها.

ومن العرض السابق تتبين منزلة ابن مسعود في التفسير، بل في العلوم الشرعية، فهو فقيه، عالم بالقرآن، والسنة، يرجع إلى قوله كبراء الصحابة: كعمر بن الخطاب، وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما وغيرهما، ومن المناسب أن أذكر الطرق الراوية عنه لتفسير كتاب الله -تعالى- كما جاءت في كتاب التفسير والمفسرون للذهبي: (وهذه هي أشهر الطرق عن ابن مسعود:

أولاً: طريق الأعمش، عن أبي الضحى[٣]، عن مسروق، عن ابن مسعود. وهذه

(١) نظام النّيسابوري: غرائب القرآن مج١ ج١ ص٢٢٤-٢٢٥.

(٢) السيوطي: الإتقان ج١ ص٢٥١.

(٣) أبو الضحى: مسلم بن صبيح الهمذاني، توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز، روى عن مسروق وأصحاب عبد الله، وكان ثقة كثير الحديث. ابن سعد: الطبقات ج٦ ص٢٨٨.

الطريق من أصح الطرق وأسلمها، وقد اعتمد عليها البخاري في صحيحه.

ثانياً: طريق مجاهد، عن أبي معمر(١)، عن ابن مسعود. وهذه أيضاً طريق صحيحة لا يعتريها الضعف، وقد اعتمد عليها البخاري في صحيحه أيضاً.

ثالثاً: طريق الأعمش، عن أبي وائل، عن ابن مسعود. وهذه أيضاً طريق صحيحة يخرّج منها البخاري، وكفى بتخريج البخاري شاهداً على صحتها وصحة ما سبق.

رابعاً: طريق السُدي الكبير(٢).

عن مرة الهمذاني(٣)، عن ابن مسعود. وهذه الطريق يخرّج منها الحاكم في مستدركه ويصحح ما يخرّجه، وابن جرير يخرّج منها في تفسيره كثيراً.

خامساً: طريق أبي روق(٤)، عن الضحاك(٥)، عن ابن مسعود. وابن

(١) أبو معمر: عبد الله بن سخبرة الأزدي، ويكنّى أبا معمر، روى عن عمر وعلي و عبد الله وخباب وأبي مسعود وعلقمة، توفي أبا معمر بالكوفة في ولاية عبيد الله بن زياد، وكان ثقة له أحاديث. ابن سعد: الطبقات ج٦ ص١٠٣ باختصار.

(٢) السُّدِّي: إسماعيل بن عبد الرحمن (ت١٢٨) تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة. قال فيه ابن تغري بردي: صاحب التفسير والمغازي والسير: وكان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس. الزركلي: الأعلام ج١ ص٣١٧.

(٣) مرة الهمذاني: مرة الطيب -لقب لكثرة عبادته- ابن شراحيل الهمذاني البكيلي الكوفي، مات سنة ست وسبعين. السيوطي: طبقات الحفاظ ص٢٦.

(٤) أبو روق: واسمه عطية بن الحارث الهمذاني من بطن منهم يقال لهم: بنو وثن من أنفسهم، وهو صاحب التفسير، وروى عن الضحاك بن مزاحم وغيره. ابن سعد: الطبقات ج٦ ص٣٦٩.

(٥) الضَّحَّاك بن مُزاحِم: البلخي الخراساني، أبو القاسم (ت١٠٥هـ) مفسر. كان يؤدب =

جرير يخرّج منها في تفسيره أيضاً، وهذه الطريق غير مرضية، لأن الضحاك لم يلق ابن مسعود فهي طريق منقطعة)[١].

ومهما يكن من شيء فإن ابن مسعود هو الأستاذ الأول لمدرسة التفسير بالكوفة، فقد أخذ عنه العراقيون الكثير من مروياته، وطريقته في استنباط الأحكام، مما لم يكن فيه نص صريح من القرآن، والسنة، بإعمال العقل، وهو ما يعرف بالتفسير بالرأي، وإن كان العراقيون قد غالوا فيه، في حين أن أستاذهم ابن مسعود رضي الله عنه كان لا يلجأ إلى إعمال العقل إلا في اليسير من المسائل، والمعضلات منها بالذات.

وسبب إقبال العراقيين على الأخذ منه يعود إلى أمرين اثنيين:

الأول: ما أشار إليه صاحب كتاب التفسير والمفسرون (وهو أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالأخذ من ابن مسعود والسماع له)[٢].

الثاني: فيما يبدو غزارة علمه، وانتهاء غايته إليه، يدل على ذلك ما مر من نصوص كثيرة من نحو قوله: (والله ما نزل من القرآن شيء إلا وأنا أعلم في أي شيء نزل، وما أحد أعلم بكتاب الله مني، وما أنا بخيركم، ولو أعلم مكانا تبلغه الإبل أعلم بكتاب الله مني لأتيته)[٣]، وما قاله تلميذه مسروق بن الأجذع:

= الأطفال. ويقال: كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي. قال الذهبي: كان يطوف عليهم على حمار! وذكره ابن حبيب تحت عنوان (أشراف المعلمين وفقهاؤهم). له كتاب في (التفسير) توفي بخراسان. الزركلي: الأعلام ج٣ ص٢١٥.

(١) الذهبي محمد حسين: التفسير والمفسرون ج١ ص٨٧-٨٨.

(٢) المرجع نفسه ج١ ص١١٨.

(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٧ ص٤٤٦-٤٤٧، والطبري: جامع البيان مج١ ج١ ص٢٨.

(وجدت علم الصحابة انتهى إلى ستة : عمر وعليّ وأبيّ وزيد وأبي الدرداء وابن مسعود ثم انتهى علمهم إلى عليّ وعبد الله -رضي الله عنهم أجمعين-)(١)، وهذه الشهادة لها قيمتها، إذ أنها صادرة ممن أجهد نفسه في تحصيل العلم، وأخذه من مظانه، ومعلوم أن مسروقاً لم يقتصر في علمه عن ابن مسعود، بل أخذ منه، ومن غيره، جاء في طبقات الحفاظ : (كان مسروق قد خلط منه ومن غيره)(٢)، وقال عنه الشعبي : (ما علمت أحداً كان أطلب للعلم منه)(٣)، وحصر مسروق لعلم الصحابة ستة، ثم جعلهم في اثنين ؛ دليل على تتبعه الشديد، والمتمكن، فهي إذن شهادة لا يستهان بها، وإن كان ابن مسعود رضي الله عنه ليس في حاجة لإثبات علمه، فيكفيه شرفاً قول النبي صلى الله عليه وسلم : (إنك غلام معلم)(٤)، وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (كُنَيْفٌ مُلِئَ عِلْماً)(٥)، غير أن علمه لم يحتكر لنفسه، بل نشره في الكوفة، وأودعه صدور تلاميذه الذين نقلوه عنه بأمانة، وصدق، عملاً، وقولاً، قال علي رضي الله عنه : (رحم الله ابن أم عبد لقد ملأ هذه القرية علماً وفقهاً)(٦)، وقال عنه الشعبي : (ما دخلها أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أنفع علماً ولا أفقه صاحباً منه يعني (ابن مسعود))(٧)، وقال علي رضي الله عنه عن تلاميذه :

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢ ص٢٤٧.
(٢) السيوطي : طبقات الحفاظ ج١ ص٤٩.
(٣) المرجع نفسه : ج١ ص١٢-١٣.
(٤) ابن الأثير : أسد الغابة ج٣ ص٢٥٦.
(٥) ابن سعد : الطبقات ج٣ ص١٥٦.
(٦) المرجع نفسه ج٦ ص١٠.
(٧) المرجع نفسه : ج٦ ص١١.

(أصحاب عبد الله سرج هذه القرية)[١] يعني الكوفة، وقد اشتهر من مدرسته ﵁ ستة كانوا يعلمون القرآن، ويفتون الناس، جاء في الطبقات عن إبراهيم النخغي قال: (كان أصحاب عبد الله الذين يقرؤون ويفتون ستة: علقمة والأسود ومسروق وعبيدة والحارث بن قيس وعمرو بن شرحبيل)[٢]، وخير دليل على أن الناس يصدرون عن أرائهم، وأن المروي من طريقهم موثوق به لا يشك فيه، كان أصحاب الحديث لا يعتمدون حديث علي ﵁ وفتواه إلا إذا جاء من طريق أصحاب ابن مسعود، فقد كانوا أوثق الناس عندهم، أخرج مسلم في صحيحه فقال: (أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ، يَعْنِي ابْنَ عَيَّاشٍ. قال: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ يقُولُ: لَمْ يَكُنْ يَصْدُقُ عَلَى عَلِيٍّ ﵁ في الْحَدِيثِ عَنْهُ، إِلَّا مِنْ أَصْحَابِ عبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ)[٣].

• تفسيره بما سمع من رسول الله ﷺ وكراهيته التكلف وبيان طريقته في التفسير:

ومع هذا العلم الذي أوتيه هو، وتلاميذه بفضل الله -تعالى- فقد كان ﵁ يحرص على التفسير بالمسموع من رسول الله ﷺ إما مباشرة، وإما عن صحابي غيره سمع التفسير من رسول الله ﷺ، وذلك لكراهيته التكلف، وأن يقول في القرآن بما لا يعلم،[٤] (روي عن مسروق عن

(١) المرجع نفسه: ج٦ ص١٠.
(٢) المرجع نفسه: ج٦ ص١٠.
(٣) مسلم: صحيح مسلم ج١ ص١٤.
(٤) قد كان الصديق ﵁ يقول: (أي سماء تظلني! وأي أرض تقلني! وأين أذهب! وكيف أصنع! إذا قلت في حرف من كتاب الله بغير ما أراد تبارك وتعالى). القرطبي: الجامع =

عبد الله بن مسعود قال: من سئل عما لم يعلم فليقل: لا أعلم ولا يتكلف فإن قوله: لا أعلم علم)[١]، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾[٢]، ومما يدل على أنه كان يفسر بما سمع من رسول الله ﷺ، ولا يتكلف من عنده (عنْ مَسْرُوقٍ. قالَ: سَأَلْنا عبْدِ اللهِ (هُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ) عَنْ هذِهِ الآيةِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٣] قالَ: أمَا إنَّا قَدْ سَأَلْنا عَنْ ذَلِكَ (يعني رسول الله ﷺ) فقَالَ: أرْوَاحُهُمْ في جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ. لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ. تَسْرَحُ مِن الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ. فاطَّلَعَ إلَيْهِمْ ربُّهُمُ اطِّلاعَةً. فقال: هلْ تَشْتَهُون شَيْئاً؟ قالُوا: أيَّ شَيْءٍ نَشْتهِي؟ ونَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حيْثُ شِئْنَا. ففَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ. فلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَن يُتْرَكُوا مِنْ أنْ يُسْأَلُوا، قالُوا: يا رَبِّ! نُريدُ أنْ تَرُدَّ أرْوَاحَنَا في أجْسَادِنَا حتَّى نُقْتَلَ في سَبِيلِكَ مرَّةً أُخْرَى. فلَمَّا رَأَى أنْ لَيْسَ لَهُمْ حاجَة تُرِكُوا)[٤]، وذكر بقية التفسير، وقال الحافظ ابن كثير بعد ذكره للحديث: قد جاء نحوه من حديث أنس وأبي سعيد[٥] رضي الله عنهما، وحين أورد الترمذي الرواية في سننه مع اختلاف في بعض الألفاظ قال:

= مج١ ج١ ص٣٤.

(١) القرطبي: الجامع مج٨ ج١٥ ص٢٣١.

(٢) سورة ص: ٨٦.

(٣) سورة آل عمران: ١٦٩.

(٤) مسلم: صحيح مسلم (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي) ج٣ ص١٥٠٢-١٥٠٣.

(٥) ينظر/ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٥٤.

(حديث حسن صحيح)[١]، ومع هذا الحرص من ابن مسعود على التفسير بالمسموع من رسول الله ﷺ إلا أنه في بعض الأحيان يفسر القرآن بالقرآن، كأن يذكر أن آية كذا نسختها آية كذا، كما وقع منه في المرأة الحامل المطلقة، حيث بيّن أن الآية في سورة النساء القصرى يعني بها الطلاق[٢] نسخت الآية الموجودة في سورة البقرة[٣]، وسيأتي مزيد توضيح لهذا في سورة الطلاق، وفي أحيان أخرى يأخذ بعموم القرآن في حكم ما سمعه من رسول الله ﷺ، وهذا الضرب يعرف بتفسير القرآن بالسنة، من ذلك ما جاء في الفتح: (عن علقمة عن عبد الله قال: لعن الله الواشمات[٤] والمتنمصات[٥] والمتفلجات[٦] للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها: أم يعقوب فجاءت؛ فقالت: إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت، فقال: ومالي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ ومن هو في كتاب الله؟ فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين فما

(١) ابن العربي: عارضة الأحوذي ج١١ ص١٤٠.

(٢) الآية: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ سورة الطلاق: ٤.

(٣) الآية: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ سورة البقرة: ٢٢٨.

(٤) الواشمة: فاعلة الوشم. وهي أن تغرز إبرة أو مسلة أو نحوهما في بدن المرأة حتى يسيل الدم. ثم تحشو ذلك الموضع بالكحل... وفاعلة هذا واشمة، والمفعول بها موشومة. وطالبته مستوشمة. مسلم: صحيح مسلم بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ج٣ ص١٦٧٧ بتصرف.

(٥) المتنمصة: وهي التي تطلب النماص، والنامصة التي تفعله، والنماص إزالة شعر الوجه بالمنقاش. ابن حجر: فتح الباري ج١٢ ص٥٠٠.

(٦) المتفلجة: المراد مفلجات الأسنان. بأن تبرد ما بين أسنانها، الثنايا والرباعيات. وهو من الفَلَج. وهي فرجة بين الثنايا. المرجع نفسه: ج٣ ص١٦٧٨.

وجدت فيه ما تقول قال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه أما قرأت: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ (١) قالت: بلى، قال: فإنه قد نهى عنه)(٢)، وقد يأخذ ابن مسعود رضي الله عنه من الآية الواردة في سبب خاص حكماً عاماً إذا كان متفقاً معه في المعنى، مثال ذلك ما روي عنه أنه قال: ((يرحم الله معاذا كان أمةً قانتاً)(٣) فقيل له: يا أبا عبد الرحمن إنما ذكر عز وجل بهذا إبراهيم عليه السلام، فقال ابن مسعود: إن الأمة الذي يعلم الناس الخير وإن القانت هو المطيع)(٤)، وإذا عرض له أمر لم يكن في الكتاب، ولا سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتهد في فهم النص بما أعطاه الله من سعة الفهم، والإدراك، والإحاطة بأسرار العربية، ومعرفته لعادات العرب، وأحوال اليهود والنصارى، وهذه الأمور الأربعة هي التي اعتمد عليها(٥) الصحابة -رضوان الله عنهم- في فهم النص القرآني عند فَقْد ما يدل على المراد صراحةً من الكتاب، أو السنة، وسيتضح هذا من خلال تفسيره لبعض الآيات الآتية في الباب الثالث إن شاء الله -تعالى-.

❁ ❁ ❁

(١) سورة الحشر: ٧.

(٢) ابن حجر: فتح الباري ج١٠ ص٢٥٤.

(٣) وتمام الآية: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ سورة النحل: ١٢٠.

(٤) القرطبي: الجامع مج٥ ج١٠ ص١٩٨.

(٥) ينظر/ الذهبي محمد حسين: التفسير والمفسرون ج١ ص٥٨.

الباب الثالث

ما أثر عن ابن مسعود من تفسير في جميع القرآن وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

في التفسير المروي عنه في ثلث القرآن الأول من الفاتحة إلى نهاية سورة الأنفال

توطئة في بيان معنى التفسير، والتأويل، والفرق بينهما، ونبذة عن نشأة التفسير على يد الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام-.

● التفسير في اللغة:

جاء في أساس البلاغة للزمخشري (فسر: هذا كلام يحتاج إلى فَسْرٍ وتفسير، وفَسَر القرآنَ وفَسَّره . ونظر الطبيب في تَفسِرة المريض وهي ماؤه المستدَلّ به على علّته، وكذلك كلّ ما تَرجم عن حالِ شيءٍ فهو تفسرتُه. ويقال: ما استفسرته عن هذا وما تفسّرته عنه)[(١)]، وورد في مختار الصحاح (الفَسْر البيانُ وبابه ضرب والتفسير مثْلُه. واسْتَفْسَره كذا سأَلَه أن يُفَسِّرَه)[(٢)]،

(١) الزَّمَخْشَرِي: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي، جار الله، أبو القاسم (ت٥٣٨هـ) من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخشر (من قرى خوارزم)، وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلُقب بجار الله. وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية فتوفي فيها. أشهر كتبه (الكشاف) في تفسير القرآن، و(أساس البلاغة)، و(المفصل)، ومن كتبه (المقامات)، و(الجبال والأمكنة والمياه)، و(المقدمة) معجم عربي فارسي، و(مقدمة الأدب) في اللغة، و(الفائق) في غريب الحديث، و(المستقصى) في الأمثال، و(نكث الأعراب في غريب الإعراب)، وله (ديوان شعر) شديد الإنكار على المتصوفة. الزركلي: الأعلام ج٧ ص١٧٨ بتصرف. أساس البلاغة ن: دار ومطابع الشعب القاهرة بمصر لاط (ت ١٩٦٠م) ص٧١٤.

(٢) الرَّازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، زين الدين (ت٦٦٦هـ) صاحب (مختار الصحاح) في اللغة. وهو من فقهاء الحنفية، وله علم بالتفسير والأدب. أصله من الري. زار مصر والشام. ومن كتبه (شرح المقامات الحريرية)، و(حدائق الحقائق) في التصوف، و(الذهب الإبريز في تفسير الكتاب العزيز)، و(روضة الفصاحة) في علم البيان وغير ذلك. الزركلي: الأعلام ج٦ ص٥٥ بتصرف. مختار الصحاح (عني بتصحيحه لجنة من العلماء وضبطه الشيخ حمزة فتح الله) ن: دار المعارف بمصر لاط (ت١٩٧٣م) ص٥٠٣.

وورد في المفردات (فسر: الفَسْرُ إظْهَارُ المَعْنَى المَعقولِ ومنه قيل لِما يُنْبئُ عنه البَوْلُ تَفْسِرَةٌ وسُمِّىَ بهاَ قارُورَةُ الماءِ، والتّفْسِيرُ في المُبَالغَةِ كالفَسْرِ، والتّفْسِيرُ قد يقالُ فيما يخْتَصُّ بمُفْرَداتِ الألفاظ وغَرِيبهَا وفيما يخْتَصُّ بالتأويل، ولهذا يقالُ: تَفْسيرُ الرُّؤْيَا وَتأوِيلُهَا)[1]، وفي لسان العرب (الفسر: البيان، فسر الشيء يفسره بالكسر ويفسره بالضم فسراً، وفسّره أبانه، والتفسير مثله... قال: الفسر كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكِل...)[2].

وهو بهذا الشرح الأخير يفرّق بين مادة فَسَر المخففة ومادة التفسير المأخوذة من فَسّر المشددة، وسيأتي بعد قليل إجمال المعنى لهذه المادة؛ وذلك بعد أن أذكر ما جاء في القاموس المحيط في مادة فسر (الفَسْرُ الإِبانَةُ

(١) الرَّاغِب: الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد. واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي. من كتبه (محاضرات الأدباء)، و(الذريعة إلى مكارم الشريعة)، و(جامع التفاسير)، و(المفردات في غريب القرآن)، و(تحقيق البيان) في اللغة والحكمة، وكتاب في (الاعتقاد) وغيرها. الزركلي: الأعلام ج٢ ص٢٥٥ بشيء من التصرف. المفردات في غريب القرآن (تحقيق: محمد سيد كيلاني) ن: دار المعرفة بيروت - لبنان لاط لات ص٣٨٠.

(٢) ابن مَنْظُور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت٧١١هـ) صاحب (لسان العرب) الإمام اللغوي الحجة. من نسل رويفع بن ثابت الأنصاري. ولد بمصر (وقيل: في طرابلس الغرب) ولي القضاء في طرابلس، ثم عاد إلى مصر وتوفي بها، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد. من أشهر كتبه (لسان العرب)، وله (مختار الأغاني)، و(لطائف الذخيرة) وغيره. وله شعر رقيق. الزركلي: الأعلام ج٧ ص١٠٨ بتصرف. لسان العرب ن: الأميرية ببولاق مصر لاط (ت١٣٠٢ هـ) ج٦ ص٣٦١.

وكشْفُ المُغَطَّى كالتَفْسيرِ والفِعْلُ كضَرَبَ ونَصَرَ ونَظَرُ الطَبِيبِ إلى الماءِ كالتَفْسِرَةِ)[١]، فمادة فسَر إذن تدور حول معنى البيان والإيضاح، والترجمة والكشف لمعنى كلام بكلام آخر أوضح منه، وأدق بالنسبة للمتلقي سامعاً كان أو قارئاً؛ قال الله -تعالى- في سورة الفرقان: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[٢] أي إيضاحاً وتفصيلاً، ومن العرض المتقدم لمادة فسَر لم أر فرقاً إلا عند صاحب اللسان، حيث فرق بين مادة فسَر بتخفيف السين وفسّر بتشديدها، والقرآن استعمل مصدر فسّر المشددة السين، كما هو في الآية المذكورة، والتشديد في المادة يدل على التكثير والمبالغة، لا على تعدية الفعل، وله نظائر في القرآن، كقول الله -تعالى-: ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾[٣] وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾[٤]، ومهما يكن

---

(١) الفِيرُوزَ آبادي: محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي (ت٨١٧ هـ) من أئمة اللغة والأدب. ولد بكارزين. انتقل إلى العراق، وجال في مصر والشام، ودخل بلاد الروم والهند. ورحل إلى زبيد وولي القضاء بها. وانتشر اسمه في الآفاق، حتى كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، وتوفي في زبيد. من أشهر كتبه (القاموس المحيط)، وله (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز)، و(نزهة الأذهان في تاريخ أصبهان)، و(المرقاة الوفية في طبقات الحنفية)، و(البلغة في تاريخ أئمة اللغة) وغيرها. الزركلي: الأعلام ج٧ ص١٤٦ بتصرف. القاموس المحيط والقاموس الوسيط في اللغة ن: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ط٢ (ت١٩٥٢م) ج٢ ص١١٤.

(٢) سورة الفرقان: ٣٣.

(٣) سورة يوسف: ٢٣.

(٤) سورة البقرة: ٤٩.

فالتفسير يستعمل في الكشف الحسي، وفي الكشف عن المعاني المعقولة، واستعماله في الثاني أكثر من استعماله في الأول.

• التفسير في الاصطلاح:

لم يكن للمتقدمين تعريف اصطلاحي للتفسير، وإنما بياناً لمعانيه، حتى إن صاحب البحر قال: (إني لم أقف لأحد من علماء التفسير على رسم له)[١] أي على تعريف اصطلاحي، ثم تكلّف هو وضع مصطلح وبين محترزات المصطلح وهذا نصه: (التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتَتِمات لذلك، فقولنا: علم، جنس يشمل سائر العلوم، وقولنا: يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، هذا هو علم القراءات، وقولنا: ومدلولاتها، أي: مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم، وقولنا: أحكامها الإفرادية والتركيبية، هذا يشمل علم التصريف وعلم الإعراب وعلم البيان وعلم البديع ومعانيها التي تحمل عليها

(١) أَبُو حَيّان: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي الجياني، النِّفْزي، أثير الدين (ت٧٤٥هـ) من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد بغرناطة، ورحل إلى مالقة. ثم أقام بالقاهرة حتى وفاته. اشتهرت تصانيفه في حياته وقرئت عليه. من كتبه (البحر المحيط) في التفسير، و(النهر) اختصار للبحر، و(طبقات نحات الأندلس)، و(تحفة الأريب) في غريب القرآن، و(منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك)، و(النضار) مجلد فيه ترجمته وكثير من أشياخه، و(اللمحة البدرية في علم العربية)، وله (ديوان شعر) مرتب على الحروف وغير ذلك. الزركلي: الأعلام ج٧ ص١٥٢ بتصرف. البحر المحيط في التفسير ن: دار الفكر للطباعة والنشر بيروت- لبنان لاط (ت١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) ج١ ص٢٦.

حالة التركيب، شمل بقوله: التي تحمل عليها ما لا دلالة عليه بالحقيقة وما دلالته عليه بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئاً ويصد عن الحمل الظاهر صاد فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على غير الظاهر وهو المجاز، وقولنا: وتتمات لذلك، هو معرفة النسخ وسبب النزول وقصة توضح بعض ما أبهم في القرآن ونحو ذلك)(١)، وللزركشي مصطلح آخر ذكره في كتابه البرهان: (أنه علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ)(٢)، وعرفه مختصراً صاحب منهج الفرقان بقوله: (علم يبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقصد الطاقة البشرية)(٣)، وأورد السيوطي تعريفاً مطولاً منقولاً عن علماء لم يبين من هم، ونصه: (علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكّيّها ومدنيِّها، ومحكمها

---

(١) أبو حيان: البحر المحيط ج١ ص٢٦.

(٢) الزَّرْكَشِي: محمد بن بهادُر بن عبد الله، أبو عبد الله، بدر الدين (ت٧٩٤هـ) عالم بفقه الشافعية والأصول. تركي الأصل، مصري المولد والوفاة. له تصانيف كثيرة في عدة فنون، منها (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة)، و(لقطة العجلان) في أصول الفقه، و(البحر المحيط)، و(إعلام الساجد بأحكام المساجد)، و(الديباج في توضيح المنهاج)، و(التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح) وغيرها. الزركلي: الأعلام ج٦ ص٦٠ بتصرف. البرهان في علوم القرآن (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم) ن: دار الجيل - بيروت ط١ (ت١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) ج٢ ص١٤٨.

(٣) محمد أبو سلامة: منهج الفرقان ن: مطبعة شبرا ط١ (ت١٩٣٨م) ج٢ ص٦.

ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصّها وعامّها، ومطلقها ومقيّدها، ومجملَها ومفسّرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها)[١]، وقد حوصل هذه التعريفات الأربعة الدكتور عبد الله أحميد بقوله: (وبنظرة فاحصة في هذه التعريفات الأربعة نرى أنها وإن اختلفت من حيث الألفاظ فهي متقاربة من حيث المعنى والغرض الذي تهدف إليه، غير أن السيوطي في التعريف الرابع توسع كثيراً، فشمل علوماً لا شأن للمفسر بها وليس من اختصاصه البحث فيها، وكذلك تعريف أبي حيان الذي شمل علم القراءات والتجويد وعلوم العربية وإنما وصفت هذين التعريفين بالتوسع لأن أهم ما ينبغي أن يقصده المفسر هو التماس هداية الله -تعالى- في كتابه وكلامه الحكيم، وتوضيح تعاليمه وإبراز حكمه واستنباط أحكامه حتى يسهل فهم القرآن وتيسير العمل به)[٢].

---

(١) السُّيُوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري؛ جلال الدين (ت٩١١هـ) إمام حافظ مؤرخ أديب. نشأ في القاهرة يتيماً (مات والده وعمره خمس سنوات) ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، فألف أكثر كتبه بعد ذلك. له نحو ٦٠٠ مصنف، منها (الإتقان في علوم القرآن)، و(الدر المنثور في التفسير بالمأثور)، و(طبقات الحفاظ)، و(طبقات المفسرين)، و(المزهر) في اللغة، و(تنوير الحوالك في شرح موطأ الإمام مالك)، و(مناقب أبي حنيفة)، و(مناقب مالك)، و(تاريخ الخلفاء) وغير ذلك. الزركلي: الأعلام ج٣ ص٣٠١-٣٠٢ بتصرف. الإتقان في علوم القرآن ن: دار الكتاب العربي ط١ (ت١٤١٩هـ - ١٩٩٩م) ج٢ ص٤٢٨.

(٢) د/ عبد الله أحمد عثمان أحميد: التيسير في أصول التفسير ومناهج المفسرين ن: الجامعة المفتوحة طرابلس- الجماهيرية ط١ (ت٢٠٠٠ف) ص١٥.

• التأويل في اللغة:

جاء في القاموس المحيط (وأوّلَ الكَلامَ تَأويلاً وتَأَوَّلَهُ دَبَّرَهُ وقَدَّرَهُ وفَسَّرَهُ، والتأويلُ عبارَةُ الرُّؤْيا وبَقْلَةٌ طَيِّبَةُ الرِيحِ من بابِ التَّنْبيتِ)[١]، وقد أورد قبل هذا للمادة معنى آخر فقال: (وآل على القوم أوْلاً وإيالاً وإيالَةً ولِيَ والمالَ أصْلَحَهُ وساسَهُ)[٢]، أما صاحب اللسان فقد قال: (الأول: الرجوع آل الشيء يؤول أولا ومآلا رجع، وأول الشيء رجعه، وألت عن الشيء ارتدّت، وفي الحديث: (من صام الدهر فلا صام ولا آل) أي ولا رجع إلى خير... قال: وأول الكلام وتأوله دبّره وقدّره وأوله وتأوله فسّره...)[٣]، وفي أساس البلاغة أورد للمادة معان منها: السياسة، والرد، والتقدم، والعاقبة، والتوسم، وذلك بحسب الحقيقة والمجاز أوردها بشيء من التصرف: (آلَ الرعيَّةَ يَؤُولُها إيَالَةً حسَنَةً، وهو حسنُ الإيَالَةِ، وأْتَالَها وهو مُؤْتَالٌ لقومه مِقْتَالٌ عليهم أي سَائِسٌ مُحْتَكِم... وأوَّلَ القرآنَ وتَأَوَّلَه. وهذا مُتَأَوَّلٌ حسنٌ: لطيفُ التأوِيل جِدًّا... وتقول: جملٌ أوَّلٌ، وناقَةٌ أوَّلةٌ إذا تَقَدَّمَا الإبلَ، ويقال: أوَّلَ الحُكْمَ إلى أهله: ردَّه إليهم. ... لا تُعَوِّلْ على الحسب تعويلاً، فتقوى الله أحسنُ تأويلاً أي عاقبةً. وتأمَّلْتُه فتأوَّلْتُ فيه الخيرَ أي تَوَسَّمْتُه وتَحَرَّيْتُه)[٤]، وفي المفردات

(١) الفيروز آبادي: القاموس المحيط ج٣ ص٣٤١.
(٢) المرجع نفسه: ج٣ ص٣٤١.
(٣) ابن منظور: لسان العرب ج١٣ ص٣٣- ٣٤.
(٤) الزمخشري: أساس البلاغة ص٢٥.

للراغب حصر المادة في الرجوع إلى الأصل والغاية المقصودة منه: (أول: التَّأويلُ من الأوْلِ أي الرجوعِ إِلَى الأَصلِ وَمنه المَوْئِلُ للموْضِعِ الذي يُرْجَعُ إِليه وذلك هو رَدُّ الشيءِ إِلى الغايةِ المُرَادةِ منه عِلماً كَانَ أَو فِعْلاً، فَفي العلمِ نحْو: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾[(١)] . . . وقولهُ تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾[(٢)] أَي بَيَانُهُ الذي هو غايَتُهُ المقصودةُ منهُ)[(٣)].

● التأويل في الاصطلاح:

ورد له تعريفان: أحدهما عن السلف؛ قال الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون: (التأويل عند السلف له معنيان أحدهما: تفسير الكلام وبيان معناه، سواء أوافق ظاهره أو خالفه فيكون التأويل والتفسير على هذا مترادفين)[(٤)]، واستدل على ذلك بما أثر عن مجاهد بن جبر[(٥)] من قوله: (إن العلماء يعلمون تأويله يعني القرآن)[(٦)] أي تفسيره وبيانه، ثانيهما: عن الخلف من أصحاب الفقه، والكلام، والحديث والتصوف نصه: (هو

---

(١) سورة آل عمران: ٧.

(٢) سورة الأعراف: ٥٣.

(٣) الراغب: المفردات ص٣١.

(٤) الذهبي محمد حسين: التفسير والمفسرون ج١ ص١٧.

(٥) مُجَاهِد بن جَبْر، أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم (ت١٠١- ١٠٤هـ) تابعي، مفسر من أهل مكة. أخذ التفسير عن ابن عباس، وتنقل في الأسفار، واستقر في الكوفة. ويقال: إنه مات وهو ساجد. الزركلي: الأعلام ج٥ ص٢٧٨ باختصار.

(٦) الذهبي: التفسير والمفسرون ج١ ص١٧.

صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به)[١].

• الفرق بين التفسير والتأويل والنسبة بينهما:

مر في تعريف التأويل اصطلاحاً أنه لا فرق بينه وبين التفسير عند السلف (أي المتقدمين)، فهما كلمتان مترادفتان وإن اختلفتا لفظاً، أما المتأخرون فقد اختلفوا اختلافاً بيّناً في تحديد الفرق بينهما وجعلوها قضية حتى إن ابن حبيب النيسابوري قال: (نبغ في زماننا مفسّرون لو سئلوا عن الفَرْق بين التفسير والتأويل ما اهتدوا إليه)[٢]، ومن القائلين بالفرق أبو منصور الماتريدي[٣] قال: (التفسير: القطْع على أنّ المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عَنى باللفظ هذا، فإنّ قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلّا فتفسير بالرأْي، وهو المنهي عنه. والتأْويل: ترجيح أحد المحتَملات بدون القَطْع والشهادة على الله)[٤]، وممن جاء عنهم الفرق بين التفسير والتأويل أبو طالب التغلبي القائل: (التفسير بيان وضْع اللفظ، إما حقيقة أو مجازاً، كتفسير الصراط: بالطريق، والصيِّب:

(١) الذهبي: التفسير والمفسرون ج١ ص١٨.

(٢) الزركشي: البرهان ج٢ ص١٥٢.

(٣) المَاتُرِيدي: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (ت ٣٣٣هـ) من أئمة علماء الكلام. نسبته إلى ماتريد (محلة بسمرقند) من كتبه (التوحيد)، و(أوهام المعتزلة)، و(الرد على القرامطة)، و(مآخذ الشرائع)، و(الجدل)، و(تأويلات القرآن)، و(تأويلات أهل السنة)، و(شرح الفقه الأكبر المنسوب إلى الإمام أبي حنيفة). مات بسمرقند. الزركلي: الأعلام ج٧ ص١٩.

(٤) السيوطي: الإتقان ج٢ ص٤٢٧.

بالمطر. والتأْويل: تفسير باطن اللفظ، مأْخوذ من الأوْل وهو الرجوع لعاقبة الأمر. فالتأْويل إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير إخبار عن دليل المراد؛ لأنّ اللفظ يكشف عن المراد، والكاشف دليل، مثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ١٤﴾[1]. تفسيره: أنه من الرصْد، يقال: رصدته رقبته، والمرصاد (مِفْعال) منه. وتأْويله: التحذير من التهاون بأمر الله، والغفلة عن الأُهبة، والاستعداد للعرض عليه. وقواطع الأدلَّة تقتضي بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ في اللغة)[2]، كذلك ممن ذهب إلى الفرق بينهما الراغب الأصفهاني حيث جعل التفسير أعم من التأويل، جاء في مقدمته: (التفسير أعم من التأويل وأكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ، والتأويل في المعاني كتأويل الرؤيا، والتأويل يستعمل أكثره في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها، والتفسير أكثره يستعمل في مفردات الألفاظ والتأويل أكثره يستعمل في الجمل، فالتفسير إما أن يستعمل في غريب الألفاظ كالبحيرة والسائبة والوصيلة أو في تبيين المراد وشرحه كقوله -تعالى- في سورة البقرة: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[3]، وإما في كلام مضمن بقصة لا يمكن تصوره إلا بمعرفتها نحو قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾[4]، وقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ

(١) سورة الفجر: ١٤.

(٢) السيوطي: الإتقان ج٢ ص٤٢٧.

(٣) سورة البقرة: ٤٣.

(٤) سورة التوبة: ٣٧.

ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾[١] الآية، وأما التأويل فإنه يستعمل مرة عاماً ومرة خاصاً نحو الكفر المستعمل تارة في الجحود المطلق وتارة في جحود البارئ خاصة، والإيمان المستعمل في التصديق المطلق تارة وفي تصديق دين الحق تارة، وإما في لفظ مشترك بين معان مختلفة نحو لفظ وجد المستعمل من الجد والوجد والوجود)[٢]، وممن نقل عنهم الفرق بين التأويل والتفسير ما أورده الذهبي: (قال البغوي[٣] ووافقه الكواشي[٤]: التأويل هو صرف الآية إلى معنى محتمل يوافق ما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط، والتفسير هو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها)[٥].

---

(١) سورة البقرة: ١٨٩.

(٢) مقدمة التفسير: للراغب ص٤٠٢ - ٤٠٣ نقلاً عن الذهبي: التفسير والمفسرون ج١ ص١٩-٢٠ بآخر كتاب تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار.

(٣) البَغَوي: الحسين بن مسعود بن محمد، الفرّاء، أو ابن الفراء، أبو محمد، محي السنة (ت٥١٠هـ) فقيه، محدث، مفسر. له (التهذيب) في فقه الشافعية، و(شرح السنَة) في الحديث، و(لباب التأويل في معالم التنزيل) في التفسير، و(مصابيح السنة) و(الجمع بين الصحيحين). وتوفي بمرو الروذ. الزركلي: الأعلام ج٢ ص٢٥٩.

(٤) الكَوَاشي: أحمد بن يوسف بن الحسن بن رافع بن الحسين بن سويدان الشيباني الموصلي، موفق الدين أبو العباس (ت٦٨٠هـ) عالم بالتفسير، من فقهاء الشافعية. من أهل الموصل. كان يزوره الملك ومن دونه فلا يقوم لهم ولا يعبأ بهم. من كتبه (تبصرة المتذكر) في تفسير القرآن، و(كشف الحقائق) ويعرف بتفسير الكواشي. و(تلخيص في تفسير القرآن العزيز). كف بصره بعد بلوغه السبعين. الزركلي: الأعلام ج١ ص٢٧٤.

(٥) مقدمة التفسير: للراغب ص٤٠٢-٤٠٣ نقلاً عن الذهبي: التفسير والمفسرون ج١ ص١٩-٢٠.

وأورد السيوطي في كتابه الإتقان قولاً آخر في الفرق بين التفسير والتأويل غير أنه لم يعزهُ إلى أحد هذا نصه: (التفسير يتعلّق بالرواية، والتأْويل يتعلق بالدّراية)(١)، كما نقل عن القشيري(٢): (التفسير مقصور على الاتباع والسماع، والاستنباط مما يتعلق بالتأْويل)(٣)، وقد مال الذهبي إلى أن التفسير ما كان راجعاً إلى الرواية، والتأويل ما كان راجعاً إلى الدراية وعلل ذلك بقوله: (وذلك لأن التفسير معناه الكشف والبيان والكشف عن مراد الله -تعالى- لا نجزم به إلا إذا ورد عن رسول الله ﷺ أو عن بعض أصحابه الذين شهدوا نزول الوحي وعلموا ما أحاط به من حوادث ووقائع وخالطوا رسول الله ﷺ ورجعوا إليه فيما أشكل عليهم من معاني القرآن الكريم، وأما التأويل فملحوظ فيه ترجيح أحد محتملات اللفظ بدليل، والترجيح يعتمد على الاجتهاد ويتوصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في لغة العرب واستعمالها بحسب السياق، ومعرفة الأساليب العربية واستنباط المعاني من كل ذلك)(٤)، وهذا الذي ذهب إليه الأستاذ الذهبي أوجزه السيوطي نقلاً عن بعض

---

(١) السيوطي: الإتقان ج٢ ص٤٢٧.

(٢) القُشَيْري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري، من بني قشير ابن كعب، أبو القاسم، زين الإسلام (ت٤٦٥هـ) شيخ خراسان في عصره، زهداً وعلماً بالدين. كانت إقامته بنيسابور وتوفي فيها. وكان السلطان ألب أرسلان يقدمه ويكرمه. من كتبه (التيسير في التفسير)، و(لطائف الإشارات)، و(الرسالة القشيرية). الزركلي: الأعلام ج٤ ص٥٧.

(٣) السيوطي: الإتقان ج٢ ص٤٢٧.

(٤) الذهبي: التفسير والمفسرون ج١ ص٢٢.

العلماء حيث قال: (ما وقع مبيّناً في كتاب الله ومعيّناً في صحيح السنة سمّي تفسيراً؛ لأنَّ معناه قد ظهر ووضَح، وليس لأحدٍ أن يتعرَّض إليه باجتهاد ولا غيره، بل يحمله على المعنى الَّذي ورد، لا يتعدَّاه. والتأْويل: ما استنبطه العلماء العالمون لمعاني الخطاب، الماهرُون في آلات العلوم)[١]، وأياً ما كان الأمر فقد ذكر هو نفسه في بداية سرد الأقوال: (أن لكل أحد أن يختار ما يوافق ذوقه العلمي ويرتضيه)[٢].

• نبذة عن نشأة التفسير على يد الرسول الكريم ﷺ:

القرآن الكريم كتاب الله المنزل على رسول الله ﷺ بلسان عربي مبين، يسير على طريق العرب في عرض الكلام من حيث أنه يأتي مجملاً وعاماً، ومطلقاً، فيحتاج إلى تبيين، وتفصيل، وتخصيص، وتقييد؛ لذا كان الصحابة ﵃ يسألون رسول الله ﷺ عما أبهم عليهم، وخفي عنهم، ودق معناه؛ لأنه المبلغ عن الله ﷻ، فهو أدرى الناس بما فيه، غير أن العلماء اختلفوا هل الرسول ﷺ فسّر القرآن كله معناً ولفظاً؟ أم اكتفى بتفسير بعضه؟! فاستدل كل فريق بما يؤيد وجهة نظره، فمن أدلة القائلين بأن الرسول ﷺ فسر معاني القرآن كلها:

(أ) قول الله -تعالى- مخاطباً الرسول ﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣]، وجه الدليل في هذه الآية

---

(١) السيوطي: الإتقان ج٢ ص٤٢٨.

(٢) الذهبي: التفسير والمفسرون ج١ ص١٩.

(٣) سورة النحل: ٤٤.

هو البيان، فكما أن الرسول ﷺ بين ألفاظ القرآن كلها يلزم أن يكون قد بيّن معانيه أيضاً، والذي يؤيد هذا ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن)[١]، ومن طرق معرفته للعلم بهن بيان الرسول ﷺ لهم.

(ب) ومن أدلتهم ما روي عن أبي عبد الرحمن السلمي[٢] أنه قال: (حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما: أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل جميعاً، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً)[٣]، فقوله تعلمنا القرآن: يعني الألفاظ، والعلم يقصد به المعاني، ومما لا ريب فيه أن تحصيل العلم يحتاج إلى وقت؛ لذا كان كثير من الصحابة يبقى السنوات في السورة الواحدة حتى يدرك ما فيها من العلم والعمل.

---

(١) ابن كَثِير: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين (ت٧٧٤هـ) حافظ مؤرخ فقيه. ولد ببصرى بالشام، ثم انتقل إلى دمشق، ورحل في طلب العلم. توفي بدمشق. من كتبه (البداية والنهاية)، و(شرح صحيح البخاري) لم يكمله، و(طبقات الفقهاء الشافعيين)، و(تفسير القرآن الكريم)، و(الاجتهاد في طلب الجهاد)، و(جامع المسانيد) وغير ذلك. الزركلي: الأعلام ج١ ص٣٢٠ بتصرف. تفسير القرآن العظيم ن: دار الأندلس - بيروت ط٤ (ت١٩٨٣م) ج١ ص٧.

(٢) أبو عبد الرحمن السلمي: هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة التابعي المقري ثقة ثبت من الثانية (ت٧٢هـ). ينظر/ ابن حجر: تهذيب التهذيب ج٥ ص١٨٣.

(٣) الذهبي: التفسير والمفسرون ج١ ص٤٩-٥٠.

روى مالك[١] في موطئه: (أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، مَكَثَ عَلَى سُورَةِ الْبَقَرَةِ، ثَمَانِيَ سِنِينَ يَتَعَلَّمُهَا)[٢]، والذي حمله على ذلك وغيره من الصحابة رضي الله عنهم قول الله عز وجل: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٣]، وتدبر الآيات المراد منه فهم المعنى، لا مجرد حفظ اللفظ (ومن المعلوم أن كل كلام يقصد منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه والقرآن أولى بذلك من غيره، فهذه الآثار تدل على أن الصحابة -رضوان الله عليهم- تعلموا من رسول الله صلى الله عليه وسلم معاني القرآن كلها كما تعلموا ألفاظه)[٤].

(ج) ومن الأدلة العقلية أن من يقرأ كتاباً في أي ضرب من العلوم لابد وأن يسأل ويستفهم عما فيه، ويطلب شرحه، فليس من المعقول أن يتلقى الصحابة كتاب الله من الرسول صلى الله عليه وسلم دون أن يطلبوا منه بيان معانيه؛ فضلاً عن أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم هو المبتدئ ببيان المعاني.

أما أدلة القائلين بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفسر القرآن كله، فمنها:

---

(١) مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله (ت١٧٩هـ) إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. مولده ووفاته في المدينة. كان صلباً في دينه، بعيداً عن الأمراء والملوك. من كتبه (الموطأ) وله رسالة في (الوعظ) وكتاب في (المسائل) ورسالة في (الرد على القدرية) وكتاب في (النجوم) و(تفسير غريب القرآن). وللسيوطي (تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك). الزركلي: الأعلام ج٥ ص٢٥٧-٢٥٨ بشيء من التصرف.

(٢) الإمام مالك: الموطأ (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي) ن: دار إحياء الكتب العربية لا ط (ت ١٩٥١م) ج١ ص٢٠٥.

(٣) سورة ص: ٢٩.

(٤) الذهبي: التفسير والمفسرون ج١ ص٥٠.

(أ) ما ذكره الطبري[١] في تفسيره: (حدثني جعفر بن محمد الزبيري قال: حدثني هشام ابن عروة[٢] عن أبيه عن عائشة[٣] قالت: ما كان النبي ﷺ يفسر شيئاً من القرآن إلا آياً تعد، علّمهن إياه جبريل عليه السلام)[٤]، والرد على هذا الدليل من أوجه، منها: أنه حديث منكر غريب من جهة روايته عن جعفر، فقد تكلم فيه رجال الحديث من ذلك ما جاء في تفسير ابن كثير: (جعفر هذا هو ابن محمد بن خالد بن الزبير بن العوام القرشي الزبيري، قال البخاري: لا يتابع في حديثه، وقال: الحافظ أبو الفتح الأزدي: منكر الحديث)[٥]، وقد عقب الطبري على راوي الحديث

---

(١) الطَّبَري: محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر (ت٣١٠هـ) المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى. له (أخبار الرسل والملوك)، و(جامع البيان في تفسير القرآن) و(اختلاف الفقهاء) و(المسترشد) في علوم الدين، و(جزء في الاعتقاد)، و(القرآت) وغير ذلك. وهو من ثقات المؤرخين. الزركلي: الأعلام ج٦ ص٦٩ بتصرف.

(٢) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي ثقة فقيه ربما دلس وتغير حفظه في آخر عمره (ت٤٥-٤٦ هـ) ينظر/ النووي: التهذيب ج١١ ص٤٨، وابن حجر: تقريب التهذيب ج٢ ص٣١٩.

(٣) عائشة أم المؤمنين: بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما (ت٥٧-٥٨هـ) وأمها أم رومان بنت عامر، بنى بها النبي ﷺ بالمدينة وهي بنت تسع سنين، قال الزهري لو جُمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي ﷺ وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل، نزل القرآن ببراءتها في حديثة الإفك. ينظر/ ابن عبد البر: الاستيعاب القسم الرابع ص١٨٨١-١٨٨٥.

(٤) الطبري: جامع البيان ن: دار المعرفة بيروت- لبنان لاط (ت١٤٠٣هـ -١٩٨٣م) عن الطبعة الأولى الأميرية بولاق مصر (ت١٣٢٩هـ-١٩٠٣م) ج١ ص٢٩، بهامشه نظام النيسابوري: غرائب القرآن.

(٥) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص١٢.

بقوله: (أما الخبر الذي روي عن عائشة من العلة التي في إسناده التي لا يجوز معها الاحتجاج به لأحد ممن علم صحيح سند الآثار وفاسدها في الدين، لأن راويه ممن لا يعرف في أهل الآثار وهو جعفر بن محمد الزبيري)[١]، ومن أوجه الرد على فرض صحته فإن الحديث محمول على (مغيّبات القرآن وتفسيره مجمله ونحوه هذا مما لا سبيل إليه إلا بتوفيق من الله تعالى. ومن جملة مغيّباته ما لم يُعلِم الله به، كوقت قيام الساعة ونحوه. ومنها ما يستقرأ من ألفاظه كعدد النفخات في الصور، وكرتبة خلق السماوات والأرض)[٢].

(ب) ومن أدلتهم وردهم على الآية السابقة أن النبي ﷺ لم يؤمر بالتنصيص على المراد في جميع الآيات لأجل أن يتفكر الناس في آيات القرآن)[٣]، والرد على هذا أن النبي ﷺ مأمور بالبيان، فلو أشكل القرآن كله على الصحابة لكان يلزمه التبيين، فادعاء أنه لم يبين إلا ما أشكل فيه نظر من حيث أن الصحابة لم يكونوا كلهم في درجة واحدة في الفهم والإدراك، ومما لا شك فيه أن الرسول ﷺ بيّن معظم القرآن، بل

---

(١) الطبري: جامع البيان ج١ ص٣٠.

(٢) د/ آرثر جفري المستشرق الإنجليزي: المقدمتان: المقدمة الأولى المباني مجهولة المؤلف، المقدمة الثانية ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن المحاربي (ت٥٤١ هـ) ن: مكتبة الخانجي بالقاهرة ط١ (ت١٩٥٤م) (صححها د: آرثر جفري) أما الطبعة الثانية لات فقد أشرف على تصحيحها: (عبد الله إسماعيل الصاوي الغرناطي) ص٢٦٢.

(٣) الذهبي: التفسير والمفسرون ج١ ص٥٣.

أكثره؛ وذلك لأن من القرآن ما يسهل إدراكه من جهة القرائن واللغة، فمثل هذا لا يسأل عنه الصحابة رضي الله عنهم؛ لأنهم أهل اللسان، ولهم من الفهم ما يعينهم على إدراك المعنى المراد، ومن القرآن أمور غيبية لم يطلع الله عز وجل عليها نبيه فهذا لا سبيل إلى إدراكه، وبالتالي لم يتعرض الرسول صلى الله عليه وسلم لبيانه، أما ما كان من القرآن مجملاً، وعاماً، وما فيه من أحكام فهذا هو الذي تعرض الرسول- عليه الصلاة والسلام- لبيانه، وتوضيحه، ولعله هو المراد بقول الله -تعالى-: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾(١)، ويؤيد ما ذكر ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تعرفه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله)(٢)، ومما يؤيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفسّر القرآن كله وقوع الاختلاف بين الصحابة في تأويل بعض الآيات، فلو فسّر القرآن كله لما وقع منهم ذلك، أو كان يرتفع بعد ثبوت النص، ولتكملة الفائدة يحسن ذكر بعض النماذج من تفسيرات الرسول صلى الله عليه وسلم:

سورة الفاتحة: (عن أبي ذر(٣) سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن المغضوب عليهم

---

(١) سورة النحل: ٤٤.

(٢) الطبري: جامع البيان ج١ ص٢٦.

(٣) أبو ذر: جندب بن جنادة الغفاري (ت٣٢هـ)، أمه أرملة بنت الوقيعة، أسلم قديماً رابع أربعة ثم رجع إلى قومه حتى مضت بدر وأحد والخندق، ثم أتى المدينة وصحب النبي صلى الله عليه وسلم حتى وفاته، ثم خرج إلى الشام بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه، واستقدمه عثمان رضي الله عنه إلى المدينة ثم نفاه إلى الربذة التي توفي فيها وصلى عليه ابن مسعود رضي الله عنه، روى عنه جماعة من الصحابة وكان =

قال: اليهود، قلت: الضالين؟ قال: النصارى)(١).

سورة البقرة: (عن أبي سعيد الخدري(٢)، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾(٣): قال: من الحيض والغائط والنُّخامة والبُزاق)(٤).

سورة آل عمران: (عن أنس:(٥) أنَّ رسول الله سُئِل عن قول الله تعالى: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾(٦): ما السبيل؟ قال: (الزاد والراحلة)).(٧)

سورة النساء: (عن البراء(٨) سألت رسول الله ﷺ عن الكلالة؟ فقال:

= من أوعية العلم المبرزين في الزهد والورع والقول بالحق، قال عنه الرسول ﷺ، أبو ذر في أمتي شبيه عيسى بن مريم في زهده. ينظر/ابن عبد البر: الاستيعاب القسم الأول ص٢٥٢-٢٥٦.

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٥٤.

(٢) أبو سَعِيد الخُدْري: سعيد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي (ت٧٤هـ) صحابي، كان من ملازمي النبي ﷺ، وروى عنه أحاديث كثيرة. غزا اثنتي عشرة غزوة. وله ١١٧٠ حديثاً. توفي في المدينة. الزركلي: الأعلام ج٣ ص٨٧، وينظر/ ابن عبد البر: الاستيعاب القسم الرابع ص١٦٧١-١٦٧٢.

(٣) سورة البقرة: ٢٥.

(٤) السيوطي: الإتقان ج٢ ص٤٧٧.

(٥) أَنَس بن مالِك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة، أو أبو حمزة (ت٩٣هـ) صاحب رسول الله ﷺ وخادمه. روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثاً. مولده بالمدينة وأسلم صغيراً، وخدم النبي ﷺ إلى أن قبض. ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها. وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة. الزركلي: الأعلام ج٢ ص٢٤-٢٥.

(٦) سورة آل عمران: ٩٧.

(٧) السيوطي: الإتقانج٢ ص٤٨٦.

(٨) البَرَاء بن عَازب بن الحارث الخزرجي، أبو عمارة (ت٧١هـ) قائد صحابي من أصحاب =

ما عدا الولد والوالد)[١].

سورة المائدة: (أخرج الطبراني عن عائشة ﵂ عن رسول الله ﷺ في قوله -تعالى-: ﴿أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ﴾[٢] قال: عباءة لكل مسكين)[٣].

سورة الأنعام: (عن علقمة[٤] عن عبد الله ﵁ قال: لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾[٥] شق ذلك على المسلمين فقالوا: يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه؟ قال: لَيْسَ ذٰلِكَ إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ أَلَمْ تَسْمَعُوا ما قالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ؟ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)[٦].

= الفتوح. أسلم صغيراً وغزا مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة، أولها غزوة الخندق. ولما ولي عثمان الخلافة جعله أميراً على الري (بفارس) سنة٢٤هـ، فغزا أبهر (غربيّ قزوين) وفتحها، ثم قزوين فملكها، وانتقل إلى زنجان فافتتحها عنوة. وعاش إلى أيام مصعب بن الزبير فسكن الكوفة واعتزل الأعمال. وتوفي في زمنه. روى له البخاري ومسلم ٣٠٥ أحاديث. الزركلي: الأعلام ج٢ ص٤٦.

(١) السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور ن: مطبعة الأنوار المحمدية القاهرة لاط (ت١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م) ج٢ ص٢٥٠.

(٢) سورة المائدة: ٨٩.

(٣) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٣١٣.

(٤) علقمة بن قيس: تقدمت ترجمته في تلاميذ ابن مسعود.

(٥) سورة الأنعام: ٨٢.

(٦) البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله (ت٢٥٦هـ) حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله ﷺ، صاحب (الجامع الصحيح)، و(التاريخ)، و(الضعفاء)، و(خلق أفعال العباد)، و(الأدب المفرد). ولد في بخارى، ونشأ يتيماً، وقام برحلة طويلة في طلب الحديث، فزار خراسان والعراق ومصر والشام، وسمع من نحو ألف شيخ، وجمع نحو ست مئة ألف حديث اختار منها في صحيحه ما وثق برواته. =

سورة الكهف: (عن أبي سعيد الخدريّ عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾[(١)]: قال: كعَكَرِ الزيت، فإذا قرَّبه إليه سقطت فروة وجهه فيه)[(٢)].

سورة مريم: (عن أبي هريرة[(٣)]، أنَّ النبي ﷺ قال: (إذا أحبّ الله عبداً نادى جبريل: إني قد أحببتُ فلاناً فأحِبّه، فينادى في السماء، ثم تنزل له المحبّة في الأرض)[(٤)]، فلذلك قوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[(٥)].

سورة يس: (عن أبي ذرّ، قال: سألتُ رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾[(٦)]؟. قال: مستقرُّها تحت العرش)[(٧)].

سورة عم: (أخرج البزار عن ابن عمر[(٨)] عن النبي ﷺ قال: والله لا

= وهو أول من وضع في الإسلام كتاباً على هذا النحو وكتابه في الحديث أوثق الكتب الستة المعول عليها. الزركلي: الأعلام ج٦ ص٣٤ بشيء من التصرف. صحيح البخاري ن: دار إحياء الكتب العربية لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه بحاشية السندي ج٢ ص٢٥٢.

(١) سورة الكهف: ٢٩.

(٢) السيوطي: الإتقان ج٢ ص٥٢١.

(٣) أَبُو هُرَيْرَة: عبد الرحمن بن صخر الدوسي (ت٥٩هـ) صحابي، كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له. نشأ يتيماً ضعيفاً في الجاهلية، وقدم المدينة، فأسلم سنة (٧هـ)، ولزم صحبة النبي، فروى عنه ٥٣٧٤ حديثاً، نقلها عن أبي هريرة أكثر من ٨٠٠ رجل بين صحابي وتابعي. وولي إمرة المدينة مدة. ثم على البحرين، وعزل بعد ذلك لاشتغاله بالعبادة. وتوفي في المدينة. الزركلي: الأعلام ج٣ ص٣٠٨ بشيء من التصرف.

(٤) السيوطي: الإتقان ج٢ ص٥٢٥.

(٥) سورة مريم: ٩٦.

(٦) سورة يس: ٣٨.

(٧) السيوطي: الإتقان ج٢ ص٥٣٦.

(٨) ابن عُمَر: عبد الله بن عمر بن الخطاب العدويّ، أبو عبد الرحمن (ت٧٣هـ) صحابي، =

يخرج من النار أحد حتى يمكث فيها أحقاباً، والحُقْب بضع وثمانون سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً مما تعدون)[١]

فذلك قوله: ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابًا ﴿٢٣﴾﴾[٢].

وفي هذا القدر كفاية، ولمن أراد المزيد فله في الإتقان[٣] للسيوطي المبتغى؛ إذ الغاية من سوق هذه النماذج في هذه الدراسة إثبات أن الرسول ﷺ فسر للصحابة ما غمض عليهم وأشكل معناه، لا حصر التفسير كله.

● التفسير في زمن الصحابة:

منذ أن تلقى المسلمون كتاب الله عن رسوله ﷺ وهم به معنيون، عني به الأولون عناية تدوين، يكتبه الكتّاب عن رسول الله ﷺ يمليه الرسول كما أنزل عليه، ويكتبه الكتاب كما يمليه عليهم الرسول ﷺ كما عنوا به فهماً، واستنباطاً لما فيه، وبحثاً عن دقائقه وأسراره، إما عن طريق سؤال الرسول ﷺ مباشرة، وإما عن طريق أكثر الصحابة ملازمة له، وإما من طريق أسباب النزول، وإما من مقتضيات اللغة، والصحابة -رضوان الله

= من أعز بيوتات قريش في الجاهلية. كان جريئاً جهيراً. نشأ في الإسلام، وهاجر إلى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكة. ومولده ووفاته فيها. أفتى الناس في الإسلام ستين سنة. وعرضت عليه الخلافة فأبى. وغزا إفريقية مرتين. وكفّ بصره في آخر حياته. وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة. له في كتب الحديث ٢٦٣٠ حديثاً. الزركلي: الأعلام ج٤ ص١٠٨ بتصرف قليل.

(١) السيوطي: الدر المنثور ج٦ ص٣٠٨.

(٢) سورة عم: ٢٣.

(٣) ينظر/ السيوطي: الإتقان ج٢ ص٤٧٧-٥٦٧.

عليهم- وإن كانوا أهل اللسان والفصاحة إلا أنهم متفاوتون في الإدراك العقلي، وقوة الفهم، والإحاطة باللغة، والمعرفة لأسباب النزول، وكثرة الملازمة للنبي ﷺ، الأمر الذي نشأ عليه اختلاف في درجات الصحابة لتفسير كتاب الله -تعالى- فكان منهم المكثرون، والمتوسطون، والمقلون، بل بعضهم كان يتحرج من التفسير؛ خوفاً من أن يحمل كلام الله على غير محمله، أو يكون مقصراً في الاجتهاد، ومن الطبقة الأولى (أي المكثرين) علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ولما كان تفسير ابن مسعود مبثوثاً في كتب الأحاديث في أبواب التفسير، وفي كتب التفسير بمختلف مشاربها عزمت على جمعه بحول الله في هذه الدراسة ما وسع لذلك السبيل والله المستعان.

- **من توجيهات ابن مسعود:**

ومن توجيهات ابن مسعود لمن يقرأ القرآن على وجه من الوجوه أن يستمر، ولا يدع تلك القراءة رغبة عنها، فإن ذلك يؤدي إلى الكفر، جاء في النشر (عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قوله: لا تختلفوا في القرآن ولا تتنازعوا فيه، فإنه لا يختلف ولا يتساقط، ألا ترون أن شريعة الإسلام فيه واحدة، حدودها وقراءتها وأمر الله فيها واحد، ولو كان من الحرفين حرف يأمر بشيء ينهى عنه الآخر كان ذلك الاختلاف ولكنه جامع ذلك كله؛ ومن قرأ على قراءة فلا يدعها رغبةً عنها فإنه من كفر بحرف منه كفر به كله)[١]، ومن توجيهاته لمن يقرأ القرآن في الصلاة وغيرها أن له أن

(١) ابن الجزري: النشر ج١ص٥١.

ينتقل من سورة إلى سورة إذا بدا له ذلك، إلا سورة الإخلاص إذا ابتدأها، فليس له أن ينتقل منها إلى غيرها إلا بعد إتمامها، ولم يصرح بالسبب، والذي يتبادر إلى الذهن أن نهيه عن قطع هذه السورة إلى غيرها أنها خاصة بأوصاف الله -تعالى-، وأما غيرها من السور، فإنها مشتملة على أكثر من غرض ومعنى، ذكر صاحب الإتقان في المسألة الأولى أن يقرأ على ترتيب المصحف أقوال متباينة، منهم من منع، ومنهم من أجاز، ومن الموجزين ابن مسعود قال: (إذا ابتدأت في سورة، فأَردت أن تتحوَّل منها إلى غيرها فتحوَّل، إلا ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[1]. فإذا ابتدأت فيها فلا تتحوَّل منها حتى تختمها)[2]، وجاء في النشر نقلاً عن الطبراني بسند صحيح (عن إبراهيم النخعي قال: قال عبد الله بن مسعود ليس الخطأ أن يقرأ بعضه في بعض ولكن الخطأ أن يلحقوا به ما ليس منه)[3]، ولذا أثر عنه عبارة شهيرة اختلف العلماء في المراد منها، وقولته هي: (جرِّدوا القرآن ولا تخلِطوه بشيء)[4]، وقد أوجز السيوطي ذلك الخلاف بالرواية التالية: (قال الحربيّ في غريب الحديث: قول ابن مسعود: جرِّدوا القرآن، يحتمل وجهين: أحدهما: جرّدوه في التلاوة، ولا تخلطوا به غيره. والثاني: جردوه في الخطّ من النقط والتعشير)[5]، وقال

(١) سورة الإخلاص: ١.
(٢) السيوطي: الإتقان ج١ص٣٥٩.
(٣) ابن الجزري: النشر ج١ص١٩.
(٤) السيوطي: الإتقان ج٢ ص٤١٨.
(٥) المرجع نفسه: ج٢ ص٤٢٠-٤٢١، والبيهقي: شعب الإيمان (تحقيق: محمد زغلول) =

البيهقي: الأبين أنه أراد: لا تخلطوا به غيره من الكتب؛ لأن ما خلا القرآن من كتب الله إنما يؤخذ عن اليهود والنصارى، وليسوا بمأمونين عليها[(١)]، وكلا القولين محتملان؛ لورود أخبار تؤيد ذلك، منها على سبيل المثال: ما جاء في الإتقان (عن إبراهيم النخعي: أنه أُتيَ بمصحف مكتوب فيه سورة كذا وكذا آية، فقال: امحُ هذا، فإن ابن مسعود كان يكرهه)[(٢)].

وكذلك نقل عن الحليمي[(٣)] قوله: تكره كتابة الأعشار، والأخماس، وأسماء السور، وعدد الآيات فيه؛ لقوله: (جرِّدوا القرآن)[(٤)]، وما جاء عن البيهقي[(٥)] في الشعب: (من آداب القرآن أن يفخم فيكتب مفرجاً

= ن: دار الكتب العلمية بيروت ط١ (ت ١٤١٠هـ) ج٢ ص٥٤٦-٥٤٧.

(١) ينظر/ السيوطي: الإتقان ج٢ ص٤١٨ ج٢ ص٤٢٠-٤٢١، والبيهقي: شعب الإيمان ج٢ ص٥٤٦- ٥٤٧.

(٢) السيوطي: الإتقان ج٢ ص٤١٩، وابن أبي داود: المصاحف ص١٥٣، والحَلِيمي: الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبد الله (ت٤٠٣هـ) فقيه شافعي، قاض. كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر. مولده بجرجان ووفاته في بخارى. له (المنهاج) في شعب الإيمان. الزركلي: الأعلام ج٢ ص٢٣٥ بتصرف. المنهاج في شعب الإيمان (تحقيق: حلمي فودة) ن: دار الفكر بيروت -لبنان ط١ (ت١٤٠٦هـ) ج٢ ص٢١٢.

(٣) الحَلِيمي: محمد بن أسعد بن محمد بن نصر الحليمي، ويقال ابن حليم، العراقي، أبو المظفر (ت٥٦٧هـ) واعظ من فقهاء الحنفية. نشأ ببغداد، وسكن دمشق، وتوفي بها. من كتبه (تفسير القرآن)، و(شرح المقامات الحريرية)، و(شرح شهاب الأخبار) في الحديث. الزركلي: الأعلام ج٦ ص٣١ باختصار.

(٤) السيوطي: الإتقان ج٢ ص٤١٩.

(٥) البَيْهَقِي: أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر (ت٤٥٨هـ) من أئمة الحديث. ولد في خسر وجرد =

بأحسن خط فلا يصغر ولا تقرمط حروفه ولا يخلط به ما ليس منه كعدد الآيات والسجدات والعشرات والوقوف واختلاف القراءات ومعاني الآيات)، وقد كان توقع ابن مسعود في محله، من حيث خشيته على خلط القرآن بغيره؛ لذا نسبوا إليه من القراءات ما لم يقل به، ولعل تلاميذه، أو الذين جاءوا من بعدهم لما وجدوا التهميشات والتخريجات في المصاحف ظنوا أنها قرآناً أو قراءة، في حين أنها تفسير وإيضاح، كما ثبت في النقول الصحيحة عنه، ولو التزموا بإرشاده، وحثه على تجريد القرآن لما وقع هذا الخلط.

● الاستعاذة:

ورد في الاستعاذة صيغ متعددة لكن المختار منها عند الجمهور: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) (عن زر بن حبيش قال: قرأت على عبد الله بن مسعود فقلت: أعوذ بالسميع العليم فقال لي قل: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) فإني قرأت على النبي ﷺ فقلت: أعوذ بالله السميع العليم فقال لي: يا ابن أم عبد قل: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)، هكذا أخذته عن جبريل)[1]، هذا في القراءة المطلقة، أما في الصلاة

(من قرى بيهق، بنيسابور)، رحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، توفي بنيسابور. ونقل جثمانه إلى بلده. قال إمام الحرمين: ما من شافعي إلا وللشافعي فضل عليه غير البيهقي، لكثرة تصانيفه. صنف زهاء ألف جزء، منها (السنن الكبرى والصغرى)، و(المعارف)، و(الأسماء والصفات)، و(دلائل النبوة)، و(الترغيب والترهيب)، و(الجامع المصنف في شعب الإيمان). الزركلي: الأعلام ج١ص١١٦. شعب الإيمان: ج٢ ص٣٢٣.

(١) ابن الجزري: النشر ج١ص٢٤٤ يوجد بحث قيم في الصيغ المختارة في كتاب النشر ج١ =

فالمأثور عن ابن مسعود أنها تخفى بعد تكبيرة الافتتاح هي والبسملة قبل الشروع في قراءة الفاتحة، جاء في معجم السلف (عن ابن مسعود: يخفي الإمام ثلاثاً: الاستعاذة وبسم الله الرحمن الرحيم وآمين)(١)، ويوجد في هذه المسألة، أعني التعوذ في الصلاة، خلاف بين العلماء بسطه صاحب النشر، لمن أراد التوسع في هذه المسألة(٢)، وكثيراً ما كان عبد الله بن مسعود يتعوذ من الشيطان وما يقع منه من شرور؛ مقتدياً بما رواه عن رسول الله ﷺ (عن أبي عبد الرحمن عن عبد الله: أن النبي ﷺ كان يقول: اللهم إني أعوذ بك من الشيطان، من همزه، ونفثه، ونفخه). فهمزُه: المُوتة، ونفثه: الشعر، ونفخُه: الكبر(٣)، ومعنى همزه: الجنون، ونفخه: الكبر، ونفثه: الشعر، كما جاء في النشر(٤)، وتروى أقوال عن الصحابة في إخفاءها، وإظهارها في الصلاة، وغيرها، وكيفيتها، ومحلها، جمعها صاحب معجم فقه السلف(٥) لمن أراد مزيد فائدة.

= ص٢٤٣ فما بعد، لمن أراد مزيد فائدة، وينظر/ القرطبي: الجامع مج١ ج١ص٦١ وما بعد.

(١) محمد المنتصر الكتاني: أستاذ بجامعة أم القرى (بمكة المكرمة) معجم فقه السلف ن: إدارة المركز العالمي للتعليم الإسلامي مطابع جامعة أم القرى لاط (ت١٤١٠ هـ) ج٢ ص٥٢.

(٢) ينظر/ ابن الجزري: النشر ج١ص٢٥٧ فما بعد، والقرطبي: الجامع مج١ ج١ص٦٢ عند ذكر المسألة الثانية.

(٣) ابن حنبل: المسند ج٥ ص٣١٨.

(٤) ينظر/ ابن الجزري: النشر ج١ص٢٥١.

(٥) ينظر/ الكتاني: معجم فقه السلف ج٢ ص٥٢- ٥٣.

- **وقفة لابد منها:**

قبل الشروع في تفسير البسملة، والفاتحة، يحسن أن نذكر الروايات المنتهية إلى ابن مسعود رضي الله عنه؛ إبطالاً لقول من يدعي أن ابن مسعود كان لا يثبت الفاتحة، والمعوذتين في مصحفه، وهي قراءة ثلاثة من السبعة المعتمدين.

١- قراءة (عاصم بن بهدلة الأسدي[١]، قرأ عاصم على زر بن حبيش على عبد الله بن مسعود على رسول الله ﷺ)[٢]، وهذا صاحب البحر يعتز بقراءته عن عاصم التي ينشأ عليها أهل العراق، فيقول: (وقد وقع لي في بعض القراءات أن بيني وبين رسول الله ﷺ اثني عشر رجلاً وذلك في قراءة عاصم، وهي القراءة التي ينشأ عليها أهل العراق، وهو إسناد أعلى ما وقع لأمثالنا)[٣]، ثم ذكر السلسلة إلى أن قال: (وقرأ عاصم على ابني عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي، وقرأ السلمي على أبيّ بن كعب وعثمان بن عفان وعليّ بن أبي طالب وعبد الله ابن مسعود وزيد بن ثابت وقرأ هؤلاء الخمسة على رسول الله ﷺ)[٤]، وقال ابن حزم في المحلى: (إن القرآن الذي في المصاحف بأيدي المسلمين

---

(١) عاصِم بن بهدلة: عاصم بن أبي النجود بهدلة الكوفي الأسدي بالولاء، أبو بكر (ت١٢٧هـ) أحد القراء السبعة. تابعي، من أهل الكوفة، ووفاته فيها. كان ثقة في القراآت، صدوقاً في الحديث. قيل: اسم أبيه عبيد، وبهدلة اسم أمه. الزركلي: الأعلام ج٣ ص٢٤٨.

(٢) نظام النيسابوري: غرائب القرآن مج١ ج١ص١٠ بهامش الطبري.

(٣) أبو حيان: البحر المحيط ج١ص٢٣.

(٤) المرجع نفسه ج١ص٢٣.

شرقاً وغرباً فما بين ذلك من أول أم القرآن إلى آخر المعوذتين كلام الله ﷻ ووحيه أنزله على قلب نبيه محمد ﷺ، من كفر بحرف منه فهو كافر . . . وكل ما روي عن ابن مسعود من أن المعوذتين وأم القرآن لم تكن في مصحفه فكذب موضوع لا يصح، وإنما صحت عنه قراءة عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود وفيها أم القرآن والمعوذتان)[١] .

٢- قراءة (حمزة بن حبيب الزيات العجلي[٢]، قرأ على سليمان بن مهران الأعمش على يحيى بن وثاب على زر بن حبيش على عليّ بن أبي طالب وعثمان وابن مسعود على النبي ﷺ)[٣] .

٣- قراءة (عليّ بن حمزة الكسائي[٤] قرأ على حمزة بن حبيب على يحيى بن وثاب على زر بن حبيش على عثمان وعليّ وابن مسعود على النبي ﷺ)[٥] .

---

(١) ابن حزم: المحلى ن: دار الآفاق الجديدة بيروت -لبنان لاط لات ج١ص١٣.
(٢) حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، التيمي، الزيات (ت١٥٦هـ) أحد القرّاء السبعة. كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان ويجلب الجبن والجوز إلى الكوفة. مات بحلوان. كان عالماً بالقراآت. قال الثوري: ما قرأ حمزة حرفاً من كتاب الله إلا بأثر. الزركلي: الأعلام ج٢ ص٢٧٧ بتصرف.
(٣) نظام النيسابوري: غرائب القرآن مج١ ج١ص١٠-١١ بهامش الطبري.
(٤) عليّ بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء، الكوفي، أبو الحسن الكسائي (ت١٨٩هـ) إمام في اللغة والنحو والقراءة. من أهل الكوفة. قرأ النحو بعد الكبر، وتنقل في البادية، سكن بغداد، وتوفي بالريّ. له تصانيف، منها (معاني القرآن)، و(المصادر)، و(الحروف)، و(القراآت)، و(النوادر)، ومختصر في (النحو)، و(المتشابه في القرآن). الزركلي: الأعلام ج٤ ص٢٨٣ بتصرف.
(٥) نظام النيسابوري: غرائب القرآن مج١ج١ص١١ بهامش الطبري.

فهذه القراءات الثلاثة المنتهية إلى ابن مسعود، وغيره من الصحابة ﷺ فيها الفاتحة، والمعوذتان بلا ريب (قال القاضي أبو بكر: فلم يصح عنه أنهما ليسا بقرآن، ولا حُفظ عنه أنه حكّهما وأسقطهما من مصحفه لعللٍ وتأويلات. قال القاضي: ولا يجوز أن يضافَ إلى عبد الله أو إلى أبيّ بن كعب، أو زيدٍ أو عثمان أو عليّ، أو واحد من ولده أو عترته جَحْد آية أو حرف من كتاب الله وتغييره أو قراءته على خلاف الوجه المرسوم في مصحف الجماعة بأخبار الآحاد، وأن ذلك لا يحلّ، ولا يُسمع، بل لا تصلح إضافته إلى أدنى المؤمنين في عصرنا، فضلاً عن إضافته إلى رجل من الصحابة)[(١)].

- **البسملة:**

- **فضل البسملة:**

ورد في فضل البسملة آثار كثيرة، منها ما جاء عن النبي ﷺ: (كل أمرٍ لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أجذم)[(٢)]، ومعظم كتب التفسير جعلت لها فصلاً قد يطول، وقد يقصر، من ذلك ما ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره[(٣)]، والقرطبي في جامعه[(٤)]، وقد أسهب فيها أيمّا إسهاب، ومما رواه في المسألة الثانية عن ابن مسعود رضي الله عنه: (من أراد أن ينجيه الله

(١) الزركشي: البرهان ج١ص١٢٧.
(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ص٣٣.
(٣) ينظر/ المرجع نفسه: ج١ص٣٢-٣٤.
(٤) ينظر/ القرطبي: الجامع مج١ ج١ص٦٥ فما بعد.

من الزبانية التسعة عشر فليقرأ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ليجعل الله تعالى له بكل حرف منها جُنّة من كل واحد)[١]، ثم تناول القرطبي بالشرح بعد هذه الرواية بيان المقصود من قول عبد الله رضي الله عنه: (فالبسملة تسعة عشر حرفاً على عدد ملائكة أهل النار الذين قال الله فيهم: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[٢]، وهم يقولون في كل أفعالهم: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فمن هنالك هي قوّتهم، وببسم الله استضلعوا)[٣] [استضلعوا: أي تقووا].

ومما جاء تعقيباً على رواية ابن مسعود ما ذكره ابن عطية في مقدمته: (هذه من ملح التفسير وليست من متن العلم. وهي نظيرة قولهم في ليلة القدر: إنها ليلة سبع وعشرين مرَاعاة اللفظة[٤] هي في كلمات سورة: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾. ونظير قولهم في عدد الملائكة الذين ابتدروا قول القائل: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فإنها بضعة وثلاثون حرفاً. قالوا: فلذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: لقد رأيت بضعةً وثلاثين مَلَكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أولاً)[٥]، ومما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه في شأن البسملة

---

(١) المرجع نفسه: مج١ ج١ص٦٥، و ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٣٣.

(٢) سورة المدثر: ٣٠.

(٣) القرطبي: الجامع مج١ ج١ص٦٥.

(٤) يشير بذلك إلى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تحديد ليلة القدر بأنها ليلة السابع والعشرين. ينظر/ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٧ص٣٣٧، وجاء في القرطبي: (ليلة القدر كُرر ذكرها ثلاث مرات، وهي تسعة أحرف، فتجيء سبعاً وعشرين). القرطبي: الجامع مج١٠ ج٢٠ ص٩٢.

(٥) آرثر جفري والصاوي: المقدمتان مقدمة ابن عطية ص٢٨٨.

قوله: (كنا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم)[١]، وقد اختلف العلماء في البسملة هل هي آية من كل سورة بما في ذلك الفاتحة، أم أنها آية مستقلة؟ مع اتفاقهم على أنها بعض آية من سورة النمل، وقد بسط هذا الخلاف القرطبي في جامعه عند المسألة الرابعة[٢]، وقد مر قريباً أن ابن مسعود يخفي البسملة في الصلاة، وبقوله وقول عليّ، وعمر رضي الله عنهم أخذ الإمام أبو حنيفة، والثوري كما جاء في كتاب الجامع[٣]، أما عن معنى الرحمن الرحيم، والفرق بينهما، فقد أثر عن ابن مسعود رضي الله عنه حديثاً يرفعه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الرحمن رحمن الدنيا والآخرة، والرحيم رحيم الآخرة)[٤].

(١) نظام النيسابوري: غرائب القرآن مج١ج١ص٧٧ بهامش الطبري.
(٢) ينظر/ القرطبي: الجامع مج١ج١ص٦٦.
(٣) ينظر/ المرجع نفسه: مج١ج١ص٦٨.
(٤) آرثر جفري والصاوي: المقدمتان مقدمة ابن عطية ص٢٩٢، والطبري: جامع البيان مج١ج١ص٤٣.

الفصل الأول

في التفسير المروي عنه في ثلث القرآن الأول

من الفاتحة إلى نهاية سورة الأنفال

سورة الفاتحة

قال صاحب غرائب القرآن: (نقل عن ابن مسعود أنه كان ينكر أن تكون الفاتحة والمعوذتان من جملة القرآن والظن به أن هذا النقل عنه كذب)[١]، ومما يؤيد ما ذهب إليه من أن النقل عنه كذب ثلاثة أمور: الأول: ما حكاه الباقلاني في ترتيب مصاحف الصحابة (... قال: وأول مصحف ابن مسعود ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ ثم البقرة ثم النساء على ترتيب مختلف)[٢]، والمقصود بمالك يوم الدين: سورة الفاتحة. الثاني: كيف يكون منكراً لها، ثم يروون عنه تفسير معظمها. والثالث: جعله سورة الفاتحة واجبة في كل ركعة من ركعات الصلاة، وأنها إذا تركت في ركعة بطلت تلك الصلاة؛ لأن: (الفاتحة واجبة في كل ركعة فإن تركها في ركعة بطلت صلاته وبه قال أبو بكر وعمر وعليّ -رضي الله عنهم- وابن مسعود ومعظم الصحابة)[٣]، وقد اعتمد على هذا النقل الإمام الشافعي، حيث أن الفاتحة واجبة عنده في كل ركعة، وذهب الإمام أبو حنيفة إلى أنها واجبة في الركعتين الأوليين، أما الإمام مالك فهي عنده واجبة في معظم الصلاة، وردت هذه الأقوال وغيرها في كتاب الغرائب[٤].

---

(١) نظام النيسابوري: غرائب القرآن مج١ج١ص٨٨ بهامش الطبري.
(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٧ ص٤٦٥ نقلاً عن الباقلاني.
(٣) نظام النيسابوري: غرائب القرآن مج١ج١ ص٨١ بهامش الطبري.
(٤) ينظر/ المرجع نفسه: مج١ج١ ص٨١.

قوله -تعالى-: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ .

أورد الطبري في تفسيره (عن مرة الهمذاني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ملك يوم الدين هو يوم الحساب)(١)، وفي تفسير القرطبي: (الدِّين: الجزاء على الأعمال والحساب بها؛ كذلك قال ابن عباس وابن مسعود وابن جريج وقتادة وغيرهم)(٢).

قوله -تعالى-: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ .

الصراط المستقيم كتاب الله، والإسلام، كما أثر عن ابن مسعود فيما ذكر الطبري من طريقين: الأول: (عن أبي وائل قال: قال عبد الله: الصراط المستقيم؛ كتاب الله)(٣)، أما الطريق الثاني: (عن مرة الهمذاني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب النبيﷺ ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ الإسلام)(٤)، وهذه الطريق ذكرها ابن كثير في تفسيره(٥)، أما طريق أبي وائل فقد ذكرها بلفظ مختلف: (عن أبي وائل عن عبد الله قال: الصراط المستقيم الذي تركنا عليه رسول الله ﷺ)(٦)، وفي الدر المنثور: (عن ابن مسعود قال: الصراط المستقيم تركنا رسول الله ﷺ على طرفه والطرف الآخر في

(١) الطبري: جامع البيان مج١ ج١ص٥٧.
(٢) القرطبي: الجامع مج١ ج١ص١٠٠.
(٣) الطبري: جامع البيان مج١ ج١ص٥٧، والسيوطي: الدر المنثور ج١ص٢١.
(٤) الطبري: جامع البيان مج١ ج١ص٥٨.
(٥) ينظر/ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ص٥٠.
(٦) المرجع نفسه: ج١ص٥١.

الجنة)[١]، وفي البرهان للزركشي: (قال عبد الله بن مسعود: في قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ قال: القرآن يقول: أرشدنا إلى علمه)[٢]، فهذه المرويات وإن اختلفت ألفاظها، إلا أن المعنى فيها واحد، فكتاب الله متضمن لشرائع الإسلام، وما تركهم عليه النبي ﷺ هو الإسلام بكل شرائعه وجزئياته، ولعل ابن مسعود خاطب كل إنسان بما يوافق فهمه.

قوله -تعالى-: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ .

المغضوب عليهم: اليهود، والضالين: النصارى، روى ابن جرير (عن مرة الهمذاني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ غير المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى)[٣]، وهذا المعنى وارد من طرق أخرى غير ابن مسعود مرفوعاً إلى النبي ﷺ من ذلك: (قال عدي بن حاتم[٤] سألت النبي ﷺ عن قول الله ﷻ: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾؟ قال: هم اليهود، ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾؟ قال: النصارى)[٥]، ولعل ابن مسعود يكون من

---

(١) السيوطي: الدر المنثور ج١ص٢١.

(٢) الزركشي: البرهان ج١ص٧.

(٣) الطبري: جامع البيان مج١ج١ص٦٢-٦٤.

(٤) عَدِيّ بن حاتِم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي، أبو وهب وأبو طريف (ت٦٨ هـ) أمير، صحابي، من الأجواد العقلاء. رئيس طيىء في الجاهلية والإسلام. أسلم في السنة التاسعة من الهجرة. شارك في حروب الردة. شهد فتح العراق، والجمل وصفين والنهروان مع علي. وهو ابن حاتم الطائي الذي يضرب به المثل في الجود. مات بالكوفة. له في السنن ٦٦ حديثاً. الزركلي: الأعلام ج٤ ص٢٢٠ بتصرف.

(٥) الطبري: جامع البيان مج١ج١ص٦١-٦٤، والسيوطي: الإتقان ج٢ ص٤٧٧.

الذين سمعوا هذا التفسير من الرسول ﷺ، ولم يرفعه؛ لوضوح المعنى المقصود (يستحب لمن يقرأ الفاتحة أن يقول بعدها: آمين مثل يس... والدليل على استحباب التأمين... ما رواه وائل بن حجر[(١)] قال: سمعت النبي ﷺ قرأ ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فقال: آمين، مدّ بها صوته... وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وروي عن عليّ وابن مسعود وغيرهم)[(٢)]، في هذا النص ورد رفع الصوت بآمين عن رسول الله ﷺ، والمروي عن ابن مسعود إخفاء لفظة آمين، جاء في معجم فقه السلف: (عن ابن مسعود: يخفي الإمام ثلاثاً: الاستعاذة، وبسم الله الرحمن الرحيم، وآمين)[(٣)]، ومسألة الجهر بآمين، وإخفاءها، وهل يقولها الإمام أم المأموم فقط؟ بحث قيم بسط القول فيه كل من القرطبي[(٤)]، والحافظ بن كثير[(٥)]، فلا معنى لأعادتها هنا.

---

(١) وائل بن حُجْر الحضرمي القحطاني، أبو هنيدة (ت نحو ٥٠هـ) من أقيال حضر موت، وكان أبوه من ملوكهم. وفد على النبي (ﷺ) فرحب به، وبسط له رداءه فأجلسه معه عليه. وقال: اللهم بارك في وائل وولده. وأرسل معه معاوية بن أبي سفيان إلى قومه يعلّمهم القرآن والإسلام. شارك في الفتوح. نزل الكوفة. واستقر بها. روى عن النبي (ﷺ) أحاديث. الزركلي: الأعلام ج٨ ص١٠٦ بتصرف.

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ص٥٦.

(٣) الكتاني: معجم فقه السلف ج٢ ص٥٢.

(٤) ينظر/ القرطبي: الجامع مج١ج١ص٨٩-٩٢ وبخاصة المسألة السادسة.

(٥) ينظر/ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ص٥٥-٥٧.

تفسير سورة البقرة

قبل البدء في تفسيرها يحسن إيراد ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً، وموقوفاً في فضلها، وخواصها، من ذلك ما رواه الدارمي[(١)] (عن عبد الله قال: ما من بيت يُقرأ فيه سورة البقرة إلا خرج منه الشيطان وله ضراط. وقال: إن لكل شيء سَناما وإن سَنام القرآن سورةُ البقرة، وإن لكل شيء لُباباً وإن لُباب القرآن المفصّل. قال أبو محمد الدارميّ: اللُّباب: الخالص)[(٢)]، ومما رُوي من طريق أبي الأحوص (عن عبد الله -يعني ابن مسعود رضي الله عنه- قال: إن الشيطان يفر من بيت يسمع فيه سورة البقرة)[(٣)]، هذان الأثران موقوفان على ابن مسعود، وقد جاء من طريق أبي الأحوص في رواية أخرى حديث مرفوع إلى النبي ﷺ (عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: لا ألفين أحدكم يضع إحدى رجليه على الأخرى يتغنى ويدع سورة البقرة يقرؤها، فإن الشيطان ينفر من البيت تقرأ فيه سورة البقرة، وإن أصغر البيوت الجوف الصفر من كتاب الله)[(٤)]، أي الخالي، والمتحصل من هذه الآثار

(١) الدَّارمي: عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي الدارمي السمرقندي (ت٢٥٥هـ) من حفاظ الحديث. واستُقضي على سمرقند. وكان عاقلاً فاضلاً مفسراً فقيها. له (المسند) في الحديث، و(الجامع الصحيح) ويسمى (سنن الدارمي) وله (الثلاثيات). الزركلي: الأعلام ج٤ ص٩٥-٩٦ بقليل من التصرف.

(٢) القرطبي: الجامع مج١ج١ص١٠٧، والسيوطي: الدر المنثور ج١ص٢٥-٢٦.

(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ص٥٨.

(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ص٥٩.

أن لسورة البقرة فضلاً، وقدراً كبيراً[١] عند الله -سبحانه وتعالى-، وإن كان القرآن كله من عنده إلا أن لله أن يفضل ما يشاء على ما يشاء، كما فضل بعض الرسل على بعض، والمقصود الترغيب في تلاوة هذه السورة، وتدبر معانيها، ومعرفة الأحكام الواردة فيها، ومن خواصها ما رواه الشعبي[٢] (عن عبد الله بن مسعود: من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في ليلة لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة، أربع من أولها وآية الكرسي، وآيتان بعدها، وثلاث آيات من آخرها، وفي رواية لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان. ولا شيء يكرهه ولا يقرأن على مجنون إلا أفاق)[٣]، ومن خواصها أنها، وسورة آل عمران فيهما اسم الله الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، جاء في الأثر (عن ابن مسعود أنه قرأ

(١) في تفضيل بعض القرآن على بعض بحث قيم جمع أطرافه محمَّد حَقِّي بن علي بن إبراهيم النَّازِلي (ت١٣٠١ هـ) فاضل متصوف في كتابه خزينة الأسرار. من مؤلفاته (السنوحات المكية)، و(طب القرآن)، و(خزينة الأسرار)، و (البدور المسفرة) رسالة في أحاديث المغفرة وغيرها. الزركلي: الأعلام ج٦ ص١٠٨ بشيء من التصرف. خزينة الأسرار ن: مكتبة الإيمان المنصورة - مصر ط١ لات ص١٨٥-١٨٨.

(٢) الشعبي: عامر بن شراحيل أبو عمرو الكوفي، ولد لست سنين مضت من خلافة عمر رضي الله عنه على المشهور، وأدرك خمسمائة من الصحابة، وقال: ما كتبت سوداء في بيضاء قط، ولا حدثني رجل بحديث فأحببت أن يعيده عليّ، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته. وقال أبو مخلد: ما رأيت أفقه من الشعبي. وقال عبد الملك بن عمير: مرّ ابن عمر على الشعبي وهو يحدث بالمغازي فقال: لقد شهدت القوم فلهو أحفظ لها وأعلم. بها مات سنة ثلاث ومائة -عشر ومائة. السيوطي: طبقات الحفاظ ن: مكتبة وهبة مصر ط١ (ت١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م) ص٣٢-٣٣.

(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ص٥٩.

عنده رجل سورة البقرة وآل عمران فقال: قرأت سورتين فيهما اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى)[١]، والاسم الأعظم الذي يشير إليه: الحي القيوم الوارد في آية الكرسي من سورة البقرة، وفي أول آل عمران، ومن خواصهما ما أخرجه الطبراني[٢] في الأوسط: (عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ ما خيب الله امرأً قام في جوف الليل فافتتح البقرة وآل عمران)[٣]، نعم ما خاب من قرأها في جوف ليل، أو في غيره، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة (أي السحرة)، كما أثر عن النبي ﷺ، والأثر الآتي يجمل فضلها لمن تدبره، أخرج الطبراني: (عن ابن مسعود قال: من قرأ سورة البقرة فقد أكثر وأطاب)[٤]، هذا فيما يخص الفضائل، أما عن تسميتها سورة البقرة، وغيرها من السور، فقد كره بعض الأفاضل أن يقال سورة النمل، أو الدخان، وما أشبه ذلك، وقالوا الأفضل أن يقال السورة التي يذكر فيها[٥] الدخان، والفيل، وذهب غيرهم إلى جواز تسمية السورة بسورة

(١) السيوطي: الدر المنثور ج١ص٢٤-٢٥.

(٢) الطَّبَراني: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (ت٣٦٠هـ) من كبار المحدثين. له ثلاثة (معاجم) في الحديث (المعجم الصغير، والأوسط، والكبير)، وله كتب في (التفسير) و(دلائل النبوة) و(الأوائل). الزركلي: الأعلام ج٣ ص١٢١ بتصرف.

(٣) السيوطي: الدر المنثور ج١ص٢٥.

(٤) المرجع نفسه: ج١ص٢٧.

(٥) منهم ابن جرير الطبري. ينظر/ تفسيره: جامع البيان مج١ج١ص٦٧.

النحل، والعنكبوت، مستدلين بما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه جاء في الدر المنثور: (عن جامع بن شداد قال: كنا في غزاة فيها عبد الرحمن ابن يزيد[١] ففشا في الناس أن ناساً يكرهون أن يقولوا سورة البقرة وآل عمران؛ حتى يقولوا السورة التي يذكر فيها البقرة والسورة التي يذكر فيها آل عمران فقال عبد الرحمن: إني أسمع عبد الله بن مسعود إذا استبطن الوادي فجعل الجمرة على حاجبه الأيمن ثم استقبل الكعبة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فلما فرغ قال: من هاهنا والذي لا إله غيره رمى الذي أنزلت عليه سورة البقرة)[٢]، ومما يتعلق بذكر سورة البقرة ما روي (عن مسدد[٣] عن ابن مسعود قال: من حلف بسورة البقرة وفي لفظ سورة من القرآن فعليه بكل آية منها يمين)[٤]، وفي رواية (عن عبد الله بن حنظلة[٥] قال: أتيت مع عبد الله بن مسعود السوق فسمع رجلاً يحلف بسورة البقرة فقال: ابن مسعود

---

(١) عَبْد الرَّحْمن بن يَزِيد بن جارية الأنصاري المدني، أبو محمد (ت٩٨هـ) تابعي، من رجال الحديث الثقات. ولد في حياة الرسول ﷺ وولي القضاء لعمر بن عبد العزيز. قال الأعرج: ما رأيت رجلاً بعد الصحابة أفضل منه. الزركلي: الأعلام ج٣ ص٣٤٢ بتصرف يسير.

(٢) السيوطي: الدر المنثور ج١ص٢٣-٢٤.

(٣) مسدَّد بن مُسَرْهَد بن مسربل الأسدي البصري، أبو الحسن (ت٢٢٨ هـ) محدّث. أول من صنف (المسند) بالبصرة. الزركلي: الأعلام ج٧ص٢١٥ باختصار.

(٤) السيوطي: الدر المنثور ج١ص٢٨.

(٥) عبد الله بن عمرو: (حنظلة) بن صيفيّ بن النعمان من الأوس (ت٦٣-٦٤هـ) من أعلام التابعين وشجعانهم المعدودين. قتل أبوه وخلَّفه جنيناً. تولى إمارة أهل المدينة (يوم الحرة) فقاتل حتى قتل. الزركلي: الأعلام ج٤ ص٩٩ بتصرف.

أما إن عليه بكل آية يميناً)(١)، وفي رواية ثالثة (عن إبراهيم النخغي(٢) عن ابن مسعود قال: من كفر بحرف من القرآن فقد كفر به أجمع ومن حلف بالقرآن فعليه بكل آية يمين)(٣)، فهذه المرويات الثلاثة تثبت حكماً واحداً، وهو أن على الحالف بالقرآن إذا حنث عليه بكل آية كفارة، ولم يخالفه في هذا الحكم صحابي، ومع ذلك اختلف الذين جاءوا من بعد الصحابة في الحكم بالحلف بالمصحف، هل تلزمه كفارة إذا حنث، أم لم تلزمه؟ كما اختلفوا في قدر الكفارة، هل هي كفارة واحدة، أم بكل آية؟ كما ذكر ابن مسعود رضي الله عنه، وقد جاء في المحلى حديث عن رسول الله ﷺ بالحكم الذي أفتى به ابن مسعود هذا نصه: (من حلف بسورة من القرآن فعليه بكل آية منها يمين صبر فمن شاء برّ ومن شاء فجر)(٤)، ومجمل القول أن الحلف بالمصحف قد عمت به البلوى في هذا العصر، وما ذاك إلا لتساهل بعض العلماء، وفتواهم بأن على الحالف به كفارة واحدة، أو لا كفارة أصلاً، كما هو عند المتقدمين من الأحناف، فلو التزموا بفتوى ابن مسعود، وحديث رسول الله ﷺ، وأذاعوه بين الناس؛ لارتدع الحالفون به عن الحلف، وعظموا مصحفهم؛ صيانة له عن الابتذال في كل صغيرة، وكبيرة.

---

(١) ابن حزم: المحلى ج٨ ص٣٣.

(٢) إبراهيم النَّخَعي: إبراهيم بن مالك الأشتر بن الحارث النخغي (ت٧١ هـ) قائد شجاع، من أصحاب مصعب بن الزبير. شهد معه الوقائع وولي له الولايات وقاد جيوشه في مواطن الشدة. دفن بقرب سامراء. الزركلي: الأعلام ج١ص٥٨ بشيء من التصرف.

(٣) ابن حزم: المحلى ج٨ ص٣٣.

(٤) المرجع نفسه ج٨ ص٣٣.

قوله -تعالى-: ﴿الٓمٓ ۝١﴾.

(عن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿أَلَمّ﴾ قال: أما ﴿أَلَمّ﴾ فهو حرف اشتق من حروف هجاء أسماء الله -جل ثناؤه-)(١)، وفي لفظ آخر: (أما الم فهي حروف استفتحت من حروف هجاء أسماء الله -تعالى-)(٢)، وجاء في الإتقان (عن ابن مسعود، قال: هو اسم الله الأعظم)(٣)، وفي الحروف المقطعة التي وردت في أوائل السور اختلاف كبير في معانيها والمراد منها، حتى إن السيوطي قال: (قد تحصَّل لي فيها عشرون قولاً وأَزيد، ولا أعرف أحداً يحكم عليها بعلم ولا يصل منها إلى فهم)(٤)، وقد سبقه إلى جمع الأقوال فيها بغير حصر، منسوبة إلى أصحابها الطبري في جامعه(٥)، والنتيجة المتحصلة من الأقوال المتباينة ما ذكره جلال الدين السيوطي في الإتقان (والذي أَقوله: إنه لولا أَنَّ العرب كانوا يعرفون أنَّ لها مدلولاً متداوَلاً بينهم لكانوا أوَّلَ من أنكر ذلك على النبيّ ﷺ، بل تلا عليهم ﴿حمٓ ۝١﴾ فصِّلت، و﴿صٓ﴾ وغيرهما فلم ينكروا ذلك، بل صرَّحوا بالتسليم له في البلاغة والفصاحة، مع تشوُّفهم إلى عثرةٍ وحرصهم على زلَّة، فدلَّ على أنه أمر معروف بينهم لا إنكار فيه)(٦).

---

(١) الطبري: جامع البيان مج١ج١ص٦٧-٦٨.

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ص٦٥.

(٣) السيوطي: الإتقان ج١ص٦١٤.

(٤) المرجع نفسه: ج١ص٦١٧.

(٥) ينظر/ الطبري: جامع البيان مج١ج١ص٦٧ فما بعد.

قوله -تعالى-: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ .

(عن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لاشك فيه، ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ يعني نوراً للمتقين)(١)، (وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ هدى للمتقين قال هم المؤمنون)(٢)، والمستفاد من الروايتين أن ابن مسعود رضي الله عنه بيّن معاني الريب، والهدى، والمتقين، وهو ما يعرف بتفسير غريب القرآن، ولم يتطرق لبيان المعنى؛ لوضوحه.

قوله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾.

(عن أبي الأحوص عن عبد الله قال الإيمان التصديق)(٣)، (عن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ أما الغيب فما غاب عن العباد من أمر الجنة وأمر النار وما ذكره الله -تبارك وتعالى- في القرآن لم يكن تصديقهم بذلك يعني المؤمنين من العرب من قبل أصل كتاب أو علم كان عندهم)(٤)، و(عن مرة الهمداني عن ابن

---

(١) السيوطي: الإتقان ج١ص٦١٧.

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ص٧٠، والطبري: جامع البيان مج١ج١ص٧٥-٧٦، والسيوطي: الدر المنثور ج١ص٣٠.

(٣) الطبري: جامع البيان مج١ج١ص٧٧، والسيوطي: الدر المنثور ج١ص٣٠.

(٤) الطبري: جامع البيان مج١ج١ص٧٨، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ص٧٢.

(٥) الطبري: جامع البيان مج١ج١ص٧٨.

مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ أما الذين يؤمنون بالغيب فهم المؤمنون من العرب ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ أما الغيب فما غاب عن العباد من أمر الجنة والنار وما ذكر الله في القرآن لم يكن من قبل أصل كتاب أو علم كان عندهم ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾[(١)] هؤلاء المؤمنون من أهل الكتاب)[(٢)]، وجاء في الجامع للقرطبي: (قال عبد الله بن مسعود: ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب)[(٣)]، أما في المراد من النفقة فقد قيل نفقة الرجل على أهله (روي عن ابن مسعود: لأن ذلك أفضل النفقة)[(٤)]، وجاء في الدر المنثور: (عن الحارث بن قيس أنه قال لابن مسعود: عند الله يحتسب ما سبقتمونا به يا أصحاب محمد من رؤية رسول الله ﷺ فقال ابن مسعود: عند الله يحتسب إيمانكم بمحمد ﷺ ولم تروه، إن أمر محمد كان بينا لمن رآه، والذي لا إله غيره ما آمن أحد أفضل من إيمان بغيب، ثم قرأ ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ إلى قوله ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾)[(٥)]، وفي رواية عبد الرحمن بن يزيد قال: (كنا عند عبد الله ابن مسعود جلوساً، فذكرنا أصحاب النبي ﷺ وما سبقونا به، فقال عبد الله: إن أمر محمد ﷺ كان بيناً لمن رآه والذي لا إله غيره ما

(١) سورة البقرة: ٤.
(٢) الطبري: جامع البيان مج١ج١ص٧٩.
(٣) القرطبي: الجامع مج١ج١ص١١٥.
(٤) المرجع نفسه: مج١ج١ص١٢٥.
(٥) السيوطي: الدر المنثور ج١ص٣٢.

آمن أحد قط إيماناً أفضل من إيمان بالغيب، ثم قرأ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾)[1]، وأما تأويل ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ فقد ذكر الحافظ ابن كثير: (عن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ، ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ قال: نفقة الرجل على أهله وهذا قبل أن تنزل الزكاة)[2]، والمستفاد من هذه الروايات أن ابن مسعود رضي الله عنه فسر الإيمان بالتصديق المحض، كما هو في اللغة، وشاهده من القرآن قول الله -تعالى- على لسان إخوة يوسف -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام- لأبيهم يعقوب عليه السلام: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾[3] (أي بمصدق)، وأما الغيب فقد فسره بأنه كل ما غاب عن العباد من أمر الجنة، والنار، وما ذكره القرآن، وتفسير آخر بأن المراد من الغيب الذين يجيئون من بعد النبي ﷺ، ويؤمنون به، ولم يروه، فهم أعظم إيماناً من الذين حضروا مع النبي ﷺ؛ لأنهم لم يشهدوا معجزاته المادية، وإنما وصلت إليهم معجزته الباقية، وهي القرآن العظيم، كما فسر النفقة بأنها الإنفاق على العيال، وذلك قبل نزول فرضية الزكاة، وإن كانت النفقة تعم ما كان واجباً، أو تطوعاً.

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ص٧٣.

(٢) المرجع نفسه: ج١ ص٧٥.

(٣) سورة يوسف: ١٧.

قوله -تعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾.

(عن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ هؤلاء من أهل الكتاب)[١]، وفي رواية أخرى (عن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ أما الذين يؤمنون بالغيب فهم المؤمنون من العرب، والذين يؤمنون بما أنزل إليك المؤمنون من أهل الكتاب)[٢]، ثم جمع الفريقين فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾﴾[٣].

قوله -تعالى-: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾﴾.

(عن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ﴾ يقول: فلا يعقلون ولا يسمعون ويقول: (وجعل على أبصارهم غشاوة) يقول على أعينهم فلا يبصرون)[٤]، وأورد صاحب البحر في معنى الختم ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ (مد الله في طغيانهم التمكين في العصيان قاله ابن مسعود)[٥]،

(١) الطبري: جامع البيان مج١ج١ص٨١.
(٢) المرجع نفسه: مج١ج١ص٨٢.
(٣) سورة البقرة: ٥.
(٤) الطبري: جامع البيان مج١ج١ص٨٩.
(٥) أبو حيان: البحر المحيط ج١ص١١٦.

فتأويل الآية عند ابن مسعود رضي الله عنه، أن الله عز وجل يحجب الكفار عن هداية التمكين، فلا يعقلون، ولا يسمعون، ولا يبصرون، وإن كان في الظاهر لهم قلوب، وسمع، وأبصار.

قوله -تعالى-: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾.

(عن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ هم المنافقون)[١]، إبتداءً من هذه الآية إلى الآية عشرين كلها تتناول أحوال المنافقين.

قوله -تعالى-: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾.

ذكر الطبري في تفسير هذه الآية: (عن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ في قلوبهم مرض يقول: في قلوبهم شك)[٢]، وعن مرة الهمداني (عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ﴾ يقول: فزادهم الله ريبةً وشكاً)[٣]، فقد فسر ابن مسعود رضي الله عنه المرض بأنه الشك لا المرض العضوي، قال صاحب المفردات: (المرض الخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان وذلك ضربان، الأول مرض جسمي وهو المذكور في قولهِ ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾[٤]... والثاني

---

(١) الطبري: جامع البيان مج١ج١ص٩٠.
(٢) المرجع نفسه: مج١ج١ص٩٤.
(٣) المرجع نفسه: مج١ج١ص٩٥، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ص٨٥.
(٤) سورة الفتح: ١٧.

عبارة عن الرذائل كالجهل والجبن والبخل والنفاق وغيرها من الرذائل الخُلقية نحو قولهِ: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾)[١].

قوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾.

أورد الطبري: (عن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ هم المنافقون، أما ﴿لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فإن الفساد هو الكفر والعمل بالمعصية)[٢]، وهذا التفسير الذي ذكره ابن مسعود قال به الربيع ابن أنس[٣] أيضاً، وذكر الحافظ بن كثير في مقابل ذلك: (أن صلاح الأرض والسماء بالطاعة)[٤]، وأورد تفسيراً آخر عن (سلمان الفارسي[٥] لم يجىء أهل هذه الآية بعد)[٦].

(١) الراغب: المفردات ص٤٦٦.

(٢) الطبري: جامع البيان مج١ج١ص٩٧، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ص٨٧.

(٣) الرَّبِيع بن زياد بن أنس بن الحارِثي من بني الديان (ت٥٣هـ) أمير فاتح، أدرك عصر النبوة، وولي البحرين، وولاه عبد الله بن عامر سجستان سنة ٢٩هـ ففتحت على يديه. له مع عمر بن الخطاب أخبار. الزركلي: الأعلام ج٣ ص١٤ باختصار.

(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ص٨٧.

(٥) سَلْمان الفارسي (ت٣٦هـ) كان يسمي نفسه سلمان الإسلام. أصله من مجوس أصبهان. عاش عمراً طويلاً. وهو الذي دلَّ على حفر الخندق، في غزوة الأحزاب. قال عنه رسول الله ﷺ سلمان منا أهلَ البيت ! وجُعل أميراً على المدائن، حتى وفته المنية رضي الله عنه. الزركلي: الأعلام ج٣ ص١١١-١١٢ بتصرف.

(٦) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ص٨٨.

قوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾.

جاء في تأويل هذه الآية: (عن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ يعنون أصحاب النبي ﷺ)[١]، وفي تفسير ابن كثير نقلاً عن تفسير السُّدي: (عن ابن عباس وابن مسعود وغير واحد من الصحابة، وبه يقول الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم[٢]، وغيرهم يقولون: أنصير نحن وهؤلاء بمنزلة واحدة وعلى طريقة واحدة وهم سفهاء؟)[٣]، (والسفيه هو الجاهل الضعيف الرأي، القليل المعرفة بمواضيع المصالح والمضار)[٤]، وقد ردّ الله عليهم أبلغ ردّ، حيث قال ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾، فجعل السفاهة فيهم مؤكدة بأبلغ تأكيد، وبيّن أن من شدة جهلهم أنهم لم يفطنوا لسفاهتهم.

قوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ .

---

(١) الطبري: جامع البيان مج١ج١ص٩٩.

(٢) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، وأمه لبابة بنت أبي لبابة بن عبد المنذر أتى به أبو لبابة إلى النبي ﷺ فقال له: ما هذا منك يا أبا لبابة؟ فقال: ابن بنتي يا رسول الله. قال: ما رأيت مولوداً قط أصغر خلقاً منه، فحنّكه رسول الله ﷺ ومسح على رأسه ودعا له بالبركة، قال: فما رؤي عبد الرحمن بن زيد قط في قوم إلا فرعهم طولاً. ابن عبد البر: الاستيعاب القسم الأول ص٨٣٣-٨٣٤ باختصار.

(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ص٨٩.

(٤) المرجع نفسه ج١ص٨٩.

جاء في تأويل هذه الآية: (عن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾ فهم رؤوسهم في الكفر)[1].

قوله -تعالى-: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٥﴾.

المأثور عن ابن مسعود في تأويل هذه الآية: (عن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ يملي لهم)[2]، أي يمهلهم، (وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ في كفرهم)[3]، (وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتمادون في كفرهم)[4]، أي يستمرون فيه، المتحصل من هذه الآثار أن ابن مسعود رضي الله عنه فسّر المدّ بالإمهال، والطغيان بالكفر، والعمه بالتمادي في الكفر، وهو بهذا يزيل غموض الكلمات الصعبة، وبالتالي يسهل فهم بقية الآية، وفي مفردات الراغب: (أكثرُ ما جاءَ الإمْدَادُ في المَحْبُوبِ، والمَدُّ في المكْرُوهِ)[5]، أما الطغيان فهو: (تجَاوُزُ الحَدِّ في العِصْيَانِ)[6]، أما العَمَهُ هو: (التَّرَدُّدُ في الأمْرِ من التَّحَيُّرِ)[7].

---

(١) الطبري: جامع البيان مج١ج١ص١٠١.

(٢) المرجع نفسه: مج١ج١ص١٠٤

(٣) المرجع نفسه: مج١ج١ص١٠٥.

(٤) المرجع نفسه: مج١ج١ص١٠٦.

(٥) الراغب: المفردات ص٤٦٥.

(٦) المرجع نفسه: ص٣٠٤.

(٧) المرجع نفسه: ص٣٤٨.

قوله -تعالى-: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ .

أورد الطبري في تفسيره: (عن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ يقول: أخذوا الضلالة وتركوا الهدى)(١)، أي استبدلوا الإيمان بالكفر، وهو تفسير لمعنى الشراء.

قوله -تعالى-: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ .

(وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ زعم أن ناساً دخلوا في الإسلام مقدم النبي ﷺ المدينة ثم إنهم نافقوا فكان مثلهم كمثل رجل كان في ظلمة فأوقد ناراً فأضاءت ما حوله من قذى أو أذى فأبصره حتى عرف ما يتقي، فبينا هو كذلك إذ طفئت ناره فأقبل لا يدري ما يتقي من أذى، فكذلك المنافق كان في ظلمة الشرك فأسلم فعرف الحلال من الحرام والخير من الشر فبينا هو كذلك إذ كفر فصار لا يعرف الحلال من الحرام ولا الخير من الشر، وأما النور فالإيمان بما جاء به محمد ﷺ وكانت الظلمة نفاقهم)(٢)، وهذا

---

(١) الطبري: جامع البيان مج١ج١ص١٠٦.

(٢) الطبري: جامع البيان مج١ج١ص١١٠، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ص٩٤.

التأويل من طريق ذكر أسباب النزول، والصحابة ﭫ بما فيهم ابن مسعود هم أدرى الناس بمناسبة نزول الآيات، وأماكنها؛ لشهودهم التنزيل، وملازمة النبي ﷺ.

قوله -تعالى-: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ١٨﴾.

ذكر الطبري في تفسيره: (وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿بُكْمٌ﴾ هم الخرس)(١)، (وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ فهم لا يرجعون إلى الإسلام)(٢)، والصم، والبكم، والعمى لا يراد منه حقيقته، بل عدم الانتفاع بما أعطاهم الله من سمع، ونطق، وبصر، قال الحافظ ابن كثير: (﴿صُمٌّ﴾ لا يسمعون خيراً، ﴿بُكْمٌ﴾ لا يتكلمون بما ينفعهم، ﴿عُمْيٌ﴾ في ضلالة وعماية البصيرة كما قال- تعالى-: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾،(٣) فلهذا لا يرجعون إلى ما كانوا عليه من الهداية التي باعوها بالضلالة)(٤).

قوله -تعالى-: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ١٩ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ

(١) الطبري: جامع البيان مج١ج١ص١١٤.
(٢) المرجع نفسه: مج١ ج١ ص١١٤.
(٣) سورة الحج: ٤٦.
(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ص٩٣.

بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾.

جاء في تفسير الطبري: (روي عن ابن عباس وابن مسعود: أن رجلين من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله ﷺ إلى المشركين فأصابهما هذا المطر الذي ذكر الله فيه رعد وبرق وصواعق فجعلا كلما أصابهما الصواعق جعلا أصابعهما في ءاذانهما من الفرق (أي الخوف) أن تدخل الصواعق في مسامعهما فتقتلهما، وإذا لمع البرق مشيا إلى ضوئه وإذا لم يلمع لم يبصرا لزما مكانهما؛ فجعلا يقولان ليتنا قد أصبحنا فنأتي محمداً فنضع أيدينا في يده فأتياه فأسلما ووضعا أيديهما في يده وحسن إسلامهما. فضرب الله شأن الرجلين مثلاً للمنافقين الذين بالمدينة وكان المنافقون إذا حضروا مجلس النبي ﷺ جعلوا أصابعهم في أذانهم فرقاً (أي خوفاً) من كلام النبي ﷺ أن ينزل فيهم شيء أو يذكروا شيأً فيقتلوا كما يجعل الرجلان أيديهما في ءاذانهما، وإذا أضاء لهم مشوا فيه إذا كثرت أموالهم وأصابوا غنيمة وفتحاً مشوا فيه وقالوا: إن دين محمد صدق واستقاموا كما يمشي الرجلان في البرق، وإذا أظلم عليهم قاموا إذا هلكت أموالهم وأولادهم وأصابوا البلاء قالوا: هذا لدين محمد وكفروا كما يمسك الرجلان عن المشي إذ زال البرق)، وفي هذا الأثر ذكر لسبب النزول، مع مطابقته على حال المنافقين، أما بيان معنى الصيّب، فقد روي (عن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ الصيّب المطر)[١].

(١) الطبري: جامع البيان مج١، ص١١٥.

قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾.

أورد صاحب الدر المنثور (عن ابن مسعود قال: ما كان يا أيها الذين ءامنوا أنزل بالمدينة وما كان يا أيها الناس فبمكة)(١)، كما نقل عن الطبراني في الأوسط: (عن ابن مسعود قال: قرأنا المفصل حججنا ونحن بمكة ليس فيها يا أيها الذين آمنوا)(٢)، وحين تعرض القرطبي لتفسير هذه الآية ردّ معقباً على قول علقمة، ومجاهد: بأن السورة مدنية، ومع ذلك فيها يا أيها الناس، وهذا نص ما ذكره: (قال علقمة ومجاهد: كل آية أوّلها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فإنما نزلت بمكة، وكل آية أوّلها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فإنما نزلت بالمدينة. قلت: وهذا يردّه أن هذه السورة والنساء مدنِيّتان وفيهما يا أيها الناس. وأما قولهما في: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فصحيح)(٣)، وفي الإتقان للسيوطي تحت عنوان: [تعريف المكي والمدني](٤) ذكر ثلاثة أقوال ملخصها: أن ما نزل قبل الهجرة فهو مكي، وإن نزل بالمدينة، وضواحيها، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني، وإن نزل بمكة. الثاني: ما نزل بمكة فهو مكي، وما نزل بالمدينة فهو مدني. الثالث: ما كان خطاباً لأهل مكة فهو مكي، وما نزل خطاباً لأهل المدينة

---

(١) السيوطي: الدر المنثور ج١ص٣٩.
(٢) المرجع نفسه: ج١ص٣٩.
(٣) القرطبي: الجامع مج١ج١ص١٥٧.
(٤) ينظر/ السيوطي: الإتقان ج١ص٥٥ فما بعد.

فهو مدني، ثم قال: (وحُمِل على هذا قولُ ابن مسعود)[١]، يعني القول الثالث، وقد بسط السيوطي القول في ضوابط المكي، والمدني في كتابه الإتقان فلا حاجة لأعادتها هنا[٢]، وبهذا يندفع اعتراض القرطبي، وجاء في تفسير الطبري: (عن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ يقول: خلقكم وخلق الذين من قبلكم)[٣].

قوله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾.

جاء في تفسير الطبري: (عن ابن عباس عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا﴾ فهي فراش يمشي عليها وهي المهاد والقرار)[٤]، (وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾ فبناء السماء على الأرض كهيئة القبة وهي سقف على الأرض)[٥]، و(عن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾ قال: أكفاء من الرجال تطيعونهم في معصية الله)[٦]، وجاء في البخاري: (عن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله

(١) المرجع نفسه: ج١ص٥٦.
(٢) السيوطي: الإتقان ج١ص٨١ فما بعد.
(٣) الطبري: جامع البيان مج١ج١ص١٢٥.
(٤) المرجع نفسه: مج١ج١ص١٢٦.
(٥) المرجع نفسه: مج١ج١ص١٢٦.
(٦) المرجع نفسه: مج١ج١ص١٢٧.

قال: سألت النبي ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ ندًّا وهوَ خَلَقَكَ...)[١]، والمتحصل من هذه المرويات عن ابن مسعود: أنه فسر المراد من الفراش، والبناء، والأنداد، وذكر أنه سأل رسول الله ﷺ عن أي ذنب أعظم؟ فبيّن له ﷺ اتخاذ الند هو أعظم الذنوب.

قوله -تعالى-: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

أورد الطبري في تفسيره لهذه الآية عن ابن مسعود روايات أربع، ثلاثة من طريق عمرو بن ميمون، ورابعة من طريق مرة الهمداني بألفاظ مختلفة، وهذه هي: (عن عمرو بن ميمون[٢] عن عبد الله في قوله: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ قال: هي حجارة من كبريت خلقها الله يوم خلق السموات والأرض في السماء الدنيا يعدّها للكافرين)[٣]، و(عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود في قوله ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ قال: حجارة الكبريت جعلها الله كما شاء)[٤]، و(عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود قال: حجارة الكبريت خلقها الله عنده كيف شاء وكما يشاء)[٥]، و(أما عن مرة

(١) البخاري: صحيح البخاري بحاشية السندي ج٣ ص٩٨.

(٢) عمرو بن ميمون الأودي أبو عبد الله وأبو يحيى الكوفي (ت٧٤-٧٦هـ) أدرك ولم ير وصحب معاذاً وابن مسعود وتفقه بهما وكان الصحابة يرضونه. السيوطي: طبقات الحفاظ ص٢٤.

(٣) الطبري: جامع البيان مج١ج١ص١٣١.

(٤) المرجع نفسه: مج١ج١ص١٣١.

(٥) المرجع نفسه: مج١ج١ص١٣١

عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ أما الحجارة فهي حجارة في النار من كبريت أسود يعذبون به مع النار)[١]، وذكر القرطبي في تفسيره نقلاً عن مسلم في صحيحه: (عن عبد الله بن مسعود قال: كنا مع رسول الله إذ سمِع وَجْبَةً[٢]؛ فقال النبي ﷺ: (تدرون ما هذا) قال قلنا: الله ورسوله أعلم؛ قال: هذا حَجَر رُمِيَ به في النار منذ سبعين خَرِيفاً فهو يَهْوِي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها)[٣]، وتخصيص ابن مسعود الحجارة أنها من كبريت أسود، فقد ذكر الطبري تعليلاً لذلك بقوله: (إنها حجارة الكبريت وهي أشد الحجارة فيما بلغنا حراً إذا أحميت)[٤]، والقرآن ذكرها مطلقة، أي الحجارة؛ إذ لا طائل من تحديدها، وبيان نوعها، والروايات المساقة ليس فيها دليل من حديث، أو من آية تبين نوعها، وهي من الأمور المغيبات. ومما جاء في هذه الآية: (عن ابن مسعود قال: إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من تلك النار ولولا أنها ضربت في البحر مرتين ما انتفعتم منها بشيء)[٥].

قوله -تعالى-: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

(١) المرجع نفسه: مج١ج١ص١٣١.
(٢) وجبة: سمِعتُ للحائط وَجْبَةً: أي وقْعَةً. الزمخشري: أساس البلاغة ص١٠٠٦.
(٣) القرطبي: الجامع مج١ج١ص١٦٤.
(٤) الطبري: جامع البيان مج١ج١ص١٣١.
(٥) السيوطي: الدر المنثور ج١ص٤٢.

نقل السيوطي في الدر المنثور عن ابن أبي شيبة[١] في المصنف عن ابن مسعود في هذه الآية قال: (إذا مر أحدكم في الصلاة بذكر النار فليستعذ بالله من النار وإذا مر أحدكم بذكر الجنة فليسأل الله الجنة)[٢]، وفي تفسير الحافظ ابن كثير: (عن مسروق، قال: قال عبد الله: أنهار الجنة تفجر من جبل المسك)[٣]، وهذا التفسير من ابن مسعود مأخوذ من حديث رسول الله ﷺ، وإن لم يصرح به هو، فقد جاء من طريق أبي هريرة مرفوعاً إلى النبي ﷺ (قال رسول الله ﷺ: أنهار الجنة تفجر من تحت تلال أو من تحت جبال المسك)[٤]، وفي جامع البيان للطبري: (عن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ قالوا: هذا الذي رزقنا من قبل قال: إنهم أتوا بالثمرة في الجنة فلما نظروا إليها قالوا: هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا)[٥]، و(عن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ وأتوا به متشابها في اللون والمرأى وليس يشبه الطعم)[٦]، وهذا التأويل اختاره ابن جرير، فالتشابه كائن في أطعمة الجنة من حيث اللون، والمرأى، أما

(١) ابن أبي شيبة: أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي مولاهم الكوفي (ت ٢٣٥هـ)، روى عن شريك وهشيم وابن المبارك وابن عيينة وخلق. السيوطي: طبقات الحفاظ ص١٨٩.
(٢) السيوطي: الدر المنثور ج١ص٤١.
(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ص١٠٩.
(٤) المرجع نفسه ج١ص١٠٩.
(٥) الطبري: جامع البيان مج١ج١ص١٣٣.
(٦) المرجع نفسه: مج١ج١ص١٣٥.

الطعم فمختلف عما عليه ثمار الدنيا، وفي تأويل بقية الآية روي (عن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ أما أزواج مطهرة فإنهن لا يحضن ولا يحدثن ولا يتنخمن)[١]، وهذا التأويل من ابن مسعود رضي الله عنه فيما يتعلق بالأدران، والأقذار المادية، في حين أن مطهرة تشمل الطهارة البدنية، والخلقية، جاء في مفردات الراغب: (﴿لَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ أي مُطَهَّرَاتٌ مِنْ دَرَنِ الدُّنْيَا وأَنْجَاسِهَا، وقيلَ منَ الأخلاقِ السَّيِّئَةِ)[٢]، ولعل ابن مسعود اقتصر على الأدران البدنية دون الأخلاق السيئة؛ لإدراكه أن أهل الجنة مبرؤون من الحقد، والحسد، وسائر الصفات الدميمة، وأما قول الله -تعالى-: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ فقد روي (عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: لو قيل لأهل النار إنكم ماكثون في النار عدد كل حصاة في الدنيا لفرحوا بها ولو قيل لأهل الجنة إنكم ماكثون عدد حصاة في الدنيا لحزنوا ولكن جعل لهم الأبد)[٣].

قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

(عن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين يعني قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾،

---

(١) المرجع نفسه: مج١ج١ص١٣٦.

(٢) الراغب: المفردات ص٣٠٨.

(٣) السيوطي: الدر المنثور ج١ص٤٧.

وقوله ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، الآيات الثلاث قال المنافقون: الله أعلى وأجل أن يضرب هذه الأمثال فأنزل الله -تعالى- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾)[١]، وهذا النوع من التأويل هو ما يعرف بذكر أسباب النزول، والصحابة رضي الله عنهم أعلم الناس بهذا الضرب، وابن مسعود من أولى الصحابة به، كما أخبر هو عن نفسه: (والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، وأين نزلت. ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته)[٢]، ذكر السيوطي في لباب النقول روايات متعددة في أسباب نزول هذه الآية، وقد صدرها بما أخرجه ابن جرير عن السدي في تفسيره بروايات تنتهي إلى ابن مسعود، قال معقباً: (القول الأول أصح إسناداً وأنسب بما تقدم أول السورة)[٣]، يعني بالقول الأول المروي عن ابن مسعود، وأما تأويل آخر هذه الآية: (عن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾ يعني المنافقين، ﴿وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًاۚ﴾ يعني المؤمنين، فيزيد هؤلاء ضلالاً إلى ضلالهم لتكذيبهم بما قد علموه حقاً يقيناً من المثل الذي ضربه الله لما ضربه له، وأنه لما ضربه له موافق فذلك إضلال الله إياهم به، ﴿وَيَهْدِى بِهِۦ﴾ يعني بالمثل كثيراً من أهل الإيمان والتصديق، فيزيدهم

(١) الطبري: جامع البيان مج١ج١ص١٣٨.
(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ص٧.
(٣) السيوطي: لباب النقول ص١٠.

هدىً إلى هداهم وإيماناً إلى إيمانهم لتصديقهم بما قد علموه حقاً يقيناً أنه موافق ما ضربه الله له مثلاً وإقرارهم به وذلك هداية من الله لهم به)(١)، أما المراد بالفاسقين فقد روي (عن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ هم المنافقون)(٢).

قوله -تعالى-: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

أخرج الطبري في تفسيره: (عن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ يقول: لم تكونوا شيئاً فخلقكم ثم يميتكم ثم يحيكم يوم القيامة)(٣)، وقد بيّن هذا المعنى القرطبي في جامعه بقوله: (اختلف أهل التأويل في ترتيب هاتين الموتتين والحياتين، وكم من مَوْتة وحياة للإنسان؟ فقال ابن عباس وابن مسعود: أي كنتم أمواتاً معدومين قبل أن تُخلقوا فأحياكم -أي خلقكم- ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم، ثم يحييكم يوم القيامة. قال ابن عطية: وهذا القول هو المراد بالآية)(٤).

قوله -تعالى-: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾.

---

(١) الطبري: جامع البيان مج١ج١ص١٤١.
(٢) المرجع نفسه: مج١ج١ص١٤٢.
(٣) المرجع نفسه: مج١ج١ص١٤٥.
(٤) القرطبي: الجامع مج١ج١ص١٧٣، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ص١١٦-١١٧.

مما روي عن ابن مسعود في تأويل هذه الآية ما ذكره ابن جرير في تفسيره: (عن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ قال: إن الله -تبارك وتعالى- كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء، فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماء، ثم أيبس الماء فجعله أرضاً واحدة ثم فتقها فجعل سبع أرضين في يومين في الأحد و الاثنين فخلق الأرض على حوت والحوت هو النون الذي ذكره الله في القرآن ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾[(١)]، والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة في الريح وهي الصخرة التي ذكر لقمان ليست في السماء ولا في الأرض فتحرك الحوت فاضطربْ فتزلزت الأرض فأرسى عليها الجبال فقرّت فالجبال تفخر على الأرض فذلك قوله: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾[(٢)]، وخلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين في الثلاثاء والأربعاء وذلك حين يقول: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾[(٣)] يقول: أنبت شجرها

---

(١) سورة القلم: ١.

(٢) سورة الأنبياء: ٣١.

(٣) سورة فصلت: ٩-١٠.

وقدر فيها أقواتها، يقول: ﴿أَقْوَٰتَهَا﴾[١] لأهلها في أربعة أيام ﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾[٢] يقول: لمن يسألك هكذا الأمر ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾[٣] ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سماوات في يومين في الخميس والجمعة، وإنما سمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السماوات والأرض وأوحى في كل سماء أمرها، قال: خلق في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلم ثم زين السماء الدنيا بالكواكب فجعلها زينة و﴿وَحِفْظًا﴾[٤] تحفظ من الشياطين، فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش فذلك حين يقول: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[٥] يقول: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾)[٦]، وجاء في الدر المنثور (عن ابن مسعود قال: بين السماء والأرض خمسمائة عام، وما بين كل سماءين خمسمائة عام، وما مصير كل سماء -يعني غلظ ذلك- مسيرة خمسمائة عام، وما بين السماء إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام، وما بين الكرسي والماء مسيرة خمسمائة عام، والعرش على الماء والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه)[٧]، والنص

(١) سورة فصلت: ١٠.

(٢) سورة فصلت: ١٠.

(٣) سورة فصلت: ١١.

(٤) سورة فصلت: ١٢.

(٥) سورة الأعراف: ٥٤.

(٦) الطبري: جامع البيان مج١ج١ص١٥٢، والآية من سورة الأنبياء: ٣٠.

(٧) السيوطي: الدر المنثور ج١ص٥٠.

الأول من باب تفسير القرآن بالقرآن، أما النص الثاني فلربما أخذه من رسول الله ﷺ، ولم يصرح به؛ لأن الأرقام المذكورة لا تكون إلا عن سماع؛ إذ لا مجال للاجتهاد فيها حيث أنها من المغيبات.

قوله -تعالى-: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

ومما روي في تفسير هذه الآية عن ابن مسعود ما أورده صاحب الدر نقلاً عن ابن عساكر[1] (عن ابن مسعود وناس من الصحابة لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى على العرش؛ فجعل إبليس على ملك سماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم: الجن، وإنما سموا الجن لأنهم خزائن الجنة، وكان إبليس مع ملكه خازناً فوقع في صدره كبر وقال: ما أعطاني الله هذا إلا لمزيد أو لمزية لي فاطلع الله على ذلك منه)[2]، والمستفاد من هذا التفسير ذكر السبب الذي من أجله جعل الله في الأرض خليفة ألا وهو استكبار إبليس، وزعمه أنه أكرم خلق الله، وعلى الله، وقد ذكر معنى الجن

(١) ابن عَسَاكِر: عليّ بن الحسن بن هبة الله، أبو القاسم، ثقة الدين ابن عساكر الدمشقي (ت٥٧١هـ) المؤرخ الحافظ الرحالة. كان محدث الديار الشامية، ورفيق السمعاني في رحلاته. مولده ووفاته في دمشق. له (تاريخ دمشق الكبير)، و(الإشراف على معرفة الأطراف) في الحديث، و(كشف المغطى في فضل الموطا)، و(معجم الصحابة) و(تهذيب الملتمس)، و(معجم أسماء القرى والأمصار)، و(معجم الشيوخ والنبلاء) وغيرها. الزركلي: الأعلام ج٤ ص٢٧٣ بتصرف.

(٢) السيوطي: الدر المنثور ج١ص٥١.

في الرواية بأنهم سموا بذلك لأنهم خُزان الجنة، أوضح هذا مفصلاً القرطبي في تفسيره[١] في المسألة الخامسة في قول الله -تعالى-: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾[٢]، وفي بقية الرواية (عن مرة عن ابن مسعود أن الله أعلم الملائكة ما يكون من شأن الخليفة . . . فقال الله للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا: ربنا وما يكون ذلك الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً. قالوا: ربنا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟ قال: إني أعلم ما لا تعلمون، يعني من شأن إبليس)[٣]، وفسّر ابن جرير المراد من الخليفة بأمرين اثنين: (أولهما إني جاعل في الأرض خليفة مني يخلفني في الحكم بين خلقي وذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه)[٤]، وثانيهما: (معنى الخلافة التي ذكرها الله إنما هي خلافة قرن منهم قرناً غيرهم)[٥]، ثم ساق ابن جرير رواية مطولة من طريق مرة عن ابن مسعود وغيره من الصحابة ﷺ في كيفية خلق آدم، جاء فيها: (. . . فبعث جبريل إلى الأرض ليأتيه بطين منها فقالت الأرض: إني أعوذ بالله منكَ أن تنقص مني أو تشينني، فرجع ولم يأخذ، وقال: رب إنها عاذت بك فأعذتها فبعث الله ميكائيل فعاذت منه فأعاذها؛ فرجع فقال كما

(١) ينظر/ القرطبي: الجامع مج١ج١ص٢٠٢-٢٠٣.
(٢) سورة البقرة: ٣٤.
(٣) الطبري: جامع البيان مج١ج١ص١٦٠.
(٤) الطبري: جامع البيان مج١ج١ص١٥٧.
(٥) المرجع نفسه: مج١ج١ص١٥٨.

قال جبريل؛ فبعث ملك الموت فعاذت منه فقال: وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره؛ فأخذ من وجه الأرض وخلط فلم يأخذ من مكان واحد، وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين، فصعد به قيل التراب حتى عاد طيناً لازباً، واللازب هو الذي يلتزق بعضه ببعض، ثم ترك حتى أَنتن وتغير وذلك حين يقول: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾(١)، قال: منتن، ثم قال للملائكة: إني خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾(٢)؛ فخلقه الله بيده لكيلا يتكبر إبليس عنه ليقول له تتكبر عما عملت بيدي ولم أتكبر أنا عنه فخلقه بشراً، فكان جسداً من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه وكان أشدهم منه فزعاً إبليس، فكان يمر به فيضربه فيصوّت الجسد كما يصوّت الفخار وتكون له صلصلة فذلك حين يقول: ﴿مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾،(٣) ويقول: لأمر ما خلقت ودخل من فيه فخرج من دبره؛ فقال للملائكة: لا ترهبوا من هذا فإن ربكم صمد وهذا أجوف لئن سلطت عليه لأهلكنه، فلما بلغ الحين الذي يريد الله جل ثناؤه أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾(٤) فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس فقالت له الملائكة: قل الحمد لله. فقال:

---

(١) سورة الحجر: ٢٦.

(٢) سورة الحجر: ٢٩.

(٣) سورة الرحمن: ١٤.

(٤) سورة ص: ٧٢.

الحمد لله. فقال له الله: رحمك ربك. فلما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان إلى ثمار الجنة فذلك حين يقول: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ (١) فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾﴾ (٢) أبى واستكبر ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (٣)، قال الله له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ (٤) لما خلقت بيدي؟ قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ (٥) لم أكن لأسجد لبشر خلقته من طين، قال الله له: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ (٦) فما يكون لك يعني أن تتكبر فيها ﴿فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ (٧) والصغار هو الذل) (٨)، ومن هذه الرواية يتضح أن ابن مسعود اعتمد في قصة خلق آدم على آيات من القرآن وردت في سور غير سورة البقرة، فقد ضم الآيات إلى بعضها؛ لتكتمل قصة الخلق لآدم، وهذا من باب تفسير القرآن بالقرآن.

قوله -تعالى-: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾.

---

(١) سورة الأنبياء: ٣٧.

(٢) سورة الحجر: ٣١.

(٣) سورة ص: ٧٤.

(٤) سورة الأعراف: ١٢ .

(٥) سورة الأعراف: ١٢.

(٦) سورة الحجر: ٣٤.

(٧) سورة الأعراف: ١٣.

(٨) الطبري: جامع البيان مج١ج١ص١٦٠.

مما روي عن ابن مسعود في تأويل هذه الآية ما أخرجه ابن جرير (عن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ أن ملك الموت لما بعث ليأخذ من الأرض تربة آدم أخذ من وجه الأرض وخلط فلم يأخذ من مكان واحد وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء؛ فلذلك خرج بنوا آدم مختلفين ولذلك سمي آدم لأنه أخذ من أديم الأرض)(١)، والمستفاد من تأويله لهذه الآية أنه بين معنى آدم، وسبب اختلاف ألوان ذريته، جاء في المفردات للراغب: (آدم: أبُو الْبَشَرِ، قِيلَ سُمِّيَ بذلكَ لكَوْنِ جَسَدِهِ من أدِيمِ الأرضِ، وقيلَ لِسُمْرَةٍ في لَوْنِهِ، يقالُ رَجلٌ آدَمُ نحْوُ أسْمَرَ، وقيل سُمِّيَ بِذلكَ لكَوْنِهِ مِنْ عَناصِرَ مُخْتَلِفَةٍ وقُوًى مُتَفَرِّقَةٍ)(٢)، كما قال -تعالى-: ﴿أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾(٣)، أما على أي شيء يعود الضمير في قول الله -تعالى-: ﴿عَرَضَهُمْ﴾، فقد روي (عن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ ثم عرض الخلق على الملائكة)(٤)، والخلق لفظ يعم بني آدم، والملائكة، وسائر المخلوقات متحركها، وساكنها، عاقلها، وغير عاقلها، غير أن ابن جرير الطبري يرى أن الهاء والميم تعود على العاقل من بني آدم، والملائكة في استعمالات العرب، والهاء والنون، والهاء والألف تعود على غير العاقل، كما جاء في القراءة المنسوبة إلى ابن

(١) الطبري: جامع البيان مج١ج١ص١٩٦.

(٢) الراغب: المفردات ص١٤.

(٣) سورة الإنسان: ٢.

(٤) الطبري: جامع البيان مج١ج١ص١٧٢، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ص١٢٨.

مسعود، وأبيّ، وهذا النص (أعني بالهاء والميم) هو الثابت عن ابن مسعود في قراءته المعتمدة، لا ما نسب إليه من أنه كان يقرأ ﴿عرضهن﴾[١]، ومما جاء عن ابن مسعود في تقرير الملائكة، وتقريعهم على مقالتهم: (عن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أن بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء)[٢].

قوله -تعالى-: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

مما جاء في تأويل هذه الآية: (عن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ قال: قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ فهذا الذي أبدوا، ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ يعني ما أسرّ إبليس في نفسه من الكبر)[٣].

قوله -تعالى-: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ .

أخرج الطبري في تفسيره (عن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ جعل إبليس على ملك سماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن، وإنما سموا الجن لأنهم خزان الجنة وكان إبليس مع ملكه خازناً)[٤]، هذا التفسير يظهر أن ابن مسعود رضي الله عنه يرى أن

(١) ينظر/ الطبري: جامع البيان مج١ج١ص١٧١.
(٢) الطبري: جامع البيان مج١ج١ص١٧٣.
(٣) المرجع نفسه: مج١ج١ص١٧٦، والقرطبي: الجامع مج١ج١ص١٩٩.
(٤) الطبري: جامع البيان مج١ج١ص١٧٨.

إبليس من الملائكة، ولذا نصب على الاستثناء المتصل، وهو قول الجمهور، كما قال القرطبي، وهذا نصه: (﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ نصب على الاستثناء المتصل؛ لأنه كان من الملائكة على قول الجمهور: ابن عباس وابن مسعود وابن جُريج وابن المسيّب وقَتادة وغيرهم؛ وهو اختيار الشيخ أبي الحسن، ورجحه الطبري؛ وهو ظاهر الآية)(١)، ويرى غير هؤلاء المذكورين أن إبليس عليه اللعنة هو أبو الجن، كما أن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ هو أبو البشر، وذكروا أن إبليس عليه اللعنة خلق من نار السموم؛ لذا افتخر على آدم، وظن أن النار أفضل من الطين، وهو ظن بلا شك خاطئ؛ لأن النار رمز للهلاك، والطين رمز للحياة؛ لأنه محل الإنبات.

قوله -تعالى-: ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

ومما روي عن ابن مسعود في تفسير هذه الآية ما أخرجه الطبري في تفسيره (عن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ أن عدو الله إبليس أقسم بعزة الله ليغوين آدم وذريته وزوجه إلا عباده المخلصين منهم بعد أن لعنه الله، وبعد أن أخرج من الجنة وقبل أن يهبط إلى الأرض وعلم الله آدم الأسماء كلها)(٢)، ومما رواه أيضاً: (عن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ فأخرج إبليس من الجنة حين لعن وأسكن

---

(١) القرطبي: الجامع مج١ج١ص٢٠٢.

(٢) الطبري: جامع البيان مج١ج١ص١٨٢.

آدم الجنة فكان يمشي فيها وحشا ليس له زوج يسكن إليها؛ فنام نومة فاستيقظ وإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه، فسألها من أنت؟ فقالت امرأة، قال: ولم خلقت؟ قالت: تسكن إليّ، قالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من علمه: ما اسمها يا آدم؟ قال: حواء قالوا: ولم سميت حواء؟ قال: لأنها خلقت من شيء حي، فقال الله له: يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما)[١]، وفي هذه الرواية إثبات أن حواء خلقت بعد دخول آدم عليه السلام الجنة، ومنهم من يقول غير ذلك، والصحابة رضي الله عنهم أدرى بمثل هذه الأمور، وفي بيان معنى الرغد روي (عن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ قال: الرغد الهنيء)[٢]، وفي المفردات للراغب (رَغَدٌ ورَغِيدٌ: طَيِّبٌ وَاسِعٌ)[٣]، ومما جاء في كيفية الوسوسة، وإغراء الشيطان لهما بالأكل من الشجرة التي نهيا عن الأكل منها، ما روي (عن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما قال الله لآدم: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أراد إبليس أن يدخل عليهما الجنة فمنعته الخزنة؛ فأتى الحية وهي دابة لها أربع قوائم كأنها البعير وهي كأحسن الدواب فكلمها أن تدخله في فمها حتى تدخل به إلى آدم فأدخلته في فمها فمرت الحية على الخزنة فدخلت ولا يعلمون لما

(١) المرجع نفسه: مج١ج١ص١٨٢.
(٢) الطبري: جامع البيان مج١ج١ص١٨٣.
(٣) الراغب: المفردات ص١٩٨.

أراد الله من الأمر فكلمه من فمها فلم يبال بكلامه فخرج إليه فقال: يا آدم ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾؟[(١)] يقول: هل أدلك على شجرة إن أكلت منها كنت مَلِكاً مثل الله ﷻ أو تكونا من الخالدين فلا تموتان أبداً؟ وحلف لهما بالله ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [(٢)]، وإنما أراد بذلك ليبدي لهما ما توارى عنهما من سوآتهما بهتك لباسهما، وكان قد علم أن لهما سوأة لما كان يقرأ من كتب الملائكة ولم يكن آدم يعلم ذلك وكان لباسهما الظفر[(٣)]، فأبى آدم أن يأكل منها فتقدمت حواء فأكلت، ثم قالت: يا آدم كل فإني قد أكلت فلم يضرني، فلما أكل آدم بدت لهما سوأتهما ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [(٤)])[(٥)].

فهذه الرواية تبين أن ابن مسعود رضي الله عنه فسر القرآن بالقرآن، فقد ضم الآيات المتعلقة بإسكان الله لآدم عليه السلام الجنة؛ ليكتمل المعنى، وتتضح الصورة، فقد استعان بما في سورة الأعراف، وطه، وأما عن الحية التي استعان بها اللعين؛ لإدخاله الجنة، فقد ذكر أنها لعنت هي الأخرى بعد فعلتها، ونزعت قوائمها، وهنا مسألة تتعلق بالحيات، أخرج أبو داود في سننه (عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود قال: قال رسول

(١) سورة طه: ١٢٠.
(٢) سورة الأعراف: ٢١.
(٣) الظفر: نبات عطري يُشبه الأظفار. ينظر/ الزمخشري: أساس البلاغة ص ٦٠٤.
(٤) سورة الأعراف: ٢٢.
(٥) الطبري: جامع البيان مج١ج١ص١٨٧ .

الله ﷺ اقتلوا الحيات كلهن، فمن خاف ثأرهن فليس مني)[١]، وفي أثر آخر جواز قتل الحية بالنار (عن أبي عبيدة بن عبد الله ابن مسعود قال: كنا مع النبيّ ﷺ بمنًى فمرّت حيّة فقال رسول الله ﷺ: اقتلوها فسبقتنا إلى جُحْر فدخلته؛ فقال رسول الله ﷺ: هاتوا بسعفة ونار فأضرموها عليه ناراً)[٢]، وفي رواية النسائي أن الصحابة هم الذين أحضروا السعفة، وأضرموا فيها ناراً، ولم يكن الأمر من رسول الله ﷺ، كما في رواية القرطبي، وهذا لفظ النسائي في سننه (عن أبي عبيدة عن أبيه قال: كنا مع رسول الله ﷺ ليلة عرفة التي قبل يوم عرفة، فإذا حِسُّ الحية، فقال رسول الله ﷺ: اقتلوها، فدخلت شق جحر فأدخلنا عوداً فقلعنا بعض الحجر، فأخذنا سعفة، فأضرمنا فيها ناراً، فقال رسول الله ﷺ: وقاها الله شركم ووقاكم شرها)[٣]، والحية من الخمسة التي أمر رسول الله ﷺ أن تقتل في الحل، والحرم للحاج، وغيره[٤]، أما بخصوص الشجرة، فقد روي (عن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ قال: هي الكرمة: وتزعم اليهود أنها الحنطة)[٥]، وفي تفسير القرطبي (قال ابن مسعود وابن عباس وسعيد ابن جُبير، وجَعْدة بن هُبيرة[٦]: هي الكَرْم؛ ولذلك حُرّمت علينا

(١) أبو داود: السنن ج٥ ص٤١٠.
(٢) القرطبي: الجامع مج١ج١ص٢١٥.
(٣) النسائي: المجتبى مج٣ ج٥ ص٢٠٩.
(٤) ينظر/ القرطبي: الجامع مج١ ج١ ص٢١٥.
(٥) الطبري: جامع البيان مج١ ج١ ص١٨٤.
(٦) جعدة بن هبيرة الأشجعي كوفي، روى عنه يزيد الأودي عن النبي ﷺ أنه قال: خير =

الخمر)[١]، في هاتين الروايتين يذكر ابن مسعود أن الشجرة هي الكرم (أي شجرة العنب)، وجاء في الرواية الثانية تعليل لتحريم الخمر، وقد جاءت روايات مختلفة عن غيره من الصحابة، والتابعين في تحديد الشجرة هل هي العنب أم البُر أم التين أم غيرها؟ وهو خوض فيما لا يفيد؛ إذ لو كان في تعينها فائدة لذكرت في الآية، أو في حديث صحيح عن رسول الله ﷺ، فمعرفة الشجرة غير مفيد، والجهل بها لا يضر؛ إذ المقصود هو امتثال النهي لا تعيين الشجرة، وقد استوفى الطبري الأقوال كلها في تفسيره، ثم بيّن ألا طائل من وراء ذلك[٢].

قوله -تعالى-: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ وفي كيفية إغواء الشيطان لآدم، وحواء عليهما السلام (قال ابن مسعود وابن عباس وجمهور العلماء: أغواهما مشافهة؛ ودليل ذلك قوله -تعالى-: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾[٣])[٤]، وظاهرة المقاسمة تكون مشافهة، وتفسير بقية الآية أخرج (أبو الشيخ[٥] عن ابن مسعود في قوله: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ

= الناس قرني. حديث عند إدريس وداود ابني يزيد الأودي عن أبيهما عنه. ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (تحقيق: علي محمد البجاوي) ن: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع الفجالة القاهرة لاط (ت١٣٨٠هـ-١٩٦٠م) القسم الأول ص٢٤١.

(١) القرطبي: الجامع مج١ج١ص٢٠٩.

(٢) ينظر/ الطبري: جامع البيان مج١ ج١ ص١٨٤-١٨٥.

(٣) سورة الأعراف: ٢١.

(٤) القرطبي: الجامع مج١ج١ص٢١٤.

(٥) أبو الشيخ: حافظ أصبهان ومسند زمانه الإمام أبو محمد عبد الله بن جعفر بن حبان =

مُسۡتَقَرٌّ﴾ فوق الأرض ومستقر تحت الأرض قال: ومتاع إلى حين حتى يصير إلى الجنة أو إلى النار)[١].

قوله -تعالى-: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ .

جاء في الدر المنثور أخرج أحمد في الزهد (عن عبد الله بن مسعود قال: ويل للذي لا يعلم ولو شاء الله لعلمه وويل لمن يعلم ثم لا يعمل سبع مرات)[٢]، في هذا الأثر حث على العلم، والتعلم، والعمل به، وأن من علم ولم يعمل بعلمه، فعقوبته أشد ممن لم يعلم.

قوله -تعالى-: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ .

جاء في تأويل هذه الآية (عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: الصبر نصف الإيمان واليقين الإيمان كله)[٣]، وهو من باب تفسير القرآن بالسنة، ومن منهج ابن مسعود أنه إذا وجد تفسيراً للرسول ﷺ لا يعدل عنه إلى غيره، وبخصوص الصلاة، والمحافظة عليها، وإنه لا يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ما أخرجه مسلم في صحيحه (عن أَبِي الأَحْوَص، عن عبْدِ اللهِ؛ قال: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ غَداً مُسْلِماً فَلْيُحَافِظْ

= الأصبهاني (ت٣٦٩هـ) صاحب المصنفات، وكان مع سعة علمه وغزارة حفظه أحد الأعلام، صالحاً خيراً قانتاً صدوقاً مأموناً ثقة متقناً، صنف (التفسير) وغيره. السيوطي: طبقات الحفاظ ص٣٨١.

(١) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٦١.

(٢) المرجع نفسه: ج١ص٧١.

(٣) المرجع نفسه: ج١ص٧٢.

عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ. فإِنَّ اللهَ شَرَعَ لنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الْهُدَى وإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى. ولَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ في بُيُوتِكُمْ كمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ في بَيْتِهِ لَتَركْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ. ولَوْ تَركْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ. ومَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً. ويَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً. ويَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً. ولَقَدْ رَأَيْتُنَا ومَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ، مَعْلُومُ النِّفَاقِ. ولَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ)[(١)].

قولهتعالى- : ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

(عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود أن موسى عليه السلام حين أسرى ببني إسرائيل بلغ فرعون فأمر بشاة فذبحت، ثم قال: لا والله لا يفرغ من سلخها حتى تجتمع لي ستمائة ألف من القبط؛ قال: فانطلق موسى حتى انتهى إلى البحر؛ فقال له: افْرُق؛ فقال له البحر: لقد استكبرت يا موسى! وهل فَرَقْت لأحد من ولد آدم فأفرق لك! قال: ومع موسى رجل على حصان له؛ قال: فقال له ذلك الرجل: أين أُمرتَ يا نبيّ الله؟ قال: ما أمِرتُ إلا بهذا الوجه؛ قال: فأقحم فرسه فسَبَح فخرج. فقال: أين أمِرتَ يا نبيّ الله؟ قال ما أمِرتُ إلا بهذا الوجه؛ قال: والله ما كَذَبْتَ ولا كُذِّبْتَ، ثم اقتحم الثانية فسَبَح به حتى خرج؛ فقال: أين أُمرتَ يا نبيّ الله؟ فقال: ما أمرتُ إلا بهذا الوجه؛ قال: والله ما كَذَبْتَ ولا

(١) مسلم : صحيح مسلم ج١ ص٤٥٣.

كُذِّبْتَ؛ قال: فأوحى الله إليه: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾[١] فضربه موسى بعصاه؛ ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾[٢]. فكان فيه اثنا عشر فِرْقاً، لاثني عشر سِبْطاً، لكل سبط طريق يتراؤون؛ وذلك أن أطواد الماء صار فيها طيقاناً وشبابيك يرى منها بعضهم بعضاً؛ فلما خرج أصحاب موسى وقام أصحاب فرعون التطم البحر عليهم فأغرقهم)[٣]، وذكر الحافظ ابن كثير أن اسم الرجل الذي اقتحم البحر أكثر من مرة هو: (يوشع بن نون)، وأن اليوم الذي أنجى فيه الله موسى عليه السلام، وقومه هو يوم عاشوراء[٤]، وأورد القرطبي خلافاً في المراد بعاشوراء؛ هل هو اليوم التاسع، أو العاشر، وبسط الكلام في هذا المعنى في تفسيره[٥].

قوله -تعالى-: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾.

(عن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ السلوى طير يشبه السمانى)[٦]، وفي مفردات الراغب في معنى السلوى، والمن قوله: (أصْلهَا (أي السلوى) ما يُسَلِّي الإنسان ومنه السُّلْوَانُ والتَّسَلِّي وقيلَ: السّلوَى طائرٌ كالسُّمانَى. قال ابنُ عباس: المَنُّ الذي يَسْقُط منَ السماءِ

(١) سورة الأعراف: ١٦٠.
(٢) سورة الشعراء: ٦٣.
(٣) القرطبي: الجامع مج١ ج١ ص٢٦٥.
(٤) ينظر/ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص١٥٨-١٥٩.
(٥) ينظر/ القرطبي: الجامع مج١ ج١ ص٢٦٦.
(٦) الطبري: جامع البيان مج١ ج١ ص٢٣٥.

والسَّلْوَى طائرٌ)[١]، وقال في موضع آخر من كتابه: (المَنُّ شَيْءٌ كالطَّلِّ فِيهِ حَلاوةٌ يَسْقُط على الشجرِ، والسَّلْوَى طائرٌ، وقيل: المَنُّ والسَّلْوَى كِلَاهُما إشارَةٌ إلى ما أنْعَمَ اللهُ به عليهم وهُما بالذَّاتِ شَيْءٌ واحِدٌ لكنْ سماهُ مَنًّا بحَيْثُ أنه امْتَنَّ به عليهم، وسماهُ سَلْوَى من حيثُ أنه كان لَهُمْ به التَّسَلِّي)[٢].

قوله -تعالى-: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

(عن أبي الكنود[٣]، عن ابن مسعود وقولوا حطة، فقالوا حنطة حبة حمراء فيها شعيرة)[٤]، و(عن مرة عن ابن مسعود أنه قال: إنهم قالوا: هطاً سمعاثا أزبة مزباً، فهي بالعربية حبة حنطة حمراء مثقوبة فيها شعرة سوداء فذلك قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾[٥]، بيّن ابن مسعود رضي الله عنه أن بني إسرائيل أنزل عليهم العذاب؛

(١) الراغب: المفردات ص٢٤١.
(٢) المرجع نفسة ص٤٧٤-٤٧٥.
(٣) أبو الكنود الأزدي: واسمه عبد الله بن عوف، وقال بعضهم، عبد الله بن عويمر، روى عن علي وعبد الله. قال: أخبرنا عبد الملك بن عمر وأبو عامر العقدي قال: حدثنا شعبة عن الحكم أن رجلاً حدثه عن أبي الكنود أنه صلى خلف علي فسلم تسليمتين السلام عليكم السلام عليكم، وكان ثقة وله أحاديث يسيرة. ابن سعد: الطبقات ج٦ ص١٧٧.
(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص١٧٣.
(٥) المرجع نفسه: ج١ص١٧٣، والطبري: جامع البيان مج١ ج١ ص٢٤١.

لتغييرهم اللفظ الذي قيل لهم؛ قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية: (قيل لهم (أي قوم موسى عليه السلام): قولوا حِطّة؛ فقالوا حنطة، فزادوا حرفاً في الكلام فلقوا من البلاء ما لقوا؛ تعريفاً أن الزيادة في الدِّين والابتداع في الشريعة عظيمة الخطر شديدة الضرر. هذا في تغيير كلمة هي عبارة عن التوبة أوجبت كل ذلك من العذاب؛ فما ظنك بتغيير ما هو من صفات المعبود! هذا والقول أنقص من العمل، فكيف بالتبديل والتغيير في الفعل)[(١)].

قوله -تعالى-: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

لم تذكر كتب التفاسير عن ابن مسعود تأويلاً لهذه الآية، غير أن القرطبي لمناسبة استسقاء الماء ذكر الحديث الآتي: (روى الأئمة الثِّقات والفقهاء الأثبات عن عبد الله قال: كنا مع النبيّ ﷺ فلم نجد ماء فأُتِيَ بتَوْر[(٢)] فأدخل يده فيه؛ فلقد رأيت الماء يتفجّر من بين أصابعه ويقول: حيّ على الطّهور)[(٣)].

قوله -تعالى-: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ

(١) القرطبي: الجامع مج١ج١ص٢٨٢.
(٢) التَّوْر: إنَاء يُشْرب فيه. الرازي: مختار الصحاح ص٨٠.
(٣) القرطبي: الجامع مج١ ج١ ص٢٨٦.

وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ .

من المأثور عن ابن مسعود رضي الله عنه في تأويل هذه الآية روايتان تتعلقان بالقراءة التفسيرية، ورواية تبين أحوال بني إسرائيل مع أنبيائهم، ورواية تبين حكم من قتل نبياً، أو قتله نبي، فمن القراءة التفسيرية (عن ابن عباس قال: قراءتي قراءة زيد وأنا آخذ ببضعة عشر حرفاً من قراءة ابن مسعود هذا أحدها من بقلها وقثائها وثومها)[١]، فالثوم تفسير لمعنى الفوم، وإلا فإن القراءة الثابتة عن ابن مسعود هي الفوم، وقد أورد صاحب البحر أن للمفسرين في معنى الفوم أقاويل ستة: (أحدها أنه الثوم وبينته قراءة ابن مسعود وثومها بالثاء وهو المناسب للبقل والعدس والبصل)[٢]، والرواية الثانية التفسيرية (في قراءة أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود اهبطوا مصر بغير ألف)[٣]، فعلى هذه القراءة، أعني مصر من غير تنوين، يراد بها البلد المعلوم، أما بالتنوين فالمقصود منها، أي بلد من البلدان، وقد ذكر الطبري الروايات المختلفة، وبيّن أن عامة القراء يقرؤونها منونة؛ ليراد بها أي بلد لا مصر المعروفة لدينا الآن[٤]، أما الرواية التي تبين أحوال بني إسرائيل مع أنبيائهم (عن ابن مسعود قال: كانت بنو إسرائيل في اليوم

---

(١) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٧٨.

(٢) أبو حيان: البحر المحيط ج١ ص٣٧٦.

(٣) الطبري: جامع البيان مج١ ج١ ص٢٤٩.

(٤) ينظر/ المرجع نفسه: مج١ ج١ ص٢٤٨-٢٤٩.

تقتل ثلاثمائة نبي ثم يقيموا سوق بقلهم في آخر النهار)[١]، في هذه الرواية ذكر ابن مسعود أن بني إسرائيل قتلوا ثلاثمائة نبي، وفي روايات أخرى عنه سبعين، وقالوا إن رواية الثلاثمائة تفسر قراءة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يُقَتّلون بالتشديد، جاء في البحر (روي عن ابن مسعود قتل بنو إسرائيل سبعين نبياً وفي رواية ثلاثمائة نبي في أول النهار وقامت سوق بقلهم في آخره وعلى هذا يتوجه قراءة من قرأ: يُقَتّلون بالتشديد لظهور المبالغة في القتل وهي قراءة عليّ)[٢]، أما الرواية التي تبين حال من قتله نبي، أو قتل نبياً (عن أبي وائل، عن عبد الله، يعني ابن مسعود، أن رسول الله ﷺ قال: أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتله نبي أو قتل نبياً وإمام ضلالة وممثل من الممثلين)[٣].

قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

(عن عبد الله بن مسعود قال: نحن أعلم الناس من أين سميت اليهود باليهودية من كلمة موسى عليه السلام: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾[٤]، ولم سميت النصارى بالنصرانية من كلمة عيسى عليه السلام: ﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾)[٥]، وابن

(١) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٧٨.
(٢) أبو حيان: البحر المحيط ج١ ص٣٨٢.
(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص١٧٩، والسيوطي: الدر المنثور ج١ ص٧٨.
(٤) سورة الأعراف: ١٥٦.
(٥) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٨٠، والآية من سورة الصف: ١٤.

مسعود رضي الله عنه اشتق اسم اليهود من كلمة (هدنا) بمعنى: رجعنا؛ لأنهم كانوا يرجعون دائماً في مواثيقهم التي يبرمونها، فلا يثبتون على عهدٍ أبداً، وأن النصارى سموا بذلك الاسم اشتقاقاً من النصرى، أي التأييد، والعون، وذكر صاحب المفردات سبباً آخر للتسمية بالنصارى؛ قال الراغب: (وقيلَ سُمُّوا بذلك انْتِساباً إلى قرْيةٍ يقالُ لها نَصْرَانُ، فيقالُ نَصْرَانِيٌّ وجمعهُ نَصَارَى)[1].

قوله -تعالى-: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

(عن عبد الله بن مسعود قال لإنسان: إنك في زمانٍ كثيرٍ فقهاؤه، قليلٍ قُرّاؤه، تُحفظ فيه حدودُ القرآن وتُضَيّع حروفه، قليلٍ مَن يسأل، كثيرٍ مَن يُعطِي، يطيلون الصلاة ويُقْصِرون فيه الخطبة، يبدؤون فيه أعمالهم قبل أهوائهم. وسيأتي على الناس زمان قليلٌ فقهاؤه، كثيرٌ قرّاؤه، تُحفظ فيه حروف القرآن، وتُضيّع حدوده؛ كثيرٌ من يسأل، قليلٌ من يعطي، يطيلون فيه الخطبة، ويقصِرون الصلاة، يبدؤون فيه أهوائهم قبل أعمالهم)[2].

قوله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾.

أخرج مسلم (عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال لمن سأله عن القردة والخنازير أهي مما مسخ؟ فقال: الله لم يهلك قوماً أو يعذب

(١) الراغب: المفردات ص٤٩٥.

(٢) القرطبي: الجامع مج١ ج١ ص٢٩٧.

قوماً فيجعل لهم نسلاً، وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك)[(١)]، ذكر القرطبي في تفسيره أن للعلماء في الممسوخ قولين أصحهما: (أنه لا يتناسل ولا يأكل ولا يشرب فوق ثلاثٍ)[(٢)].

قوله -تعالى-: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

جاء في الدر المنثور (عن ابن مسعود قال: ﴿وَيْلٌ﴾ وادٍ في جهنم يسيل منه صديد أهل النار)[(٣)]، وهذا التفسير من ابن مسعود لا يكون عن رأي منه؛ لأنه من الأمور المغيبة، ولعله لم يذكر الحديث لوضوح المعنى، أو لعدم وجود المنكر، أما بخصوص بيع المصاحف، وشرائها هل هو جائز أم مكروه؟ خلاف بين الصحابة، والعلماء، والذي أخرجه ابن أبي داود في المصاحف: (عن علقمة عن عبد الله أنه كره بيع المصاحف وشرائها)[(٤)]، وحاصل المسألة في الإتقان ثلاثة أقوال: كراهية البيع والشراء، وجوازهما، وكراهية البيع وجواز الشراء، وهذا القول الأخير اختاره السيوطي، وفيه نظر[(٥)].

قوله -تعالى-: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ

---

(١) أبو حيان: البحر المحيط ج١ ص٣٩٨ نقلاً عن صحيح مسلم.

(٢) القرطبي: الجامع مج١ ج١ ص٢٩٩.

(٣) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٨٨.

(٤) ابن أبي داوُد: كتاب المصاحف (تحقيق: محمد بن عبده) ن: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر القاهرة ط١ (ت٢٠٠٢ف) ص٣٦٧.

(٥) ينظر/ السيوطي: الإتقان ج٢ ص٤٢١-٤٢٢.

أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ .

من المأثور عن ابن مسعود في تأويل هذه الآية ما أخرجه الحافظ ابن كثير في تفسيره (عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه)(١)، في هذا الأثر اعتماد ابن مسعود على تفسير رسول الله ﷺ، والاكتفاء به، وهو من باب تفسير القرآن بالسنة.

قوله -تعالى-: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ﴾ .

جاء في الدر المنثور (عن ابن مسعود قال: روح القدس جبريل عليه السلام)(٢)، وفي روايات أخرى (عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب)(٣)، فالمقصود من روح القدس في الأثرين هو جبريل عليه السلام، ومعنى روعي: قلبي؛ قال الراغب: (﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾(٤) يَعْنِي بهِ جبريلَ منْ حَيْثُ إنه يَنزِلُ بالقُدْسِ من اللهِ، أي بما يُطَهِّرُ به نُفوسَنَا مِنَ الْقُرْآنِ والحِكْمةِ والفَيْضِ الإلهِيِّ)(٥).

قوله -تعالى-: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٢٠٨.

(٢) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٩٢.

(٣) المرجع نفسه: ج١ص٩٢، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٢١٤.

(٤) سورة النحل: ١٠٢.

(٥) الراغب: المفردات ص٣٩٦.

أخرج السيوطي في الدر المنثور (عن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة في الآية قال: كانت العرب تمر باليهود فيؤذونهم وكانوا يجدون محمداً في التوراة فيسألون الله أن يبعثه نبياً فيقاتلون معه العرب فلما جاءهم محمد كفروا به حين لم يكن من بني إسرائيل)[١]، وذلك حسداً من عند أنفسهم؛ لذا لعنهم الله بكفرهم في نهاية الآية حيث قال ﷻ: ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ، وهذا التأويل من باب معرفة أحوال العرب، واليهود، وتاريخ الأمم السابقة.

قوله -تعالى- : ﴿وَاتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾.

المأثور عن ابن مسعود في تأويل هذه الآية أربع روايات، منها ما يتعلق بشرح لفظ، ومنها ما يتعلق ببيان حكم، ومنها ما يتعلق ببيان موقع، وأما الرواية الرابعة فهي ضعيفة، ومردودة لما فيها من نقل عن أهل الكتاب، فالتي تبين معنى اللفظ ما جاء في الجامع للقرطبي: (قال ابن مسعود: كنّا نُسَمِّي السحر في الجاهلية العِضَه)[٢]، وبيّن القرطبي معنى العِضَه بقوله: (العِضَهُ

---

(١) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٩٣.

(٢) القرطبي: الجامع مج١ ج٢ ص٣١.

عند العرب: شدّة البهْت وتمويهُ الكذب)[١]، أما الرواية التي تبين الموقع: (قال ابن مسعود لأهل الكوفة: أنتم بين الحِيرة وبابل)[٢]، أما الرواية التي فيها ذكر الحكم أخرج السيوطي في الدر: (عن عبد الله بن مسعود قال: من أتى كاهناً أو ساحراً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ)[٣]، وفي المسند للإمام أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه (سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الرقى والتمائم والتِّوَلة شِرك)[٤]، ومعلوم أن السحر من الذنوب الكبائر نهينا عنها بالقرآن، وبالسنة، وقد جعلها الذهبي الكبيرة الثالثة، وساق الآيات والأحاديث المتعلقة بالسحر، فلا معنى لإعادتها هنا[٥]، أما الرواية الضعيفة فقد ساقها القرطبي بالمعنى هذا نصها: (روي عن عليّ وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وكعب الأحبار[٦] والسُّدّي والكلبيّ ما معناه: أنه لما كثر الفساد من أولاد آدم عليه السلام وذلك في زمن إدريس عليه السلام عيّرتهم الملائكة؛ فقال الله -تعالى-: أمَا إنكم لو كنتم مكانهم، ورَكّبت فيكم ما رَكّبت فيهم لعَمِلتم مثل أعمالهم؛ فقالوا: سبحانك! ما كان ينبغي

(١) القرطبي: الجامع مج١ ج٢ ص٣١.
(٢) المرجع نفسه: مج١ ج٢ ص٣٧.
(٣) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص١٠٩، و ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٢٥١.
(٤) ابن حنبل: المسند ج٥ ص٢١٩.
(٥) ينظر/ الذهبي: كتاب الكبائر ن: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان لاط (ت١٣٥٥هـ) ص١٥.
(٦) كَعْب الأحْبار: كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق (ت٣٢هـ) تابعي. أسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينة في دولة عمر، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الغابرة، وسكن حمص، وتوفي بها. الزركلي: الأعلام ج٥ ص٢٢٨ باختصار.

لنا ذلك؛ قال: فاختاروا مَلَكين من خياركم؛ فاختاروا هاروت وماروت، فأنزلهما إلى الأرض فركّب فيهما الشّهوة، فما مرّ بهما شهر حتى فُتِنَا بامرأة اسمها بالنّبطيّة (بيدخت)، وبالفارسية (ناهيل)، وبالعربية (الزُّهْرة) اختصمت إليهما، وراوداها عن نفسها فأبتْ إلا أن يدخلا في دينها ويشربا الخمر ويقتلا النفس التي حرّم الله؛ فأجاباها وشربَا الخمر وألمّا بها؛ فرآهما رجل فقتلاه، وسألتهما عن الاسم الذي يصعدان به إلى السماء فعلّماها فتكلّمت به فعَرَجت فمُسِخت كوكباً)[1]، ثم عقب القرطبي على هذه الرواية بأنها ضعيفة، وأن الملائكة أمناء الله على وحيه، وسفراؤه إلى رسله ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[2]، وإن كان العقل يُجوّز وقوع المعصية منهم إلا أن هذا يعتمد على السماع الصحيح، ولم يثبت في ذلك سماع صحيح، ثم إن اعتراض الملائكة على الله فيه كفر، ولا يصح الكفر من الملائكة، وأن الزُّهرة وغيرها من الكواكب خلقت قبل آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذا يبطل أن الزهرة كانت امرأة، ومسخت كوكباً[3]، قد مر أن الممسوخ لا يبقى فوق ثلاثة أيام، والخلاصة أن هذه القصة من اختلاق أحبار اليهود، ولا يصح التعلق بها؛ لمخالفتها للنصوص الشرعية الصحيحة، وبالتالي نسبتها إلى من نسبت إليه من الصحابة غير ثابت في الكتب المعتمدة.

قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا

(١) القرطبي: الجامع مج١ ج٢ ص٣٦.
(٢) سورة التحريم: ٦.
(٣) ينظر/ القرطبي: الجامع مج١ ج٢ ص٣٦.

وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾ .

جاء في مقدمة ابن عطية (أن رجلاً قال لعبد الله بن مسعود أوصني، فقال: إذا سمعت الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فارْعها سَمْعَك فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه)(١)، وفي تفسير الحافظ ابن كثير (اعهد إليّ) مكان (أوصني)، ثم ذكر بقية الرواية، والمعنى واحد وإن اختلف اللفظ(٢).

قوله -تعالى-: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾ .

(عن أبي نجيح(٣) عن أصحاب عبد الله بن مسعود أنهم قالوا: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ نثبت خطها ونبدل حكمها)(٤)، ذكر الطبري هذه الرواية في تفسيره، وروايات أخر من طريق مجاهد كلها بنفس المعنى، أي أن النسخ عند ابن مسعود إبدال الحكم، وإثبات الخط، وهذا النوع من النسخ وقع في ثلاث وستين سورة، كما ذكر أبو القاسم هبة الله في كتابه

---

(١) آرثر جفري والصاوي: المقدمتان ص٢٥٩.

(٢) ينظر/ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٢٦٠.

(٣) أبي نجيح: عمرو بن عبسة بن عامر بن خالد السلمي يكنّى أبا نجيح، ويقال: أبو شعيب: أسلم قديماً في أول الإسلام روى عنه أبو أمامة الباهلي وكبار التابعين بالشام منهم شرحبيل بن السمط وسليم بن عامر وضمرة بن حبيب وغيرهم، له حديث واحد عن النبي ﷺ في النكاح من حديث يزيد بن أبي حبيب عن ربيعة بن لقيط عن رجل عنه ذكره البخاري في الكنى المجردة. ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب القسم الثالث ص١١٩٢-١١٩٣-١١٩٤ والقسم الرابع ص١٧٦٥.

(٤) الطبري: جامع البيان مج١ ج١ ص٣٧٨-٣٧٩، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٢٦١.

الناسخ والمنسوخ(١)، بعد أن بيّن أن للنسخ أضرباً ثلاثة: ما نسخ خطه، وحكمه، وما نسخ خطه وبقي حكمه، ومنه ما نسخ حكمه وبقي خطه، ثم ساق مثالاً لكل واحد من هذه الثلاث(٢)، وأما تأويل قوله -تعالى-: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ فقد أثر عن ابن مسعود رضي الله عنه روايتان: إحداهما ﴿نُنسِهَا﴾ بمعنى نؤخرها، والثانية نجيء بمثلها؛ الأولى ذكرها صاحب الدر المنثور (عن أصحاب ابن مسعود في قوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ قال: نثبت خطها ونبدل حكمها، ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ قال: نؤخرها عندنا)(٣)، والثانية ذكرها ابن جرير في تفسيره (ذكر أنها في مصحف عبد الله ما ننسك من آية أو ننسخها نجيء بمثلها)(٤)، وعلم الناسخ والمنسوخ باب لابد من معرفته لمن يتصدى لتفسير كتاب الله، ولمن أراد استنباط الحكم، ومن لا يعرف هذا الباب يحضر عليه حتى تذكير الناس في المساجد (روى أبو البَخْتَرِيّ(٥) قال: دخل عليّ رضي الله عنه المسجد فإذا رجل يخوّف الناس؛ فقال: ما هذا؟

---

(١) ينظر/ أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي (ت٤١٠هـ) مفسر، ضرير، من أهل بغداد. وبها وفاته. له حلقة في جامع المنصور. من كتبه (الناسخ والمنسوخ في القرآن)، و(الناسخ والمنسوخ من الحديث)، و(المسائل المنثورة) في النحو. الزركلي: الأعلام ج٨ ص٧٢. كتاب الناسخ والمنسوخ ن: عالم الكتب -بيروت توزيع مكتبة المتنبي -القاهرة مكتبة سعد الدين- دمشق ط١ (ت ١٣١٦هـ) ص١٤ بهامش كتاب أسباب النزول للواحدي.

(٢) ينظر/ المرجع نفسه: ص٩ وما بعدها.

(٣) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص١١١.

(٤) الطبري: جامع البيان مج١ ج١ ص٣٧٩.

(٥) أبُو البَخْتَرِي: سعيد بن فيروز الطائي، بالولاء، أبو البختري (ت٨٢هـ) من فقهاء أهل الكوفة. ثقة في الحديث. روى عن ابن عباس وطبقته. الزركلي: الأعلام ج٣ ص٩٩ باختصار.

قالوا: رجل يُذَكِّر الناس؛ فقال: ليس برجل يذكّر الناس! لكنه يقول أنا فلان ابن فلان فاعرفوني، فأرسل إليه فقال: أتعرف الناسخ والمنسوخ؟! فقال: لا؛ قال: فاخرج من مسجدنا ولا تُذكّر فيه)[١]، وهذا التصرف من الإمام عليّ رضي الله عنه يدل على أهمية هذا الباب؛ لأن من لا يعرف المتقدم من المتأخر يخلط في الحكم، ويخطئ في كيفية الاستنباط، وهذه شهادة من ابن عباس رضي الله عنهما لابن مسعود رضي الله عنه بأنه على علم ودراية بالناسخ من المنسوخ (عن الأعمش، عن أبي ظبيان[٢]، قال: قال لنا ابن عباس: أيّ القرآن تعدّون أولاً؟ قلنا قراءة عبد الله (يعني ابن مسعود)، وقراءتنا هي الآخرة، فقال له: رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرض عليه جبريل عليه السلام القرآن كل سنة مرة في شهر رمضان، وإنه عرض عليه في آخر سنة مرتين فشهد منه عبد الله ما نسخ وما بدل)[٣]، وهذا ابن مسعود رضي الله عنه يقول متحدثاً: (لو أعلم أحداً أحدث بالعرضة الأخيرة مني لرحلت إليه)[٤]، فشهوده للعرضة الأخيرة يعني علمه بما نسخ، وما لم ينسخ.

---

(١) القرطبي: الجامع مج١ج٢ ص٤٣.

(٢) أبو ظبيان: واسمه حصين بن جندب بن عمرو بن الحارث بن مالك بن وحشي بن ربيعة بن منبه بن يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن مالك بن أدد من مدحج يقال لسته من ولد يزيد بن حرب جنب منهم منبه بن يزيد، وقد روي أبو ظبيان عن علي وأبي موسى الأشعري وأسامة بن زيد وعبد الله بن عباس، وتوفي بالكوفة سنة تسعين وله أحاديث وكان ثقة. ابن سعد: الطبقات ج٦ ص٢٢٤.

(٣) آرثر جفري والصاوي: المقدمتان كتاب المباني ص٢٥-٢٦.

(٤) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص١١٢-١١٣.

قوله -تعالى-: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾.

جاء في الدر المنثور (عن ابن مسعود وناس من الصحابة في قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾ قال: كان الناس يصلون قِبَل بيت المقدس فلما قدم النبي ﷺ المدينة على رأس ثمانية عشر شهراً من مهاجره، وكان إذا صلى رفع رأسه إلى السماء ينظر ما يؤمر به فنسختها قِبَل الكعبة)[١]، يشير بذلك إلى قول الله -تعالى-: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ﴾[٢]، وهذا من باب نسخ القرآن بالقرآن، وفيه ذكر سبب النزول[٣].

قوله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾.

المأثور عن ابن مسعود في تأويل هذه الآية (عن أبي العالية[٤] قال: قال عبد الله بن مسعود: والذي نفسي بيده أن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقرأه كما أنزله الله ولا يحرف الكلم عن مواضعه ولا

(١) المرجع نفسه: ج١ ص١١٥.
(٢) سورة البقرة: ١٤٤.
(٣) ينظر/ أبو القاسم هبة الله: الناسخ والمنسوخ ص٣٨-٤٤ بهامش أسباب النزول.
(٤) أبي العالية المزني: لا يعرف اسمه ولا سياق نسبه ولا ذكره أبو أحمد الحاكم في الكنى.
ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة (تحقيق: البجاوي) ن: دار الكتب المصرية مطبعة مصطفى محمد ط١ (ت١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م) القسم السابع ص٢٥٢.

يتأول منه شيئاً على غير تأويله)[١]، ومن طريق آخر (عن مرة عن عبد الله في قول الله ﷻ: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ قال: يتبعونه حق اتباعه)[٢]، وهي عبارة جامعة لما في الرواية الأولى.

قوله -تعالى-: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾.

جاء في الجامع للقرطبي (عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: لولا فيكم رجال خُشّع وبهائم رُتّع وصبيان رُضّع لصُبّ العذاب على المذنبين صَبًّا)[٣]، وهذا من باب تفسير القرآن بالسنة.

قوله -تعالى-: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ .

جاء في كتاب نظام النيسابوري قوله: (أطلق اسم الأب على إبراهيم وهو جده، فعن الشافعي أنه مجاز ولهذا قال: الإخوة والأخوات للأب والأم لا يسقطون بالجد، وإليه ذهب مالك وأبو يوسف ومحمد وهو قول عمر وعثمان وعليّ وابن مسعود وزيد)[٤].

قوله -تعالى-: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا

---

(١) الطبري: جامع البيان مج١ ج١ ص٤١١.

(٢) المرجع نفسه: مج١ ج١ ص٤١١.

(٣) القرطبي: الجامع مج١ ج٢ ص٨٠.

(٤) نظام النيسابوري: غرائب القرآن مج١ ج١ ص٤٢٢-٤٢٣ بهامش الطبري.

تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾.

ذكر ابن جرير في تأويل هذه الآية (عن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ قالوا: لما صرف نبي الله ﷺ نحو الكعبة بعد صلاته إلى بيت المقدس قال المشركون من أهل مكة: تحير على محمد دينه فتوجه بقبلته إليكم وعلم أنكم كنتم أهدى منه سبيلا ويوشك أن يدخل في دينكم فأنزل الله- جل ثناؤه- فيهم: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾)[1]، وهذا التأويل من باب ذكر أسباب النزول، ولا شك أن الصحابة أدرى الناس به وبخاصة ابن مسعود؛ لملازمته للنبي ﷺ في جميع أحواله.

قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ .

أورد صاحب الدر من طريق مسروق بن الأجذع (عن ابن مسعود أنه خرج إلى الصفا فقام إلى صدع فيه فلبى فقلت له: إن ناساً ينهون عن الإهلال ههنا قال: ولكني آمرك به، هل تدري ما الإهلال؟ إنما هي استجابة موسى لربه فلما أتى الوادي رمل وقال: رب اغفر وارحم إنك أنت الأعز الأكرم)[2]، وساق رواية أخرى (عن ابن مسعود أنه قام على الصدع الذي في الصفا وقال: هذا والذي لا إله غيره مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة)[3]،

---

(١) الطبري: جامع البيان مج٢ ج٢ ص٢٠.

(٢) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص١٦٩.

(٣) المرجع نفسه: ج١ ص١٦٩.

والصدع الذي ذكر في الروايتين غير موجود في زماننا هذا، حيث تم تسوية الموقع الذي يقف عليه الحجاج في الصفا، وكذلك المروة، وما بينهما ببلاط منضد جميل ييسر حركة الحجاج.

قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾.

جاء في الجامع للقرطبي: (قال ابن مسعود والسُّديّ: هو الرجل يلعن صاحبه فترتفع اللعنة إلى السماء ثم تنحدر فلا تجد صاحبها الذي قيلت فيه أهلاً لذلك، فترجع إلى الذي تكلم بها فلا تجده أهلاً فتنطلق فتقع على اليهود الذين كتموا ما أنزل الله -تعالى-؛ فهو قوله: ﴿وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ فمن مات منهم ارتفعت اللعنة عنه فكانت فيمن بقي من اليهود)(١)، وقد ساق هذه الرواية صاحب الدر المنثور غير أنه ذكر (من تاب) بدلاً من (مات)(٢)، وهو أوفق لسياق الآية، وليس كل كاتم للعلم ملعون على الإطلاق؛ إذ في نشر بعض العلم لمن لا يدركه إغواء، وإضلال له، وفتنة، أخرج مسلم في صحيحه (عن عبد الله بن مسعود قال: ما أنت بمحدّث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة)(٣)، جاء هذا المعنى في الجامع للقرطبي بإيراد حديث عن رسول الله ﷺ (حدّث

(١) القرطبي: الجامع مج١ ج٢ ص١٢٦.

(٢) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص١٧٠.

(٣) النووي: شرح صحيح مسلم ج١ ص٧٦.

الناس بما يفهمون أتحبون أن يكذب الله ورسوله)[١]، وقد عقب بعد ذلك بقوله: (وهذا محمول على بعض العلوم، كعلم الكلام أو ما لا يستوي في فهمه جميع العوام؛ فحكم العالِم أن يُحدّث بما يُفهم عنه، وينزل كل إنسان منزلته)[٢].

قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨﴾ .

من المأثور عن ابن مسعود في تأويل هذه الآية ما أورده الحافظ ابن كثير في تفسيره (عن مسروق أتى عبد الله بن مسعود بضرع[٣] وملح، فجعل يأكل، فاعتزل رجل من القوم، فقال ابن مسعود: ناولوا صاحبكم، فقال: لا أريده، فقال: أصائم أنت؟ قال: لا، قال: فما شأنك؟ قال: حرمت أن آكل ضرعاً أبداً، فقال ابن مسعود: هذا من خطوات الشيطان، فاطعم وكفر عن يمينك)[٤]؛ لأن التحريم، والتحليل لا يكون إلا من عند الله، فمن حرم على نفسه شيئاً سوى الزوجة، فإن عليه كفارة يمين، كما هو الثابت عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وسيأتي مزيد حديث حول تحريم الزوجة في سورة التحريم إن شاء الله.

(١) القرطبي: الجامع مج١ ج٢ ص١٢٤.
(٢) المرجع نفسه: مج١ ج٢ ص١٢٤.
(٣) الضرع: يَبِيسُ الشِّبْرِق وهو نَبْتٌ. الرازي: مختار الصحاح ص٣٨٠.
(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٣٥٩، والسيوطي: الإكليل ص٢٢، والسيوطي: الدر المنثور ج١ ص١٧٥.

قوله -تعالى-: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ .

أورد ابن جرير في تفسيره لهذه الآية عن ابن مسعود ثلاث روايات تدور على معنى واحد، وإن اختلفت الألفاظ، منها: (عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود في قول الله: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ قال: حريصاً شحيحاً يأمل الغنى ويخشى الفقر)[١]، وهذا التفسير من ابن مسعود لهذه الآية موقوفٌ عليه، وفي بعض الروايات مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ، غير أن الحافظ ابن كثير قال: الموقوف أصح[٢]، وفي تأويل بقية الآية: (عن مرة الهمداني عن ابن مسعود أنه قال: أما ﴿ٱلْبَأْسَآءُ﴾ فالفقر، وأما ﴿ٱلضَّرَّآءُ﴾ فالسقم)[٣]، و(عن مرة عن عبد الله قال: ﴿ٱلْبَأْسَآءِ﴾ الحاجة، ﴿وَٱلضَّرَّآءُ﴾ السقم)[٤]، و(عن مرة عن عبد الله في قول الله: ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ قال: وحين القتال)[٥]، وفي الجامع للقرطبي:

---

(١) الطبري: جامع البيان مج٢ ج٢ ص٥٦، والسيوطي: الدر المنثور ج١ ص١٧٨.

(٢) ينظر/ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٣٦٦.

(٣) الطبري: جامع البيان مج٢ ج٢ ص٥٨.

(٤) المرجع نفسه: مج٢ ج٢ ص٥٨.

(٥) المرجع نفسه: مج٢ ج٢ ص٥٩، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٣٦٧-٣٦٨، والسيوطي: الدر المنثور ج١ ص١٨٠.

(البأساء: الشدّة والفقر. والضّراء: المرض والزّمانة؛ قاله ابن مسعود)[١].

قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨﴾

ذكر القرطبي في تفسيره لهذه الآية: (اتفق أبو حنيفة[٢] وأصحابه والثوري، وابن أبي ليلى[٣] على أن الحر يُقتل بالعبد كما يُقتل العبد به، وهو قول داود، وروي ذلك عن عليّ وابن مسعود رضي الله عنهما)[٤]، وعلل

(١) القرطبي: الجامع مج١ ج٢ ص١٦٣.

(٢) أبُو حنِيفَة النعمان بن ثابت، التيمي بالولاء، الكوفي، أبو حنيفة (ت١٥٠هـ) إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. ولد ونشأ بالكوفة. انقطع للتدريس والإفتاء. امتنع عن تولي القضاء تورعاً. كان قويّ الحجة، من أحسن الناس منطقاً، كريماً في أخلاقه، جواداً، حسن المنطق والصورة. له (مسند) في الحديث، جمعه تلاميذه، و(المخارج) في الفقه. توفي ببغداد. الزركلي: الأعلام ج٨ ص٣٦ بشيء من التصرف والاختصار.

(٣) ابن أبي ليلى: أبو بكر عبد الرحمن بن أحمد بن إبراهيم بن أبي ليلى الأنصاري (ت٥٦٦هـ) من أهل مرسيه، الإمام الثقة العدل العارف الموصوف بالإتقان، سمع أباه وأبا علي الصدفي واختص به، رحل وحج ورجع إلى الأندلس وتصدر للإسماع، روى عنه جلة من الشيوخ، دعي للقضاء وامتنع. محمَّد مَخلوف: محمد بن محمد بن عمر بن علي بن سالم مخلوف (ت ١٣٦٠هـ) عالم بتراجم المالكية، من المفتين. مولده ووفاته في المنستير (بتونس). ولي الإفتاء بقابس والقضاء بالمنستير وظيفته المفتي الأكبر. اشتهر بكتابه (شجرة النور الزكية في طبقات المالكية)، وله (مواهب الرحيم)، و(المازرية) رسالة في الطب. الزركلي: الأعلام ج٧ ص٨٢. شجرة النور الزكية ن: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع لاط (ت١٣٥٠ هـ) ج١ ص١٤٨.

(٤) القرطبي: الجامع مج١ ج٢ ص١٦٥-١٦٦.

الحافظ ابن كثير لهذا الحكم بأن أبا حنيفة، ومن معه اعتمدوا على العموم في قول الله -تعالى-: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ (١)، وهذا الحكم (أي الأخذ بعموم الآية)(٢) ينسحب على الرواية الآتية: (عن عليّ وعبد الله قالا: إذا قتل الرجلُ المرأةَ متعمداً فهو بها قَوَدٌ)(٣).

قوله -تعالى-: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾.

جاء في تفسير القرطبي (اختلفوا في رجوع المجيزين للوصية للوارث في حياة الموصي بعد وفاته؛ فقالت طائفة: ذلك جائز عليهم وليس لهم الرجوع فيه. هذا قول عطاء بن أبي رَبَاح(٤) وطاوس(٥) والحسن(٦) وابن

---

(١) سورة المائدة: ٤٥.

(٢) ينظر/ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٣٦٩.

(٣) القرطبي: الجامع مج١ ج٢ ص١٦٦.

(٤) عطاء بن أبي رَبَاح: عطاء بن أسلم بن صفوان (ت١١٤هـ) تابعيّ، من أجلاء الفقهاء. كان عبداً أسود. ولد في جند (باليمن) ونشأ بمكة فكان مفتي أهلها ومحدثهم، وتوفي فيها. الزركلي: الأعلام ج٤ ص٢٣٥.

(٥) طاوس: طاوس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن الحميري، أدرك خمسين صحابياً، قال قيس بن سعد: كان طاوس فينا كابن سيرين في أهل البصرة، وقال ابن حبان: من عباد أهل اليمن وسادات التابعين. مات سنة إحدى ومائة بمكة قبل التروية، بيوم له بضع وتسعون سنة. السيوطي: طبقات الحفاظ ص٣٤.

(٦) الحَسَن البَصْري: الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد (ت ١١٠هـ) تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة، وسكن البصرة. وعظمت هيبته في القلوب، لا يخاف في الحق لومة. قال =

سيرين[١] وابن أبي ليلى والزهري[٢] وربيعة[٣] والأوزاعي[٤]. وقالت

= الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء، وأقربهم هدياً من الصحابة. وكان غاية في الفصاحة. له أخبار كثيرة، وكتاب في (فضائل مكة). الزركلي: الأعلام ج٢ ص٢٢٦ باختصار .

(١) ابن سيرين: محمد بن سيرين الأنصاري أبو بكر بن أبي عمره البصري مولى أنس بن مالك، قال العجلي: من أروى الناس عن شريح وعبيدة، وقال ابن سعد: ثقة مأمون عال رفيع فقيه إمام كثير العلم والورع، وقال مورق العجلي: ما رأيت أفقه في ورعه ولا أروع في فقهه منه، وقال ابن عون: لم أرى في الدنيا مثل ثلاثة: ابن سيرين بالعراق، والقاسم بن محمد بالحجاز، ورجاء بن حيوة بالشام، ولم يكن في هؤلاء مثل محمد، وقال عثمان التيمي: لم يكن بالبصرة أحد أعلم منه بالقضاء، وقال ابن حبان: ثقة فاضل حافظ متقن يعبر الرؤيا، رأى ثلاثين من الصحابة، ولد لسنتين بقيتا من خلافه عثمان، ومات في شوال سنة عشر ومائة بعد الحسن بمائة يوم. السيوطي: طبقات الحفاظ ص٣١-٣٢.

(٢) الزُّهْري: محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، من بني زهرة بن كلاب، من قريش، أبو بكر (ت١٢٤هـ) أول من دوّن الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء. تابعي، من أهل المدينة. كان يحفظ ألفين ومئتي حديث. نزل الشام واستقرّ بها. الزركلي: الأعلام ج٧ ص٩٧ باختصار.

(٣) ربيعة: ربيعة بن فرّوخ التيمي بالولاء، المدني، أبو عثمان (ت١٣٦هـ) إمام حافظ فقيه مجتهد، كان بصيراً بالرأي، وكان من الأجواد. قال ابن الماجشون: ما رأيت أحداً أحفظ لسنّة من ربيعة. وكان صاحب الفتوى بالمدينة وبه تفقه الإمام مالك. الزركلي: الأعلام ج٣ ص١٧ باختصار.

(٤) الأوْزاعي: عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمِد الأوزاعي، من قبيلة الأوزاع، أبو عمرو (ت١٥٧هـ) إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، وأحد الكتاب المترسلين. ولد في بعلبك، ونشأ في البقاع، وسكن بيروت وتوفي بها. وعرض عليه القضاء فامتنع. له كتاب (السنن) في الفقه، و(المسائل). وكانت الفتيا تدور بالأندلس على رأيه. الزركلي: الأعلام ج٣ ص٣٢٠ باختصار.

طائفة: لهم الرجوع في ذلك إن أحبّوا. هذا قول ابن مسعود وشُريح[(١)] و الحكم وطاوس والثّوري والحسن بن صالح[(٢)] وأبي حنيفة والشافعيّ[(٣)] وأحمد وأبي ثور[(٤)])[(٥)]، وهذا سهو من القرطبي حيث جعل ابن مسعود

(١) شريح القاضي: شريح بن الحارث بن قيس الكندي أبو أمية الكوفي، أدرك ولم ير وولي القضاء لعمر وعثمان وعلي ومعاوية ستين سنة إلى أيام الحجاج فاستعفى وله مائة وعشرون سنة، فمات بعد سنة، قال ابن سيرين: قدمت الكوفة وبها أربعة آلاف يطلبون الحديث وإن شيوخ أهل الكوفة عبيدة السلماني والحارث والأعور وعلقمة بن قيس وشريح، وكان أحسنهم، مات سنة ثمان وسبعين. السيوطي: طبقات الحفاظ ص٢٠.

(٢) الحسن بن صالح بن حي الهمداني الثوري الكوفي، أبو عبد الله (ت١٦٨هـ) من زعماء الفرقة (البترية) من الزيدية. كان فقيها مجتهداً متكلماً. توفي متخفياً في الكوفة. له كتب منها (التوحيد) و(إمامة ولد عليّ من فاطمة) و(الجامع) في الفقه. وهو من أقران سفيان الثوري، ومن رجال الحديث الثقات. الزركلي: الأعلام ج٢ ص١٩٣ باختصار.

(٣) الشَّافِعي: محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أبو عبد الله (ت٢٠٤هـ) أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. ولد في غزة (بفلسطين) وحمل إلى مكة طفلاً. وزار بغداد مرتين. ثم رحل إلى مصر وبها كانت وفاته. وكان من أحذق قريش بالرمي، وبرع في الشعر واللغة وأيام العرب، ثم أقبل على الفقه والحديث، وأفتى وهو ابن عشرين سنة. وكان ذكياً مفرطاً له تصانيف كثيرة، أشهرها كتاب (الأم) في الفقه، ومن كتبه (المسند) في الحديث، و(أحكام القرآن)، و(السنن)، و(الرسالة)، و(اختلاف الحديث)، و(السبق والرمي)، و(فضائل قريش)، و(أدب القاضي) و(المواريث). الزركلي: الأعلام ج٦ ص٢٦ باختصار وتصرف .

(٤) أبو ثَوْر الكَلْبِي: إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي، أبو ثور (ت٢٤٠هـ) الفقيه صاحب الإمام الشافعي. قال ابن حبان: كان أحد أئمة الدنيا فقها وعلماً وورعاً وفضلاً، صنف الكتب وفرّع على السنن، وذب عنها؛ يتكلم في الرأي فيخطئ ويصيب. مات ببغداد شيخاً. وقال ابن عبد البر: له مصنفات كثيرة منها كتاب ذكر فيه اختلاف مالك والشافعي وذكر مذهبه في ذلك وهو أكثر ميلاً إلى الشافعي في هذا الكتاب وفي كتبه كلها. الزركلي: الأعلام ج١ ص٣٧.

(٥) القرطبي: الجامع مج١ ج٢ ص١٧٨.

من الذين أجازوا الرجوع، في حين أن ابن مسعود أنكر ذلك على من سأله (عن القاسم بن عبد الرحمن: أن رجلاً استأمر ورثته في أن يوصي بأكثر من الثلث فأذنوا له فلما مات رجعوا فسئل ابن مسعود؟ فقال لهم: ذلك النكرة لا يجوز)[١].

قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾.

روى البخاري (عن علقمة عن عبد الله قال: دخل عليه الأشعث[٢] وهو يَطْعَمُ فقال: اليوم عاشوراء، فقال: كان يصام قبل أن ينزل رمضان فلما نزل رمضان ترك فادنُ فكل)[٣]، وجاء في تفسير الحافظ ابن كثير: (أن الصيام كان أولاً كما كان عليه الأمم قبلنا من كل شهر ثلاثة أيام عن معاذ وابن مسعود وابن عباس وعطاء وقتادة[٤] والضحاك بن مزاحم، وزاد: لم يزل

---

(١) الكتاني: معجم فقه السلف ج٦ ص٢٨٢.

(٢) الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي، أبو محمد (ت٤٠هـ) أمير كندة في الجاهلية والإسلام. وفد على النبي ﷺ بعد ظهور الإسلام، في جمع من قومه؛ فأسلم، وشهد اليرموك فأصيبت عينه. ولما ولي أبو بكر الخلافة امتنع الأشعث وبعض بطون كندة من تأدية الزكاة، ثم حوصرت حضر موت فاستسلم الأشعث، وأقام في المدينة وشهد الوقائع وأبلى البلاء الحسن. وشهد مع سعد بن أبي وقاص حروب العراق. وكان مع عليّ رضي الله عنه يوم صفين، وشهد معه النهروان. ثم عاد إلى الكوفة فتوفي فيها. الزركلي: الأعلام ج١ ص٣٣٢ بتصرف.

(٣) البخاري: صحيح البخاري بحاشية السندي ج٣ ص١٠٢، والنووي: شرح صحيح مسلم ج٨ ص٧-٨.

(٤) قَتَادَة بن دِعَامَة بن قتادة بن عُزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري (ت١١٨هـ) مفسر حافظ. كان مع علمه بالحديث، رأساً في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب. مات بواسط في الطاعون. الزركلي: الأعلام ج٥ ص١٨٩ باختصار.

هذا مشروعاً من زمان نوح إلى أن نسخ الله ذلك بصيام شهر رمضان)(١)، وهذا القول من ابن مسعود، ومن معه أي أن الصوم ثلاثة أيام من كل شهر إلى زمن نوح عليه السلام لا يكون من قبيل الرأي، والاجتهاد، بل من باب السماع عن رسول الله ﷺ، أو عمن سمع من رسول الله ﷺ، وإن لم يصرح بذلك، ومعنى الرواية أن من بعد زمن نوح عليه السلام صار الصوم شهراً، وقد جاء في الناسخ والمنسوخ: (اختلف الناس في الإشارة إلى من هي فقالت طائفة: هي الأمم الخالية، وذلك أن الله تعالى ما أرسل نبياً إلا وفرض عليه وعلى أمته صيام شهر رمضان فكفرت الأمم كلها وآمنت به أمة محمد ﷺ، فيكون التنزيل على هذا الوجه مدحاً لهذه الأمة، وقال: الآخرون الإشارة إلى النصارى وذلك أنهم إذا أفطروا أكلوا وشربوا وجامعوا النساء ما لم يناموا)(٢)، وفي كتب السنن أن رسول الله ﷺ لما هاجر من مكة إلى المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فلما سألهم عن ذلك أخبروه بأنه يوم صالح، يوم نجى فيه موسى عليه السلام ومن معه من فرعون، فصامه شكراً لله، وذكروا أن النبي ﷺ أجابهم بأنه أحق بموسى عليه السلام منهم، فصامه، وأمر بصيامه، وصار المسلمون على ذلك حتى فرض شهر رمضان، فمن شاء صام يوم عاشوراء، ومن شاء تركه، وفي الدر المنثور للسيوطي: (عن ابن مسعود قال: كان يوم عاشوراء يصام قبل أن ينزل شهر رمضان فلما نزل رمضان ترك)(٣).

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٣٧٦.

(٢) أبو القاسم هبة الله: الناسخ والمنسوخ ص٥٦-٥٧ بهامش الواحدي.

(٣) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٢١١.

قوله -تعالى- : ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤)﴾ .

قال الحافظ ابن كثير عند تفسير هذه الآية: (أما الصحيح المقيم الذي يطيق الصيام فقد كان مخيراً بين الصيام والإطعام، إن شاء صام وإن شاء أفطر وأطعم عن كل يوم مسكيناً، فإن أطعم أكثر من مسكين عن كل يوم فهو خير، وإن صام فهو أفضل من الإطعام، قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وطاوس ومقاتل بن حيان وغيرهم)(١)، هذا قبل أن تنسخ الآية، أما بعد نسخ فلا خيار، وإنما هو الصوم، أورد الحافظ ابن كثير في تفسيره: (عن عبد الله، قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ قال: يقول: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾ ، أي يتجشمونه، قال عبد الله: فكان من شاء صام، ومن شاء أفطر وأطعم مسكيناً، ﴿فَمَن تَطَوَّعَ﴾ يقول: أطعم مسكيناً آخر ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛ فكانوا كذلك حتى نسختها ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾)(٢)، وهذا الذي روي عن ابن مسعود هو من باب نسخ القرآن بالقرآن، وقال أبو القاسم هبة الله: (﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ وهذه الآية نصفها منسوخ ونصفها محكم، وقد قرأت (يطوقونه)، فمن قرأ (يطيقونه) أراد أن يطيقون صيامه ومن قرأ يطوقونه

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٣٧٦-٣٧٧.
(٢) المرجع نفسه: ج١ ص٣٧٨.

يعني يكلفونه، وكان الرجل في بدء الإسلام إن شاء صام وإن شاء أفطر وأطعم مكان يومه مسكيناً حتى قال الله- تعالى-: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ فأطعم بمكان يومه مسكنين كان أفضل، والإطعام مد من طعام على قول أهل الحجاز وعلى قول أهل العراق نصف صاع حتى أنزل الله الآية التي تليها وهي قوله- تعالى-: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ وهذا الظاهر يحتاج إلى كشف ومعناه والله أعلم من شهد منكم الشهر حاضراً عاقلاً بالغاً صحيحاً فليصمه فصار هذا ناسخاً لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ الآية)[1].

قوله -تعالى-: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾.

أورد السيوطي في الدر (عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: إذا كان أول ليلة من شهر رمضان فتحت أبواب الجنان فلم يغلق منها باب واحد الشهر كله، وغلّقت أبواب النار فلم يفتح منها باب واحد الشهر كله، وغُلّت الجن ونادى منادٍ من السماء كل ليلة إلى انفجار الصبح: يا باغي الخير تمم وأبشر ويا باغي الشر أقصر وأبصر هل من مستغفر نغفر له؟ هل من تائب نتوب عليه؟ هل من داعٍ نستجيب له؟ هل من سائل نعطي سؤاله؟ ولله عند كل فطر من شهر رمضان كل ليلة عتقاء من النار ستون ألفاً، فإذا كان يوم الفطر أعتق مثل من أعتق في جميع الشهر ثلاثين مرة ستين ألفاً ستين

---

(١) أبو القاسم هبة الله: الناسخ والمنسوخ ص٦٣-٦٥ بهامش الواحدي.

ألفاً)[(١)]، ومما جاء في فضل هذا الشهر (عن ابن مسعود قال: سيد الشهور شهر رمضان وسيد الأيام الجمعة)[(٢)]، ويكفي في فضله أن الله -سبحانه وتعالى- نزّل فيه القرآن؛ هدى للناس، وبينات من الهدى والفرقان، وروي عن ابن مسعود حديثاً عن رسول الله ﷺ يبين فضيلة الصوم المادية؛ أخرج البخاري (عن علقمة قال: بينا أنا أمشي مع عبد الله رضي الله عنه فقال: كنا مع النبي ﷺ فقال: مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، ومَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فعَلَيْهِ بالصَّوْمِ فإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ)[(٣)] أي وقاية، أما تأويل قول الله -تعالى- ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ فقد جاء في الجامع للقرطبي: (لا اعتبار برؤية هلال شوّال يوم الثلاثين من رمضان نهاراً بل هو لليلة التي تأتي، هذا هو الصحيح. وقد اختلف الرواة عن عمر في هذه المسألة)[(٤)]، روى الدارقطني (عن شقيق قال: جاءنا كتاب عمر ونحن بخانقين، قال في كتابه: إن الأهلة بعضها أكبر من بعض، فإذا رأيتم الهلال نهاراً فلا تفطروا حتى يشهد شاهدان)[(٥)]،

(١) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص١٩٢.
(٢) المرجع نفسه: ج١ ص١٩٤.
(٣) البخاري: صحيح البخاري بحاشية السندي ج١ ص٣٢٦.
(٤) القرطبي: الجامع مج١ ج١ ص٢٠٣.
(٥) الدَّارَقُطْني: علي بن عمر بن أحمد بن مهدي، أبو الحسن الدارقطني الشافعي (ت٣٨٥هـ) إمام عصره في الحديث، وأول من صنف القراآت وعقد لها أبواباً. ولد بدار القطن (من أحياء بغداد) ورحل إلى مصر. وعاد إلى بغداد فتوفي بها. من تصانيفه كتاب (السنن)، و(العلل)، و(المجتبى من السنن المأثورة)، و(المؤتلف والمختلف)، و(الضعفاء) وغيرها. الزركلي: الأعلام ج٤ ص٣١٤. سنن الدارقطني ن: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت -لبنان لاط (ت١٤١٨هـ- ١٩٩٨م) مج١ ج٢ ص١٣١-١٣٢.

(ورُوي عن عليّ بن أبي طالب مثل ما ذكره عبد الرزاق أيضاً، وهو قول ابن مسعود وابن عمر وأنس بن مالك، وبه قال مالك والشافعي وأبو حنيفة ومحمد بن الحسن واللّيث والأوزاعي، وبه قال أحمد وإسحاق)[(١)]، ومما يتعلق بإكمال العدة، كان يرى ابن مسعود إكمال شهر شعبان إذا لم يتبين الهلال أفضل من صيام يوم الثلاثين الذي هو محل الشك، ولو تبين فيما بعد أنه من رمضان؛ قال صاحب معجم فقه السلف: (عن ابن مسعود لأن أفطر يوماً من رمضان ثم أقضيه أحب إليّ أن أزيد فيه يوماً ليس فيه)[(٢)]، وأما صيام الدهر فهو مما يكرهه ابن مسعود، جاء في معجم فقه السلف (سئل ابن مسعود عن صوم الدهر؟ فكرهه)[(٣)]؛ لما فيه من إجهاد النفس، وإضعاف البدن، والمؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، ومما يتعلق بآداب الصوم ما جاء في كتاب لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي (عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إذا أصبح أحدكم صائماً فليترجل -يعني يسرح شعره ويدهنه- وإذا تصدق بصدقة عن يمينه فليخفها عن شماله، وإذا صلى تطوعاً فليصل داخل بيته)[(٤)]، أما المسافة التي تجيز للصائم الفطر (عن ابن مسعود في اثني

(١) القرطبي: الجامع مج١ ج١ ص٢٠٣.

(٢) الكتاني: معجم فقه السلف ج٣ ص٦٠.

(٣) المرجع نفسه: ج٣ ص٦٢.

(٤) ابن رَجَب الحنبلي: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السَّلامي البغدادي ثم الدمشقي، أبو الفرج، زين الدين (ت٧٩٥هـ) حافظ للحديث، من العلماء. ولد في بغداد ونشأ وتوفي في دمشق. من كتبه (شرح جامع الترمذي)، و(جامع العلوم والحكم) في الحديث، و(فضائل الشام)، و(القواعد الفقهية)، و(لطائف المعارف)، و(فتح الباري، شرح =

عشر ميلاً)[١].

قوله -تعالى-: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾.

المأثور عن ابن مسعود في هذه الآية في كيفية معرفة الفجر الصادق من غيره ما جاء في الجامع للقرطبي: (عن ابن مسعود: إن الفجر ليس الذي يقول هكذا -وجمع أصابعه ثم نكسها إلى الأرض- ولكن الذي يقول هكذا -ووَضع المُسَبِّحَة على المُسَبِّحَة ومَدّ يديه)[٢]، يعني أن الفجر الصادق الذي ينتشر ضوءه أفقياً، لا الذي يظهر كعمود في السماء، فالأول: يمتنع عنده الأكل والشرب، أما الثاني فلا يمنع الأكل والشرب للصائم، والمستحب عند ابن مسعود تأخير السحور، وتعجيل الفطر؛ جاء في معجم فقه السلف (عن ابن مسعود أنه كان يؤخر السحور ويعجل الإفطار؛ فقالت عائشة: هكذا كان رسول الله ﷺ يصنع)[٣]، وساق ابن جرير في تفسيره روايتين: إحداهما من طريق البراء بن عازب، والثانية من طريق عامر بن مضر، تدلان على التزامه

= صحيح البخاري)، و(أهوال القبور) وغيرها. الزركلي: الأعلام ج٣ ص٢٩٥ باختصار. لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف (تحقيق: خالد بن محمد بن عثمان) ن: مكتبة الصفا مطابع دار البيان الحديثة ط١ (ت١٤٢٣هـ -٢٠٠٢ف) ص٤٤.

(١) الكتاني: معجم فقه السلف ج٣ ص٨٠.

(٢) القرطبي: الجامع مج١ ج٢ ص٢١٣.

(٣) الكتاني: معجم فقه السلف ج٣ ص٥٢.

بتأخير السحور إلى قبيل وقت الصلاة، ونص الرواية الأولى: (عن البراء قال: تسحرت في شهر رمضان ثم خرجت فأتيت ابن مسعود فقال: اشرب فقلت: إني تسحرت فقال: اشرب فشربنا ثم خرجنا والناس في الصلاة)(١)، والرواية الثانية: (عن عامر ابن مضر قال: أتيت عبد الله بن مسعود في داره فأخرج فضلاً من سحوره فأكلنا معه ثم أقيمت الصلاة فخرجنا فصلينا)(٢)، قال الحافظ ابن كثير: (روي عن طائفة كثيرة من السلف، أنهم تسامحوا في السحور عند مقاربة الفجر؛ روي مثل هذا عن أبي بكر وعمر وعليّ وابن مسعود وحذيفة وأبي هريرة وابن عمر وابن عباس وزيد بن ثابت)(٣)، والتسامح الذي ذكره الحافظ ابن كثير لم يكن عن رأي وهوًى، وإنما أخذاً من سنة رسول الله ﷺ القولية والعملية. (عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: لا يمنعنّ أحدَكم أذانُ بلال من سَحُوره، فإنه ينادي، أو قال: يؤذن، لِيَرْجع قائمَكم ويُنَبِّه نائمَكم، ليس أن يقول هكذا، ولكن حتى يقول هكذا)(٤)، وهذا القاسم بن محمد(٥) يحدث (عن عائشة رضي الله عنها أنَّ بِلَالاً(٦) كانَ يُؤَذِّنُ بِلَيْلٍ فقَالَ

(١) الطبري: جامع البيان مج٢ ج٢ ص١٠١.

(٢) المرجع نفسه: مج٢ ج٢ ص١٠١.

(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٣٩٢.

(٤) ابن حنبل: المسند ج٥ ص٢٧٠-٢٧١.

(٥) القاسِم بن محمد بن أبي بكر الصديق، أبو محمد (ت١٠٧هـ) أحد الفقهاء السبعة في المدينة. قال ابن عيينة: كان القاسم أفضل أهل زمانه. الزركلي: الأعلام ج٥ ص١٨١ بتصرف.

(٦) بلال بن رباح الحبشي، أبو عبد الله (ت٢٠هـ) مؤذن رسول الله ﷺ وخازنه على بيت ماله. أحد السابقين للإسلام. شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. توفي في دمشق. روى له البخاري ومسلم ٤٤ حديثاً. الزركلي: الأعلام ج٢ ص٧٣ باختصار.

رسُولُ اللهِ ﷺ: كُلُوا واشْرَبُوا حَتَّى يُؤَذِّنَ ابْنُ أمِّ مَكْتُوم[(١)] فإنَّهُ لَا يُؤَذِّنُ حَتَّى يَطْلُعَ الفَجْرُ، قال القاسم: ولم يكن بين أذانهما إلا أن يَرْقَى ذا وينزلَ ذا)[(٢)]، وفي سنن الدارقطني أحاديث بنفس المعنى من غير طريق ابن مسعود رضي الله عنه[(٣)]، وفيما يتعلق بإتمام الصيام إلى الليل (عن ابن مسعود من أفطر يوماً من رمضان من غير رخصة لم يجزه صيام الدهر وإن صامه)[(٤)]، وجاء في هذا المعنى حديث عن أبي هريرة أخرجه البخاري في صحيحه[(٥)]، وكذلك كان يكره القُبلة نهاراً؛ ذكر القرطبي في تفسيره: (وممن كَرِه القُبلة للصائم عبد الله بن مسعود وعُرْوة بن الزبير[(٦)])[(٧)]، والرواية الأخرى أن عليه القضاء

(١) ابن أمّ مَكْتُوم: عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم (ت٢٣هـ) صحابي، شجاع. كان ضرير البصر. أسلم بمكة. وكان يؤذن لرسول الله ﷺ في المدينة، مع بلال. وكان النبيّ يستخلفه على المدينة. حضر حرب القادسية ومعه راية سوداء وعليه درع سابغة، فقاتل -وهو أعمى-. الزركلي: الأعلام ج٥ ص٨٣ بتصرف.

(٢) البخاري: صحيح البخاري بحاشية السندي ج١ ص٣٢٨.

(٣) ينظر/ الدارقطني: مج١ ج٢ ص١٢٨-١٣١.

(٤) الكتاني: معجم فقه السلف ج٣ ص٦٥.

(٥) ينظر/ البخاري: صحيح البخاري بحاشية السندي ج١ ص٣٣١.

(٦) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي أبو عبد الله المدني، فقيه عالم كثير الحديث صالح لم يدخل في شيء من الفتن، قال ابن شهاب: عروة بحر لا ينزف، قال هشام: ما تعلمنا جزءاً من ألف جزء من أحاديثه، وهو أحد الفقهاء السبعة، قال الزهري: أربعة من قريش وجدتهم بحوراً: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، و عبيد الله بن عبد الله. وقال ابن عيينة: إن أعلم الناس بحديث عائشة ثلاثة: القاسم بن محمد، وعروة، وعمرة بنت عبد الرحمن. السيوطي: طبقات الحفاظ ص٢٣.

(٧) القرطبي: الجامع مج١ ج٢ ص٢١٦.

ذكر الكتاني في معجمه: (سئل ابن مسعود عمن قبَّل وهو صائم فقال: يفطر ويقضي يوماً مكانه)[١]، وفي حكم القبلة للصائم، وما يترتب عليها من القضاء، والكفارة، أو عدمها خلاف بسطه القرطبي في المسألة الثالثة عشر من تفسيره، فمن شاء المزيد رجع إليه[٢]، وأورد الكتاني (عن ابن مسعود الفطر مما دخل وليس مما خرج والوضوء مما خرج وليس مما دخل)[٣]، والقبلة ليست من هذا الباب على هذه الرواية، ولذا قال الكتاني نفسه في كتابه معجم فقه السلف: (عن ابن مسعود بأصح الطرق أنه كان يباشر امرأته نصف النهار وهو صائم)[٤]، ويعني بالمباشرة هنا اللمس، والتقبيل وليس المجامعة، ومما أثر عن ابن مسعود بخصوص الاعتكاف[٥] روايات ثلاثة منها ما يتعلق بالمراد من المساجد، ومنها ما يتعلق بالصوم، ومنها ما يتعلق بمعنى المباشرة، فالتي تتعلق بالمكان يرى ابن مسعود أن المقصود من المساجد المسجد الذي تقام فيه الجمعة؛ جاء في الجامع للقرطبي: (لا اعتكاف إلا في مسجد تُجمع فيه الجمعة؛ رُوي هذا عن عليّ بن أبي طالب وابن مسعود، وهو قول عُرْوة والحَكم وحماد والزُّهري وأبي جعفر[٦] محمد

---

(١) الكتاني: معجم فقه السلف ج٣ ص٩٠.
(٢) ينظر/ القرطبي: الجامع مج١ ج٢ ص٢١٦.
(٣) الكتاني: معجم فقه السلف ج٣ ص٩٤.
(٤) المرجع نفسه: ج٣ ص٩٣.
(٥) الاعتكاف: العُكُوفُ الإقْبَالُ على الشيء ومُلازَمَتُه على سبيلِ التَّعْظِيمِ له والاعْتِكَافُ في الشَّرْعِ هو الاحْتِبَاسُ في المَسْجِدِ علَى سَبيلِ القُرْبَةِ. الراغب: المفردات ص٣٤٢-٣٤٣.
(٦) أبو جعفر: محمد بن علي زين العابدين بن الحسين الطالبي الهاشمي القرشي، أبو جعفر =

بن عليّ، وهو أحد قولي مالك)[١]، وعلل القرطبي هذا الاتجاه، أي الاعتكاف في مسجد جامع بقوله: (لأن الإشارة في الآية عندهم إلى ذلك الجنس من المساجد)[٢]، وهل يلزم المعتكف الصيام أم لا؟ المروي عن ابن مسعود في ذلك أنه لا يلزم إلا إذا اشترطه على نفسه؛ جاء في الدر (عن علي وابن مسعود قالا: المعتكف ليس عليه صوم إلا أن يشرطه على نفسه)[٣]، والرواية الثالثة التي تتعلق بمنع المعتكف من مباشرة زوجتهُ (عن ابن مسعود ومحمد بن كعب ومجاهد وعطاء والحسن وقتادة والضحاك والسدي والربيع بن أنس ومقاتل، قالوا: لا يقربها وهو معتكف)[٤]، وعقب الحافظ ابن كثير على هذا الحكم بقوله: (وهذا الذي حكاه عن هؤلاء هو الأمر المتفق عليه عند العلماء، أن المعتكف يحرم عليه النساء ما دام معتكفاً في مسجده، ولو ذهب إلى منزله لحاجة لابد له منها فلا يحل له أن يثبت فيه إلا بمقدار ما يفرغ من حاجته تلك من قضاء الغائط أو الأكل، وليس له أن يقبل امرأته ولا أن يضمها)[٥].

= الباقر (ت١١٤هـ). كان ناسكاً عابداً، له في العلم وتفسير القرآن آراء وأقوال. ولد بالمدينة، وتوفي بالحميمة ودفن بالمدينة. الزركلي: الأعلام ج٦ ص٢٧٠-٢٧١ باختصار.

(١) القرطبي: الجامع مج١ ج٢ ص٢٢٢.

(٢) المرجع نفسه: مج١ ج٢ ص٢٢٢.

(٣) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٢١١.

(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٣٩٦.

(٥) المرجع نفسه: ج١ ص٣٩٦.

قوله -تعالى-: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦)﴾.

ذكر ابن جرير في تفسيره (عن إبراهيم قال: قال عبد الله: الحج فريضة والعمرة تطوع)(١)، وساق قبل هذه الرواية رواية فيها إلى البيت، وهي قراءة تفسيرية لا قرآن، كما جاء في تلك الرواية فيها محاولة اجتهاد من عبد الله بن مسعود، لولا التحرج، والخوف من الله لأوجب العمرة كإيجاب الحج، وهذا نص الرواية (عن عبد الله وأقيموا الحج والعمرة إلى البيت، ثم قال عبد الله: والله لولا التحرج وأني لم أسمع من رسول الله ﷺ فيها شيئاً لقلت أن العمرة واجبة مثل الحج)(٢)، وإذا كان ابن مسعود لم يجزم بوجوب العمرة؛ لعدم وجود نص عنده، فإن علياً، و ابن عمر، وابن عباس رضي الله عنهم قد أوجبوها كإيجاب الحج؛ ذكر هذا القرطبي في المسألة الرابعة من تفسيره(٣)، وساق حديثاً (عن زيد ابن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: إن الحج والعمرة فريضتان لا يضرّك بأيّهما بدأت)(٤)، أما بخصوص إتمام

(١) الطبري: جامع البيان مج٢ ج٢ ص١٢٢.

(٢) الطبري: جامع البيان مج٢ ج٢ ص١٢٢، والسيوطي: الدر المنثور ج١ ص٢١٧-٢١٨.

(٣) ينظر/ القرطبي: الجامع مج١ ج٢ ص٢٤٥.

(٤) المرجع نفسه: مج١ ج٢ ص٢٤٥.

الحج، والعمرة قد جاء في الكشاف للزمخشري: (وقيل إتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك. روي ذلك عن عليّ وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم)[١]، ويرى غير هؤلاء من الصحابة رضي الله عنهم أن المقصود بالإتمام أن تسافر للحج، والعمرة كلٌّ على حِدَا، وأن تكون النفقة حلالاً، وأن تقصد بهما وجه الله، ولا تنوي معهما تجارة شيئ من عرض الدنيا؛ ذكر هذه المعاني صاحب الكشاف[٢]، والقرطبي في جامعه[٣]، وجاء في الدر المنثور: (عن ابن مسعود قال: أمرتم بإقامة أربع: أقيموا الصلاة وأتوا الزكاة وأقيموا الحج والعمرة إلى البيت، والحج الحج الأكبر، والعمرة الحج الأصغر)[٤]، وفي فضل الحج، والعمرة، وما لهما من ثواب دنيوي، وأخروي ما رواه (ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب دون الجنة وما من مؤمن يظل يومه محرماً إلا غابت الشمس بذنوبه)[٥]، وفي معنى الإحصار ذكر صاحب المفردات: (الحَصْرُ والإحصارُ المَنْعُ مِنْ طرِيقِ البَيْتِ، فالإحْصارُ يقال في المَنْعِ الظاهِرِ كالعَدُوِّ، والمَنْعُ الباطِنِ كالمَرَضِ،

---

(١) الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ن: انتشارات آفتاب تهران لاط لات ج١ ص٣٤٣.

(٢) ينظر/ المرجع نفسه: ج١ ص٣٤٣.

(٣) ينظر/ القرطبي: الجامع مج١ ج٢ ص٢٤٤-٢٤٣.

(٤) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٢١٧.

(٥) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٢٢٠.

والحَصْرُ لا يقالُ إلا في المَنْعِ الباطِنِ؛ فقولُه تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ فمَحْمُولٌ علَى الأمْرَيْنِ)[١]، والذي يؤكد صحة ما ذهب إليه الراغب من أن الآية محمولة على الأمرين أي الحصر الظاهر، والباطن أنه (روي عن ابن مسعود وابن الزبير وعلقمة وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير ومجاهد والنخعي وعطاء ومقاتل بن حيان، أنهم قالوا: الإحصار من عدو أو مرض أو كسر)[٢]، وفي الدر المنثور (عن علقمة عن ابن مسعود في قوله ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ الآية؛ يقول: إذا أهلَّ الرجل بالحج فأحصر بعث ما استيسر من الهدي فإن هو عجل قبل أن يبلغ الهدي محله فحلق رأسه أو مس طيباً أو تداوى بدواء كان عليه فدية من صيام أو صدقة أو نسك والصيام ثلاثة أيام، والصدقة ثلاثة أصع على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع، والنسك شاة، ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ يقول: فإذا برىء مضى من وجهه ذلك إلى البيت كان أحل من حجته بعمرة وكان عليه الحج من قابل، فإن هو رجع ولم يتم من وجهه ذلك إلى البيت كان عليه حجة وعمرة، فإن هو رجع متمتعاً في أشهر الحج كان عليه ما استيسر من الهدي شاة، فإن هو لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحجة وسبعة إذا رجعتم)[٣].

قوله -تعالى-: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ

---

(١) الراغب: المفردات ص١٢٠-١٢١.
(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٤١٠.
(٣) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٢٢١.

وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ .

المأثور عن ابن مسعود في تأويل هذه الآية روايات، منها ما يتعلق بتحديد الزمن، وهو ما يعرف في كتب الفقه بالميقات الزماني (عن ابن مسعود ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ﴾ قال: شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة)(١)، وغيره يرى أن شهر ذي الحجة داخل في الميقات كله، وبيّن ثمرة الخلاف القرطبي بقوله: (وفائدة الفرق تعلّق الدم؛ فمن قال: إن ذا الحجة كله من أشهر الحج لم ير دَماً فيما يقع من الأعمال بعد يوم النحر؛ لأنها في أشهر الحج. وعلى القول الأخير ينقضي الحج بيوم النحر، ويلزم الدم فيما عمل بعد ذلك لتأخيره عن وقته)(٢)، كما يكره ابن مسعود، وعمر رضي الله عنهما العمرة في أشهر الحج؛ لأنهما يحبذان زيارة البيت في العام مرتين(٣)، (عن طارق بن شهاب(٤) قال: سألت ابن مسعود عن امرأة منا أرادت أن تجمع من حجها عمرة فقال: أسمع الله يقول: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ﴾ ما أراها إلا أشهر الحج)(٥)، أما المقصود من

---

(١) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٢٢٧، والطبري: جامع البيان مج٢ ج٢ ص١٥٠.

(٢) القرطبي: الجامع مج١ ج٢ ص٢٦٩.

(٣) ينظر/ المرجع نفسه: مج١ ج٢ ص٢٦٢-٢٦٣ .

(٤) طارِق بن شِهَاب بن عبد شمس بن سلمة البجلي الأحمسي، أبو عبد الله (ت٨٣ هـ) غزا في خلافة أبي بكر وعمر، ثلاثاً وثلاثين غزوة. وله في صحيحي البخاري ومسلم وبقية الكتب الستة أحاديث، عن الصحابة. الزركلي: الأعلام ج٣ ص٢١٧ بتصرف.

(٥) الطبري: جامع البيان مج٢ ج٢ ص١٥٢.

قول الله -تعالى-: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ في تأويل ابن مسعود (قال: الفرض الإحرام وفي لفظ آخر (التلبية))[١]، فالمعنى واحد، وإن اختلف اللفظ، وفي معنى الرفث[٢] (عن أبي الأحوص عن عبد الله قوله: ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ قال: الرفث إتيان النساء)[٣]، أما الجدال[٤] فعن أبي الأحوص أيضاً: (عن عبد الله ﴿وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ قال: أن تماري صاحبك حتى تغضبه)[٥]، فيلجأ إلى السباب، وقد ورد في السنة النهي عن سباب المسلم، وعن قتاله، روي عن (أبي وائل عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ وقِتَالُهُ كُفْرٌ)[٦].

قوله -تعالى-: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَـٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾ .

أخرج مسلم في صحيحه (عن عبد الرحمن بن يزيد أن عبد الله لبى حين أفاض من جمع، فقيل: أعرابي هذا؟ قال عبد الله: أَنَسِي الناس أم ضَلُّوا؟ سمعت الذي أنزلت عليه سورة البقرة يقول في هذا المكان: لبيك

(١) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٢٢٧، والسيوطي: الإكليل ص٣٢.
(٢) الرَّفَثُ: كلامٌ مُتضمِّنٌ لمَا يُسْتقْبَحُ ذِكْرُهُ مِن ذِكْرِ الجمَاعِ ودَواعِيهِ وجُعِلَ كِنايةً عن الجماعِ. الراغب: المفردات ص١٩٩.
(٣) الطبري: جامع البيان مج٢ ج٢ ص١٥٥.
(٤) الجِدالُ: المُفَاوَضةُ علَى سبِيلِ المُنازَعةِ والمُغَالَبَةِ. الراغب: المفردات ص٨٩.
(٥) الطبري: جامع البيان مج٢ ج٢ ص١٥٨.
(٦) البخاري: صحيح البخاري بحاشية السندي ج٤ ص٥٧.

اللهم لبيك)[١]، وفي صحيح مسلم (عن عبد الرحمن بن يزيد قال: قال ابن مسعود ونحن بجمع: سمعت الذي أنزلت عليه سورة البقرة يقول في هذا المكان: لبيك اللهم لبيك)[٢]، وفيما يستنبط من هذا الحديث (١- دلالة على استحباب إدامة التلبية بعد الوقوف بعرفات. قال النووي: وإليه ذهب الجمهور[٣]. ٢- وفيه حجة لمن أجاز قول سورة البقرة وسورة النساء وشبه ذلك. ٣- في تخصيص ابن مسعود سورة البقرة بالذكر إشارة إلى أن سورة البقرة قد اشتملت على كثير من أحكام مناسك الحج)[٤]، وفي معجم فقه السلف في نفس المعنى: (قال ابن مسعود: لا يمسك الحاج عن التلبية حتى يرمي جمرة العقبة)[٥]، ولم يكن هذا منه مجرد رأي، وإنما هو أخذ من سنة رسول الله ﷺ العملية، روى الكتاني (عن عبد الله بن مسعود قال: خرجت مع رسول الله ﷺ فما ترك التلبية حتى أتى جمرة العقبة إلا أن يخلطها بتكبير أو بتهليل)[٦]، وفي المسند للإمام أحمد (عن عبد الله قال: لبى رسول الله ﷺ حتى رمى جمرةَ العقبة)[٧]،

---

(١) النووي: شرح صحيح مسلم ج٩ ص٢٨، والكتاني: معجم فقه السلف ج٤ ص٢٥.

(٢) النووي: شرح صحيح مسلم ج٩ ص٢٨.

(٣) د/ الشريف منصور بن عون العَبدلي: الأستاذ المساعد بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى – مكة المكرمة. مرويات ابن مسعود رضي الله عنه في الكتب الستة وموطأ مالك ومسند أحمد ن: دار الشروق جدة ط١ (ت١٤٠٦هـ –١٩٨٥م) مج١ص٧٦٠.

(٤) النووي: شرح صحيح مسلم ج٩ ص٢٨ باختصار .

(٥) الكتاني: معجم فقه السلف ج٤ ص٢٥.

(٦) المرجع نفسه: ج٤ ص٢٧.

(٧) ابن حنبل: المسند ج٥ ص٢٧٨.

أما عن الصلاة بالمزدلفة، فالثابت عن ابن مسعود، وبعض الصحابة ﭫ أنهم يصلون كل صلاة بأذان وإقامة، جاء في معجم فقه السلف: (عن عمر ﭬ أنه جمع بينهما في مزدلفة فصلى كل صلاة بأذان وإقامة وفعل مثل ذلك ابن مسعود وعلي بن أبي طالب)(١)، وجاء في الجامع من حديث (عبد الرحمن ابن يزيد قال: كان ابن مسعود يجعل العشاء بالمزدلفة بين الصلاتين، وفي طريق أخرى، وصلّى كل صلاة بأذان وإقامة)(٢)، وفي صحيح البخاري (عن عبد الرحمن بن يزيد قال: خرجنا مع عبد الله ﭬ إلى مكة ثم قدمنا جمعاً فصلى الصلاتين كل صلاة وحدها بأذان وإقامة، والعشاءُ بينهما، ثم صلى الفجر حين طلع الفجر قائلٌ يقول: طلع الفجر، وقائل يقول: لم يطلع الفجر، ثم قال: إنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ حُوِّلَتَا عَنْ وَقْتِهِمَا فَي هذَا الْمَكَانِ الْمَغْرِبَ والْعِشَاءَ فَلَا يَقْدَمُ النَّاسُ جَمْعاً حَتَّى يُعْتِمُوا وصَلَاة الْفَجْرِ هذِهِ السَّاعَةَ ثُمَّ وَقَفَ حَتَّى أَسْفَرَ ثم قال: لو أن أمير المؤمنين أفاض الآن أصاب السُّنّةَ فما أدري أَقَوْلُهُ كان أسرع أم دَفْعُ عثمان ﭬ، فلم يزل يُلبي حتى رمى جمرة العقبة يوم النحر)(٣)، والمستفاد من الحديث (١- مشروعية الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء جمع تأخير بمزدلفة ليلة النحر. ٢- دليل على استحباب التبكير بصلاة فجر يوم النحر بمزدلفة. ٣- دليل على مشروعية الأذان والإقامة لكل من الصلاتين إذا جمع بينهما

(١) الكتاني: معجم فقه السلف ج٤ ص٢٢.

(٢) القرطبي: الجامع مج١ ج٢ ص٢٨٠.

(٣) البخاري: صحيح البخاري بحاشية السندي ج١ ص٢٩٢.

وإليه ذهب مالك واختاره البخاري)[١].

قوله -تعالى-: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾.

جاء في الدر المنثور (عن عبد الله بن مسعود قال: ما من عبد ولا أمة دعا الله ليلة عرفة بهذه الدعوات وهي عشر كلمات ألف مرة لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه إلا قطيعة رحم أو إثماً: سبحان الذي في السماء عرشه، سبحان الذي في الأرض موطئه، سبحان الذي في البحر سبيله، سبحان الذي في النار سلطانه، سبحان الذي في الجنة رحمته، سبحان الذي في القبور قضاؤه، سبحان الذي في الهواء روحه، سبحان الذي رفع السماء، سبحان الذي وضع الأرض، سبحان الذي لا ملجأ ولا منجا منه إلا إليه ثم قال له: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم)[٢]، أما عن زمن التكبير في أيام التشريق (عن عمير بن سعد[٣] قال: قدم علينا ابن مسعود فكان يكبر من صلاة الصبح يوم عرفة إلى العصر حتى آخر أيام التشريق)[٤]، وفي الجامع للقرطبي رواية تخالف هذه من حيث أن التكبير لم

(١) الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج١ ص٧٥٨.

(٢) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٢٣٧-٢٣٨.

(٣) عمير بن سعد بن عبيد بن النعمان الأنصاري من بني عمرو بن عوف، كان يقال له: نسيج وحده غلب ذلك عليه وعرف به، سكن عمير بن سعد الشام ومات بها، روى عنه راشد بن سعد وحبيب ابن عبيد وجماعة. ابن عبد البر: الاستيعاب القسم الثالث ص١٢١٥-١٢١٧ باختصار.

(٤) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٢٤١.

يشمل أيام التشريق (قال ابن مسعود وأبو حنيفة: يُكبِّر من غداة عرفة إلى صلاة العصر من يوم النحر)[١]، والرواية الأولى أثبت؛ لورودها مسندة.

قوله -تعالى-: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾.

أخرج ابن جرير في تأويل هذه الآية عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه روايات بألفاظ متعددة، ومضمونها واحد، أجملها فيما يلي: (عن عبد الله ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ قال: ليس عليه إثم، أي غفر له: برئ من الإثم، خرج من الإثم كله)[٢]، أما فيما يتعلق برمي جمرة العقبة، فقد وردت عن عبد الله رضي الله عنه روايات بألفاظ مختلفة، ومعناها واحد، وإن كان بعضها يزيد في اللفظ على بعض؛ أخرج الإمام أحمد في مسنده (عن عبد الرحمن ابن يزيد عن أبيه قال: كنت مع عبد الله حتى انتهى إلى جمرة العقبة، فقال: ناولني أحجاراً، قال: فناولتُه سبعةَ أحجارٍ، فقال لي: خذ بزمام الناقة، قال: ثم عاد إليها فرمَى بها من بطن الوادي بسبع حصياتٍ وهو راكب، يكبّر مع كل حصاة، وقال: اللهم اجعله حجًّا مبروراً، وذنباً مغفوراً، ثم قال: ههنا كان يقوم الذي أُنزلتْ عليه سورةُ البقرة)[٣]، وفيما يستقى من هذا

(١) القرطبي: الجامع مج٢ ج٣ ص٥ .

(٢) الطبري: جامع البيان مج٢ ج٢ ص١٧٨-١٧٩ بتصرف، والقرطبي: الجامع مج٢ ج٣ ص١١، والسيوطي: الدر المنثور ج١ ص٢٤٥-٢٤٦.

(٣) ابن حنبل: المسند ج٦ ص٦٢، وابن حجر: فتح الباري ج٣ ص٥٨١، والنسائي: المجتبى (سنن النسائي) شرح الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي به حاشية =

الحديث أحكام، منها: استحباب رمي الجمرة من بطن الوادي، وجعل مكة عن اليسار، ومنى عن اليمين، وأن يكون الرمي بسبع حصيات، وأن يكبر مع كل حصاة على حدة، واستحباب الدعاء بعد الفراغ من الرمي[١]، أما تأويل ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ (قال قتادة: ذكره لنا أن ابن مسعود كان يقول: من اتقى في حجه غفر له ما تقدم من ذنبه)[٢].

قوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ .

روى السيوطي في الدر المنثور (عن ابن مسعود قال: إن من أكبر الذنب عند الله أن يقول الرجل لأخيه: اتق الله؛ فيقول: عليك بنفسك أنت تأمرني)[٣]، ولفظ الجامع (قال عبد الله: كفى بالمرء إثماً أن يقول أخوه: اتق الله، فيقول: عليك بنفسك)[٤]؛ رافضاً لقبول النصح، والإرشاد، وذلك لا يكون إلا من منافق، أو متكبر عن قبول الحق، أما المؤمن فإنه يذعن لأمر الله، ويقبل الحق ممن أتاه، ولو كان بعيداً بغيضاً.

قوله -تعالى-: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ .

= الإمام السندي (تصحيح: لجنة من العلماء) ن: المكتبة التجارية الكبرى مصر ط١ (ت١٣٤٨هـ -١٩٣٠م) ج٥ ص٢٧٣.

(١) ينظر/ الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج١ ص٧٧١.

(٢) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٢٤٦، و الطبري: جامع البيان مج٢ ج٢ ص١٧٩-١٨٠.

(٣) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٢٤٩، والسيوطي: الإكليل ص٣٣.

(٤) القرطبي: الجامع مج٢ ج٣ ص١٥.

أخرج الحافظ ابن كثير في تفسيره (عن مسروق، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياماً شاخصةً أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء، وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي)(١)، وهذا من باب تفسير القرآن بالسنة، وذلك لأنه أمر غيبي، لا يدرك لا باللغة، ولا بالقرائن، وإنما بالمُبَلّغ عن ربه ﷺ.

قوله -تعالى-: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾.

جاء في تفسير الطبري: (عن السدي قال: هي في قراءة ابن مسعود اختلفوا فيه على الإسلام واختلفوا في دينهم فبعث الله عند اختلافهم في دينهم النبيين مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، رحمة منه جل ذكره بخلقه واعتذاراً منه إليهم)(٢)، والمراد بقراءة ابن مسعود الواردة في الرواية التفسير لا القرآن.

قوله -تعالى-: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤﴾.

أورد الحافظ ابن كثير في تفسيره (قال ابن مسعود وابن عباس وأبو العالية ومجاهد وسعيد بن جبير ومرة الهمداني والحسن وقتادة

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٤٤١، والسيوطي: الدر المنثور ج١ ص٢٥١.
(٢) الطبري: جامع البيان مج٢ ج٢ ص١٩٥، والقرطبي: الجامع مج٢ ج٣ ص ٢٣.

والضحاك والربيع والسدي ومقاتل بن حيان: ﴿ٱلۡبَأۡسَآءِ﴾ الفقر، ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ السقم، ﴿وَزُلۡزِلُواْ﴾ خُوّفوا من الأعداء زلزالاً شديداً، وامتحنوا امتحاناً عظيماً)[١]، وفي هذا التأويل بيان لغريب مفردات القرآن؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم أدرى الناس بمعنى الكلمات؛ لنزول القرآن بلغتهم، كذلك فيه بيان حال الرسول ﷺ ومن معه؛ لشهودهم الوقائع.

قوله -تعالى-: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٢١٥﴾.

ذكر السيوطي في الدر (عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ الأيدي ثلاثة: فيد الله العليا، ويد المعطي التي تليها، ويد السائل السفلى إلى يوم القيامة، فاستعفف عن السؤال وعن المسألة ما استطعت فإن أعطيت خيراً فلير عليك وابدأ بمن تعول وارضخ من الفضل ولا تلام على الكفاف)[٢].

قوله -تعالى-: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾.

جاء في الدر المنثور (عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: أفضل الأعمال الصلاة لوقتها والجهاد في سبيل الله)[٣]، وأخرج

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٤٤٥.

(٢) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٢٦٤.

(٣) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٢٥٤.

مسلم في صحيحه (عن سعد بن إياس أبي عمرو الشيباني[١] عن عبد الله ابن مسعود قال: سألت رسول الله ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: الصلاة لوقتها قال: قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قال: قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله، فما تركت أستزيده إلا إرعاءً عليه)[٢].

قوله -تعالى-: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾.

(عن مرة عن ابن مسعود ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ﴾ الآية؛ وذلك أن رسول الله ﷺ بعث سرية، وكانوا سبعة نفر عليهم عبد الله بن جحش الأسدي[٣]، وفيهم عمار بن ياسر وأبو حذيفة

---

(١) أبو عمرو الشيباني سعد بن إياس أدرك النبي ﷺ وآمن به ولم يره، قال بعث النبي ﷺ وأنا أرعى إبلاً لأهلي بكاظمة، وهو معدود في التابعين، روى عن عبد الله بن مسعود وحذيفة وأبي مسعود وغيرهم. ابن عبد البر: الاستيعاب القسم الرابع ص١٧٢٠.

(٢) مسلم: صحيح مسلم (تصحيح: أبي نعمة الله الحاج محمد شكري بن حسن الأنقروي) ن: دار الجيل دار الأفاق الجديدة بيروت- لبنان لاط (ت ١٣٣٤هـ) مج١ ج١ ص٦٢-٦٣.

(٣) عَبْد الله بن جَحْش بن رئاب بن يعمر الأسدي (ت٣ هـ) صحابي، قديم الإسلام. هاجر إلى بلاد الحبشة، ثم إلى المدينة. وكان من أمراء السرايا. وهو صهر رسول الله- ﷺ- أخو زينب أم المؤمنين. قتل يوم أحد شهيداً، فدفن هو والحمزة في قبر واحد. الزركلي: الأعلام ج٤ ص٧٦ باختصار.

ابن عتبة بن ربيعة[١] وسعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان السلمي[٢] حليف لبني نوفل، وسهيل بن بيضاء[٣] وعامر بن فُهيرة[٤] وواقد بن عبد الله اليربوعي[٥] حليف لعمر بن الخطاب، وكتب لابن جحش كتاباً وأمره أن لا يقرأه حتى ينزل بطن نخلة[٦]، فلما نزل بطن نخلة فتح الكتاب

(١) أبو حُذَيْفَة: بن عُتْبَة بن ربيعة بن عبد شمس (ت١٢هـ) صحابي. هاجر إلى الحبشة، ثم إلى المدينة. شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها. قتل يوم اليمامة. الزركلي: الأعلام ج٢ ص١٧١ بتصرف.

(٢) عُتْبَة بن غَزْوَان: بن جابر بن وهيب الحارثي المازني، أبو عبد الله (ت١٧هـ) باني مدينة البصرة. صحابي، قديم الإسلام. هاجر إلى الحبشة، شهد بدراً. ثم القادسية، وولي البصرة في عهد عمر رضي الله عنه، وفتح ميسان. له في كتب السنن أربعة أحاديث. الزركلي: الأعلام ج٤ ص٢٠١ باختصار.

(٣) سُهَيْل بن بيضاء: سهيل بن عمرو بن عبد شمس، القرشي العامري، من لؤيّ (ت١٨هـ) خطيب قريش. أسر يوم بدر، وافتُدي. أسلم بعد الفتح. تولى أمر الصلح بالحديبية. مات بالطاعون في الشام. الزركلي: الأعلام ج٣ ص١٤٤ بتصرف.

(٤) عامر بن فُهيرة: مولى أبى بكر الصديق أبو عمر، وكان مولّداً من مولّدي الأزد، أسود اللون، مملوكاً للطفيل بن عبد الله بن سخبرة، فأسلم وهو مملوك، فاشتراه أبو بكر من الطفيل فأعتقه، وكان حسن الإسلام وكان يرعى الغنم في ثور يروح بها على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبي بكر في الغار، وكان رفيق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبي بكر في هجرتهما إلى المدينة وشهد بدراً وأحداً، ثم قتل يوم بئر معونة وهو ابن أربعين. ابن عبد البر: الاستيعاب القسم الثاني ص ٧٩٦ بتصرف.

(٥) واقِد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن اليربوعي التميمي (ت١٣هـ) صحابي، قديم الإسلام. شهد المشاهد كلها مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكان شجاعاً. وهو أول من قتل في الإسلام قتيلاً من المشركين. مات بالمدينة، في خلافة عمر رضي الله عنه. الزركلي: الأعلام ج٨ ص١٠٩ بتصرف.

(٦) نخلة: بين الطائف ومكّة. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦٩.

فإذا فيه (أن سر حتى تنزل بطن نخلة) فقال لأصحابه: من كان يريد الموت فليمض وليوص، فإنني موصٍ وماضٍ لأمر رسول الله ﷺ، فسار، فتخلف عنه سعد بن أبي وقاص وعتبة، أضلا راحلة لهما فتخلفا يطلبانها، وسار ابن جحش إلى بطن نخلة، فإذا هو بالحكم بن كيسان[(١)] وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، وانفلت (عثمان) وقتل عمرو، قتله واقد ابن عبد الله، فكانت أول غنيمة غنمها أصحاب رسول الله ﷺ، فلما رجعوا إلى المدينة بأسيرين وما أصابوا من المال، أراد أهل مكة أن يفادوا الأسيرين فقال النبي ﷺ: حتى ننظر ما فعل صاحبنا فلما رجع سعد وصاحبه فادى بالأسيرين، ففجر عليه المشركون وقالوا: إن محمداً يزعم أنه يتبع طاعة الله وهو أول من استحل الشهر الحرام وقتل صاحبنا في رجب، فقال المسلمون: إنما قتلناه في جمادى، وقتل في أول ليلة من رجب وآخر ليلة من جمادى، وغمد المسلمون سيوفهم حين دخل شهر رجب، وأنزل الله يُعيّر أهل مكة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ﴾ لا يحل وما صنعتم أنتم يا معشر المشركين أكبر من القتل في الشهر الحرام حين كفرتم بالله وصددتم عن محمد ﷺ وأصحابه، وإخراج أهل المسجد الحرام منه حين أخرجوا محمداً ﷺ وأصحابه أكبر

(١) الحكم بن كيسان: مولى هشام بن المغيرة المخزومي، كان ممن أسر في سرية عبد الله بن جحش حين قتل واقد التميمي عمراً بن الحضرمي أسره المقداد. قال المقداد: فأراد أميرنا ضرب عنقه فقلت: دعه يقدم على رسول الله ﷺ فقدمنا به على رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه وذلك في السنة الأولى من الهجرة، ثم استشهد يوم بئر معونة مع عامر بن فهيرة. ابن عبد البر: الاستيعاب القسم الأول ص٣٥٥.

من القتل

عند الله)[١]، هذه السرية، وتفاصيل أخبارها ذكرها اليعقوبي في تاريخه[٢]، ففيها أول قتيل من المشركين، وأول أسيرين من المشركين أيضاً، وأول خمس للغنيمة قسم في الإسلام، كما أوردها الواحدي في أسباب النزول مع اختلاف في بعض الأسماء، وبيّن أن الحكم بن كيسان أسلم وبقي مع النبي ﷺ في المدينة، أما عثمان بن عبد الله فرجع إلى مكة فمات بها كافراً[٣]، ورواية ابن مسعود هذه من أسباب النزول، ومعرفة أحوال العرب، والإلمام بتاريخ المسلمين.

قوله -تعالى-: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾ .

جاء في معجم فقه السلف: (صح عن ابن مسعود تحريم كل ما قل أو كثر مما يسكر كثيره)[٤]، وهذا مأخوذ من حديث رسول الله ﷺ الذي رواه هو نفسه، أخرج ابن ماجه في سننه (عن مسروق عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: كل مسكر حرام)[٥]، وقالوا في معنى الخمر: (الخمر ما خامر العقل أي غطاه سواء كان رطباً أو يابساً أو مأكولاً أو مشروباً)[٦]، فعلى

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٤٤٧-٤٤٨.

(٢) ينظر/ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦٩-٧٠.

(٣) ينظر/ الواحدي: أسباب النزول ص٤٥-٤٨.

(٤) الكتاني: معجم فقه السلف ج٥ ص٥٩.

(٥) ابن ماجه: السنن ج٢ رقم الحديث ١١٢٣.

(٦) الذهبي: كتاب الكبائر ص٨٩.

المسلم أن يتجنب ما لا يعرف حقيقته، أو عاقبته، ولا يجعل نفسه مكاناً للاختبار (عن ابن مسعود: أحدث الناس أشربة لا أدري ما هي؟ ومالي شراب منذ عشرين سنة إلا الماء والعسل واللبن)[١]، ومعلوم أن الخمر من الكبائر، بل هي أم الخبائث، كما في بعض الآثار، وهي إحدى الموبقات السبع، وإن شاربها يصرف عن القبلة بعد دفنه؛ جاء في كتاب الكبائر (ذكر ابن مسعود رضي الله عنه قال: إذا مات شارب الخمر فادفنوه ثم اصلبوه على خشبة ثم انبشوا عنه قبره فإن لم تروا وجهه مصروفاً عن القبلة وإلا فاتركوه مصلوباً)[٢]، ثم ساق الذهبي بعد ذلك خبراً يؤكد صحة ما ذهب إليه ابن مسعود (سئل بعض التائبين عن سبب توبته فقال: كنت أنبش القبور فرأيت فيها أمواتاً مصروفين عن القبلة فسألت أهليهم عنهم فقالوا: كانوا يشربون الخمر في الدنيا وماتوا من غير توبة)[٣]، وفي كتاب الكبائر للذهبي مزيد فائدة لمن أراد الإطلاع عند ذكر الكبيرة التاسعة عشر[٤]، أما ما أثر عن ابن مسعود في الميسر أخرج ابن جرير (عن أبي الأحوص قال: قال عبد الله: إياكم وهذه الكعاب الموسومة التي تزجرون زجراً فإنهن من الميسر[٥])[٦]،

(١) الكتاني: معجم فقه السلف ج٥ ص٦٢.
(٢) الذهبي: كتاب الكبائر ص٩٣.
(٣) المرجع نفسه: ص٩٤.
(٤) ينظر/ المرجع نفسه: ص٨٧-٩٦.
(٥) الميسر: هو القمار بأي نوع كان نرد أو شطرنج أو فصوص أو كعاب أو جوز أو بيض أو حصى أو غير ذلك. المرجع نفسه: ص٩٧.
(٦) الطبري: جامع البيان مج٢ ج٢ ص٢٠٨.

وهذه الرواية التي ذكرها الطبري موقوفة عليه أخرجها الإمام أحمد في مسنده مرفوعة، وهذا لفظها (عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: إياكم وهاتان الكَعبتان المَوْسُومَتان اللتان تُزْجَرَان زَجْراً، فإنهما مَيْسِرُ العَجم)(١)، والمستفاد من هذا الحديث تحريم النرد، كما جاء من طريق أبي موسى رضي الله عنه أخرج البخاري (عن أبي موسى رضي الله عنه مرفوعاً: من لعب النرد فقد عصى الله ورسوله)(٢)، قال القرطبي: (في مصحف عبد الله بن مسعود ﴿قل فيهما إثم كثير﴾ بالثاء بدل من الباء)(٣)، وهذه قراءة تفسيرية، وليست قرآناً يتلى.

قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ﴾.

جاء في تفسير القرطبي نقلاً عن ابن المنذر (ثبت أن رسول الله ﷺ قال: (لا نكاحَ إلا بوَلِيّ) وقد اختلف أهل العلم في النكاح بغير وَلِيٍّ، فقال كثير من أهل العلم: لا نكاح إلا بولِيٍّ؛ رُوي هذا الحديث عن عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه وعليّ بنِ أبي طالب وابن مسعود وابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم)(٤).

قوله -تعالى-: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى

---

(١) ابن حنبل: المسند ج٦ ص١٣٣.

(٢) ابن حجر: فتح الباري ج١٠ ص٤٦٥.

(٣) القرطبي: الجامع مج٢ ج٣ ص٤١.

(٤) القرطبي: الجامع مج٢ ج٣ ص٤٩.

ٱلْمَحِيضِۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾.

أورد صاحب الدر (عن ابن مسعود قال: كان نساء بني إسرائيل يصلين مع الرجال فاتخذن قوالب يتطاولن بها لتنظر إحداهن إلى صديقها فألقى الله عليهن الحيض ومنعهن المساجد وفي لفظ فألقى عليهن الحيض فأخرن، قال ابن مسعود: فأخرهن من حيث أخرهن الله)(١)، في قوله ألقى عليهن الحيض نظر، فمفهومه أنه قبل هذا التطاول لم تكن النساء يحضن، وهذا يحتاج إلى إثبات تاريخي، وشرعي، ومن المُسَلّم به أن ذلك الدم موجود من زمن حواء، وهي حالة طبيعية من خصائص المرأة يبتدئ بمرحلة من حياتها، وهو إحدى علامات البلوغ، وينتهي بمرحلة معينة تعرف بسن اليأس.

قوله -تعالى-: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَـٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾.

أورد الحافظ ابن كثير في تفسيره (عن ابن مسعود عن النبي ﷺ، قال: محاش النساء حرام)(٢)، وقد عقب الحافظ ابن كثير على هذه الرواية بأن الموقوف على ابن مسعود أصح من المرفوع إلى رسول الله ﷺ، وهذا لفظه (وقد رواه إسماعيل بن علية وسفيان الثوري وشعبة وغيرهم عن أبي عبد الله الشقري واسمه سلمة بن تمام ثقة، عن أبي القعقاع عن ابن

(١) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٢٦٨.
(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٤٦٨.

مسعود موقوفاً، وهو أصح)[١]، وأورد السيوطي في الدر (عن ابن مسعود قال: محاش النساء عليكم حرام)[٢]، قال الحافظ ابن كثير هذا الموقوف أصح، قال الحفاظ: في جميع الأحاديث المرفوعة في هذا الباب وعدتها نحو عشرين حديثاً كلها ضعيفة؛ لا يصح منها شيء، والموقوف منها هو الصحيح، وقال الحافظ ابن حجر: في ذلك منكر لا يصح من وجه، كما صرح بذلك البخاري، والبزار[٣]، والنسائي[٤]، وغير واحد، والثابت عن كثير من الصحابة أن فعل ذلك حرام[٥]، وفي بقية تأويل الآية أورد السيوطي (عن أبي سعيد مولى بني أسد قال: تزوجت امرأة فدعوت أصحاب النبي ﷺ فيهم أبو ذر وابن مسعود فعلموني وقالوا: إذا دخل عليك أهلك فصل ركعتين ومرها فلتصل خلفك، وخذ بناصيتها وسل الله

---

(١) المرجع نفسه: ج١ ص٤٦٨-٤٦٩.

(٢) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٢٧٤.

(٣) البَزَّار: أحمد بن عمرو بن عبد الخالق أبو بكر البزار (ت٢٩٢هـ) حافظ من العلماء بالحديث. من أهل البصرة. حدّث في آخر عمره بأصبهان وبغداد والشام، له مسندان أحدهما كبير سماه (البحر الزاخر) والثاني صغير. الزركلي: الأعلام ج١ص١٨٩ باختصار.

(٤) النَّسَائِي: أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار، أبو عبد الرحمن النسائي (ت٣٠٣هـ) صاحب السنن، القاضي الحافظ، شيخ الإسلام. جال في البلاد واستوطن مصر، ثم خرج إلى الرملة (بفلسطين) دفن ببيت المقدس. له: (السنن الكبرى)في الحديث، و(المجتبى) وهو السنن الصغرى، من الكتب الستة في الحديث. وله (الضعفاء والمتروكون)، و(مسند عليّ)، و(مسند مالك) وغير ذلك. الزركلي: الأعلام ج١ ص١٧١ بتصرف .

(٥) ينظر/ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٤٦٩.

خيرها وتعوذ به من شرها ثم شأنك وشأن أهلك)[١].

قوله -تعالى-: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾.

جاء في الكشاف (فإن فاءوا في الأشهر بدليل قراءة عبد الله فإن فاءوا فيهن)[٢]، فهي قراءة تفسيرية لا قرآناً يتلى؛ إذ إنها لم تثبت في المصحف، وهل يشترط في الإيلاء أن يكون عن غضب أو غيره خلاف بين العلماء، والمروي عن ابن مسعود أن من امتنع عن إتيان امرأته المدة المذكورة فهو إيلاء سواء كان في حال الغضب، أو غيره، قال القرطبي: (واختلف العلماء في الإيلاء في غير حال الغضب؛ فقال ابن عباس: لا إيلاء إلا بغضب، وروي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في المشهور عنه، وقاله الليث[٣] والشعبيّ والحسن وعطاء، كلهم يقولون: الإيلاء لا يكون إلا على وجه مغاضبة ومشادة وحرجة ومناكدة ألا يجامعها في فرجها إضراراً بها؛ وسواء كان في ضمن ذلك إصلاح ولد أم لم يكن؛ فإن لم يكن عن غضب فليس بإيلاء. وقال ابن سيرين: سواء كانت اليمين في غضب أو غير غضب هو إيلاء؛ وقاله ابن مسعود والثوريّ ومالك وأهل

(١) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٢٧٧.

(٢) الزمخشري: الكشاف ج١ ص٣٦٤.

(٣) اللَّيْث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي: بالولاء، أبو الحارث (ت١٧٥هـ) إمام أهل مصر في عصره، حديثاً وفقهاً. أصله من خراسان، ومولده في قلقشندة، ووفاته في القاهرة. وكان من الكرماء الأجواد. وقال الإمام الشافعي: الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به. أخباره كثيرة. وله تصانيف. الزركلي: الأعلام ج٥ ص٢٤٨ باختصار.

العراق والشافعيّ وأصحابه وأحمد، إلا أن مالكاً قال: ما لم يرد إصلاح ولد. قال ابن المنذر: وهذا أصح؛ لأنهم لما أجمعوا أن الظهار والطلاق وسائر الأيمان سواء كان في حال غضب والرّضا كان الإيلاء كذلك)(١)، والفيء الوارد في الآية فسره ابن مسعود بالرضا، جاء في الدر المنثور (عن ابن مسعود قال: الفيء الرضا)(٢)، وفي المفردات للراغب (الفَيْءُ والفَيْئَةُ الرُّجُوعُ إلى حَالةٍ محمودَةٍ)(٣)، فإذا أراد الرجل الرجوع عن يمينه، وحال بينه وبين تنفيذ ذلك حائل فأشهد قبل مضي الأربعة أشهر، فإن الطلاق لا يلزمه (عن ابن مسعود قال: إذا حال بينه وبينها مرض أو سفر أو حبس أو شيء يعذر به فشهادة فيءٍ)(٤)، وهل مجرد انتهاء الأربعة أشهر يلزم به الطلاق؟ أم لابد من إنشائه بعد المضي؟ خلاف بين العلماء، والمروي عن ابن مسعود في ذلك أنه يلزمه بمجرد المضي، أثبت ذلك الحافظ ابن كثير في تفسيره حيث يقول: (إن الطلاق لا يقع بمجرد مضي أربعة أشهر، كقول الجمهور من المتأخرين؛ وذهب آخرون إلى أنه يقع بمضي أربعة أشهر تطليقة، وهو مروي بأسانيد صحيحة عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت)(٥)، وهذه التطليقة منهم من جعلها رجعية، ومنهم من جعلها بائنة، كابن مسعود ومن

(١) القرطبي: الجامع مج٢ ج٣ ص٧٠-٧١.
(٢) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٢٨١.
(٣) الراغب: المفردات ص٣٨٩.
(٤) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٢٨١.
(٥) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٤٧٥.

معه، جاء في تفسير الحافظ ابن كثير: (أنها تطلق بمضي الأربعة أشهر طلقة رجعية، قاله سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام ومكحول وربيعة والزهري ومروان بن الحكم؛ وقيل أنها تطلق طلقة بائنة، روي عن عليّ وابن مسعود وعثمان وابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت؛ وبه يقول عطاء وجابر بن زيد ومسروق وعكرمة والحسن وابن سيرين ومحمد بن الحنفية وإبراهيم وقبيصة بن ذؤيب وأبو حنيفة والثوري والحسن بن صالح، فكل من قال: إنها تطلق بمضي الأربعة أشهر أوجب عليها العدة)[١]، وفي هذا المعنى أخرج السيوطي في الدر المنثور (عن ابن مسعود قال: إذا آلى الرجل من امرأته فمضت أربعة أشهر فهي تطليقة بائنة، وتعتد بعد ذلك ثلاثة قروء ويخطبها زوجها في عدتها، ولا يخطبها غيره، فإذا انقضت عدتها خطبها زوجها وغيره)[٢]، وفي جعل المضي طلقة بائنة، وهي أملك بنفسها (قال قتادة: قول عليّ وعبد الله أعجب إليّ في الإيلاء)[٣]، والإيلاء لا يكون إلا عن يمين يقصد منه الامتناع عن إتيان الزوجة، غير أن منهم من جعله على الامتناع مدة أربعة أشهر، أو أكثر ابتداءً، ومنهم من قال: ولو حلف على يوم، أو بعض يوم، ثم انقضت الأربعة أشهر، ولم يأت أهله فهو إيلاء، ذكر هذا القرطبي في تفسيره، ولفظه: (واختلف العلماء في الإيلاء المذكور في

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٤٧٥-٤٧٦.

(٢) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٢٨٢، والطبري: جامع البيان مج٢ ج٢ ص٢٥٧.

(٣) المرجع نفسه: مج٢ ج٢ ص٢٥٧.

القرآن؛ فقال ابن عباس: لا يكون مولياً حتى يحلف ألا يمسها أبداً. وقالت طائفة: إذا حلف ألا يقرب امرأته يوماً أو أقل أو أكثر ثم لم يطأ أربعة أشهر بانت منه بالإيلاء؛ رُوي هذا عن ابن مسعود والنخعيّ وابن أبي ليلى والحَكَم وحمادِ بنِ أبي سليمان وقتادة، وبه قال إسحاق)[١]، وجاء في المعجم للكتاني (عن ابن مسعود فيمن حلف أن لا يقرب امرأته عشرة أيام فلم يقربها حتى مضت ثلاثة أشهر قال: هو إيلاء)[٢]، والصواب: (حتى مضت أربعة أشهر)؛ ليتوافق مع القرآن.

قوله -تعالى-: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا﴾ .

ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره أنه: (روي عن أبي بكر الصديق وعمر وعثمان وعليّ وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت وأنس بن مالك وابن مسعود ومعاذ، وأبيّ بن كعب وأبي موسى الأشعري وابن عباس وسعيد ابن المسيب وعلقمة والأسود وإبراهيم ومجاهد وعطاء وطاوس وسعيد ابن جبير وعكرمة ومحمد بن سيرين والحسن وقتادة والشعبي والربيع ومقاتل بن حيان والسدي ومكحول والضحاك وعطاء الخراساني أنهم قالوا: الأقراء الحيض)[٣]، وغيرهم من الصحابة، والعلماء يرون أن

---

(١) القرطبي: الجامع مج٢ ج٣ ص٦٩-٧٠.

(٢) الكتاني: معجم فقه السلف ج٧ ص٧٤-٧٥.

(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٤٧٩.

الأقراء هي الأطهار، والقرء من الألفاظ المشتركة؛ قال صاحب المفردات: (القُرْءُ في الحقِيقَةِ اسْمٌ للدُّخُولِ في الحَيْضِ عَنْ طُهْرٍ. ولمّا كان اسْماً جَامِعاً للأَمْرَيْنِ الطُّهْرِ والحَيْضِ المُتَعَقِّبِ له أطْلِقَ علَى كُلِّ واحِدٍ منهما)[(١)]، وهذا التأويل من ابن مسعود وغيره مرده إلى اللغة، وفي المسألة كلام طويل لإثبات أي المعنيين أنسب للآية، ساقه القرطبي في تفسيره[(٢)]، ومتى تعد المرأة خارجة من أقرائها بدخولها في الحيضة الثالثة أم بنهايتها قبل الاغتسال والصلاة؛ خلاف بين العلماء، والصحابة، والمأثور عن ابن مسعود وغيره من الصحابة القول الثاني، روى الحافظ ابن كثير في تفسيره (عن علقمة قال: كنا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجاءته امرأة فقالت: إن زوجي فارقني بواحدة أو اثنتين فجاءني وقد نزعت ثيابي وأغلقت بابي، فقال عمر لعبد الله بن مسعود: أراها امرأته ما دون أن تحل لها الصلاة قال: وأنا أرى ذلك)[(٣)]، وفي رواية ابن جرير الطبري: (عن النخعي أن عمر استشار ابن مسعود في الذي طلق امرأته تطليقة أو اثنتين فحاضت الحيضة الثالثة فقال ابن مسعود: أراه أحق بها ما لم تغتسل: فقال عمر: وافقت الذي في نفسي؛ فردّها على زوجها)[(٤)]، وفي لفظ آخر (أحق بها ما لم تغتسل أو تحل لها الصلاة)[(٥)]، وساق

(١) الراغب: المفردات ص٤٠٢.

(٢) ينظر/ القرطبي: الجامع مج٢ ج٣ ص٧٦-٧٧.

(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٤٧٩.

(٤) الطبري: جامع البيان مج٢ ج٢ ص٢٦٦.

(٥) المرجع نفسه: مج٢ ج٢ ص٢٦٥.

روايات متعددة بألفاظ مختلفة تدور حول المعنى المذكور[١].

قوله -تعالى-: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩﴾.

ذكر القرطبي (عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وغيرهم: المراد بالآية التعريف بسنّة الطلاق)[٢]، أخرج النسائي في سننه (عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: طلاق السنة أن يطلقها طاهراً في غير جماع)[٣]، وقد بيّن ابن مسعود كيفية هذه السنة بحديث مطول ذكره ابن جرير في تفسيره هذا لفظه: (عن أبي الأحوص عن عبد الله في قوله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ قال: يطلقها بعد ما تطهر من قبل جماع، ثم يدعها حتى تطهر مرة أخرى، ثم يطلقها إن شاء، ثم إن أراد أن يراجعها راجعها، ثم إن شاء طلقها وإلا تركها حتى تتم ثلاث حيض وتبين منه به)[٤]، وهناك نوع آخر من التفريق بين الزوجين يعرف بالخلع[٥]، وقد اختلف العلماء في الخلع، هل هو طلاق أو فسخ؟

---

(١) ينظر/ المرجع نفسه: مج٢ ج٢ ص٢٦٥.

(٢) القرطبي: الجامع مج٢ ج٣ ص٨٤.

(٣) النسائي: المجتبى ج٦ ص١٤٠.

(٤) الطبري: جامع البيان مج٢ ج٢ ص٢٧٧، والكتاني: معجم فقه السلف ج٧ ص٢٣٧، والسيوطي: الدر المنثور ج١ ص٢٨٧.

(٥) الخُلعُ بالضم: والمخالعة والتخالع: طلاق المرأة ببَدلٍ منها أو من غيرها. الرازي: مختار الصحاح ص١٨٥.

فالمروي (عن عثمان وعليّ وابن مسعود وجماعةٍ من التابعين: هو طلاق)[١]، وهذا الطلاق عند ابن مسعود، وبعض من الصحابة يُعد طلقة بائنة؛ جاء في تفسير القرطبي (رُوي عن ابن مسعود أنه كان لا يرى طلاقاً بائناً إلا في خلع أو إيلاء وهو المحفوظ عنه)[٢].

قوله -تعالى-: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٢٣٠﴾.

ذكر في الآية السابقة أن الطلاق السنّي يكون مرتين، وفي طهر لم يجامع فيه، أما من أوقع الثلاث بلفظ واحد، فقد جاء في الجامع: (قال عليّ بن أبي طالب وابن مسعود: يلزمه طلقة واحدة)[٣]، وهذا يتعارض مع ما أخرجه السيوطي في الدر (عن علقمة بن قيس قال: أتى رجل ابن مسعود فقال: إن رجلاً طلق امرأته البارحة مائة، قال: قلتها مرة واحدة؟ قال: نعم، قال: تريد أن تبين منك امرأتك؟ قال: نعم، قال: هو كما قلت. قال: وأتاه رجل فقال: رجل طلق امرأته البارحة عدد النجوم، قال: قلتها مرة واحدة؟ قال: نعم، قال: تريد أن تبين منك امرأتك؟ قال: نعم، قال: هو كما قلت، ثم قال: قد بيّن الله أمر الطلاق؛ فمن طلق كما أمره الله فقد بين له، ومن لبس على نفسه جعلنا به لبسته والله لا

(١) القرطبي: الجامع مج٢ ج٣ ص٩٤.
(٢) المرجع نفسه: مج٢ ج٣ ص٨٩.
(٣) المرجع نفسه: مج٢ ج٣ ص٨٧.

تلبسون على أنفسكم ونتحمله عنكم هو كما تقولون)[١]، أي يلزمه الثلاث وفق نيته بدليل سؤال ابن مسعود له أتريد أن تبين منك امرأتك؟ فلو كان إطلاق الثلاث يراد منها الواحدة لما سأله عن نيته، ثم قال: هو كما تقولون، فمن كانت نيته الثلاث فعليه الثلاث، ولو قيلت في لفظ واحد، ومن أراد غير ذلك من العدد ألزم به، وسيأتي مزيد إيضاح في الآية التالية، أما من تزوج المطلقة ثلاثاً بقصد إرجاعها إلى الأول، لا بنية الزواج لنفسه، وهو ما يعرف اصطلاحاً بالمحلل[٢]، فهو ملعون على لسان رسول الله ﷺ: (عن هزيل بن شرحبيل[٣] عن عبد الله بن مسعود قال: لعن رسول الله ﷺ المحل والمحلل له)[٤]، وقد عدّ الذهبي فعل ذلك من الكبائر، وجمع من الأدلة ما يؤكد تحريم ذلك الفعل عند ذكر الكبيرة الخامسة والثلاثين[٥]، ففيه الكفاية والغنى عن إعادته هنا.

قوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ

(١) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٢٨٨.
(٢) المحل: اسم فاعل من الإحلال، والمراد به من تزوج مطلقة الغير ثلاثاً لتحل لزوجها الأول. الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج٢ ص١٥٨.
(٣) الهزيل بن شرحبيل الأودي من مذحج، روي عن علي وعبد الله وكان ثقة. ابن سعد: الطبقات ج٦ ص١٧٦.
(٤) الترمذي: الجامع الصحيح ج٤ ص٢٦٤، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٤٩٥.
(٥) ينظر/ الذهبي: كتاب الكبائر ص١٥٠ فما بعد.

وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ ﴾ .

ذكر القرطبي في تفسيره (عن عليّ بن أبي طالب وابن مسعود وأبي الدّرداء كلهم قالوا: ثلاث لا لعب فيهنّ واللاعب فيهنّ جادّ: النكاح والطلاق والعِتاق)[١]، ولعل هذا الحكم مأخوذ من حديث رسول الله ﷺ (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ثَلاثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ وهَزْلهُنَّ جِدٌّ: النِّكاحُ والطَّلاقُ والرَّجْعَةُ. وفي لفظ آخر: الطلاق والعتاق والنكاح)[٢]، ومما أثر عن ابن مسعود رضي الله عنه في هذه الآية ما ذكره صاحب الدر: (عن ابن مسعود أن رجلاً قال له: إني طلقت امرأتي مائة قال: بانت منك بثلاث وسائرهن معصية، وفي لفظ عدوان)[٣]، وجاء في الموطأ: (عن مالك أنه بلغه أن رجلا جاء إلى عبد الله بن مسعود فقال: إني طلقت امرأتي ثماني تطليقات، فقال ابن مسعود: فماذا قيل لك؟ قال: قيل لي إنها قد بانت مني. فقال ابن مسعود: صدقوا. من طلق كما أمره الله فقد بين الله

(١) القرطبي: الجامع مج٢ ج٣ ص١٠٤.

(٢) الأمير الصَّنعاني: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف بالأمير (ت١١٨٢ هـ) مجتهد، من بيت الإمامة باليمن. أصيب بمحن كثيرة من الجهلاء والعوام. له نحو مئة مؤلف. ولد بكحلان، وتوفي بصنعاء. من كتبه (توضيح الأفكار، شرح تنقيح الأنظار)، و(منحة الغفار)، و(المسائل المرضية)، و(اليواقيت، في المواقيت). الزركلي: الأعلام ج٦ ص٣٨ بتصرف. سبل السلام شرح بلوغ المرام، من جمع أدلة الأحكام لابن حجر العسقلاني ن: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده- بمصر ط٤ (ت١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م) ج٣ ص١٧٥.

(٣) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٢٩٥، والكتاني: معجم فقه السلف ج٧ ص١٩١-١٩٢.

له، ومن لبس على نفسه لبساً جعلنا لبسه ملصقاً به، لا تلبسوا على أنفسكم ونتحمله عنكم، هو كما تقولون)[١]، ومما يعد استهزاءً بكتاب الله أن يوقع الثلاث بلفظ واحد، وقد حرم هذا ابن مسعود، ومن معه من الصحابة ﭫ أخذاً من قول رسول الله ﷺ حين بلغه أن رجلاً طلق امرأته ثلاثاً، فغضب، ثم قال ﷺ: (أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم حتى قام رجل وقال: يا رسول الله ألا أقتله؟)[٢]، وقد أخذ بهذه الفتوى (أي وقوع الثلاث) الأئمة الأربعة، وقد أورد صاحب سبل السلام أن في هذه المسألة أربعة أقوال ذكرها مفصلة منسوبة إلى أربابها مناقشاً كل دليل، وإجمالي تلك الأقوال أن من العلماء من لا يرى فيه شيئاً؛ لأنه طلاق بدعي، ومنهم من يرى أن عليه الثلاث، وفريق ثالث يقول أنه عليه واحدة، وأما القول الرابع والأخير فإنه يفرق بين المدخول بها، وبين غير المدخول بها، فيجعله في الأولى ثلاثاً، وفي الثانية واحدة، والمقصود بالبحث ما ذهب إليه ابن مسعود ﭬ، فهو لا يفرق بين المدخول بها وغيرها، فالحكم عنده سواء، وهو ثلاث تطليقات، وقد ذهب إلى هذا الحكم من الصحابة ابن عباس، وأبو هريرة، وابن عمر، وأنس ﭫ[٣]، وقد أطال البحث في هذه المسألة ابن قيم الجوزية في أعلام الموقعين تحت عنوان: (تغيّر الفتوى

---

(١) الإمام مالك: الموطأ (شرح وتعليق: أحمد راتب عرموش) ن: دار النفائس بيروت- لبنان ط١ (ت١٣٩٠هـ -١٩٧١م) ص ٣٧٤.

(٢) النسائي: المجتبى ج٦ ص١٤٢.

(٣) ينظر/ الأمير الصنعاني: سبل السلام ج٣ ص١٧٤، وابن قدامة: المغني ج٧ ص١٠٤.

بتغيّر الزمان والمكان)، وبيّن أن جمع الطلقات بلفظ واحد كان يقع في عهد النبي ﷺ طلقة واحدة، وكذلك في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، والسنوات الثلاث الأولى من خلافة عمر رضي الله عنه، وساق لذلك أدلة عدة، ثم بيّن أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الذي أمضى على الناس الثلاث لمّا استهانوا بالأمر، وصار الناس يتلاعبون بكتاب الله، فأوقعه؛ تشديداً عليهم، ومنعاً لهم من التلاعب، وهو من باب المصلحة، وقد أقرّه على ذلك صحابة رسول الله ﷺ منهم: ابن مسعود رضي الله عنه، وساق هذا القول عنه: (من أتى الأمر على وجهه فقد بيّن له، ومن لبّس على نفسه جعلنا عليه لبسه، والله لا تلبسون على أنفسكم ونتحمله منكم، هو كما تقولون)(١)، ومعنى هذا القول: أن من ألزم نفسه بشيء ألزم به، ولم يطلب له الرّخص والمخرج؛ لأنه ضيّق على نفسه، فكذلك من جمع الثلاث بلفظ واحد، وجاء في معجم فقه السلف (عن ابن مسعود من طلق كما أمر الله -تعالى- فقد بيّن الله تعالى له، ومن خالف فإنا لا نطيق خلافه)(٢).

قوله -تعالى-: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ﴾ .

أورد ابن جرير في تفسيره (عن عبد الله قال: ما كان من رضاع بعد سنتين أو في الحولين بعد الفطام فلا رضاع)(٣)، أخرج أبو داود في سننه

(١) ابن قيم الجوزية: إعلام الموقعين ج٣ ص٥٦ وينظر ما قبلها ص٣٥.
(٢) الكتاني: معجم فقه السلف ج٧ ص١٨٩.
(٣) الطبري: جامع البيان مج٢ ج٢ ص٣٠٣.

(عن ابن مسعود قال: لا رضاع إلا ما شدّ العظم وأنبت اللحم)[١]، وجاء في معجم فقه السلف (في رجل مص من ثدي امرأته فدخل اللبن في حلقه فسأل أبا موسى الأشعري عن ذلك؟ فقال له: حرمت عليك امرأتك ثم سئل ابن مسعود عن ذلك فقام ابن مسعود حتى أتى أبا موسى فقال: أرضيعاً ترى هذا؟ إنما الرضاع ما أنبت اللحم والعظم؛ فقال أبو موسى: لا تسألوني عن شيء ما دام هذا الحبر بين أظهركم)[٢]، ولعل ابن مسعود اعتمد في تأويله هذا على ما رواه هو نفسه عن رسول الله ﷺ، أخرج أبو داود في سننه (عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: لا يحرم من الرضاع إلا ما أنبت اللحم وأنشز العظم)[٣]، وما روي عن أم سلمة[٤] رضي الله عنها قالت: (قال رسول الله ﷺ: لا يُحَرّمُ مِنَ الرّضَاعِ إلَّا ما فَتَقَ الأمْعاءَ وكان قَبْلَ الفِطامِ)[٥]، فالرضاع المعتبر في التحريم ما كان داخل

(١) أبو داود: السنن ج١٠ ص٣٤، والكتاني: معجم فقه السلف ج٧ ص٦٥.
(٢) المرجع نفسه: ج٧ ص٦٠.
(٣) أبو داود: السنن ج١٠ ص٣٥.
(٤) أم سلمة: زوج النبي ﷺ، هي هند بنت أبي أمية المعروف بزاد الراكب ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم (ت٦٠هـ)، يقولون: إنها أول ظعينة دخلت المدينة شرفها الله تعظيماً وتكريماً مهاجرة، عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: شهدت أم سلمة غزوة خبير فقالت: سمعت وقع السيف في أسنان مرحب وكانت قبل رسول الله ﷺ تحت أبي سلمة بن عبد الأسد، وقيل تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة سنة اثنين من الهجرة بعد وقعة بدر.
ابن عبد البر: الاستيعاب القسم الرابع ص١٩٢٠-١٩٢١، وينظر ص١٩٣٩ بتصرف.
(٥) الأمير الصنعاني: سبل السلام ج٣ ص٢١٧.

الحولين(١)، وهذا الذي ذهب إليه ابن مسعود، ووافقه من الصحابة: عمر، وعليّ، وابن عباس، وجابر، وأبو هريرة، وابن عمر، وأم سلمة، ومن التابعين: سعيد ابن المسيب، وعطاء، وقتادة، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والزهري، ومن الأئمة: مالك، والشافعي، وابن حنبل رضي الله عنهم(٢)، أما القدر فإن المروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه لا تحديد للقدر بالمصّة أو المصّتين، بل القليل والكثير يستويان في التحريم؛ لقول الله عز وجل: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ﴾(٣)، وأما غير ابن مسعود فقد جعلوا للرضعات قدراً معيناً، وهو ما فوق الثلاث، وعند الشافعي أن القدر المحرّم خمس رضعات، ودليل القول الثاني (أي تحديد القدر) ورود أحاديث مختلفة، وذكروا أنها كانت قرآناً، ثم نسخت تلاوة لا حكماً(٤)، وهو مروي عن عائشة رضي الله عنها.

قوله -تعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ

(١) ينظر/ الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج٢ ص١٣٤.
(٢) ينظر/ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٥٠٢، والقرطبي: الجامع مج٢ ج٣ ص١٠٧.
(٣) سورة النساء: ٢٣.
(٤) ينظر/ ابن رُشْد: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد القرطبي، أبو الوليد (ت٥٩٥هـ) الفيلسوف. من أهل قرطبة. كان دمث الأخلاق، حسن الرأي. صنف نحو خمسين كتاباً، منها (فلسفة ابن رشد)، و(تهافت التهافت)، و(حركة الفلك)، و(فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) وغيرها. توفي بمراكش. ونقل جثمانه إلى قرطبة. الزركلي: الأعلام ج٥ ص٣١٨. بداية المجتهد ونهاية المقتصد ن: مكتبة الأزهرية لا ط (ت ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م) ج٢ ص٣٨-٣٩، والنووي: شرح صحيح مسلم ج١٠ ص٢٩.

بِٱلْمَعْرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ .

جاء في تفسير الحافظ ابن كثير (ذكر سعيد بن المسيب، وأبو العالية وغيرهما، أن الحكمة في جعل عدة الوفاة أربعة أشهر وعشراً، لاحتمال اشتمال الرحم على حمل، فإذا انتظر به هذه المدة، ظهر إن كان موجوداً؛ كما جاء في حديث ابن مسعود الذي في الصحيحين وغيرهما (إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث إليه الملك فينفخ في الروح)، فهذه ثلاث أربعينات بأربعة أشهر، والاحتياط بعشر بعدها لما قد ينقص بعض الشهور، ثم لظهور الحركة بعد نفخ الروح فيه)[(١)]، أما عدة أم الولد فقد أورد القرطبي في جامعه: (اختلفوا في عدّة أمّ الولد إذا توفي عنها سيدها؛ رُوي عن علي وابن مسعود أن عدّتها ثلاث حيض؛ وهو قول عطاء وإبراهيم النخعيّ وسفيان الثوريّ وأصحابِ الرأي)[(٢)]، وبهذا القول أخذ أبو حنيفة، (أما مالك والشافعي وأحمد فقد قالوا: إن كانت أم الولد من ذات الحيض فعدتها حيضة واحدة، وإن كانت ممن لا تحيض فعدتها ثلاثة أشهر، فقد عاملوها معاملة الأمة التي يموت عنها سيدها فإنها لا تحل لغيره إلا بعد الإستبراء بحيضة وهو متفق عليه)[(٣)]، وسبب الاختلاف أن عدة أم الولد مسكوت عنها، لم يرد فيها نص من قرآن، أو سنة، فصارت مسألة اجتهادية، كل يدلي فيها بما يصح عنده من تشبيه،

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٥٠٥.
(٢) القرطبي: الجامع مج٢ ج٣ ص٢١.
(٣) ابن رشد: بداية المجتهد ج٢ ص١٠٥.

أما المتوفى عنها زوجها قبل الدخول، ولم يفرض لها صداق، فالمأثور فيها (أن ابن مسعود سئل عن رجل تزوج امرأة فمات عنها، ولم يدخل بها ولم يفرض لها، فترددوا إليه مراراً في ذلك؛ فقال: أقول فيها برأيي، فإن يك صواباً فمن الله، وإن يك خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه: لها الصداق كاملاً، وفي لفظ: لها صداق مثلها لا وكس ولا شطط، وعليها العدة، ولها الميراث)[١]، أما الحامل المتوفى عنها زوجها فسيأتي إن شاء الله بيان حكمها في سورة الطلاق، أما بخصوص ابتداء العدة، فقد جاء في معجم فقه السلف (صح عن ابن عمر وابن عباس أنها تعتد من يوم مات أو طلق وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه)[٢]، وهل تلزم المرأة المتوفى عنها زوجها بالمكوث في بيتها، أم يسمح لها بالخروج، فالمأثور عن أصحاب ابن مسعود؛ ما أورده الكتاني في كتابه المعجم (سئل الشعبي عن المتوفى عنها: أتخرج في عدتها؟ فقال: كان أكثر أصحاب ابن مسعود أشد شيء في ذلك يقولون: لا تخرج)[٣].

قوله -تعالى-: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾.

جاء في البحر الزخّار في رواية عن (عبد الله بن عتبة قال: أتى ابن

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٥٠٤-٥٠٥.

(٢) الكتاني: معجم فقه السلف ج٧ ص٢٥١.

(٣) المرجع نفسه: ج٧ص٢٤٨-٢٤٩.

مسعود في رجل بهذا الخبر أي المفوّضة[١] قال: فاختلفوا إليه شهراً أو قال: مرات، قال: فإني أقول فيها: إن لها صداقاً كصداق نسائها لا وكس ولا شطط، وإن لها الميراث وعليها العدة فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان، فقام أناس من أشجع منهم الجراح وأبو سنان فقالوا: يا ابن مسعود نحن نشهد أن نبي الله قضى فينا في بروع بنت واشق وزوجها هلال بن مرة الأشجعي كما قضيت قال: ففرح بها عبد الله فرحاً شديداً حين وافق قضاءه قضاء رسول الله ﷺ)[٢].

وهناك روايات تدور حول المعنى مع زيادة أو نقص أحياناً، وتقديم وتأخير أحياناً أخرى، وقد اخترت هذه الرواية لتضمنها شاهدين هما: الجراح، وأبو سنان، وفي رواية أخرى في البحر (ابن سنان)، وذكر صاحب الهامش أن لا فرق بينهما، وإنما الفرق في معقل بن يسار، فقال عنه ذلك راوٍ آخر، أما راوي هذا الخبر فهو معقل بن سنان،

---

(١) المفوّضة: التفويض هو كل نكاح عُقد من غير ذكر الصداق، ولا خلاف فيه. القرطبي: الجامع مج٢ ج٣ ص١٣٠.

(٢) الصَّعدي: محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بن بهران، التميمي النسب، البصري الأصل، الصَّعْدي المولد والوفاة، سراج الدين (ت٩٥٧ هـ) فقيه، من أكابر الزيدية. من كتبه: (شرح الأثمار) للإمام شرف الدين، و(التكميل الشاف لتفسير الكشاف) و(الإنكار على متصوفة هذا الزمان) وغيرها. وله (ديوان شعر). الزركلي: الأعلام ج٧ ص١٤٠ بتصرف. جواهر الأخبار والآثار المستخرجة من البحر الزخار ن: مؤسسة الرسالة بيروت- لبنان ط٢ (ت ١٣٣٤هـ- ١٩٧٥م) ج٤ ص١١٩ على هامش البحر الزخار.

أو أبو سنان، ولم يذكر من هو الجرّاح، ولا بقية اسمه، والروايات في غيره لم تذكر الجرّاح أصلاً، وإنما تكتفي بمعقل، وذكر القرطبي تأكيداً لهذا أن معقل بن يسار من مزينة، بينما ابن سنان من أشجع، وبيّن أن الأخير قتل يوم الحرّة، وروى هذا البيت شاهداً على ذلك:

ألا تلكم الأنصار تبكي سراتها وأشجع تبكي معقل بن سنان(١)

هذا مع الاتفاق أن المذكورين من أِشجع، وأن التي قضى فيها رسول الله ﷺ هي بروع بنت واشق بفتح الباء، أو كسرها، و الكسر أشهر مع سكون الراء(٢)، وهي أشجعية أيضاً، وأن زوجها هو هلال بن مرة، وهذا الرأي الذي ذهب إليه ابن مسعود لم يرتضيه بعض الصحابة، كعليّ بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وإنما الذي ذهبوا إليه أن لها الميراث، وعليها العدة، وليس لها صداق، وقد قاس عليّ رضي الله عنه من مات عنها زوجها على من طلقت قبل الدخول ولم يفرض لها المهر، فكما أن المطلقة قبل الدخول لا مهر لها، فكذلك من توفي عنها زوجها قال عليّ رضي الله عنه: (لا تقبل رواية أعرابي بوّال على عقبيه)(٣)، ويشير بذلك القول إلى الآية التي قاس عليها وهي قول الله

---

(١) ينظر/ القرطبي: الجامع مج٢ ج٣ ص١٣١.

(٢) ينظر/ المرتضى: البحر الزخار ج٤ ص١١٩-١٢٠، والقرطبي: الجامع مج٢ ج٣ ص١٣١ فما بعد.

(٣) أحمد بن يحيى: بن المرتضى بن مفضل بن منصور الحسني، من سلالة الهادي إلى الحقّ (ت٨٤٠هـ) عالم بالدين والأدب، من أئمة الزيدية باليمن. لقب (المهدي لدين الله). حبس في قصر صنعاء وخرج منه خلسة، ثم عكف على التصنيف. من كتبه (غايات الأفكار ونهايات الأنظار المحيطة بعجائب البحر الزخار)، و(المنية والأمل في شرح =

-تعالى- ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[(١)]، فقياسه على الآية عنده أولى من قبول رواية الأشجعي، وهذا طريق من طرقه الخاصة في قبول الأحاديث الأحادية، أما عبد الله رضي الله عنه ومن تبعه من الصحابة فلم يقيسوا الموت على الطلاق، وقد أخذ بقول ابن مسعود: أحمد، وإسحاق، وجماعة من أهل العلم، واضطرب قول الشافعي، فذهب في القديم إلى رأي عليّ ومن معه، وفي الجديد إلى رأي عبد الله رضي الله عنه والمالكية المتأخرون رجّحوا قول ابن مسعود، حتى إن القرطبي حمد الله على ذلك، وهذا لفظه: (إذا صح الحديث فالقياس في مقابلته فاسد. وقد حكى أبو محمد عبد الحميد عن المذهب ما يوافق الحديث، والحمد لله)[(٢)]، أما مسروق، وهو أحد تلاميذ ابن مسعود فقد ذهب إلى قول ثالث، وهو أن الميراث لا يثبت لها ما لم يثبت لها المهر بمثل هذا المعنى أورده القرطبي[(٣)]، وأرى أنه ترجيح لرأي ابن مسعود رضي الله عنه وردّ على الفريق الثاني الذي يثبت الميراث دون المهر مع أن قدر الأول في

= كتاب الملل والنحل)، و(طبقات المعتزلة)، و(الشافية شرح الكافية)، و(تاج علوم الأدب في قانون كلام العرب)، و(إكليل التاج) وغيرها من المصنفات المختلفة في العلوم التي في زمنه. الزركلي: الأعلام ج١ ص٢٦٩ بتصرف. البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار (تصحيح: عبد الله ابن عبد الكريم الحراني اليمني) ن: مؤسسة الرسالة بيروت- لبنان ط٢ (ت١٣٣٤هـ -١٩٧٥م) ج٤ ص١٢٠.

(١) سورة البقرة: ٢٣٦.

(٢) القرطبي: الجامع مج٢ ج٣ ص١٣١.

(٣) ينظر/ المرجع نفسه: مج٢ ج٣ ص١٣١.

الغالب أكثر من المهر، وبخاصة في زمن الصحابة رضي الله عنهم الذين يبتعدون عن المغالاة في المهر؛ لعلمهم بأن أقلهن مهراً أكثرهن بركة، وخلاصة القول: إن العمل جارٍ على فتوى ابن مسعود، لا على ما ذهب إليه عليّ رضي الله عنه ومن معه.

قوله -تعالى-: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾.

جاء في معجم فقه السلف (صح عن عمر إذا أرخيت الستر وغلقت الأبواب فقد وجب الصداق، وبمثل ذلك قال عليّ بن أبي طالب وابن عمر وابن مسعود)(١)، وجاء في الجامع للقرطبي من خبر ابن مسعود (قال: قضى الخلفاء الراشدون فيمن أغلق باباً أو أرخى سِتراً أن لها الميراث وعليها العدة)(٢)، وبهذا أخذ مالك، وأبو حنيفة، وابن حنبل، أما الشافعي جعل لها نصف المهر، ولا عدة عليها؛ لظاهر الآية(٣).

قوله -تعالى-: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾.

المراد بالمحافظة على الصلاة أدائها في وقتها، أورد السيوطي في الدر (عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه يوماً فقال لهم: هل

(١) الكتاني: معجم فقه السلف ج٧ ص١٨.
(٢) القرطبي: الجامع مج٢ ج٣ ص١٣٥.
(٣) ينظر/ المرجع نفسه: مج٢ ج٣ ص١٣٥، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٥١٢.

تدرون ما يقول ربكم تبارك وتعالى؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قالها ثلاثاً، قال: قال: وعزتي وجلالي لا يصليها عبد لوقتها إلا أدخلته الجنة، ومن صلاها لغير وقتها إن شئت رحمته وإن شئت عذبته)(١)، وبما أن الصلاة ركن من أركان الدين وعماده، فقد أثر (عن ابن مسعود أنه سئل أي درجات الأعمال أفضل؟ قال: الصلاة ومن لم يصل فلا دين له)(٢)، ولكي تكون الصلاة جزءاً من حياتنا فقد حث ابن مسعود رضي الله عنه على أن نعوّدها أولادنا؛ لينشئوا عليها، إذا تعودُوها في الكبر يصعب المحافظة عليها، (عن ابن مسعود: حافظوا على أبنائكم في الصلاة وعودوهم الخير فإن الخير عادة)(٣)، وهذا التأويل من ابن مسعود رضي الله عنه يعود إلى توجيهات رسول الله صلى الله عليه وسلم للمحافظة على الصلاة في أوقاتها(٤)، وتعليم الصبيان الصلاة لسبع، وضربهم عليها لعشر، أما المراد من الصلاة الوسطى، فالمأثور عن ابن مسعود، وكثير من الصحابة رضي الله عنهم أنها صلاة العصر، أخرج الترمذي في جامعه (عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الصلاة الوسطى صلاة العصر)(٥)، وذكر الترمذي أنه حديث حسن صحيح، وفي صحيح مسلم (عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:

(١) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٣٠٥.
(٢) المرجع نفسه: ج١ ص٣٠٧.
(٣) المرجع نفسه: ج١ ص٣١٠.
(٤) ينظر/ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٥١٤.
(٥) الترمذي: الجامع الصحيح ج١ ص٥٣٥، والقرطبي: الجامع مج٢ ج٣ ص١٣٨، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٥١٦.

حبس المشركون رسول الله ﷺ عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس أو اصفرت؛ فقال رسول الله ﷺ: شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله أجوافهم وقبورهم ناراً، أوقال: حشا الله أجوافهم وقبورهم ناراً)(١)، وبهذا المعنى جاءت روايات متعددة تقل أو تكثر في ألفاظها، ولأهمية هذه الصلاة، وفضلها جعل لتاركها عقوبة، (عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: الَّذِي تَفُوتُهُ صَلَاةُ العَصْرِ كأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ ومالَهُ)(٢)، فكان ابن عمر يرى لصلاة العصر فضيلة للذي قال رسول الله ﷺ فيها: إنها الصلاة الوسطى، فتأويل الآية عند ابن مسعود معتمد على ما يسمعه من رسول الله ﷺ وهو من باب تفسير القرآن بالسنة، أما القنوت الوارد في الآية فقد فسّر بتفسيرين اثنيين: أولهما السكوت، والثاني الذي يطيع الله ورسوله، ففي المعنى الأول (عن ابن مسعود قال: كنا نقوم في الصلاة فنتكلم ويسارر الرجل صاحبه ويخبره ويردون عليه إذا سلم حتى أتيت أنا فسلمت فلم يردوا عليّ السلام فاشتد ذلك عليّ؛ فلما قضى النبي ﷺ صلاته قال: إنه لم يمنعني أن أرد عليك السلام إلا أنا أمرنا أن نقوم قانتين لا نتكلم في الصلاة والقنوت السكوت)(٣)، وفي

(١) النووي: شرح صحيح مسلم ج٥ ص١٢٨، والطبري: جامع البيان مج٢ ج٢ ص٣٤٥، والسيوطي: الدر المنثور ج١ ص٣١٣، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٥١٨.
(٢) البخاري: صحيح البخاري بحاشية السندي ج١ ص١٠٥، والطبري: جامع البيان مج٢ ج٢ ص٣٤٣.
(٣) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٣١٥، والطبري: جامع البيان مج٢ ج٢ ص٣٥٣.

رواية ابن جرير (عن كلثوم بن المصطلق[١] عن عبد الله بن مسعود قال: إن النبي ﷺ كان عودني أن يرد عليّ السلام في الصلاة فأتيته ذات يوم فسلمت فلم يرد عليّ وقال: إن الله يحدث في أمره ما يشاء وإنه قد أحدث لكم في الصلاة أن لا يتكلم أحد إلا بذكر الله وما ينبغي من تسبيح وتمجيد)[٢]، وهذا التأويل يتعلق بأسباب النزول، أما في المعنى الثاني: (عن ابن مسعود قال: القانت الذي يطيع الله ورسوله)[٣]، قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾: أي خاشعين ذليلين مستكينين بين يديه، وهذا الأمر مستلزم ترك الكلام في الصلاة لمنافاته إياها، ولهذا امتنع النبي ﷺ من الرد على ابن مسعود حين سلم عليه وهو في الصلاة، اعتذر إليه بذلك وقال: (إن في الصلاة لشغلاً)[٤]، وفي صحيح مسلم (عن عبد الله قال: كنا نسلم على رسول الله ﷺ وهو في الصلاة فيرد علينا، فلما رجعنا من عند النجاشي سلمنا عليه فلم يرد علينا؛ فقلنا: يا رسول الله كنا نسلم عليك في الصلاة فترد علينا، فقال: إن في الصلاة شغلاً)[٥]، وهناك معنى ثالث للقنوت بمعنى الدعاء (عن ابن مسعود قال: ما

(١) كلثوم بن علقمة بن ناجية المصطلقي الخزاعي، روى عنه جامع بن شداد وابنه الحضرمي ابن كلثوم، أحاديثه مرسلة لا تصح، له صحبة وسمع ابن مسعود. ابن عبد البر: الاستيعاب القسم الثالث ص١٣٢٧ بتصرف.

(٢) الطبري: جامع البيان مج٢ ج٢ ص٣٥٤.

(٣) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٣١٦.

(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٥٢٢.

(٥) النووي: شرح صحيح مسلم ج٥ ص٢٦، والبخاري: صحيح البخاري بحاشية السندي ج١ ص٢١٠.

قنت رسول الله ﷺ في شيء من الصلوات إلا في الوتر، وإنه كان إذا حارب يقنت في الصلوات كلهن يدعوا على المشركين)(١)، ومن الأئمة من يجعل القنوت في صلاة الصبح، وفي كيفيته، وألفاظه أقوال مبسوطة في كتب الفقه.

قوله -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾.

جاء في الجامع للقرطبي (قال ابن مسعود: الطاعون فِتْنَةٌ على المقيم والفارّ؛ فأما الفارّ فيقول: فبفراري نجوت، وأما المقيم فيقول: أقمتُ فمتّ)(٢)، ومعنى الطاعون كما جاء في مختار الصحاح: (الطَّاعون المَوْتُ من الوَبَاء والجمعُ الطَّوَاعِين)(٣)، وقد جمع القرطبي في تفسيره الآثار المتعلقة بالطاعون من حيث منع الفرار منه إذا كان بالمكان، وعدم دخوله إن كان خارجه، وما يترتب عليه في عقيدة المسلم، وصحة التوكل على الله، وأن كل شيء من عنده، فلا الفرار ينجي، ولا المكث يهلك بنفسه، وما ذكره يغني عن الإعادة هنا(٤).

قوله -تعالى-: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةًۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾.

(١) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٣١٧.
(٢) القرطبي: الجامع مج٢ ج٣ ص١٥٣.
(٣) الرازي: مختار الصحاح ص٣٩٣.
(٤) ينظر/ القرطبي: الجامع مج٢ ج٣ ص١٥٢ فما بعد.

أخرج ابن جرير في تفسيره عن عبد الله بن الحارث[١] (عن عبد الله ابن مسعود قال: لما نزلت ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قال أبو الدحداح[٢]: يا رسول الله أو إن الله يريد منا القرض[٣] قال: نعم يا أبا الدحداح، قال: يدك قبل فناوله يده قال: فإني قد أقرضت ربي حائطي، حائطاً فيه ستمائة نخلة، ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه في عيالها فناداها يا أم الدحداح، قالت: لبيك، قال: اخرجي قد أقرضت ربي حائطاً فيه ستمائة نخلة)[٤]، وجاء من طريق زيد بن أسلم[٥] أن لأبي الدحداح

(١) عَبْد الله بن الحارِث: بن نوفل الهاشمي القرشي (ت٨٤هـ) وال، من أشراف قريش. من أهل المدينة. أمه هند أخت معاوية. كان ورعاً ظاهر الصلاح. ولاه ابن الزبير على البصرة. ولما قامت فتنة ابن الأشعث، خرج إلى عُمان هارباً من الحجاج، فتوفي فيها. الزركلي: الأعلام ج٤ ص٧٧ بتصرف.

(٢) أبو الدحداح: ثابت بن الدحداح ويقال: ابن الدحداحة بن نعيم بن غنم بن إياس، يكنّى أبا الدحداح (ت٣ أو ٦هـ) كان في بني أنيف أو في بني العجلان حليف بني زيد بن مالك ابن عوف بن عمرو بن عوف، شهد أحداً وقيل: إنه استشهد فيها، وقيل: إنه مات بعد مرجع النبي ﷺ من الحديبية. هذا ما ذكره ابن عبد البر في القسم الأول من كتابه الاستيعاب ص٢٠٣-٢٠٤ بتصرف. وقال في القسم الرابع ص١٦٤٥ ما نصه: أبو الدحداح ويقال: أبو الدحداحة، فلان ابن الدحداحة مذكور في الصحابة لا أقف له على اسم ولا نسب أكثر من أنه من الأنصار حليف لهم.

(٣) القَرض: سُمِّي ما يُدْفَعُ إلى الإنسانِ من المالِ بشَرْطِ رَدّ بَدَلِهِ قَرْضاً. الراغب: المفردات ص٤٠٠.

(٤) الطبري: جامع البيان مج٢ ج٢ ص٣٧١.

(٥) زَيْد بن أَسْلَم العدوي العمري، مولاهم، أبو أسامة أو أبو عبد الله (ت١٣٦هـ) فقيه مفسر، من أهل المدينة. له كتاب في (التفسير). الزركلي: الأعلام ج٣ ص٥٦-٥٧ باختصار. وابن عبد البر: الاستيعاب القسم الثاني ص٥٣٦.

حديقتين أراد التصدق بهما، ولا مال له غيرهما؛ فأمره النبي ﷺ أن يتصدق بإحداهما، ويمسك الأخرى له ولعياله، فتصدق بخيرهما؛ رغبة فيما عند الله، ذكر هذا القرطبي في تفسيره، ثم أورد بعد ذلك رجزاً على لسان أبي الدحداح، وآخر على لسان زوجته يحمل معاني طيبة، وفيه شيء من الحكمة[(١)]، وما روي عن ابن مسعود يدل على ملازمته للنبي ﷺ ومعرفته بأحوال الناس، وقرائن الآيات.

قوله -تعالى-: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

أورد القرطبي في تفسيره (عن علقمة عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: لولا فيكم رجال خُشّع وبهائم رتّع وصبيان رضّع لصب العذاب على المؤمنين صباً)[(٢)]، وبالرجال الخشع يدفع الله البلاء عن أهل الأرض، وهو ما يعرف عند العامة بالصالحين، أي الأولياء، وعند المتصوفة بالأبدال[(٣)]، جاء في الدر للسيوطي (عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: لا يزال أربعون رجلاً من أمتي قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام يدفع بهم عن أهل الأرض يقال لهم: الأبدال إنهم لن يدركوها بصلاة ولا بصوم ولا بصدقة قالوا: يا رسول الله فبم أدركوها؟ قال: بالسخاء

(١) ينظر/ القرطبي: الجامع مج٢ ج٣ ص١٥٥-١٥٦.

(٢) المرجع نفسه: مج٢ ج٣ ص١٧٠.

(٣) الأَبْدَالُ: قَوْمٌ من الصالحين لا تَخْلُو الدُّنْيا منهم إذا مات واحدٌ منهم أَبْدَلَ الله تعالى مكانَه بآخَرَ. الرازي: مختار الصحاح ص٤٤.

والنصيحة للمسلمين)[١]، وقد ورد في السخاء، أي الجود والكرم، أحاديث كثيرة، منها ما جاء في منهاج الصالحين: (السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس، بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس، قريب من النار، والجاهل السخي أحب إلى الله عز وجل من عابد بخيل)[٢]، وفي النصيحة، ولمن تكون (عن أبي رُقَيَّةَ تَمِيم بنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ[٣] رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ) قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: (للهِ ولِكِتَابِهِ ولِرَسُولِهِ ولأئمَّةِ المُسْلِمِينَ وعَامَّتِهِمْ))[٤].

قوله -تعالى-: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾.

ورد في فضل آية الكرسي، وعظم قدرها آثار كثيرة، منها ما روي عن رسول الله ﷺ، ومنها ما هو موقوف على الصحابة رضي الله عنهم[٥]، من ذلك ما ذكره

---

(١) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٣٢٩.

(٢) الترمذي: السنن، حديث رقم (١٩٦١).

(٣) تَمِيم بن أوس بن خارجة الداري، أبو رقية (ت٤٠هـ) صحابي، من لخم. أسلم سنة٩هـ. سكن المدينة. ثم انتقل إلى الشام بعد مقتل عثمان. أول من أسرج السراج بالمسجد. راهب أهل عصره وعابد أهل فلسطين. له في الصحيحين ١٨ حديثا. الزركلي: الأعلام ج٢ ص٨٧ بتصرف.

(٤) الأمير الصنعاني: سبل السلام ج٤ ص٢١٠.

(٥) ينظر/ السيوطي: الإتقان ج٢ ص١٥١-١٥٢.

السيوطي في الدر المنثور (عن ابن مسعود قال: ما خَلْق لله من سماء ولا أرض ولا جنة ولا نار أعظم من آية في سورة البقرة ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾)[١]، ومن المرفوع إلى رسول الله ﷺ ما أورده الحافظ ابن كثير نقلاً عن ابن مردويه (عن عمر بن الخطاب: أنه خرج ذات يوم إلى الناس وهم سماطات[٢] فقال: أيكم يخبرني بأعظم آية في القرآن. فقال ابن مسعود: على الخبير سقطت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أعظم آية في القرآن ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾))[٣]، ومما أثر مرفوعاً من طريق ابن مسعود ما جاء في الدر (عن ابن مسعود قال: قال رجل: يا رسول الله علمني شيئاً ينفعني الله به. قال: اقرأ آية الكرسي فإنه يحفظك وذريتك ويحفظ دارك حتى الدويرات حول دارك)[٤]، ومما جاء في فضلها، وفيه منقبة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ما رواه الشعبي (عن عبد الله بن مسعود قال: خرج رجل من الإنس، فلقيه رجل من الجن فقال: هل لك أن تصارعني؟ فإن صرعتني علمتك آية إذا قرأتها حين تدخل بيتك لم يدخله شيطان، فصارعه فصرعه، فقال: إني أراك ضئيلاً شخيتاً، كأن ذراعيك ذراعا كلب، أفهكذا أنتم أيها الجن كلكم، أم أنت من بينهم؟ فقال: إني بينهم لضليع، فعاودني فصارعه،

---

(١) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٣٣٢.

(٢) السماطات: هكذا جاءت بالتاء ولعلها السماطان بالنون. جاء في مختار الصحاح: السِّماطان من النَّخْل والناسِ الجانِبان. يقال: مَشَى بَيْنَ السِّماطَين. الرازي: مختار الصحاح ص٣١٣.

(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٥٤٥.

(٤) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٣٣٢.

فصرعه الإنسي فقال: تقرأ آية الكرسي فإنه لا يقرؤها أحد إذا دخل بيته إلا خرج الشيطان وله خبج كخبج[(١)] الحمار؛ فقيل لابن مسعود: أهو عمر؟ فقال: من عسى أن يكون إلا عمر)[(٢)]، ومما أثر عنه في تأويلها (عن زِرّ بن حُبَيش عن ابن مسعود قال: بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وبين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي وبين العرش مسيرة خمسمائة عام، والعرش فوق الماء والله فوق العرش يعلم ما أنتم فيه وما عليه)[(٣)]، والأزمنة المذكورة في الحديث لم تكن من ابن مسعود رضي الله عنه اجتهاداً، ولا مجرد رأي، وإنما من سماع، وإن لم يصرح به؛ ومما جاء في هذا المقام أيضاً، أعني ما يكون عن سماع لا عن اجتهاد (عن مُرّة الهَمَداني عن ابن مسعود عن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ في قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، فإن السماوات والأرض في جوف الكرسيّ والكرسيّ بين يدي العرش)[(٤)]، والمراد من وسع كرسيه العلم، أي أن علم الله محيط بكل شيء، جاء في الجامع نقلاً عن البيهقي (قال: روينا عن ابن مسعود وسعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ قال: علمه)[(٥)].

---

(١) الكلمات الواردة في الحديث بيّنها القرطبي نقلاً عن الدارميّ: (الضّئيل: الدقيق، والشّخِيت: المهزول، والضّلِيع: جيد الأضلاع، والخَبَج: الريح. وقال أبو عبيدة: الخَبج: الضراط، وهو الحَبج أيضاً بالحاء). القرطبي: الجامع مج٢ ج٣ ص١٧٦.

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٥٤٤-٥٤٥.

(٣) القرطبي: الجامع مج٢ ج٣ ص١٨٠.

(٤) المرجع نفسه: مج٢ ج٣ ص١٨٠.

(٥) المرجع نفسه: مج٢ ج٣ ص١٨٠.

قوله -تعالى-: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾.

جاء في تفسير القرطبي (اختلف العلماء في معنى هذه الآية.

الأول: قيل إنها منسوخة؛ لأن النبيّ ﷺ قد أكره العرب على دين الإسلام وقاتلهم ولم يرض منهم إلا بالإسلام؛ قاله سليمان بن موسى، قال: نسختها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾(١). ورُوي هذا عن ابن مسعود وكثير من المفسرين.(٢)، وقول القرطبي روي هذا عن ابن مسعود رضي الله عنه لم أجد في كتب التفسير المعنية بجمع المأثور عن الصحابة والتابعين، كما أن هو ذاته لم يأت بنص الرواية عنه.

قوله -تعالى-: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾.

أخرج الإمام أحمد في مسنده (عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل جعل حسنةَ ابن آدم بعشرِ أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلا الصوم، والصومُ لي، وأنا أجْزِي به، وللصائم فَرْحَتان: فرحة عند إفطاره، وفرحةٌ يومَ القيامة، ولَخُلُوفُ فَمِ الصائم أطيبُ عند الله من ريح المسك)(٣)، وفي تفسير الحافظ ابن كثير (عن أبي عمرو

(١) سورة التوبة: ٧٣.

(٢) القرطبي: الجامع مج٢ ج٣ ص١٨٢.

(٣) ابن حنبل: المسند ج٦ ص١٢٩.

الشيباني عن ابن مسعود أن رجلاً تصدق بناقة مخطومة[(١)] في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ لتأتين يوم القيامة بسبعمائة ناقة مخطومة)[(٢)]، وهذان الأثران من باب تفسير القرآن بالسنة، ومن منهج ابن مسعود أنه إذا وجد تفسيراً لرسول الله ﷺ يتمسك به، ولا يعدل عنه إلى غيره.

قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧﴾.

أورد السيوطي في الدر المنثور (عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: في ثلاثين من البقر تبيع أو تبيعة وفي كل أربعين مسنة)[(٣)]، وإلى هذا ذهب جمهور العلماء، كما أورد السيوطي في الدر المنثور في تأويل قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ﴾، (عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: لا يكسب عبد مالاً حراماً فينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتصدق فيقبل منه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله لا يمحوا السيئ بالسيئ ولا يمحو السيئ إلا بالحسن، إن الخبيث لا يكفر الخبيث ولكن الطيب يكفر الخبيث)[(٤)]، وأورد بعد هذا أثرين اثنين معناهما يعود إلى ما ذكر في آخر الحديث من الرواية التي أثبتها.

(١) مخطومة: الخِطَام الزِّمَام. الرازي: مختار الصحاح ص١٨١.

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٥٦٢، والسيوطي: الدر المنثور ج١ ص٣٤٥.

(٣) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٣٥١، والشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج١ ص٦٨٥-٦٨٧.

(٤) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٣٥٧.

قوله -تعالى-: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨﴾.

أخرج الترمذي في جامعه (عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾ الآية)(١)، وساق روايتين أخريين بنفس المعنى مع اختلاف في الألفاظ نقصاً، وزيادة، وتقديماً، وتأخيراً، و(معنى لمة: بفتح اللام وتشديد الميم من الإلمام، ومعناه النزول والقرب والإصابة، والمراد بها ما يقع في القلب بواسطة الشيطان أو الملك، ويسمى ما يقع في القلب بواسطة الشيطان وسوسة ويسمى ما يقع في القلب بواسطة الملك إلهاماً)(٢).

قوله -تعالى-: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩﴾.

أورد الحافظ ابن كثير نقلاً عن ابن مردويه (عن أبي عمار الأسدي، عن ابن مسعود مرفوعاً: رأس الحكمة مخافة الله)(٣)، ومعنى الحكمة

---

(١) الترمذي: الجامع الصحيح ج٨ ص٣٣٢، والطبري: جامع البيان مج٣ ج٣ ص٥٩، والقرطبي: الجامع مج٢ ج٣ ص٢١٣، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٥٧٠.

(٢) الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج٢ ص٥٣٠-٥٣١.

(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٥٧١.

الواردة في الآية أقوال كثيرة أوردها الحافظ ابن كثير في تفسيره منسوبة إلى أصحابها تدور على معنى العلم، والفقه، والعقل، والفهم، ومعرفة القرآن، وتفسيره، والنبوة، ثم قال: (والصحيح أن الحكمة كما قاله الجمهور: لا يختص بالنبوة بل هي أعم منها، وأعلاها النبوة، والرسالة أخص؛ ولكن لأتباع الأنبياء حظ من الخير على سبيل التبع)[١]، وجاء في الدر (عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين وألهمه رشده)[٢]، وهذا الأثر يدل على أن المراد من الحكمة التفقه في الدين، وكمال العقل، ومما جاء في بيان فضل تعلم القرآن الذي هو منبع الحكمة، ما ذكره السيوطي في تفسيره (عن ابن مسعود أنه كان يقرئ الرجل الآية ثم يقول: تعلمها فإنها خير لك مما بين السماء والأرض، حتى يقول ذلك في القرآن كله)[٣]، وفي نفس السياق أورد حديثاً آخر يحث فيه ابن مسعود على تعلم القرآن، وأنه خير من متاع الدنيا، ومكاسبها المادية، (عن ابن مسعود أنه قال: لو قيل لأحدكم: لو غدوت إلى القرية كان لك أربع قلائص[٤] كان يقول قد آن لي أن أغدو فلو أن أحدكم غدا فتعلم آية من كتاب الله كانت له خيراً من أربع وأربع حتى

(١) المرجع نفسه: ج١ ص٥٧١-٥٧٢.
(٢) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٣٦٠.
(٣) المرجع نفسه: ج١ ص ٢٥٩.
(٤) قلائص: القَلُوص من النُّوق الشَّابَّة وهي بمَنْزِلة الجَارِيَة من النِّسَاء وجَمْعُها قُلُص وقَلَائِصُ. الرازي: مختار الصحاح ص٥٤٨.

عدّ شيئاً كثيراً)[١]، والحكمة تعني العلم بصفة عامة، والنبي ﷺ يحث عليه، ويدعوا إليه، ولو لم يبلغه إلا عن طريق الحسد (أي الغبطة) فليفعل، (عن قيس ابن أبي حازم[٢] قال: سمعت عبد الله بن مسعود قال: قال النبي ﷺ: لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُل آتاهُ اللهُ مالاً فَسُلِّطَ على هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ وَرَجُلٍ آتاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِها ويُعَلِّمُهَا)[٣].

قوله -تعالى-: ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٧١﴾.

جاء في الدر للسيوطي (عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ليَتَّقِ أحدُكم وجهَه من النارَ ولو بِشقّ ثمرة)[٤]، في الحديث حث على التصدق ولو بالشيء اليسير.

قوله -تعالى-: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ٢٧٣﴾.

المأثور عن ابن مسعود رضي الله عنه في تأويل هذه الآية ما نقله السيوطي في

---

(١) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٢٥٩.

(٢) قَيْس بن أبي حازم: قيس بن عبد عوف بن الحارث الأحمسي البجلي (ت٨٤هـ) تابعي جليل. أدرك الجاهلية، ورحل إلى النبي ﷺ ليبايعه. سكن الكوفة. روى عن الأصحاب العشرة. الزركلي: الأعلام ج٥ ص٢٠٧ بشيء من التصرف.

(٣) البخاري: صحيح البخاري بحاشية السندي ج١ ص٢٤.

(٤) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٣٦٥-٣٦٦، وابن حنبل: المسند ج٥ ص٢٥٠-٢٥١.

الدر المنثور (عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ليس المسكين بالطوّاف الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد ما يغنيه ويستحي أن يسأل الناس ولا يفطن له فيتصدق عليه)(١)، وبهذا اللفظ أورده الحافظ ابن كثير عن طريق أبي هريرة رضي الله عنه(٢)، وفي تأويل قول الله -تعالى-: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ ذكر الحافظ ابن كثير (عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: من سأل وله ما يغنيه، جاءت مسألته يوم القيامة خدوشاً(٣) أو كدوحاً في وجهه)(٤)، وفي الجامع للترمذي (عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش أو خدوش أو كدوح، قيل يا رسول الله وما يغنيه؟ قال: خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب)(٥)، وفي الروايتين الترهيب من المسألة، وتحريمها مع الغنى، وفي الرواية الثانية بيان قدر الغنى وهو خمسون درهماً، أو قيمتها من الذهب، فمن ملك ذلك تحرم عليه المسألة، والأخذ من الزكاة(٦).

---

(١) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٣٦٩.

(٢) ينظر/ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٥٧٦.

(٣) الخُدُوش: الكُدُوح وقد خَدَش وجْهَه من باب ضَرَب. وخَدّشه شُدِّد للمبالغة والكثرة. الرازي: مختار الصحاح ص١٧٠.

(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٥٧٧.

(٥) الترمذي: الجامع الصحيح ج٣ ص٣١٣.

(٦) ينظر/ الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج١ ص٦٧٥.

قوله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥﴾.

(الربا في الشرع: الزيادة على أصل المال من غير تبايع)[1]، وهو من الذنوب الكبائر؛ لورود اللعن فيه؛ من ذلك ما روي (عن عبد الله قال: لعن رسول الله ﷺ الواشمة والموتشمة والواصلة والموصولة وآكل الربا وموكله والمحلل والمحلل له)[2]، وفي الجامع الصحيح للترمذي (عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لعن رسول الله ﷺ: آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه)[3]، وفي الدر المنثور رواية تبين أن الملعونين من المتعاملين بالربا تشمل أربعة أصناف وهم: (عن ابن مسعود قال: لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه)[4]، وفي المسند زيادة (إذا علموا به)[5]، والمستفاد من هذا الحديث (١- تحريم التعامل بالربا وأن الآخذ والمعطي يشتركان في الإثم. ٢- تحريم الشهادة إذا كان الشاهد عالماً بالوعيد الوارد في الربا. ٣- تحريم الإعانة على الباطل)[6]، والربا وإن كان ظاهره الكثرة

---

(١) المرجع نفسه: مج٢ ص٢٣.

(٢) النسائي: المجتبى ج٦ ص١٤٩.

(٣) الترمذي: الجامع الصحيح ج٤ ص٣٩٦، وابن حنبل: المسند ج٥ ص٢٧٨.

(٤) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٣٧٨.

(٥) ابن حنبل: المسند ج٥ ص٣٣٧.

(٦) الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج٢ ص٢٤.

إلا أن مآله القلة، أخرج ابن جرير في تفسيره (عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: الربا وإن كثر فإلى قلّ)[١]، وفي سنن ابن ماجه (عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة)[٢]، أفاد الحديث أن المال الناتج عن الربا وإن كثر في يد صاحبه، فمصيره إلى الزوال، والربا أبوابه متعددة تزيد عن السبعين، جاء في الدر المنثور (عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها مثل أن ينكح الرجل أُمه، وإن أربى الربا عِرْض الرجل المسلم)[٣]، أي الغيبة التي قيل عنها فاكهة المجالس، وهي أيضاً من الذنوب الكبائر، وإن من أسباب هلاك القرى والمدن ظهور الربا، وانتشاره بينهم (عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه: إذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن الله بهلاكها)[٤]، وفي المسند للإمام أحمد (عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عن النبي ﷺ قال: ما ظهر في قوم الربا والزنا إلا أَحَلُّوا بأنفسهم عقابَ الله عز وجل)[٥]، ومن وجوه الربا أن يقرض الإنسان إنساناً قرضاً فيقبل منه (أي من المقترض) هدية: (عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إذا كان لك على الرجل دين فأهدى لك شيئاً فلا تأخذوه فإنه ربا)[٦]، ومن

---

(١) الطبري: جامع البيان مج٣ ج٣ ص.٦٩.
(٢) ابن ماجه: السنن ج٢ ص٧٦٥، وابن حنبل: المسند ج٥ ص٢٨٣.
(٣) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٣٧٨، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٥٨٢.
(٤) الذهبي: كتاب الكبائر ص٦٨.
(٥) ابن حنبل: المسند ج٥ ص٣٠٩.
(٦) الذهبي: كتاب الكبائر ص٧٠.

أوجه الربا أيضاً، أن يعير المقترض للمقرض دابة أو نحوها، جاء في النهاية في غريب الحديث والأثر (سئل ابن مسعود عن رجل استقرض من رجل دراهم ثم إنه أفقر المقرض دابته فقال: ما أصاب من ظهر دابته فهو ربا. ومعنى أفقره أعانه)[١]، وقد اتفق الجمهور على أن القرض الذي يجر منفعة حرام، وبخاصة إذا كان الانتفاع مشروطاً، أما إذا كان الانتفاع غير مشروط (أي جارٍ على سبيل العادة) فهو مباح، وتأويل ابن مسعود رضي الله عنه معتمد عند الجمهور على أن الحديث موقوف عليه، وعلى غيره من الصحابة، ولم يثبت بالطريق الصحيح في المسألة حديث عن رسول الله ﷺ، وقد أورد كل من صاحب نيل الأوطار، وصاحب سبل السلام حديثاً بنفس المعنى، (عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: كُلّ قَرْضٍ جَرَّ مَنْفَعَةً فَهُوَ رِبا)[٢]، وذكر أن هذا الحديث ساقط؛ لوجود راوٍ متروك، وبيّن أن له شاهداً في سنن البيهقي، ووصف ذلك الشاهد بأنه ضعيف أيضاً[٣]، وعليه فالانتفاع بالقرض ممنوع بإجماع الصحابة رضي الله عنهم وبخاصة إذا كان بشرط، وكذلك ما كان نظير عمل أو خدمة، ولو كانت غير مادية (عن ابن مسعود قال: من شفع لرجل شفاعة فأهدى إليه هدية فهي سحت)[٤]، ولعل هذا كله

---

(١) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر ج٢ ص٤٦٢، وأفقره: يقال: البعير أفقاراً إذا أعاره. المرجع نفسه: ج٣ ص٤٦٢.

(٢) الأمير الصنعاني: سبل السلام ج٣ ص٥٣.

(٣) ينظر/ الشوكاني: نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار ن: دار الجيل بيروت-لبنان لاط (ت١٩٧٣م) ج٥ ص٣٥٠، والأمير الصنعاني: سبل السلام ج٣ ص٥٣.

(٤) الذهبي: كتاب الكبائر ص٧٠.

مستقى من قول رسول الله ﷺ: (من شفع لرجل شفاعة فأهدى له عليها فقبلها فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الربا)(١).

قوله -تعالى-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾.

أورد السيوطي في الدر المنثور في تأويل هذه الآية (عن ابن مسعود قال: آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه إذا علموا به والواشمة والمستوشمة للحسن ولاوي الصدقة والمرتد أعرابياً بعد الهجرة ملعونون على لسان محمد ﷺ يوم القيامة)(٢)، والمتعاملون بالربا ملعونون على لسان النبي ﷺ يوم القيامة، ومستحقون عقاب الله، وهلاكه في الدنيا (عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: ما ظهر في قوم الزنا والربا إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله)(٣)، والربا لا يبارك فيه، وإن كثر، فإن مصيره إلى القلة، والنفاد (عن عبد الله بن مسعود أنه قال: الربا وإن كثر إلى قلّ)(٤).

قوله -تعالى-: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾.

ذكر القرطبي في تفسيره أن في هذه الآية أقوالاً خمسة صدرها بالقول الأول: (أنها منسوخةٌ؛ قاله ابن عباس وابن مسعود وعائشة وأبو هريرة

(١) المرجع نفسه: ص٧٠.
(٢) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٣٧٨.
(٣) ابن حنبل: المسند ج٥ ص٣٠٩.
(٤) ابن حجر: فتح الباري ج٩ ص٢٧١، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٥٨٣.

والشعبي وعطاء ومحمد بن سِيرين ومحمد بن كعب وموسى بن عُبَيْدَة وجماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم جميعاً)[١]، ومثل هذا ذكره الحافظ ابن كثير[٢]، مع اختلاف في الأسماء الواردة مع ابن مسعود رضي الله عنه، وبين القرطبي أن الآية بقيت حولاً قبل نسخها على ما رواه عن ابن مسعود رضي الله عنه وغيره، ثم ساق الآية الناسخة، جاء في الجامع (أنه بقي هذا التكليف حَوْلاً حتى أنزل الله الفرج بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾[٣]. وهو قول ابن مسعود وعائشة وعطاء ومحمد بن سيرين ومحمد بن كعب وغيرهم)[٤]، وممن نقل أن الآية منسوخة السيوطي الذي روى (عن ابن مسعود في الآية قال: كانت المحاسبة قبل أن تنزل ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾ فلما نزلت نسخة الآية التي كانت قبلها)[٥]، في حين أورد صاحب الناسخ والمنسوخ (قال ابن مسعود: هي عموم في سائر أهل القيامة)[٦]، أي أن الآية غير منسوخة (وقد رجح الطبريّ أن الآية محكمة غير منسوخة: قال ابن عطية: وهذا هو الصواب، وذلك أن قوله -تعالى-: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ﴾ معناه مما هو في وُسعكم وتحت كسبكم، وذلك استصحاب المعتقَد والفكر؛ فلما كان اللفظ مما يمكن أن تدخل فيه

(١) القرطبي: الجامع مج٢ ج٣ ص٢٧١.
(٢) ينظر/ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٦٠٢.
(٣) سورة البقرة: ٢٨٦.
(٤) القرطبي: الجامع مج٢ ج٣ ص٢٧١-٢٧٢.
(٥) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٣٨٦.
(٦) أبو القاسم هبة الله: الناسخ والمنسوخ ص٩٩.

الخواطر أشْفَق الصحابة والنبيّ ﷺ، فبين الله لهم ما أراد بالآية الأخرى، وخصصها ونص على حكمه أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها، والخواطر ليست هي ولا دفعها في الوسع، بل هي أمر غالب وليست مما يكتسب؛ فكان في هذا البيان فرَجُهم وكشف كُرَبهم، وباقي الآية محكمة لا نسخ فيها)[(١)].

قوله -تعالى-: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾.

المروي عن ابن مسعود رضي الله عنه في هاتين الآيتين بيان فضلهما، وقدرهما، ومنزلتهما عند الله، وما لقارئهما من ثواب وأجر؛ فما يدل على منزلتهما ما أورده السيوطي في الدر المنثور (عن ابن مسعود قال: أنزلت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش)[(٢)]، ومما يدل على قدرهما العظيم، وشرفهما الرفيع، ما روي (عن ابن مسعود قال: لما أسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى فأعطي ثلاثاً: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لا يشرك بالله شيئاً من أمته المقحمات)[(٣)] (أي الذنوب الكبائر)، أما فضل

(١) القرطبي: الجامع مج٢ ج٣ ص٢٧٢-٢٧٣.
(٢) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٣٩٠.
(٣) المرجع نفسه: ج١ ص٣٩٠.

من قرأهما، وما له من الأجر ما أخرجه الحافظ ابن كثير في تفسيره (عن عبد الرحمن، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ، قال: من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه)[١]، وهذه الرواية بهذا السند خطّأها ابن حجر وقال: إن فيها تصحيفاً عن أبي مسعود وهو عقبة بن عمرو البدري، وإن عبد الرحمن بن يزيد هو النخعي[٢]، ومعنى كفتاه أجزأتاه عن قيام الليل، ومنعتاه من شر الشيطان، ومن الآفات، ومن كل سوء، وكفتاه في الاعتقاد[٣]، ولا مانع من أن تكفياه كل ذلك، والله ذو الفضل العظيم، ومما أثر في فضلهما، وثوابهما العظيم (عن ابن مسعود قال: من قرأ في ليلة آخر سورة البقرة فقد أكثر وأطاب)[٤].

وبهذا المأثور عن عبد الله رضي الله عنه يكتمل تفسير سورة البقرة فيما تيسر لي والله المستعان.

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج١ ص٦٠٥، ورواه في فضائل القرآن عن عبد الرحمن بن يزيد عن أبي مسعود ج٧ ص٤٩٧ وهو الصواب إن شاء الله.
(٢) ينظر/ ابن حجر: فتح الباري ج١٠ ص٤٣١.
(٣) ينظر/ المرجع نفسه: ج١٠ ص٣٣٢.
(٤) السيوطي: الدر المنثور ج١ ص٣٩٠.

تفسير سورة آل عمران

مما أثر عنه في فضلها، وما لقارئها، ما أورده القرطبي في تفسيره (عن الشَّعْبي: قال: قال عبد الله: نِعم كنْزُ الصُّعْلوك[١] سورةُ آل عمران يقوم بها في آخر الليل)[٢]، وجاء في الدر المنثور للسيوطي في فضلها (عن ابن مسعود قال: من قرأ آل عمران فهو غني)[٣] (أي مستغني).

قوله -تعالى-: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾.

أخرج ابن جرير في تفسيره (عن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ قال: إذا وقعت النطفة في الأرحام طارت في الجسد أربعين يوماً، ثم تكون مضغة أربعين يوماً، فإذا بلغ أن يُخلق بعث الله ملكاً يصورها، فيأتي الملك بتراب بين إصبعيه فيخلطه في المضغة ثم يعجنه بها ثم يصورها كما يؤمر فيقول: أذكر أو أنثى؟ أشقي أو سعيد؟ وما رزقه وما عمره؟ وما أثره وما مصائبه؟ فيقول الله ويكتب الملك، فإذا مات ذلك الجسد دفن حيث أخذ ذلك التراب)[٤]، وأورد السيوطي في الدر المنثور

(١) الصعلوك: الصُّعْلُوك الفقِير والتَّصَعْلك الفَقْر. الرازي: مختار الصحاح ص٣٦٣.
(٢) القرطبي: الجامع مج٢ ج٤ ص٤، والسيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٣.
(٣) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٣.
(٤) الطبري: جامع البيان مج٣ ج٣ ص١١٢-١١٣.

(عن ابن مسعود في قوله: ﴿يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ قال: ذكوراً وإناثاً)(١)، ومعلوم أن هذا التأويل لا يكون عن رأي، واجتهاد، وإن لم يصرح بالسماع من رسول الله ﷺ؛ لأنه من الأمور المغيّبة.

قوله -تعالى-: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾.

جاء في تفسير القرطبي في تأويل هذه الآية (قال ابن مسعود: المحكمات(٢) الناسخات، والمتشابهات(٣) المنسوخات)(٤)، وجاء في تفسير الطبري (عن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أما الزيغ فالشك)(٥)، وما أثر عن ابن مسعود في تفسير قول الله -تعالى-: ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ ما أخرجه السيوطي (عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: كان الكتاب الأول ينزل من

---

(١) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٤.

(٢) المحكمات: المُحْكَمُ مَا لَا يَعْرِضُ فيه شُبْهَةٌ مِنْ حَيْثُ اللّفْظِ ولا مِنْ حَيْثُ المَعْنَى. الراغب: المفردات ص١٢٨.

(٣) المتشابهات: المُتَشَابِهُ مِنَ الْقُرْآنِ ما أشْكلَ تَفْسِيرهُ لِمُشابَهَتِهِ بغيْرِه إمَّا مِنْ حيْثُ اللّفْظ أوْ مِنْ حيْثُ المعْنى، فقَالَ الْفُقهاءُ: الْمُتَشَابِهُ ما لا يُنْبِئُ ظاهِرُهُ عنْ مُرادِه. المرجع نفسه: ص٢٥٤ باختصار؛ إذ المادة فيها بحث جيد لا يكاد يوجد في غيره.

(٤) القرطبي: الجامع مج٢ ج٤ ص٩.

(٥) الطبري: جامع البيان مج٣ ج٣ ص١١٨، والسيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٦.

باب واحد على حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف: زاجر وآمر، وحلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال؛ فأحلوا حلاله وحرموا حرامه، وافعلوا ما أمرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه، واعتبروا بأمثاله واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه، وقولوا آمنا به كل من عند ربنا)(١)، وروي في بقية الآية (مذهب أكثر العلماء أن الوقف التامّ في هذه الآية إنما هو عند قوله -تعالى-: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وأن بعده استئناف كلام آخر، وهو قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾. ورُوي ذلك عن ابن مسعود وأبيّ بن كعب وابن عباس وعائشة)(٢)، قال الراغب بعد تفصيله لمعنى المتشابه: (عُلِمَ أنَّ الْوَقفَ عَلَى قوْله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، ووَصْله بقوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ جائزٌ وأنَّ لكُلِّ وَاحدٍ منهُمَا وَجْهاً)(٣).

قوله -تعالى-: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾.

أخرج ابن جرير في جامع البيان (عن ابن مسعود ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ قال: هذا يوم بدر، قال عبد الله بن مسعود: قد نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلاً

---

(١) المرجع نفسه: ج٢ ص٧.

(٢) القرطبي: الجامع مج٢ ج٤ ص١٢.

(٣) الراغب: المفردات ص٢٥٥.

واحداً)(١)، وذلك قول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾(٢)، وجاءت في الجامع رواية أوضح من ذلك (عن ابن مسعود أنه قال: قلت لرجلٍ إلى جنبي: أتراهم سبعين؟ قال: أظنهم مائة. فلما أخذنا الأسارى أخبرونا أنهم كانوا ألفاً)(٣)، وهذا التأويل من ابن مسعود رضي الله عنه من طريق المشاهدة، فهو من الذين حضروا غزوة بدر الكبرى.

قوله -تعالى-: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤)﴾.

جاء في تفسير القرطبي (روى عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: لا تُسْكِنوا نساءكم الغُرَفَ ولا تُعَلِّموهنّ الكِتاب)(٤)، ثم بيّن القرطبي المراد من الحديث بقوله: (حذرهم رسول الله ﷺ؛ لأن في إسكانهن الغرف تطلّعاً إلى الرجال، وليس في ذلك تَحْصِينٌ لهن ولا سِتْر؛ لأنهن قد يُشْرِفْن على الرجال فتحدُث الفتنة والبلاء، ولأنهن قد خُلِقْن من الرجل؛ فهِمّتها في الرجل والرجُل خُلِق فيه الشهوة وجُعِلَتْ سَكَناً له؛ فغير مأمونٍ كل واحد منهما على صاحبه. وفي تعلمهن الكتاب هذا المعنى من الفتنة وأشد)(٥)، والمأثور عن ابن مسعود في معنى

(١) الطبري: جامع البيان مج٣ ج٣ ص١٣٠، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٦.
(٢) سورة الأنفال: ٤٤.
(٣) القرطبي: الجامع مج٢ ج٤ ص١٩.
(٤) القرطبي: الجامع مج٢ ج٤ ص٢٠.
(٥) المرجع نفسه: مج٢ ج٤ ص٢٠.

﴿ٱلْحَرْثِ﴾ ما جاء في الجامع (في حديث عبد الله: احْرُثوا هذا القرآن)[١] (أي فَتِّشُوه)، قال الراغب في مفرداته: (احْرُثِ القُرْآنَ أي أكْثِرْ تِلاوَتَهُ)[٢]، والتعبير بالتفتيش أدق من المراد بالتلاوة؛ لأن المعنى الأول يقضي بالغوص في معاني القرآن، واستخراج دلالاته، واستنباط الأحكام منه، وهذا المعنى لا تشمله التلاوة.

قوله -تعالى-: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾.

في تأويل هذه الآية المأثور عن ابن مسعود ما أورده القرطبي في جامعه (روى غالب القطان[٣] قال: أتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريباً من الأعمش فكنت اختلف إليه. فلما كان ليلة أردت أن أنحدر إلى البصرة قام فتهجد من الليل فقرأ بهذه الآية: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ﴾، قال الأعمش: وأنا أشهد بما شهد الله به، وأستودع الله هذه الشهادة، وهي لي عند الله وديعة، وإن الدين عند الله الإسلام -قالها مرارا- فغدوت إليه وودّعته ثم قلت: إني سمعتك تقرأ

---

(١) المرجع نفسه: مج٢ ج٤ ص٢٤.

(٢) الراغب: المفردات ص١١٢.

(٣) غالب القطّان: هو غالب بن خَطّاف القطّان، يروي عن الأعمش حديث (شهد الله) وهو حديث مُعْضَل. قال ابن عدِيّ الضعف على حديثه بَيِّن. وقال أحمد بن حنبل: غالب بن خطّاف القَطّان ثِقةٌ ثقة. وقال ابن معِين: ثِقة. وقال أبو حاتم: صدوق صالح. قلت: ويكفيك من عدالته أن خرّج له البخاريّ ومسلم في كتابيهما، وحسبك. القرطبي: الجامع مج٢ ج٤ ص٢٨.

هذه الآية فما بلغك فيها؟ أنا عندك منذ سنة لم تحدّثني به. قال: والله لا حدّثتك به سنة. قال: فأقمت وكتبت على بابه ذلك اليوم، فلما مضت السنة قلت: يا أبا محمد قد مضت السنة. قال: حدّثني أبو وائل، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: يُجَاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله تعالى: عبدي عهِد إليّ وأنا أحَقّ من وَفّى أدْخِلوا عبدي الجنة)[١].

قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾.

المأثور عن عبد الله رضي الله عنه في تأويل هذه الآية (روي عن ابن مسعود قال: قال النبيّ ﷺ: بئس القوم قوم يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، بئس القوم قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، بئس القوم قوم يمشي المؤمن بينهم بالتّقِيّة)[٢] (أي مخفياً لدينه اتقاء شرهم)، وهذا من باب تأويل القرآن بالسنة.

قوله -تعالى-: ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢٧﴾﴾.

المأثور عن ابن مسعود في تأويل هذه الآية ما أخرجه السيوطي في الدر المنثور (عن ابن مسعود في قوله: ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ﴾ قال: يأخذ الصيف من الشتاء ويأخذ الشتاء من الصيف)[٣]، وفي

(١) المرجع نفسه: مج٢ ج٤ ص٢٨، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢٢.
(٢) القرطبي: الجامع مج٢ ج٤ ص٣١.
(٣) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص١٧، والقرطبي: الجامع مج٢ ج٤ ص٣٧.

بقية الآية أخرج ابن جرير (عن إبراهيم عن عبد الله في قوله: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ قال: هي النطفة تخرج من الرجل وهي ميتة وهو حي ويخرج الرجل منها حياً وهي ميتة)(١)، وفي معنى الآية وردت تأويلات مختلفة، والذي يعنيني من ذلك ما أثر عن ابن مسعود رضي الله عنه؛ وقد جاء في الدر معنى غير المعنى الذي سبق، وإن كان بصيغة الشك، أخرج السيوطي (عن ابن مسعود أو عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ قال: المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن)(٢)، وعلى هذا التأويل فالموت والحياة مجازيان لا حقيقيان، وهو تأويل معتمد على اللسان العربي؛ والصحابة رضي الله عنهم أعلم الناس بذلك.

قوله -تعالى-: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾.

المأثور عن ابن مسعود رضي الله عنه في تأويل هذه الآية ما ذكره جلال الدين السيوطي في تفسيره (عن ابن مسعود وابن عباس وناس من الصحابة: إن الذين كانوا يكتبون التوراة إذا جاؤا إليهم بإنسان محرر(٣) اقترعوا عليه أيهم يأخذه فيعلّمه وكان زكريا أفضلهم يومئذ، وكان معهم وكانت أخت

(١) الطبري: جامع البيان مج٣ ج٣ ص١٤٩، والقرطبي: الجامع مح٢ ج٤ ص٣٧.
(٢) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص١٨.
(٣) المحرر: المُخلَص للعبَادةِ خَادِماً لِلْبَيْعَةِ (أي الكَنيسة) مُعْتَقاً مِنْ أمْرِ الدُّنْيَا. الراغب: المفردات ص١١١.

أم مريم تحته فلما أتوا بها قال لهم زكريا: أنا أحقكم بها تحتي خالتها قال: فخرجوا إلى نهر الأردن فألقوا أقلامهم التي يكتبون بها أيهم يقوم قلمه فيكفلها فجرت الأقلام وقام قلم زكريا على قرنيه كأنه في الطين فأخذ الجارية)(١)، أي السيدة مريم عليها السلام، وفي معنى المحراب قال القرطبي: (المِحراب في اللغة أكرم موضع في المجلس)(٢)، ولذا قال ابن مسعود: (اتقوا هذه المحاريب)(٣).

قوله -تعالى-: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (٣٩)﴾.

أورد السيوطي في الدر المنثور(عن ابن مسعود مرفوعاً: خلق الله فرعون في بطن أمه كافراً وخلق يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمناً)(٤)، وجاء في تفسير ابن جرير (عن زر عن عبد الله في قوله: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ قال: الحصور الذي لا يأتي النساء)(٥)، وذكر الحافظ ابن كثير معنى هذا القول عن ابن مسعود، ومعه من الصحابة ابن عباس، ومن التابعين مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وأبي الشعثاء، وغيرهم(٦)، ونقل السيوطي (عن ابن المنذر والبيهقي في سننه عن ابن مسعود قال:

---

(١) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٢٢.
(٢) القرطبي: الجامع مج٢ ج٤ ص٤٦.
(٣) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٢٤.
(٤) المرجع نفسه: ج٢ ص٢٤.
(٥) الطبري: جامع البيان مج٣ ج٣ ص١٧٤.
(٦) ينظر/ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٥.

الحصور الذي لا يقرب النساء، ولفظ المنذر العُنّين)[١]، وهذا النقل من ابن المنذر عن ابن مسعود رضي الله عنه لا يتفق وسياق الآية، فالعُنة عيب، ونقص في الرجل، والآية جاءت لمدح يحيى -عليه الصلاة والسلام-، وأنه سيد وذو عفة، وامتناعه عن النساء عن قدرة لا عن عجز وضعف، أورد القرطبي في تفسيره (قال ابن مسعود وابن عباس وابن جُبير وقَتادة وعطاء وأبو الشعْثَاء[٢] والحسنُ والسُّدِّي وابن زيد: هو الذي يُكفّ عن النساء ولا يقربهن مع القدرة)[٣]، ثم عقب القرطبي بقوله: (وهذا أصح الأقوال لوجهين: أحدهما أنه مَدْحٌ وثناءٌ عليه، والثناء إنما يكون عن الفعل المكتَسَب دون الجِبِلّة في الغالب. الثاني: أن فعولاً في اللغة من صيغ الفاعلين؛ ... فالمعنى أنه يحصر نفسه عن الشهوات. ولعلّ هذا كان شرعَه)[٤]، والذي يؤكد صحة الرواية الثانية عن ابن مسعود رضي الله عنه معنى كلمة حصور التي تدل على صيغة المبالغة من الفعل الاختياري، ما جاء في المفردات: (فالحَصُورُ الذي لا يأْتِي النِّسَاءَ إمَّا مِنَ العُنَّةِ وإمّا منَ العِفَّةِ والاجتِهَادِ في إزالةِ الشّهْوَةِ. والثّانِي أَظْهَرُ في الآيةِ، لأَنّ بذلك يَسْتَحِقُّ المَحْمَدَةَ)[٥].

---

(١) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٢٤.
(٢) أبو الشعثاء المحاربي: واسمه سليم بن الأسود، روى عن عبد الله وتوفي بالكوفة زمن الحجاج بن يوسف. ابن سعد: الطبقات ج٦ ص١٩٥.
(٣) القرطبي: الجامع مج٢ ج٤ ص٥٠.
(٤) المرجع نفسه: مج٢ ج٤ ص٥٠-٥١.
(٥) الراغب: المفردات ص١٢٠.

قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٨)﴾.

أخرج ابن جرير (عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: إن لكل نبي ولاة من النبيين وإن وليي منهم أبي وخليل ربي ثم قرأ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٨)﴾)(١).

قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٧)﴾.

المأثور عن ابن مسعود رضي الله عنه في هذه الآية ما نقله السيوطي في تفسيره (عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: من حلف على يمين هو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان؛ فقال الأشعث بن قيس: فيّ والله كان ذلك، كان بيني وبين رجلٍ من اليهود أرض فجحدني فقدمته إلى النبي ﷺ فقال لي رسول الله ﷺ: ألك بينةٌ؟ قلت: لا؛ فقال لليهودي: احلف، فقلت يا رسول الله: إذن يحلف فيذهب مالي، فأنزل الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إلى آخر الآية)(٢)، وفي الطريق الأخرى ذكر الحافظ ابن كثير(٣) أن بين الأشعث وابن عم له بئر كانت بيده فجحده، ثم ذكر بقية القصة، وفي صحيح البخاري (عن أبي

---

(١) الطبري: جامع البيان مج٣ ج٣ ص٢١٨.

(٢) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٥٢، والطبري: جامع البيان مج٣ ج٣ ص٢٢٩.

(٣) ينظر/ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٦١.

وائل عن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: مَنْ حَلَفَ عَلَى يمينِ صَبْرٍ يَقْتَطِعُ بهَا مالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللهَ وهوَ عليهِ غَضْبَانُ؛ فأنزل الله تصديق ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إلى آخر الآية، فدخل الأشعث بن قيس فقال: ما حدَّثكم أبو عبد الرحمن؟ فقالوا: كذا وكذا قال: فيَّ أُنزلت، كانت لي بئر في أرض ابن عم لي فأتيت رسول الله ﷺ فقال: بَيِّنَتُكَ أوْ يمينُهُ، قلت: إذاً يحلف عليها يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: مَنْ حَلَفَ عَلَى يمينِ صَبْرٍ وَهوَ فيها فاجِرٌ يَقْتَطِعُ بهَا مالَ امْرِئٍ مسْلِمٍ لَقِيَ اللهَ يوم القيامة وهوَ عليهِ غضبان)(١)، ويستفاد منه (١- حرمة أخذ مال الغير بغير حق. ٢- وعيد شديد لمن حلف كاذباً ليأخذ حق أخيه المسلم. ٣- أن البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه إذا أنكر وعجز المدعي عن إقامة البينة. ٤- أن الكافر يحلف في الخصومات كما يحلف المسلم. ٥- أن حكم الحاكم لا يبيح الحرام. وأن اليمين الغموس لا كفارة فيها في الدنيا)(٢)، وهذه الآثار تدل على تفسير القرآن بالسنة، مع ذكر سبب النزول.

قوله -تعالى-: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾.

أخرج السيوطي في الدر المنثور (عن ابن مسعود ﴿رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ قال: حكماء علماء)(٣)، في هذا الأثر تفسير لغريب القرآن، والصحابة ﷺ

(١) البخاري: صحيح البخاري بحاشية السندي ج٤ ص١٥٥-١٥٦، ومسلم: صحيح مسلم مج١ ج١ ص٨٦.

(٢) الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج ٢ ص٢٩٢-٢٩٣ باختصار وشيء من التصرف.

(٣) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٥٧.

بلا شك هم أدرى الناس باللسان العربي، وابن مسعود رضي الله عنه منهم.

قوله -تعالى-: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾.

أورد السيوطي في الدر المنثور (عن ابن مسعود في قوله: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ﴾ قال: الجنة)[١]، وجاء في الكشاف (قرأ عبد الله (حتى تنفقوا بعض ما تحبون))[٢]، وحاشا لابن مسعود أن يقرأ بذلك، إنما هو قراءة تفسير إن ثبت النقل عنه، فكيف له أن يزيد في القرآن، أو ينقص منه، أو يبدل لفظاً مكان لفظٍ؟! وهو المتحرج في رواية الحديث عن رسول الله ﷺ، فكان جبينه يتصبب عرقاً وهو في الشتاء، وترتعد العصا في يده، إذا همّ أن يقول: قال رسول الله، وإن جرى ذكر للحديث احتاط بما يرفع عنه الحرج، جاء في الطبقات (عن عمرو بن ميمون قال: اختلفتُ إلى عبد الله بن مسعود سَنَةً ما سمعتُه يحدّث فيها عن رسول الله ﷺ، ولا يقول فيها قال رسول الله ﷺ، إلّا أنّه حدّث ذاتَ يوم بحديث فجرى على لسانه قال رسول الله ﷺ، فعلاه الكَرْبُ حتى رأيتُ العَرَقَ يَتحَدّر عن جبهته ثمّ قال: إنْ شاء الله إمّا فوق ذاك وإمّا قريب من ذاك وإمّا دون ذاك)[٣]، فكيف به مع القرآن الكريم؟ إن مثل هذا النقل لا يثبت عنه، وبخاصة أن الزمخشري أطلق الكلام، ولم يقل عن من رواه.

---

(١) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٦٤، والقرطبي: الجامع مج٢ ج٤ ص٨٦.

(٢) الزمخشري: الكشاف ج١ ص٤٤٥.

(٣) ابن سعد: الطبقات ج٣ ص١٥٦.

قوله -تعالى-: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾

جاء في تفسير الألوسي (قال ابن مسعود: وقف ﷺ على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال: يبعث الله -تعالى- من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين ألفاً وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفاً وجوههم كالقمر ليلة البدر)(١)، وهذا إخبار من النبي ﷺ بما يكون في المستقبل، ويوم القيامة، وفي بقية الآية المأثور عن ابن مسعود قال: (ومن كفر فلم يؤمن فهو الكافر)(٢).

قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾.

أخرج ابن جرير في جامع البيان في تأويل هذه الآية (عن مرة عن عبد الله ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ قال: أن يطاع فلا يُعصى، ويذكر فلا يُنسى، ويشكر فلا يُكفر)(٣)، ومن طرق أخرى عن ابن مسعود مرفوع إلى النبي ﷺ؛ قال عنه الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الحافظ ابن كثير: الأظهر أنه موقوف(٤)، وأخرج جلال الدين السيوطي في كتابه الدر المنثور (عن ابن مسعود ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ قال:

---

(١) الألوسي: روح البيان ٢ص ٦٨.

(٢) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٦٦.

(٣) الطبري: جامع البيان مج٣ ج٤ ص١٩.

(٤) ينظر/ المرجع نفسه: ج٢ ص٨٢.

نسختها ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾)[١]، وبمثل هذا قال ابن عباس، إلا في ما جاء عن علي بن أبي طلحة، وأنه قال عن ابن عباس غير منسوخة، والمراد بحق تقاته في الجهاد، وممن قال بالنسخ الربيع بن أنس، وزيد بن أسلم، وقتادة، وطاوس، وسعيد بن جبير، ومقاتل بن حيان، والسدي[٢].

قوله -تعالى-: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٠٣﴾ .

المأثور عن ابن مسعود في تأويل هذه الآية في المراد ﴿بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ القرآن، و الطاعة، والجماعة؛ من ذلك ما أخرجه ابن جرير في جامع البيان (عن ثابت بن قطنة المزني[٣] عن عبد الله أنه قال: يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فإنهما حبل الله الذي أمر به وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة هو خير مما تستحبون في الفرقة)[٤]، وذكر القرطبي في جامعه قريباً من هذا اللفظ مرفوعاً إلى النبي ﷺ وليس موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه، كما هو عند ابن جرير؛ ونص روايته: (عن أبي الأحوص

---

(١) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٦٧، والآية من سورة التغابن: ١٦.

(٢) ينظر/ الطبري: جامع البيان مج٣ ج٤ ص٢٠، وابن كثير: تفسير القرن العظيم ج٢ ص٨٣.

(٣) ثابت بن قُطْنَة المزني: ثابت بن كعب بن جابر العتكي، من الأزد (ت ١١٠هـ) من شجعان العرب وأشرافهم في العصر المرواني. يكنى أبا العلاء. له شعر جيد. شهد الوقائع في خراسان وأصيبت عينه فجعل عليها قطنة فعرف بها. الزركلي: الأعلام ج٢ ص٩٨ باختصار.

(٤) الطبري: جامع البيان مج٣ ج٤ ص٢٢.

عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: إن هذا القرآن هو حبل الله)(١)، ورواه الحافظ ابن كثير عن أبي وائل عن ابن مسعود ولم يرفعه(٢)، ومما روي عن ابن مسعود من أن المراد بحبل الله القرآن ما جاء في الإكليل (﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ فسره ابن مسعود بالقرآن، أخرجه سعيد بن منصور والطبراني)(٣)، وبمعنى الجماعة أخرج ابن جرير (عن الشعبي عن عبد الله ابن مسعود أنه قال في قوله: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ قال: الجماعة)(٤)، وفسر صاحب الإكليل الاعتصام بالقرآن بعد ذكر رواية ابن مسعود رضي الله عنه بقوله: (ففيه وجوب اتباع القرآن في كل شيء والمحافظة على أوامره وهو أحد قسمي الاعتصام)(٥)، وفي معنى قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ جاء في الجامع (﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ يعني في دينكم كما افترقت اليهود والنصارى في أديانهم؛ عن ابن مسعود وغيره)(٦)، ومقصود ابن مسعود رضي الله عنه عدم الفرقة في الدين، والاختلاف فيه، حتى لا تتشرذم الأمة، وتتصارع المذاهب فيما بينها، كما حصل فيما بعد، فلله در ابن مسعود الذي يرى بعين الإيمان أبعد مما في زمانه، فما أضرّ هذه الأمة إلا المذهبية، والطائفية، ولو تمسكت بالقرآن والسنة، كما هو توجيه عبد الله رضي الله عنه، لما

(١) القرطبي: الجامع مج٢ ج٤ ص١٠٢.
(٢) ينظر/ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٨٤-٨٥.
(٣) السيوطي: الإكليل ص٥٥، والطبري: جامع البيان مج٣ ج٤ ص٢١.
(٤) الطبري: جامع البيان مج٣ ج٤ ص٢١، والسيوطي: الإكليل ص٥٥.
(٥) المرجع نفسه: ص٥٥ .
(٦) القرطبي: الجامع مج٢ ج٤ ص١٠٣.

حصلت هذه النزاعات، وتلك الحساسيات بين المسلمين، ولأصبحوا بفضل الله ونعمته إخواناً متحابين متقاربين، (عن قتادة قوله: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ ذكر لنا أنا رجلاً قال لابن مسعود: كيف أصبحتم؟ قال: أصبحنا بنعمة الله إخواناً)[١].

قوله -تعالى-: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

في هذه الآية منقبة لابن مسعود رضي الله عنه فضلاً عما أثر عنه من مرويات، منها ما أخرجه مسلم في صحيحه (عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال: قال لنا رسول الله ﷺ: أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قال: فكبرنا، ثم قال: أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قال: فكبرنا، ثم قال: إني لأرجوا أن تكونوا شطر أهل الجنة)[٢]، ثم أخرج روايات أخرى في نفس المعنى مع اختلاف الألفاظ، وفي تفسير الحافظ ابن كثير (عن القاسم بن عبد الرحمن[٣] عن أبيه، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: كيف أنتم وربع الجنة لكم ولسائر الناس ثلاثة أرباعها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: كيف أنتم وثلثها؟ قالوا: ذاك أكثر. قال:

---

(١) الطبري: جامع البيان مج٣ ج٤ ص٢٤.

(٢) مسلم: صحيح مسلم مج١ ج١ ص١٣٨.

(٣) القاسِم بن عبد الرحمن: القاسم بن مَعْن بن عبد الرحمن المسعودي الهذلي الكوفي، أبو عبد الله (ت١٧٥هـ) قاضي الكوفة، من حفاظ الحديث. كان عالماً بالعربية والأخبار والأنساب والأدب، ومن أروى الناس للحديث والشعر، يقال له: شعبي زمانه. وكان سخيا.وهو من أحفاد الصحابي عبد الله بن مسعود، وإليه نسبته. من كتبه (النوادر) في اللغة، و(غريب المصنف). الزركلي: الأعلام ج٥ ص١٨٦.

كيف أنتم والشطر لكم؟ قالوا: ذاك أكثر؛ فقال رسول الله ﷺ: أهل الجنة عشرون ومائة صف، لكم منها ثمانون صفاً)[١]، أي ثلثي أهل الجنة، وبمثل هذا المعنى روي عن بريدة[٢] عن أبيه (أبي موسى الأشعري)، وعن أبي هريرة، وعن ابن عباس؛ ذكر ذلك الحافظ ابن كثير في تفسيره[٣]، أما المنقبة التي في هذه الآية فقد ذكر المفسرون أنها نزلت في عبد الله، وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم: أخرج ابن جرير في تفسيره (عن عكرمة[٤] نزلت في ابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وأبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل)[٥]، وذكر جلال الدين السيوطي في تفسيره (أنها نزلت في ابن مسعود وعمار ابن ياسر وسالم مولى أبي حذيفة وأبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل)[٦]، فزاد في روايته عمار بن ياسر رضي الله عنه أجمعين، وجاء في كتاب الواحدي من

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٩٦.

(٢) بُرَيْدَة بن الحُصَيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي (ت٦٣هـ) من أكابر الصحابة. أسلم قبل بدر، ولم يشهدها. وشهد خيبر وفتح مكة، واستعمله النبي ﷺ على صدقات قومه. وسكن المدينة. وانتقل إلى البصرة، ثم إلى مرو فمات بها. له ١٦٧ حديثاً. الزركلي: الأعلام ج٢ ص٥٠.

(٣) ينظر/ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٩٦-٩٧.

(٤) عِكْرِمَة بن عبد الله البَرْبَرِي المدني، أبو عبد الله، مولى عبد الله بن عباس (١٠٥هـ) تابعيّ، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي. طاف البلدان، وروى عنه زهاء ثلاثمائة رجل، منهم أكثر من سبعين تابعيا. وخرج إلى بلاد المغرب، فأخذ عنه أهلها ثم عاد إلى المدينة، ومات بها. هو و(كثير عزة) في يوم واحد فقيل: مات أعلم الناس وأشعر الناس. الزركلي: الأعلام ج٤ ص٢٤٤ بتصرف.

(٥) الطبري: جامع البيان مج٣ ج٤ ص٢٩.

(٦) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٧٣.

طريق عكرمة (أنها نزلت في ابن مسعود وأبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة، (ولم يذكر عماراً ثم بيّن سبب النزول بقوله): إن مالك بن الضيف ووهب بن يهوذا اليهوديين قالا لهم: إن ديننا خير مما تدعونا إليه ونحن خير وأفضل منكم؛ فأنزل الله -تعالى- هذه الآية)(١)؛ تكذيباً لما قاله اليهوديان.

قوله -تعالى-: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾.

مما أثر عن ابن مسعود في تأويل هذه الآية ذكر ورود سبب النزول بألفاظ متقاربة، غير أن بعض الروايات تثبت أن المسلمين ينتظرون قدوم النبي ﷺ ولم يُصلّوا بعد، وفي الرواية الأخرى منهم من صلى، ومنهم من ينتظر؛ فالرواية الأولى كما أخرجها ابن جرير الطبري (عن عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن ننتظر العشاء يريد العتمة فقال لنا: ما على الأرض أحد من أهل الأديان ينتظر الصلاة في هذا الوقت غيركم، قال فنزلت: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾)(٢)، و في تفسير القرطبي من طريق عاصم (عن زر عن ابن مسعود قال: أخَّر رسول الله ﷺ ليلةً صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال: إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله تعالى في هذه الساعة غيركم)(٣)، والرواية الأخرى

(١) الواحدي: أسباب النزول ص٨٧.

(٢) الطبري: جامع البيان مج٣ ج٤ ص٣٦، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٠٠.

(٣) القرطبي: الجامع مج٢ ج٤ ص١١٢، والسيوطي: لباب النقول ص١١١.

التي تثبت أن من المسلمين من صلى، ومنهم من ينتظر صلاة العتمة (أي صلاة العشاء)، (عن سليمان عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال: احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات ليلة كان عند بعض أهله ونسائه فلم يأتنا لصلاة العشاء حتى ذهب ليل؛ فجاء ومنا المصلي ومنا المضطجع فبشرنا وقال: إنه لا يصلي هذه الصلاة أحد من أهل الكتاب فأنزل الله: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾)[١]، وهذه الروايات من باب المعرفة بأسباب النزول، وتدل من طريق أخرى على إحاطة ابن مسعود رضي الله عنه بأحوال النبي ﷺ ليلاً ونهاراً، والمراد من ﴿آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ كما أثر عن ابن مسعود بروايتين مختلفتين صلاة العتمة، أو صلاة الغفلة، جاء في الدر المنثور(عن ابن مسعود في قوله: ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ قال: هي صلاة الغفلة)[٢]، وأخرج ابن جرير في تفسيره (عن الحسن بن يزيد العجلي عن عبد الله بن مسعود في قوله: ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ صلاة العتمة هم يصلونها، ومن سواهم من أهل الكتاب لا يصليها)[٣]، وخلاصة القول ما جاء في الجامع للقرطبي: (﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ المعنى ليس أهل الكتاب وأمّة محمد ﷺ سواء؛ عن ابن مسعود)[٤]، وفي الدر المنثور (عن ابن مسعود في قوله: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ قال: لا يستوي أهل الكتاب وأمة محمد ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ

---

(١) الطبري: جامع البيان مج٣ ج٤ ص٣٦.
(٢) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٨٦.
(٣) الطبري: جامع البيان مج٣ ج٤ ص٣٦.
(٤) القرطبي: الجامع مج٢ ج٤ ص١١٢.

ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ قال: صلاة العتمة هم يصلونها ومن سواهم من أهل الكتاب لا يصلونها)[١]، وصلاة العشاء ثقيلة على منافقي هذه الأمة، هي وصلاة الصبح، كما روى ذلك أبو هريرة رضي الله عنه (قال: قال النبي ﷺ لَيْسَ صَلاةٌ أَثْقَلَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ مِنَ الْفَجْرِ والعِشَاءِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِما لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْواً)[٢].

قوله -تعالى-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ﴾.

المأثور عن ابن مسعود في هذه الآية ما أورده القرطبي في جامعه (عن ابن مسعود أنه قال: اعتبروا الناس بإخوانهم)[٣].

قوله -تعالى-: ﴿هَـٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾.

(قال ابن مسعود والسدي والربيع بن أنس: ﴿ٱلۡأَنَامِلَ﴾ الأصابع)[٤].

قوله-تعالى-: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَـٰلِمُونَ﴾.

جاء في سنن ابن ماجه (عن عبد الله قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)[٥]، وقد عقب القرطبي على

---

(١) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٧٣.
(٢) البخاري: صحيح البخاري بحاشية السندي ج١ ص١٢٠.
(٣) القرطبي: الجامع مج٢ ج٤ ص١١٥.
(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٠٣.
(٥) ابن ماجه: السنن ج٢ رقم الحديث ١٣٣٥، و ابن حجر: فتح الباري ج٦ ص٥١٤.

هذا الحديث بقوله: (قال علماؤنا: فالحاكي في حديث ابن مسعود هو الرسول -عليه الصلاة والسلام- وهو المحكى عنه)[١].

قوله -تعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾.

المروي عن ابن مسعود رضي الله عنه في هذه الآية فضلها، وبيان سبب نزولها؛ فما يدل على فضلها وفضل آية أخرى معها (عن ابن مسعود قال: إن في كتاب الله لآيتين ما أذنب عبد ذنباً فقرأهما فاستغفر الله إلا غفر له ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾ الآية، وقوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾[٢] الآية)[٣]، أما بخصوص سبب نزولها فقد روي (عن ابن مسعود أن الصحابة قالوا: يا رسول الله، كانت بنوا إسرائيل أكرَمَ على الله مِنّا، حيث كان المذْنِب منهم تُصْبح عقوبتُه مكتوبة على باب داره، وفي رواية: كفارةُ ذنْبِه مكتوبةً على عَتَبة داره: اجْدَعْ أنفَك، اقْطَع أُذُنَك، افعل كذا؛ فأنزل -الله تعالى- هذه الآية تَوْسِعَةً ورحمةً وعِوَضاً من ذلك الفعل ببني إسرائيل)[٤]، ولبيان فضل هذه الأمة، وأنها كريمة على الله استبدل الفعل بالقول، فإذا كان هم قد أمروا بقطع الأذن، وجدع الأنف،

(١) القرطبي: الجامع مج٢ ج٤ ص١٢٨.
(٢) سورة النساء: ١١٠، وتمام الآية ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.
(٣) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٨٦، والطبري: جامع البيان مج٣ ج٤ ص٦٢.
(٤) القرطبي: الجامع مج٢ ج٤ ص١٣٥.

فقد أعطيت هذه الأمة الاستغفار بالقول مع النية الخالصة، جاء في الدر المنثور (عن ابن مسعود أنه ذكر عنده (أي الرسول ﷺ) بنو إسرائيل وما فضلهم الله به فقال: كان بنو إسرائيل إذا أذنب أحدهم ذنباً أصبح وقد كتبت كفارته على أُسْكفَّةِ بابه وجعلت كفارة ذنوبكم قولاً تقولونه، تستغفرون الله فيغفر لكم، والذي نفسي بيده لقد أعطانا الله آية لهي أحب إليّ من الدنيا وما فيها ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾ الآية)[1].

قوله -تعالى-: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾.

أخرج ابن جرير في تفسيره (عن عاصم عن زر عن عبد الله: الربيون الأولوف)[2]، فسر ابن مسعود الربيون بالأولوف، وهو من باب غريب القرآن، وفي المفردات للراغب: ربي (قيل هو منسوبٌ إلى الرَّبِّ أي الله تعالى فَالرّبّانِيُّ كقولهم إلهِيٌّ. ... قَالَ عليٌّ ﷺ (أَنَا رَبَّانِيُّ هذِهِ الأُمَّةِ)، وَالجمْعُ رَبّانِيُّونَ. ... وقولهُ تعالى: (رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ) فَالرِّبِيُّ كالرَّبَّانِيِّ)[3].

قوله -تعالى-: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾.

أورد الطبري في تفسيره (عن الربيع قال: قال عبد الله بن مسعود لما رآهم

---

(١) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٩٢.

(٢) الطبري: جامع البيان مج٣ ج٤ ص٧٧، والسيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٩٦.

(٣) الراغب: المفردات ص١٨٤ باختصار.

وقعوا في الغنائم: ما كنت أحسب أن أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا حتى كان اليوم)[١]، يعني به يوم أُحد[٢]، حيث كانت الجولة الأولى للمسلمين، فأقبل بعض الرماة لجمع الغنائم مخالفين أمر رسول الله ﷺ بالبقاء في أماكنهم، الأمر الذي ترتب عليه انعكاس النصر إلى هزيمة، حيث انتصر المشركون في آخر النهار، لذا يروى (عن ابن مسعود: ما شعرنا أن أحداً من أصحاب النبيّ ﷺ يريد الدنيا وعرضها حتى كان يوم أُحُد)[٣]، وفي الرواية الأخرى عنه كاد أن يقسم أن لا أحد من أصحاب رسول الله ﷺ يرغب في غنائم الدنيا حتى نزلت الآية السالف ذكرها، جاء في تفسير الحافظ ابن كثير (عن الشعبي، عن ابن مسعود، قال: إن النساء كن يوم أحد خلف المسلمين يجهزن على جرحى المشركين، فلو حلفتُ يومئذ رجوتُ أن أبر أنه ليس منا أحد يريد الدنيا، حتى أنزل الله ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾)[٤]، وفي هذه الرواية أثبت ابن مسعود رضي الله عنه لنساء المسلمين دوراً آخر وهو الإجهاز على الجرحى من المشركين؛ بناءً على مشاهداته؛

(١) الطبري: جامع البيان مج٣ ج٤ ص٨٦.

(٢) وقعة أُحُد في شوّال بعد بدر بسنة أي في السنة الثالثة من الهجرة. اجتمعت قريش واستعدّت لطلب ثأرها يوم بدر، واستعانت بالمال الذي قدم به أبو سفيان. انتصر المسلمون أولاً ثم انتكسوا بعد تخلي الرماة عن أماكنهم. ينظر/ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٤٧.

(٣) القرطبي: الجامع مج٢ ج٤ ص١٥٣.

(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٢٨.

لأنه أحد المشاركين في تلك الوقعة، وكتب التاريخ تذكر أن دور النساء المسلمات مداواة الجرحى، والمرضى من المسلمين، وتوفير المياه للمقاتلين، وخلاصة المرويات[(١)] في هذه الآية عن ابن مسعود رضي الله عنه وإن اختلفت ألفاظها وطرقها تدور على معنى واحد، وهو أنه ما كان يدور في ذهن عبد الله رضي الله عنه أن أحداً من الصحابة يتعلق قلبه بمغانم الدنيا، وزخرفها، وأنه أوشك أن يحلف على ذلك، وهو يرجو أن يكون صادقاً في يمينه، لولا أن جاءت تلك الآية موضحة له، ولغيره أن الصحابة رضي الله عنهم ما هم إلا بشر كغيرهم منهم من يريد الدنيا، ومنهم من يريد الأخرة، ولا يقدح هذا في صحة إيمانهم؛ إذ من طبع الإنسان حب الخير، والمكاسب الطيبة.

قوله -تعالى-: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ﴾ .

جاء في تفسير الحافظ ابن كثير (عن أبي رزين[(٢)]، عن عبد الله بن مسعود، قال: النعاس في القتال من الله وفي الصلاة من الشيطان)[(٣)].

قوله -تعالى-: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ

(١) ينظر/ الطبري: جامع البيان مج٣ ج٤ ص٨٥-٨٦ .

(٢) أبو رزين: مسعود بن مالك الأسدي مولاهم، وقيل: مولى علي، واسمه عبيد، نزل الكوفة وروى عن ابن أم مكتوم وعليّ بن أبي طالب وأبي موسى الأشعري وأبي هريرة وغيرهم، قال شعبة فيما حكاه ابن أبي حاتم عنه في المراسيل: لم يسمع من ابن مسعود، اختلف في تاريخ وفاته (٦٠-٨٠-٩٥هـ). ابن حجر: الإصابة ج٧ ص١٥٠-١٥١ بتصرف.

(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٣٨.

فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾.

ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره نقلاً عن ابن ماجه (عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ المستشار[١] مؤتمن)[٢]، وروي مثله عن أبي هريرة رضي الله عنه، والمعنى أن من استشير عليه أن يخلص في النصيحة، وتمحيص الرأي الصائب، وأن يستر ذلك على من استشاره فهو كالسر، ولذا وصفهُ بالمؤتمن، ومن المأثور عنه فيما يتعلق بهذه الآية في باب المشورة ما نقله ابن العربي في كتابه أحكام القرآن: (روى أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال: لما كان يوم بدر جيء بالأسارى قال رسول الله ﷺ: ما تقولون في هؤلاء الأسارى؟ فذكر في الحديث قصة طويلة فقال رسول الله ﷺ: لا يفلتني أحد منهم إلا بفداء أو ضرب عنق، قال عبد الله بن مسعود: فقلت يا رسول الله: إلا سهيل بن بيضاء فإني قد سمعته يذكر الإسلام فسكت رسول الله ﷺ، قال: فما رأيتني في يوم أخوف أن يقع عليّ حجارة من السماء منّي في ذلك اليوم، حتى قال رسول الله ﷺ: إلا سهيل بن بيضاء، قال: ونزل القرآن بقول عمر: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ﴾[٣] الآية)[٤].

قوله -تعالى-: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾.

(١) التَّشاوُرُ وَالمُشَاوَرَةُ اسْتِخْرَاجُ الرَّأْيِ بِمُرَاجَعَةِ البَعْضِ إِلَى البَعْضِ. الراغب: المفردات ص٢٧٠.

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٤٣.

(٣) سورة الأنفال: ٦٧

(٤) ابن العربي: أحكام القرآن (تحقيق: علي محمد البجاوي) ن: دار الفكر ط٢ (ت١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م) القسم الأول ص٢٩٨.

جاء في كتاب المصاحف لأبي داود (عن حمير بن مالك عن عبد الله قال: لما أمر بالمصاحف ساء ذلك عبد الله بن مسعود قال: من استطاع منكم أن يغل مصحفاً فليغلل فإنه من غل شيئاً جاء بما غل يوم القيامة. ثم قال عبد الله: لقد قرأت القرآن من في رسول الله ﷺ سبعين سورة وزيد صبي، أفأترك ما أخذت من رسول الله ﷺ؟)(١)، وفي لفظ آخر (عن حمير بن مالك قال: سمعت ابن مسعود يقول: إني غال مصحفي فمن استطاع أن يغل مصحفاً فليغلل فإن الله يقول: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾)(٢)، وفي تفسير الحافظ ابن كثير (عن إبراهيم، قال: لما أمر بتحريق المصاحف، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أيها الناس غلوا المصاحف، فإنه من غل يأت بما غل يوم القيامة، ونعم الغل المصحف يأتي به أحدكم يوم القيامة)(٣)، ومعنى الغلول كما جاء في مختار الصحاح: (غَلَّ من المَغْنَم يَغُلُّ بالضم (غُلولا) خَانَ، و(أَغَلَّ) مِثْلُه....قال أبو عُبيد: (الغُلُولُ) من المَغْنَم خَاصَّةً لا من الخيانة ولا من الحِقْدِ)(٤)، ومراد ابن مسعود رضي الله عنه مطلق الإخفاء، لا الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها، كما هو سبب نزول الآية، فهو يحث تلاميذه على أن لا يتركوا ما بأيديهم من المصاحف لعُمال عثمان رضي الله عنه ليحرّقها؛ لأنها تخالف في الترتيب النسخة

(١) السجستاني: كتاب المصاحف ص٧٥-٧٦.
(٢) المرجع نفسه: ص٧٦.
(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٤٩.
(٤) الرازي: مختار الصحاح ص٤٧٩.

التي حمل عليها المسلمين.

قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾.

المأثور عن ابن مسعود رضي الله عنه في تأويل هذه الآية ما أخرجه ابن جرير في جامع البيان (عن مسروق قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾ قال: أرواح الشهداء عند الله كطير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة حيث شاءت قال: فاطلع إليهم ربك اطِّلاعة فقال: هل تشتهون من شيء فأزيدكموه؟ قالوا: ربنا ألسنا نسرح في الجنة في أيها شئنا، ثم اطلع عليهم الثالثة فقال: هل تشتهون من شيء فأزيدكموه؟ قالوا: تُعيد أرواحنا في أجسادنا فنقاتل في سبيلك مرة أخرى فسكت عنهم)[١]، وفي رواية أخرى (عن أبي عبيدة عن عبد الله أنهم قالوا في الثالثة حين قال لهم: هل تشتهون من شيء فأزيدكموه؟ قالوا: تقرئ نبينا السلام وتخبره أن قد رضينا ورضي عنا)[٢]، وفي صحيح مسلم (عن مسروق قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾ قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال: أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك

(١) الطبري: جامع البيان مج٣ ج٤ ص١١٤، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٥٤، والسيوطي: الدر المنثور ج٢ ص١١٢.
(٢) الطبري: جامع البيان مج٣ج٤ ص١١٤.

القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح في الجنة حيث شئنا، ففعل بهم ذلك ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا)[(١)]، المستفاد من هذا الحديث (١-بيان عظم فضل الشهادة في سبيل الله. ٢- بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وبيان ما لهم عند الله من الشرف العظيم والفوز بالحياة الأبدية)[(٢)].

قوله -تعالى-: ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٧١﴾.

ذكر جلال الدين السيوطي في كتابه الدر المنثور في تأويل هذه الآية (عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: عجب ربنا من رجلين رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين حبّه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي، ورجل غزا في سبيل الله وانهزم أصحابه فعلم ما عليه في الانهزام وما له في الرجوع فرجع حتى أهريق دمه فيقول الله لملائكته: انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي حتى أهريق دمه)[(٣)]، المستفاد من هذا الحديث (١- فضل قيام الليل. ٢- رضوان الله ﷻ عن فعل المجاهد في سبيله. ٣- فضل الجهاد في سبيل الله.

(١) النووي: شرح صحيح مسلم ج١٣ ص٣٠-٣٣، وابن ماجه: السنن ج٢ ص٩٣٦.
(٢) الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج٢ص٢٥٥.
(٣) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص١١٤، وابن حنبل: المسند ج٦ ص٢٢.

٤- مباهاة الله عَزَّوَجَلَّ ملائكته بالمجاهدين في سبيله)[١].

قوله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ .

جاء في تاريخ اليعقوبي (لما كان من غد يوم أُحُد، نادى رسول الله فخرجوا على علّتهم وعلى ما أصابهم من الجروح، وخرج رسول الله حتى انتهى إلى حَمْراء الأسد ثمّ رجع إلى المدينة ولم يلقَ كيداً، فهم الّذين أجابوا الله ورسوله من بعد ما أصابهم القَرْح)[٢]، ومن الذين استجابوا لله وللرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرج السيوطي في كتابه الدر المنثور (عن ابن مسعود قال: نزلت هذه الآية فينا ثمانية عشر رجلاً ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ الآية)[٣]، وأخرج ابن جرير في تفسيره من حديث مطول عن ابن عباس أنها نزلت في سبعين رجلاً منهم: عبد الله بن مسعود، ولفظ روايته (عن ابن عباس قال: إن الله جل وعز قذف في قلب أبي سفيان الرعب يعني يوم أحد بعدما كان منه ما كان فرجع إلى مكة فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرفاً وقد رجع وقذف الله في قلبه الرعب وكانت وقعة أحد في شوال، وكان التجار يقدمون المدينة في ذي القعدة فينزلون ببدر الصغرى في كل سنة مرة، وإنه قدموا بعد وقعة أحد وكان أصاب المؤمنين القرح واشتكوا ذلك إلى نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واشتد

---

(١) الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج٢ ص٢٥١.

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٤٨.

(٣) السيوطي: الدر المنثور ج٢ص١١٣.

عليهم الذي أصابهم، وأن رسول الله ندب الناس لينطلقوا معه ويتبعوا ما كانوا متبعين وقال: إنما يرتحلون الآن فيأتون الحج ولا يقدرون على مثلها حتى عام مقبل فجاء الشيطان فخوف أولياءه فقال (أي الشيطان): إن الناس قد جمعوا لكم فأبى عليه الناس أن يتبعوه فقال (أي النبي ﷺ): إني ذاهب وإن لم يتبعني أحد لأحضض الناس فانتدب (أي الرسول) معه أبو بكر الصديق وعمر وعثمان وعليّ والزبير وسعد وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة ابن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح في سبعين رجلاً؛ فساروا في طلب أبي سفيان فطلبوه حتى بلغوا الصفراء فأنزل الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾[(1)]، وهذا التأويل من عبد الله رضي الله عنه من باب معرفة أسباب النزول، وفيه منقبة له.

قوله -تعالى-: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾.

ومن المأثور عن ابن مسعود رضي الله عنه في تأويل هذه الآية ما ذكره القرطبي في جامعه (عن ابن مسعود أنه قال: ما من أحد برٍّ ولا فاجر إلا والموت خير له؛ لأنه إن كان بَرًّا فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ [(2)] وإن كان فاجراً فقد قال الله: ﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟

(١) الطبري: جامع البيان مج٣ ج٤ ص١١٨، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٥٩-١٦٠، والسيوطي: لباب النقول ص١٢٠-١٢١.

(٢) سورة آل عمران: ١٩٨.

إِثۡمٗاۚ﴾)[١]، وهذا التأويل منه من باب تفسير القرآن بالقرآن.

قوله -تعالى-: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٨٠﴾ .

أخرج ابن جرير في تفسيره عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في تأويل هذه الآية روايات متعددة من طريق أبي وائل، إلا واحدة من طريق مسروق، منها الموقوف على ابن مسعود رضي الله عنه، ومنها المرفوع إلى رسول الله ﷺ، فمن الموقوف: (عن أبي وائل عن ابن مسعود قال: يجيء ماله يوم القيامة ثعباناً فينقر رأسه فيقول: أنا مالك الذي بخلت به فينطوي على عنقه)[٢]، ومن المرفوع إلى رسول الله ﷺ: (عن أبي وائل عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ما من أحد لا يؤدي زكاة ماله إلا مُثل له شجاع أقرع يطوّقه، ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ﴾الآية)[٣]، أمّا طريق مسروق فهي من الموقوف على عبد الله رضي الله عنه ولفظه (عن مسروق قال: سألت ابن مسعود عن قوله: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ قال: يطوّقون شجاعاً أقرع ينهش رأسه)[٤]، وفي سنن النسائي مرفوعاً: (عن أبي وائل عن عبد الله قال: قال

---

(١) القرطبي: الجامع مج٢ ج٤ ص١٨٣، والسيوطي: الدر المنثور ج٢ ص١٣٤.
(٢) الطبري: جامع البيان مج٣ ج٤ ص١٢٧.
(٣) المرجع نفسه: مج٣ ج٤ ص١٢٨، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٦٦ مع شيء من الاختلاف في اللفظ.
(٤) الطبري: جامع البيان مج٣ ج٤ ص١٢٨.

رسول الله ﷺ: ما من رجل له مال لا يؤدي حق ماله إلا جعل الله له طوقاً في عنقه شجاع أقرع وهو يفر منه وهو يتبعه، ثم قرأ مصداقه من كتاب الله عز وجل: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾ الآية)[1]، والمستفاد من الحديث (١- وجوب الزكاة لأن الحديث اشتمل على وعيد شديد بالنسبة للإنسان الذي لا يقوم بأدائها وإعطائها لمستحقيها. ٢- الترهيب من منع الزكاة)[2].

قوله -تعالى-: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾.

المروي عن ابن مسعود رضي الله عنه في هذه الآية ما أخرجه أبو داود في سننه (عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألنا نبينا ﷺ عن المشي مع الجنازة فقال: ما دون الخبب[3]، إن يكن خيراً يعجل إليه، وإن يكن غير ذلك فبعداً لأهل النار، والجنازة متبوعة لا تتبع، وليس معها من تقدمها)[4]، ودون الخبب المراد منه الإسراع بالجنازة إسراعاً وسطاً بين الجري والبطء، بحيث لا ينتهي الإسراع إلى حدوث مفسدة بالميت، أو مشقة على المشيع.

ومما يتعلق بهذه الآية ما أخرجه ابن ماجه في سننه في بيان فضل من

(١) النسائي: المجتبى ج٥ ص١١، وابن حنبل المسند ج٥ ص٢٠٠، مع اختلاف في الألفاظ.
(٢) الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج١ ص٦٨٢.
(٣) الخَبَبُ: ضَرْبٌ من العَدْوِ. الرازي: مختار الصحاح ص١٦٧.
(٤) أبو داود: السنن ج١٤ ص١٥٠، وابن ماجه السنن ج١ ص٤٧٦.

حمل جنازة (عن أبي عبيدة قال: قال عبد الله: من تبع جنازة فليحمل بجوانب السرير كلها فإنه من السنة)(١)، المأخوذ من هذا الحديث أنه يسن لحامل الجنازة أن يتناولها من جوانبها الأربعة؛ وبهذا أخذ الحنفية، وحمل الجنازة مستحب؛ لما فيه من بر الميت وإكرامه(٢).

قوله -تعالى-: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾.

أخرج الطبري في تفسيره (عن أبي عبيدة قال جاء رجل إلى عبد الله فقال: إن كعباً يقرأ عليك السلام ويقول: إن هذه الآية لم تنزل فيكم ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ قال: أخبروه أنها نزلت وهو يهودي)(٣).

قوله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

المأثور عن عبد الله رضي الله عنه فيما يختص بتفسير هذه الآية ما جاء في كتاب ابن العربي في القول الثاني من المسألة الأولى (أنها (أي الآية) في المريض الذي تختلف أحواله بحسب استطاعته، قاله ابن مسعود)(٤).

قوله -تعالى-: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ

(١) المرجع نفسه: ج١ ص٤٧٤.
(٢) ينظر/ الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج١ص٦٤٣.
(٣) الطبري: جامع البيان مج٣ ج٤ ص١٣٩.
(٤) ابن العربي: أحكام القرآن القسم الأول ص٣٠٤.

فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ .

جاء في الجامع للقرطبي في تأويل هذه الآية (﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ﴾ أي محمداً ﷺ؛ قاله ابن مسعود وابن عباسٍ وأكثر المفسرين)[١]، وقال غيرهم المقصود بالمنادي: القرآن؛ إذ ليس كل الناس سمع النبي ﷺ، واحتج للرأي الأول بأن من سمع القرآن كأنما سمع النبي ﷺ؛ إذ هو المبلغ الحقيقي عن ربه، ذكر هذا المعنى القرطبي في تفسيره[٢].

هذا ما أمكن جمعه من المأثور عن ابن مسعود في تفسيره لهذه السورة ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾[٣].

(١) القرطبي: الجامع مج٢ ج٤ ص٢٠١.
(٢) ينظر/ المرجع نفسه: مج٢ ج٤ ص٢٠٢.
(٣) سورة يوسف: ٧٦.

تفسير سورة النساء

المأثور عن ابن مسعود في تفسير سورة النساء ما روي عنه في فضلها، جاء في الجامع للقرطبي (عن ابن مسعود أنه قال: خمس آيات من سورة النساء هي أحب إليّ من الدنيا جميعاً، قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ (١)، وقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ﴾ (٢) الآية، وقوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ (٣) الآية، وقوله: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾(٤)، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾(٥))(٦)، وبمثل هذه الرواية أخرج الحافظ ابن كثير في تفسيره(٧) إلا الآية الخامسة فقد ذكر أنها قول الله -تعالى-: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾(٨)، ومدار الآيات الخمسة على الاستغفار، فهي تتيح للمذنب العودة إلى الله، وتعطيه الأمل بأن لا يأس، ولا قنوط من رحمة

---

(١) سورة النساء: ٣١، وتمامها: ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾.

(٢) سورة النساء: ٤٨، وتمامها: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾.

(٣) سورة النساء: ١١٠، وتمامها: ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

(٤) سورة النساء: ٤٠، وتمامها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

(٥) سورة النساء: ١٥٢، وتمامها: ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

(٦) القرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص١٠٦.

(٧) ينظر/ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٩٥.

(٨) سورة النساء: ٦٤، وتمامها: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾.

الله، وحب ابن مسعود رضي الله عنه لهن من أجل أنها قول يقوله المؤمن بخلاف الأمم السابقة التي كانت إذا أذنبت أمرت بقطع عضو من أعضائها أو الالتزام بفعل شاق.

قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٥﴾﴾.

أورد جلال الدين السيوطي في الدر المنثور في تأويل هذه الآية (عن ابن مسعود ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ﴾ قال: النساء والصبيان)[١].

قوله -تعالى-: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾.

المأثور عن ابن مسعود في هذه الآية روايات متعددة يحسن البدء بما جاء في فضل تعلم علم الميراث (الفرائض)، أورد القرطبي في تفسيره (عن عبد الله ابن مسعود قال: قال لي رسول الله ﷺ: تعلموا القرآن وعلموه الناس، وتعلموا الفرائض وعلموها الناس، وتعلموا العلم وعلموه الناس فإني امرؤ مقبوض، وإنّ العلم سيقبض وتظهر الفِتَن حتّى

---

(١) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص١٤٠.

يختلف الاثنان في الفريضة فلا يجدان من يفصِل بينهما)(١)، وجاء في الدر المنثور للسيوطي: (عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: تعلّموا الفرائض وعلموها الناس، وتعلموا العلم وعلموه الناس، فإني امرؤ مقبوض وإن العلم سيقبض وتظهر الفتن حتى يختلف الاثنان في الفريضة ولا يجدان من يقضي بها)(٢)، وهذان الأثران مرفوعان إلى رسول الله ﷺ، ومن الموقوف على ابن مسعود رضي الله عنه ما أورده جلال الدين السيوطي في كتابه الدر المنثور (عن ابن مسعود قال: من قرأ منكم القرآن فليتعلم الفرائض فإن لقيه أعرابي قال: يا مهاجر أتقرأ القرآن؟ فيقول: نعم. فيقول: وأنا أقرأ. فيقول الأعرابي: أتفرض يا مهاجر؟ فإن قال بنعم. قال: زيادة خير. وإن قال: لا. قال: فما فضلك عليّ يا مهاجر)(٣)، ومن الموقوف عليه أيضاً والذي يحث فيه على أن يتعلم المسلم الفرائض مع الطلاق والحج؛ بما لهذه الأبواب من أهمية، ولكثرة فروعها (عن ابن مسعود قال: تعلموا الفرائض والحج والطلاق فإنه من دينكم)(٤)، وفي لفظ آخر (عن عبد الله بن مسعود: من لم يتعلم الفرائضَ والطلاق والحج فبِم يفضل أهل البادية؟)(٥)، وقد وردت أحاديث عدة في فضل تعلم الفرائض، وأنه أول علم يقبض من طريق غير

(١) القرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص٣٨.
(٢) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص١٤١.
(٣) المرجع نفسه: ج٢ ص١٤١.
(٤) المرجع نفسه: ج٢ ص١٤٣.
(٥) القرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص٣٨، وابن العربي: أحكام القرآن القسم الأول ص٣٣١.

ابن مسعود رضي الله عنه ليس هذا مكان ذكرها، وفي تأويل قوله -تعالى-: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾؛ ذكر القرطبي في تفسيره (عن ابن مسعود قال: وإذا استكمل البنات الثلثين فالباقي لبني الابن دون أخواتهم، ودون مَن فوقهم من بنات الابن، ومَن تحتهم)[1]، ثم بيّن القرطبي من أخذ بهذا الرأي فقال: (وإلى هذا ذهب أبو ثور وداود بن عليّ[2])[3]، ولعل هذا يكون مأخوذاً مما رواه ابن عباس رضي الله عنهما (عن النبي ﷺ قال: أَلْحِقُوا الفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا فَمَا بَقِيَ فَهوَ لِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ)[4]، وهذا من باب تفسير القرآن بالسنة، وذكر القرطبي في تأويل هذه الآية (عن ابن مسعود أنه قال: إن كان الذكر من ولد الولد بإزاء الولد الأنثى ردّ عليها، وإن كان أسفل منها لم يردّ عليها؛ مراعياً في ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ فلم يجعل للبنات وإن كثرن إلا الثلثين)[5]، أما قوله -تعالى-: ﴿وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ﴾ إذا

---

(١) القرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص٤٢.

(٢) داوُد بن علي: بن خلف الأصبهاني، أبو سليمان، الملقب بالظاهري (ت٢٧٠ هـ) أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام. تنسب إليه الطائفة الظاهرية، وسميت بذلك لأخذها بظاهر الكتاب والسنة وإعراضها عن التأويل والرأي والقياس. وكان داود أول من جهر بهذا القول. وهو أصبهاني الأصل، من أهل قاشان (بلدة قريبة من أصبهان) ومولده في الكوفة. سكن بغداد، وانتهت إليه رياسة العلم فيها. قيل عنه عقله أكبر من علمه. الزركلي: الأعلام ج٢ ص٣٣٣ .

(٣) القرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص٤٢.

(٤) البخاري: صحيح البخاري بحاشية السندي ج٤ ص١٦٥.

(٥) القرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص٤٢، وابن العربي: أحكام القرآن القسم الأول ص٣٣٥.

انفردت، أما إذا كان معها غيرها من الورثة فنصيبها بحسب الوارثين معها (عن هُزَيْلَ بنَ شُرَحْبِيلَ قال: سئلَ أبو موسى عن ابنة وابنة ابنٍ وأُختٍ فقال: للابنة النصف وللأخت النصف وأْتِ ابن مسعود فسيتابعني، فسئل ابن مسعود وأُخبرَ بقول أبي موسى فقال: لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَا مِنَ المُهْتَدِينَ، أقضي فيها بما قضى النبي ﷺ للابنة النصفُ ولابنة ابن السدس تكملة الثلثين وما بقي فَلِلْأُخْتِ، فأتينا أبا موسى فأخبرناه بقول ابن مسعود فقال: لا تسألوني مادام هذا الحَبرُ فيكم)[١]، في هذا الأثر دلالة على غزارة علم ابن مسعود رضي الله عنه، وأنه قضى بما ثبت عنده عن رسول الله ﷺ، في حين أن أبا موسى أفتى باجتهاده، ثم اعترف لابن مسعود رضي الله عنه بالعلم، ومما يؤثر عن ابن مسعود رضي الله عنه أن الأخوات مع البنات عصبة ما أورده صاحب معجم فقه السلف: (إن الأخوات عصبة البنات وإن الأخت المذكورة أو الأخوات المذكورات يأخذن ما فضل عن الابنة أو بنت الابن أو ما فضل عن البنتين أو بنتي الابن فصاعداً، صح ذلك عن ابن مسعود وزيد وابن الزبير)[٢].

قوله -تعالى-: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾.
ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره[٣] لهذه الآية: للعلماء ثلاثة أقوال في الثلث الذي ترثه الأم، والمختار عنده المأثور عن ابن مسعود رضي الله عنه وهو

(١) البخاري: صحيح البخاري بحاشية السندي ج٤ ص١٦٦.
(٢) الكتاني: معجم فقه السلف ج٦ ص٢٣٥-٢٣٦.
(٣) ينظر/ ابن كثير: تفسر القرآن العظيم ج٢ ص٢١٤ -٢١٥.

ثلث الباقي بعد أن يأخذ الزوج أو الزوجة النصيب المقدر له، وهذه المسألة تعرف في الميراث بالغرّاوية (قال ابن مسعود: ما كان الله ليراني أفضّل أماً على أب)[١]، وتحرير المسألة كما جاءت في معجم فقه السلف (ميت ترك زوجة وأبوين أو ميتة تركت زوجاً وأبوين فليس للأم في كلتا الصورتين إلا ثلث ما بقي بعد ميراث الزوج أو الزوجة، وهو قول صحيح عن ابن مسعود)[٢]، وبه يقول من الصحابة عمر بن الخطاب، وعليّ بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم، وفقهاء المدينة السبعة، والأئمة الأربعة، وجمهور العلماء[٣]، أما قول الله -تعالى-: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ﴾ في المأثور عن ابن مسعود رضي الله عنه في الوصايا مرويات متعددة بتعدد الأحوال، منها إذا مرض المسلم مرضاً مخوفاً وليس له ورثة، فإن له أن يوصي بالثلث للفقراء والمساكين، جاء في معجم فقه السلف (صح عن ابن مسعود أنه قال لعمرو بن شرحبيل: إنكم من أحرى حي بالكوفة أن يموت أحدكم فلا يدع عصبة ولا رحماً فلا يمنعه إذا كان ذلك أن يضع ماله في الفقراء والمساكين ولا يعرف له من الصحابة مخالف)[٤]، ومنها إذا أوصى إنسان بأكثر من الثلث، واستأذن ورثته في ذلك، فأذنوا له، فليس لهم حق في الرجوع بعد وفاته، (عن القاسم بن عبد الرحمن: أن رجلاً استأمر ورثته في أن يوصي بأكثر من

(١) الكتاني: معجم فقه السلف ج٦ ص١٥٠-١٥١.
(٢) المرجع نفسه: ج٦ ص١٥٠.
(٣) ينظر/ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٦١٤.
(٤) الكتاني: معجم فقه السلف ج٦ ص٢٨١-٢٨٨.

الثلث؟ فأذنوا له فلما مات رجعوا فسئل ابن مسعود فقال لهم: ذلك النكرة لا يجوز)[١]، ومنها أن من لم يبلغ الحلم له أن يوصي، فالبلوغ ليس شرطاً في الوصية عنده، قال الكتاني في معجمه: (أجاز ابن مسعود وصية الصبي وقال: من أصاب الحق أجزناه)[٢]، ومن أبلغ وصايا ابن مسعود رضي الله عنه التي أخذها من رسول الله صلى الله عليه وسلم الوصية بالإنفاق في حالة الصحة، والحرص على المال، أخرج البخاري في صحيحه (عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟ قالوا: ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، قال: فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر)[٣].

قوله-تعالى-: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾.

المأثور عن ابن مسعود رضي الله عنه في تأويل هذه الآية ما أورده صاحب الدر المنثور (عن ابن مسعود رضي الله عنه وزيد في أم وزوج وإخوة لأب وأم من الأب والأم شركاء الإخوة من الأم في ثلثهم وذلك أنهم قالوا: هم بنوا أم كلهم ولم تزدهم الأم إلا قرباً فهم شركاء في الثلث)[٤]، وتعرف هذه المسألة في الميراث بالمشتركة والعمرية؛ لأنها وقعت في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والحجرية واليمّية؛ لأن الأخوة الأشقاء قالوا لعمر بن الخطاب

---

(١) المرجع نفسه: ج٦ ص٢٨١.
(٢) المرجع نفسه: ج٦ ص٢٩١.
(٣) ابن حجر: فتح الباري ج١١ ص٢٦٠.
(٤) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص١٤١.

رضي الله عنه حين لم يفرض لهم مع الإخوة لأم: هب أن أبانا حجر وقع في اليم ألسنا أبناء أم واحدة؟ فأشركهم في الثلث فسميت بالمشتركة، وتسمى الحمارية أيضاً، أورد الحافظ ابن كثير في تفسيره (المسئلة المشتركة، وهي زوج وأم أو جدة واثنان من ولد الأم وواحد أو أكثر من ولد الأبوين، فعلى قول الجمهور للزوج النصف، وللأم أو الجدة السدس، ولولد الأم الثلث ويشاركهم فيه ولد الأب والأم بما بينهم من القدر المشترك وهو أخوة الأم، وقد وقعت هذه المسئلة في زمان أمير المؤمنين عمر، فأعطى الزوج النصف، والأم السدس، وجعل الثلث لأولاد الأم؛ فقال له أولاد الأبوين: يا أمير المؤمنين، هب أن أبانا كان حماراً، ألسنا من أمٍ واحدة؟ فشرك بينهم وصح التشريك عن عثمان، وهو إحدى الروايتين عن ابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس رضي الله عنهم)[1]، فنصيب الزوج من زوجته النصف إن لم يكن لها ولد، فإن كان لها ولد من أي جهة من الجهات، أعني شرعياً، أو غير شرعي ولو سفل، فللزوج الربع عند ابن مسعود رضي الله عنه، واستثنى الجمهور إن كان قاتلاً، أو عبداً، أو مشركاً فله النصف.

قوله -تعالى-: ﴿وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ﴾.

المأثور عن ابن مسعود أن الجد ينزّل منزلة الأب؛ جاء في معجم فقه السلف (جعل عثمان بن عفان وابن مسعود: الجد بمنزلة الأب)[2]،

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢١٨.
(٢) الكتاني: معجم فقه السلف ج٦ ص٢٦٠.

وللجد مع الإخوة ذكوراً وإناثاً أحوالٌ متعددة، والنقل عن ابن مسعود رضي الله عنه، مرة يقاسم مع الإخوة إذا كانت القسمة في صالحه، ومرة يعطي الجد الثلث وهو القول الأخير عنه وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ومرة يعطي السدس وهو الحد الأدنى الذي لا يجاوز به الجد، فمما أثر عنه ما رواه صاحب معجم فقه السلف: (قال شعبة بن التوأم: توفي أخ لنا في عهد عمر وترك إخوته وجده؛ فأتينا ابن مسعود فأعطى الجد مع الإخوة السدس، ثم توفي أخ لنا آخر في عهد عثمان وترك إخوته وجده فأتينا ابن مسعود فأعطى الجد مع الإخوة الثلث؛ فقلنا له: إنك أعطيت جدنا في أخينا الأول السدس وأعطيته الآن الثلث؟ فقال: إنما نقضي بقضاء أئمتنا)[١]، ويعني بأئمتنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كان في بداية الأمر يقضي للجد بالسدس، ثم جعل له الثلث (كتب عمر إلى ابن مسعود: إنا قد خشينا أن نكون قد أجحفنا بالجد فأعطه الثلث مع الإخوة فأعطاه)[٢]، والذي يبين لنا أن ابن مسعود رضي الله عنه كان يقاسم الجد مع الإخوة السدس، ثم جعل له الثلث، ما أورده الكتاني في معجمه (قال ابن مسعود: يقاسم الجد الإخوة في الثلث ويقاسم الجد الإخوة إلى السدس، قال إبراهيم: فذكرت ذلك لعبيد بن نضيلة[٣]؟ فقال: صدقنا جميعاً، إن ابن مسعود قدم

(١) المرجع نفسه: ج٦ ص٢٥٨.

(٢) الكتاني: معجم فقه السلف ج٦ ص٢٥٨.

(٣) عبيد بن نضيلة: الخزاعي، ويكنّى أبا معاوية، روى عن عمر وعبد الله وروى عن علي في الفريضة وقال يحيى بن آدم عن الحسن بن صالح قال: قرأ يحيى بن وثاب على عبيد بن نضيلة وقرأ عبيد بن نضيلة على علقمة وقرأ علقمة على عبد الله، فأي قراءة أصح من =

من عند عمر وعمر يقول: يقاسم الجد الإخوة إلى السدس فكان ابن مسعود يقول به، ثم رجع فإذا عمر قد رجع فقال: يقاسم الجد الإخوة إلى الثلث)[١]، والثلث هو الذي ثبت على ابن مسعود، ومعه عثمان، وأبو موسى الأشعري رضي الله عنهم؛ جاء في معجم فقه السلف (يقول عثمان وأبو موسى الأشعري وابن مسعود فليس عنهم إلا أن يقاسم الجد الإخوة إلى الثلث فقط ولا يحط من الثلث)[٢]، وسبب هذا كله أن المسألة اجتهادٌ حيث لا نص من قرآن، ولا سنة صحيحة. ومع ذلك فقد أثرت عنه مسائل في الجد مع الإخوة، والجد مع الأخت، من ذلك مسألة الأكدرية[٣]، وهي جد وزوج وأخت وأم، وقد اختلف فيها خمسة من الصحابة،

= هذه؟! وقال غير يحيى بن آدم: إن عبيد بن نضيلة قد قرأ على عبد الله بن مسعود، ثم قرأ على علقمة بعد ذلك. قالوا: توفي عبيد بن نضيلة بالكوفة في ولاية بشر بن مروان وكان ثقة كثير الحديث. ابن سعد: الطبقات ج٦ ص٢١١.

(١) الكتاني: معجم فقه السلف ج٦ ص٢٥٩.

(٢) المرجع نفسه: ج٦ ص٢٥٩.

(٣) الأكدرية: سميت بذلك لتكدير مذهب زيد فيها وقيل: إن عبد الملك سأل فيها فقيها يعرف بالأكدر، وقيل الميت الذي وقعت فيه المسألة يلقب بالأكدر، وقيل إن الميتة كانت امرأة من بني أكدر. ... ينظر/ السَّرَخْسي: محمد بن أحمد بن سهل، أبو بكر، شمس الأئمة (ت٤٨٣-٤٩٠هـ) قاض، من كبار الأحناف، مجتهد، من أهل سرخس (في خراسان). أشهر كتبه (المبسوط) في الفقه والتشريع، وله (شرح الجامع الكبير للإمام محمد)، و(شرح السير الكبير للإمام محمد)، و(النكت)، و(الأصول) في أصول الفقه، و(شرح مختصر الطحاوي). توفي في فرغانة. الزركلي: الأعلام ج٥ ص٣١٥ بتصرف. المبسوط (تصحيح: محمد راضي) ن: دار المعرفة بيروت ط٢ لات ج٢٩ ص١٨٤.

والمأثور (عن ابن مسعود فيها: للزوج ثلاثة أسهم، وللأم سهم، وللجد سهم، وللأخت ثلاثة أسهم)[١]، وبمثل هذا قال عمر رضي الله عنه، وحجة ابن مسعود في هذه المسألة، وفي مسألة الخرقاء الآتي ذكرها أنه لا يفضل أمًّا على جد، وقد أثر عنه أنه قال: (معاذ الله أن أفضل أمًّا على جد)، وهذا التقسيم على طريق العول[٢].

- **مسألة الخرقاء[٣]: وهي جد وأخت وأم**

جاء في معجم فقه السلف (قال الشعبي: بعث إليّ الحجاج فقال: ما تقول في جد وأم وأخت؟ قلت: اختلف فيها خمسة من أصحاب رسول الله ﷺ ابن مسعود وعلي وعثمان وزيد وابن عباس، قال الحجاج: فما قال فيها ابن مسعود؟ قلت: جعلها من ستة: أعطى الأخت ثلاثة، وأعطى الجد اثنين، وأعطى الأم الثلث)[٤]، وهذه المسألة أيضاً يرجع الخلاف فيها إلى الاجتهاد، وما صح من قياس عند كل قائل؛ إذ لا نص من قرآن، أو سنة صحيحة.

- **ومسألة ثالثة: جد مع بنت وأخت**

جاء في معجم فقه السلف (عن ابن مسعود أنه قال: في جد وابنة

---

(١) الكتاني: معجم فقه السلف ج٦ ص٢٣٩، وعبد الرحمن جلال: الخلاصة ص١٧١.

(٢) ينظر/ السرخسي: المبسوط ج٢٩ ص١٨٤، وعبد الرحمن جلال: الخلاصة ص١٧١.

(٣) الخرقاء: سميت بذلك لكثرة اختلاف العصبة فيها، وتسمى عثمانية لأن قديماً جوابها محفوظ عن عثمان، وتسمى مثلثة لجعل عثمان المال بينهم أثلاثاً. السرخسي: المبسوط ج٢٩ ص١٩١.

(٤) الكتاني: معجم فقه السلف ج٦ ص٢٤٥.

وأخت هي من أربعة: للبنت سهمان، وللجد سهم، وللأخت سهم، فإن كانتا أختين فمن ثمانية: للبنت أربعة، وللجد سهمان، وللأختين بينهما سهمان، فإن كن ثلاث أخوات فمن عشرة: للبنت خمسة أسهم، وللجد سهمان، وللأخوات ثلاثة أسهم بينهن)[١].

● **ومسألة رابعة: جد مع أخت شقيقة وأخ لأب**

أورد الكتاني في معجمه (عن ابن مسعود قال: إذا كانت أخت لأب وأم وأخ لأب وجد؛ أُعطي الأخت للأب والأم النصف والجد النصف)[٢]، ولم يعطي للأخ لأب شيئاً؛ ذلك لأنه كما جاء في المعجم المذكور (لا يقاسم بالإخوة من الأب الإخوة من الأب والأم مع الجد)[٣]، كذلك من مذهب ابن مسعود رضي الله عنه أنه يحبس الأخ لأم بالجد؛ أورد الكتاني في معجمه (كان ابن مسعود يقاسم بالجد الإخوة إلى الثلث، ويعطي كل صاحب فريضة فريضته، ولا يورّث الإخوة من الأم مع الجد شيئاً)[٤]؛ لتنزيل الجد منزلة الأب، وهذه المسائل وغيرها المتعلقة بالجد اجتهادية؛ إذ لا نص صريح فيها[٥].

(١) المرجع نفسه: ج٦ ص٢٤٣.
(٢) المرجع نفسه: ج٦ ص٢٥٧.
(٣) المرجع نفسه: ج٦ ص٢٥٧.
(٤) المرجع نفسه: ج٦ ص٢٥٧.
(٥) ينظر/ ابن رشد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد ج٢ ص٣٧٦، والسرخسي: المبسوط ج٢٩ من ص١٨٣-١٨٨.

- **أما ما يتعلق بالجدات الوارثات:**

فإن لابن مسعود رضي الله عنه بخصوص الجدات أقوال تؤثر عنه، منها ما يتعلق بعدد الجدات الوارثات، ومنها ما يتعلق بحجب بعضهن دون بعض، فأما من جهة العدد فقد ورّث ابن مسعود رضي الله عنه أربعاً من الجدات، وفي رواية أخرى عنه ثلاثاً وهن: أم الأم، وأم الأب، وهاتان الاثنتان مجمع عليهما، وأم أبي الأب (أي أم الجد من طرف الأب)، وأم أبي الأم (أي أم الجد من جهة الأم)، وممن ورث الأربعة من الصحابة: ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً، وقد أخذ بهذا من التابعين: الحسن وابن سيرين، ووجهة ابن مسعود رضي الله عنه في توريث الجدة من جهة أب الأم تشبيهاً بالجدة لأب، وذهب غيره من الصحابة إلى أنها لا ترث[١]، وعارضوا قوله بحديث ابن عيينة (عن منصور بن إبراهيم أن النبي ﷺ ورث ثلاث جدات، اثنتين من قبل الأب وواحدة من قبل الأم)[٢]، وقد يجاب عن ابن مسعود رضي الله عنه بأنه لم يبلغه الحديث، أو لم يصح عنده، وقوله الثاني الذي يقضي بتوريث ثلاث جدات، قال به الأوزاعي وأحمد، مستدلين بالحديث السالف ذكره، وأما جمهور الصحابة والعلماء، كمالك، والشافعي، وأبي حنيفة فقد ورثوا اثنتين من الجدات، واحدة من قبل

---

(١) ينظر/ ابن رشد: بداية المجتهد ج٢ ص٣٧٨-٣٧٩، والسرخسي: المبسوط ج٢٩ ١٦٥.

(٢) ابن رشد: بداية المجتهد ج٢ ص٣٧٩، والحديث أخرجه الدارقطني: السنن ج٤ ص٤٥، وقد ذكر في هامشه أنه مرسل.

الأب وأخرى من قبل الأم، وحجتهم ما رواه مالك في الموطأ (عن القاسم بن محمد أنه قال: أتت الجدتان إلى أبي بكر الصديق فأراد أن يجعل السدس للتي من قبل الأم فقال له رجل من الأنصار: أما إنك تترك التي لو ماتت وهو حي كان إياها يرث فجعل أبو بكر السدس بينهما)[(١)]، وابن مسعود رضي الله عنه لا يخالف في أن نصيب الجدات السدس في حالتي الانفراد، والاجتماع[(٢)]؛ إذ هو نصيب مجمع عليه من قبل الصحابة إن تعددت الجدات، ومثبت في الواحدة عن رسول الله ﷺ كما شهد بذلك المغيرة بن شعبة[(٣)] ومحمد بن مسلمة[(٤)] عند أبي بكر لما سأل عن نصيب الجدة، فأخبراه بأن رسول الله ﷺ قضى لها بالسدس[(٥)]، وحاصل

(١) مالك: الموطأ ص٣٤٦.

(٢) كان ابن مسعود رضي الله عنه يورث ما قَرُب من الجدات وما بعد منهن جعل لهن السدس إذا كن من مكانين شتى فإذا كن من مكان واحد ورث القربى. الكتاني: معجم فقه السلف ج٦ ص٢٦٢.

(٣) المُغِيرَة بن شُعْبَة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، أبو عبد الله (ت٥٠هـ) أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم. صحابي. ولد في الطائف. أسلم سنة ٥هـ. شهد الحديبية واليمامة و فتوح الشام والقادسية ونهاوند وهمدان وغيرها. ولي البصرة والكوفة. ولم يزل في الكوفة إلى أن مات. وله ١٣٦ حديثاً. الزركلي: الأعلام ج٧ ص٢٧٧ باختصار وتصرف.

(٤) محمَّد بن مَسْلَمَة: محمد بن مسلمة الأوسي الأنصاري الحارثي، أبو عبد الرحمن (ت٤٣هـ) صحابي، من الأمراء، من أهل المدينة. شهد بدراً وما بعدها إلا غزوة تبوك. واستخلفه النبي ﷺ على المدينة في بعض غزواته. وولاه عمر على صدقات جهينة. واعتزل الفتنة في أيام عليّ فلم يشهد الجمل ولا صفّين. وكان عند عمر مُعداً. الزركلي: الأعلام ج٧ ص٩٧.

(٥) ينظر/ مالك: الموطأ ص٣٤٦، وابن رشد: بداية المجتهد ج٢ ص٣٧٨.

المسألة ما أورده الكتاني في معجمه (لم يوجد إيجاب السدس للجدة إلا مرسلاً عن أبي بكر وعمر وابن مسعود وعلي وزيد خمسة فقط)[١]. وبقيت مسألة واحدة وهي: أن الجدة لا تحجب بابنها:

الذي هو أب الميت عند ابن مسعود رضي الله عنه، وروي بمثل قوله عن عمر، وخالفه زيد، وأبو موسى، وعمران بن حصين، وأبو الطفيل في ذلك؛ حيث حجبوا الجدة بالأب الذي هو ابنها، وحجة ابن مسعود رضي الله عنه ما يرويه هو نفسه (قال: أول جدة أطعمها رسول الله ﷺ سدساً مع ابنها وابنها حي)[٢]، ودليل آخر قياسي هو عدم حجب الأم، وأم الأم (أي الجدة) بالذكور؛ كذلك حكم بقية الجدات من جهة الأب، وبهذا القول أخذ شريح، وعطاء، وابن سيرين من التابعين، وأحمد من الأئمة في ظاهر مذهبه، وأخذ بقول زيد الثوري، و الأوزاعي، ومالك، والشافعي، وأبو حنيفة، وداود وكلهم من الأئمة[٣]، وخلاصة القول أن ابن مسعود رضي الله عنه لا يحجب الجدة بالأب الذي هو ابنها، وإنما يحجبها بنتها، وببنت بنتها؛ جاء في معجم فقه السلف (ورّث ابن مسعود الجدة مع ابنها فقال: لا يحجب الجدات إلا الأم)[٤]، كما أنه يحجب الجدة القصوى بالدنيا عند اجتماعهن في قول له، وفي قول آخر يشرك بينهما في السدس[٥].

(١) الكتاني: معجم فقه السلف ج٦ ص٢٦٢.
(٢) ابن العربي: عارضة الأحوذي ج٨ ص٢٥٤.
(٣) ينظر/ ابن رشد: بداية المجتهد ج٢ ص٣٧٩، وابن قدامة: المغني ج٦ ص٢١١.
(٤) الكتاني: معجم فقه السلف ج٦ ص٢٦٦.
(٥) ينظر/ ابن رشد: بداية المجتهد ج٢ ص٣٧٨، وابن قدامة: المغني ج٦ ص٢١١ فما بعد.

قوله -تعالى-: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾.

(اتفق الجمهور على أن نصيب الأم مع الإخوة السدس لقول الله ﷻ: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾)[١]، واختلفوا في عدد الإخوة الذين يحجبون الأم من الثلث إلى السدس، فالمأثور عن ابن مسعود، وعلي وعثمان ﭫ أن الاثنين يحجبان الأم، وبه قال مالك، وابن حنبل، والشافعي، وذهب ابن عباس ﭬ إلى أن الثلاثة فصاعداً يحجبون الأم، وهو محكي عن معاذ، وما دونهما فلا[٢]، وسبب الخلاف يرجع إلى أقل ما يطلق عليه الجمع، فمن رأى أقل الجمع اثنين قال: بأن الاثنين يحجبان، ومن قال: أقل الجمع ثلاثة قال: لا يحجب الاثنان، إنما الثلاثة فصاعداً، وذكر القرطبي في جامعه (أجمع أهل العلم على أن أخوين فصاعداً ذُكراناً كانوا أو إناثاً من أب وأم، أو من أب أو من أم يحجبُون الأم عن الثلث إلى السدس؛ إلا ما رُوي عن ابن عباس أن الاثنين من الإخوة في حكم الواحد، ولا يحجبُ الأمّ أقلُّ من ثلاثة)[٣]، ثم ساق أدلة تبين أن الاثنين جمعٌ، حديث رسول الله ﷺ (الاثنان فما فوقهما جماعة)[٤].

قوله -تعالى-: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ

---

(١) القرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص٤٨-٤٩، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢١٥.

(٢)ينظر/ ابن قدامة: المغني ج٦ ص١٦٨ فما بعد، وابن رشد: بداية المجتهد ج٢ ص٣٦٨-٣٦٩، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢١٥.

(٣) القرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص٤٩.

(٤) المرجع نفسه: مج٣ ج٥ ص٤٩.

فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ﴾.

المأثور عن ابن مسعود رضي الله عنه في تأويل هذه الآية بيان معنى الكلالة (قال الشَّعبيّ: الكلالة ما كان سوى الولد والوالد من الورثة إخوة أو غيرهم من العصبة. كذلك قال عليّ وابن مسعود وزيد وابن عباس)[(١)]، وغيرهم من الصحابة، وهو معنى يكاد يجمع عليه[(٢)].

قوله -تعالى-: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾﴾.

مما يتعلق بتأويل هاتين الآيتين ما أورده صاحب كتاب الدر المنثور (عن ابن مسعود قال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة عدو)[(٣)]، ولذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحث على تعلم الفرائض، والحديث بتمامه كما جاء في صحيح مسلم (عن يسير بن جابر[(٤)] قال:

---

(١) المرجع نفسه: مج٣ ج٥ ص٥٢.

(٢) ينظر/ الطبري: جامع البيان مج٣ ج٤ ص١٩١-١٩٣.

(٣) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص١٤٣.

(٤) يسير بن جابر: يسير بن عمرو السكوني من بني هند، كان عريفاً في زمن الحجاج ومات في زمانه قبل الجماجم وكان ثقة له أحاديث. ابن سعد: الطبقات ج٦ ص١٤٦-١٤٧ باختصار. وفي مرويات ابن مسعود: يسير بن جابر أو ابن عمرو، وقيل أصله أسير فقلبت الهمزة ياء الكوفي مختلف في نسبته، وثقه ابن سعد والعجلي وابن حبان وأخرج له الشيخان. مات سنة خمس وثمانين. الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج٢ ص٦٠٢ بتصرف.

هاجت ريح حمراء بالكوفة فجاء رجل ليس له هجيري إلا يا عبد الله بن مسعود، جاءت الساعة، قال: فقعد وكان متكئاً فقال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة . . .)[١]، ومعنى الهِجّيري كما جاء في المرويات (هجيري: بكسر الهاء والجيم المشددة مقصور الألف أي شأنه ودأبه ذلك)[٢]. **قوله -تعالى-**: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥﴾ .

المأثور عن ابن مسعود ﷺ في تأويل هذه الآية روايتان مختلفتان في اللفظ والمعنى، أولهما: ما جاء في الجامع (قال ابن مسعود وابن عباس والضحاك وقتادة: الفاحشة المبينة في هذه الآية البُغْض والنُّشُوز)[٣]، والرواية الثانية ذكرها الحافظ ابن كثير في تفسيره (قال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب وغيرهم: يعني بذلك الزنا)[٤]، وهذه الرواية أوفق للمراد من الآية؛ لذا قال الزمخشري في الكشاف: (الفاحشة الزنا لزيادتها في القبح على كثير من القبائح)[٥].

---

(١) النووي: شرح صحيح مسلم ج١٨ ص٢٣، وابن حنبل: المسند ج٦ ص٩١-٩٢.

(٢) الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج٢ ص٦٠٢، وينظر/ الفيروز آبادي: القاموس المحيط ج٢ ص١٦٤.

(٣) القرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص٦٣.

(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢٢٨.

(٥) الزمخشري: الكشاف ج١ ص٥١١.

قوله -تعالى-: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾.

أورد جلال الدين السيوطي في تأويل هذه الآية (عن ابن مسعود في قوله: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ قال: لا يقبل ذلك منه)(١)، لأن من شروط التوبة الصحيحة أن تكون قبل الغرغرة، قال الله -تعالى- في سورة يونس مبيناً حال فرعون قبيل الغرق: ﴿وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾(٢).

قوله -تعالى-: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾.

مما جاء في تأويل هذه الآية (عن إبراهيم أنه سئل عن الرضاع فقال: إن علياً وعبد الله بن مسعود كانا يقولان قليله وكثيره حرام)(٣)، إذا كان

(١) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص١٤٦.

(٢) سورة يونس: ٩٠-٩١.

(٣) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص١٥٠.

في الحولين، أمّا ما بعدهما فلا يحرّم عند ابن مسعود، وكثير من الصحابة إلا عائشة رضي الله عنها[(١)]، جاء في الجامع للقرطبي (عن أبي عطية قال: قدم رجل بامرأته من المدينة فوضعت وتورّم ثديها، فجعل يمصه ويمجه فدخل في بطنه جرعة منه؛ فسأل أبا موسى فقال: بانت منك، وأتِ ابن مسعود فأخبره، ففعل؛ فأقبل بالأعرابي إلى أبي موسى الأشعري وقال: أرضيعاً ترى هذا الأشْمَط! إنما يحرم من الرضاع ما يُنبت اللحم والعظم. فقال الأشعري: لا تسألوني عن شيء وهذا الحبر بين أظهرِكم)[(٢)]، والمسألة مستوفاة في سورة البقرة، والحكم عند ابن مسعود رضي الله عنه مأخوذ من عموم الآية؛ قوله -تعالى-: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾ أورد الحافظ ابن كثير في تفسيره في تأويل هذه الآية (عن أبي عمرو الشيباني، عن ابن مسعود: أن رجلاً من بني كمخ من فزارة تزوج امرأة فرأى أمها فأعجبته. فاستفتى ابن مسعود، فأمره أن يفارقها ثم يتزوج أمها، فتزوجها وولدت له أولاداً، ثم أتى ابن مسعود المدينة، فسئل عن ذلك، فأخبر أنها لا تحل له، فلما رجع إلى الكوفة فقال للرجل: إنها عليك حرام ففارقها)[(٣)]، في هذه الرواية أن ابن مسعود رضي الله عنه رجع إلى الرجل، وفي الرواية الأخرى أنه لم يجده ووجد قومه؛ جاء في أعلام الموقعين (عن سعد بن إياس عن ابن مسعود أن رجلاً سأله عن رجل تزوج امرأة فرأى أمها فأعجبته فطلق

(١) ينظر/ ابن رشد: بداية المجتهد ج٢ ص٣٩، والقرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص٧٢.
(٢) المرجع نفسه: مج٣ ج٥ ص٧٢-٧٣.
(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢٣٧، والسيوطي: الدر المنثور ج٢ ص١٥٠-١٥١.

امرأته ليتزوج أمها فقال: لا بأس فتزوجها الرجل... حتى قدم المدينة فسأل أصحاب محمد ﷺ فقالوا: لا تحل لهذا الرجل هذه المرأة فلما قدم عبد الله انطلق إلى الرجل فلم يجده ووجد قومه فقال: إن الذي أفتيت به صاحبكم لا يحل)[١]، ودليل الصحابة قول الله-تعالى-: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾ ، وقول الرسول ﷺ: (أيما رجل نكح امرأة فدخل بها فلا يحل له نكاح ابنتها وإن لم يدخل بها فلينكح ابنتها، وأيما رجل نكح امرأة فدخل بها أو لم يدخل فلا يحل له نكاح أمها)[٢]، وكان ابن مسعود يظن أن الدخول شرط في تحريم الأمهات، كما هو في الربائب، وكان يشاركه في هذا القول عليّ بن أبي طالب، وابن عباس في إحدى الروايتين عنه، وكذلك عن جابر بن عبد الله، وعن الزبير، وزيد ابن ثابت، وكان عليّ رضي الله عنه يعمم القول بأن العقد على البنت لا يحرم الأم، وكذلك العقد على الأم لا يحرم البنت قبل الدخول مطلقاً[٣]، وأما الفقهاء فقد قرروا أن العقد على البنات يُحرِّم الأمهات، والدخول بالأمهات يحرّم البنات[٤]، وهو ما سار عليه ابن مسعود، وعمر، وعمران بن الحصين، وسائر الأئمة فيما بعد[٥].

(١) ابن قيم الجوزية: أعلام الموقعين ج٢ ص٣٨٢-٣٨٣.

(٢) أحمد بن علي الرازي، أبو بكر (ت ٣٧٠هـ) فاضل من أهل الري، سكن بغداد ومات فيها. انتهت إليه رئاسة الحنفية. وخوطب في أن يلي القضاء فامتنع. وألف كتاب (أحكام القرآن)، وكتاباً في (أصول الفقه). الزركلي: الأعلام ج١ ص١٧١ بتصرف. أحكام القرآن ن: المطبعة البهية مصر لاط (ت١٣٤٧هـ) القسم الثاني ص١٥٦.

(٣) ينظر/ ابن قيم الجوزية: إعلام الموقعين ج٢ ص١٥٤.

(٤) ينظر/ القرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص١٠٦-١٠٧.

(٥) ينظر/ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢٣٧.

أما قوله -تعالى-: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ وفي معنى الدخول خلاف بين الصحابة، والتابعين، والعلماء الذين من بعدهم، فالمروي عن ابن مسعود رضي الله عنه كما جاء في المحلى (أن القبلة للأم التي تتزوج تحرّم ابنتها)[(١)]، وغيره يرى أن المراد بالدخول الجماع، كابن عباس وطاوس، وعمر بن دينار، وعبد الكريم الجزري، ومنهم من ذهب إلى أنه النظر بشهوة إلى مواطن الاستمتاع كالشعر، والصدر، والفرج وهم: مالك، والكوفيون، والثوري، وأما الشافعي، وابن أبي ليلى فإن النظر عندهم لا يحرم ما لم يلمس[(٢)]، وما ذهب إليه عطاء أقرب لنص القرآن حيث أطلق الدخول، ولم يضع له قيداً ولا شرطاً؛ جاء في المحلى (روي عن عطاء أنه الدخول فقط وإن لم يفعل شيئاً)[(٣)].

أما قوله -تعالى-: ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ .

أورد الحافظ ابن كثير في تفسيره عن ابن مسعود (أنه سئل عن الرجل يجمع بين الأختين، فكرهه فقال له -يعني السائل-: يقول الله -تعالى-: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ﴾ . فقال له ابن مسعود رضي الله عنه: وبعيرك مما ملكت

(١) ابن حزم: المحلى طبعة مصححة ومقابلة على النسخة التي حققها أحمد شاكر ن: دار الفكر بيروت -لبنان لاط لات ج٩ ص٦٤٦.
(٢) المرجع نفسه: ج٩ ص٦٤٦.
(٣) المرجع نفسه: ج٩ ص٦٤٦.

يمينك)[١]، وأوضح من هذه الرواية ما ذكره السيوطي في الدر المنثور عن ابن مسعود قال: (يحرم من الإماء ما يحرم من الحرائر إلا العدد)[٢]، أي لا فرق في الحرمة بين الحرائر، والإماء إلا من جهة العدد، فإن الحرائر لا يجمع للرجل أكثر من أربعة بينما للرجل أن يجمع من الإماء ما شاء له الله، وما تيسرت له حاله.

وذكر القرطبي أن عثمان رضي الله عنه حين سئل عن الجمع بين الأختين من الإماء توقف، ولم يفتي بالحِل، ولا بالحرمة، واضطرب النقل عن عليّ رضي الله عنه، ثم قال القرطبي موضحاً الرأي المختار، (لا يجوز عليهم تحريف التأويل. وممن قال ذلك من الصحابة (أي بالمنع من الجمع بين الأختين من الإماء): عمر وعليّ وابن مسعود وعثمان وابن عباس وعمار وابن عمر وعائشة وابن الزبير؛ وهؤلاء أهل العلم بكتاب الله، فمن خالفهم فهو متعسِّف في التأويل)[٣].

قوله -تعالى-: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾﴾.

أورد الحافظ ابن كثير في معنى الإحصان في تفسيره (إن المراد

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢٤٠، والسيوطي: الدر المنثور ج٢ ص١٥٢.

(٢) المرجع نفسه: ج٢ ص١٥٢.

(٣) القرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص٧٧.

بالإحصان هاهنا الإسلام، روي ذلك عن عبد الله بن مسعود وغيره)[١]، وجاء في تفسير ابن جرير في المعنى نفسه عن إبراهيم أن النعمان قال: قلت لابن مسعود: (أمتي زنت، قال: اجلدها، قلت: فإنها لم تحصن، قال: إحصانها إسلامها)[٢]، والمعنى الآخر للمحصنات: ذوات الأزواج، وهو المتبادر إلى الذهن؛ أورد الطبري في تفسيره عن إبراهيم روايتين: الأولى (عن إبراهيم عن عبد الله قال: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ قال: ذوات الأزواج من المسلمين والمشركين)[٣]، والثانية فيها إضافة حكم، وهذا نصها: (عن إبراهيم عن عبد الله في قوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ قال: كل ذات زوج عليك حرام إلا أن تشتريها أو ما ملكت يمينك)[٤]، ومن المروي عن ابن مسعود في هذه الآية ما أورده الحافظ ابن كثير في تفسيره عن إبراهيم أنه (سئل عن الأَمة تباع ولها زوج؟ قال: كان عبد الله يقول: بيعها طلاقها)[٥]، ذلك لأن المشتري وهو (السيد) أحق ببضعها، كما جاء في جامع البيان للطبري (عن أبي قلابة عن ابن مسعود قال: إذا

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢٤٧.
(٢) الطبري: جامع البيان مج٤ ج٥ ص١٥.
(٣) المرجع نفسه: مج٤ ج٥ ص٥، والسيوطي: الدر المنثور ج٢ ص١٥٣، وابن العربي: أحكام القرآن القسم الأول ص٣٨١.
(٤) الطبري: جامع البيان مج٤ ج٥ ص٥، والسيوطي: الدر المنثور ج٢ ص١٥٣.
(٥) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢٤٣، والسيوطي: الدر المنثور ج٢ ص١٥٣، وابن العربي: أحكام القرآن القسم الأول ص٤٨٢.

بيعت الأمةُ ولها زوج فسيدها أحق بِبُضعها)[١]؛ (لأن الفرج محرّم على اثنين في حال واحدة بإجماع من المسلمين)[٢]، وكذلك الحال إذا تُصدق بالأمة، أو وُرثت، أو سُبيت، فهذه الحالات كلها عند ابن مسعود تعدّ سبباً للفرقة[٣].

ومما يتعلق بأحوالِ الإماء ما أورده صاحب معجم فقه السلف (قال علي ابن أبي طالب فيمن أعتق أَمته ثم تزوجها وجعل عتقها صداقها: له أجران وقد روي أيضاً عن ابن مسعود وأنس)[٤]، ثم أورد رواية تناقضها هذا نصها: (كره الحسن البصري أن يعتق الرجل أمته لوجه الله ثم يتزوجها، وروي مثله عن أنس وابن مسعود)[٥]، والرواية الأولى أشبه بالصواب إن شاء الله؛ لأن الرسول ﷺ أعتق ريحانة بنت زيد القرضية[٦] فتزوجها[٧]، فلو كان في الأمر كراهة ما فعله رسول الله ﷺ؛ وأما قوله

(١) الطبري: جامع البيان مج٤ ج٥ ص٤.

(٢) القرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص٨١.

(٣) ينظر/ المرجع نفسه: مج٣ ج٥ ص٨١.

(٤) الكتاني: معجم فقه السلف ج٧ ص١٨.

(٥) المرجع نفسه: ج٧ ص٢٠.

(٦) رَيْحَانَة بنت زَيْد بن عمرو بن خنافة، من بني النضير (ت١٠هـ) إحدى أزواج النبيّ ﷺ كانت يهودية وسُبيت، وأسلمت سنة ٦هـ، فأعتقها النبيّ ﷺ وتزوجها. وكان معجباً بأدبها وبيانها، لا تسأله حاجة إلا قضاها. ولم تزل عنده حتى ماتت، وهو عائد من حجة الوداع، فدفنها في البقيع. الزركلي: الأعلام ج٣ ص٣٨.

(٧) ينظر/ صفي الرحمن المباركفوري فضيلة الشيخ بالجامعة السلفية – الهند: الرحيق المختوم بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ن: المكتب الجامعي الحديث محطة الرمل إسكندرية –مصر ط١ (ت١٣٩٦هـ-١٩٧٦م) ص٤٥٧.

-تعالى-: ﴿فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ﴾ الآية، أخرج البخاري في صحيحه (عن قيس عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا نغزو مع النبي ﷺ ليس لنا نساء فقلنا: يا رسول الله ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب، ثم قرأ علينا ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾)[١].

ونكاح المتعة كان مباحاً في صدر الإسلام في السفر دون الحضر، ثم نسخ حضراً وسفراً؛ جاء في الدر المنثور (عن ابن مسعود قال: المتعة منسوخة نسخها الطلاق، والعدة، والميراث)[٢]، وقد ناقش هذه القضية القرطبي نقاشاً مستفيضاً في تفسيره[٣]، ثم نقل عن أبي جعفر الطحاوي قوله: (كل هؤلاء الذين روَوْا عن النبي ﷺ إطلاقها أخبروا أنها كانت في سفر، وأن النّهي لحقها في ذلك السفر بعد ذلك، فمنع منها، وليس أحد منهم يخبر أنها كانت في حَضَر؛ وكذلك رُوي عن ابن مسعود)[٤].

قوله -تعالى-: ﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَـٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَـٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُكُم مِّن فَتَيَـٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَـٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَـٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَـٰتٍ غَيۡرَ مُسَـٰفِحَـٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَـٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَـٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٥﴾﴾.

---

(١) البخاري: صحيح البخاري بحاشية السندي ج٣ ص٢٣٩، والآية من سورة المائدة: ٨٧.
(٢) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص١٥٦، والقرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص٨٦.
(٣) ينظر/ المرجع نفسه: مج٣ ج٥ ص من٨٥-٨٩.
(٤) المرجع نفسه: مج٣ ج٥ ص٨٦-٨٧.

المأثور عن ابن مسعود رضي الله عنه في تأويل هذه الآية روايات متعددة، منها ما جاء في الدر المنثور (عن ابن مسعود قال: إنما أحل الله نكاح الإماء لمن لم يستطع طولاً وخشي العنت على نفسه)(١)، ومما روي عنه أيضاً (عن ابن مسعود أنه قرأ فإذا أَحصن بفتح الألف وقال: إحصانها إسلامها)(٢)، ذكر القرطبي في تفسيره (قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أُحۡصِنَّ﴾ قراءة عاصم وحمزة والكِسائِيّ بفتح الهمزة. الباقون بضمها. فبالفتح معناه أَسْلَمن، وبالضم زُوِّجن)(٣)، وإيراد عاصم مع الذين قرؤا بالفتح تعميم من القرطبي إذ هي إحدى الروايات، و رواية حفص بضم الهمزة، وكسر الصاد، وهي السائدة، بمعنى زوجن جاء في النشر: (اختلفوا في ﴿أُحۡصِنَّ﴾ فقرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر بفتح الهمزة والصاد وقرأ الباقون بضم الهمزة وكسر الصاد)(٤).

أما تأويل قوله -تعالى-: ﴿فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ﴾ فالمأثور عن عبد الله رضي الله عنه ما جاء في الدر المنثور (عن ابن مسعود في قوله: ﴿فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ﴾ قال: خمسون جلدة ولا نفي ولا رجم)(٥)، فحكمها إذن مخالف للحرة؛ إذ حكم الأمة إذا زنت وهي محصنة الرجم، فالخمسون جلدة هو الحكم الثابت في حقها في حال الإحصان وغيره، عند ابن مسعود ومن وافقه.

---

(١) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص١٥٧.

(٢) المرجع نفسه: ج٢ ص١٥٧، وابن العربي: أحكام القرآن القسم الأول ص٤٠٤.

(٣) القرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص٩٤.

(٤) ابن الجزري: النشر ج٢ ص٢٤٩.

(٥) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص١٥٨.

أورد ابن جرير في جامع البيان (عن إبراهيم بن يزيد عن همام بن الحرث أن النعمان بن عبد الله بن مقرن سأل عبد الله بن مسعود فقال: أمتي زنت، فقال: اجلدها خمسين جلدة، قال: إنها لم تحصن، فقال ابن مسعود: إحصانها إسلامها)(١)، وفي الجامع للقرطبي قال: (فإذا زنت الأمَة المسلمة جُلدت نصف جلد الحرة؛ وإسلامها هو إحصانها في قول الجمهور، ابنِ مسعود والشعبيّ والزُّهريّ وغيرهم. وعليه فلا تُحدّ كافرة إذا زنت، وهو قول الشافعيّ فيما ذكر ابن المُنْذِر)(٢)، وما ذهب إليه ابن مسعود مأخوذ من القرآن في حق المتزوجة، ومن السنة في حق من لم تتزوج؛ أخرج البخاري (عن أبي هريرة وزيد بن خالد رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سُئل عن الأمَة إذا زنت ولم تحصن قال: إِذَا زَنَتْ فَاجْلِدُوهَا ثمَّ إِنْ زَنَتْ فَاجْلِدُوهَا ثمَّ إِنْ زَنَتْ فَاجْلِدُوهَا ثم بِيعوهَا وَلَوْ بِضَفِيرٍ)(٣)، وقول ابن مسعود لا نفي لعله مأخوذ مما رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ؛ جاء في صحيح البخاري (قال النبي ﷺ: إِذَا زَنَتِ الْأَمَةُ فَتَبَيَّنَ زِنَاهَا فَلْيَجْلِدْهَا وَلَا يُثَرِّبْ، ثمَّ إن زَنَتْ فَلْيَجْلِدْهَا وَلَا يُثَرِّبْ، ثم إِنْ زَنَتِ الثَّالِثَةَ فَلْيَبِعْهَا ولَوْ بِحَبْلٍ مِن شَعَرٍ)(٤)، ومعنى يثرّب كما جاء في حاشية السندي قوله ولا يثرّب على الأمة: (لا يعنفها ويوبخها)(٥)، فإذا كان التعنيف، والتوبيخ

(١) الطبري: جامع البيان مج٤ ج٥ ص١٥.
(٢) القرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص٩٤.
(٣) البخاري: صحيح البخاري بحاشية السندي ج٤ ص١٨٢، والضفير: أي بشعر منسوج وبحبل مفتول فهو بمعنى مضفور. حاشية السندي: بهامش صحيح البخاري ج٤ ص١٨٢.
(٤) المرجع نفسه: ج٤ ص١٨٢.
(٥) حاشية السندي: بهامش صحيح البخاري ج٤ ص١٨٢.

منهي عنه، فالنفي من باب أولى؛ وعليه فيكون تأويل ابن مسعود ﷺ من باب تفسير القرآن بالقرآن، والقرآن بالسنة والقواعد الأصولية؛ أما ما أثر عنه في خاتمة الآية ما ذكره جلال الدين السيوطي في تفسيره (عن ابن مسعود ﴿وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ قال: عن نكاح الإماء)(١).

قوله -تعالى-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾.

ذكر الحافظ ابن كثير في تأويل هذه الآية (عن علقمة، عن عبد الله في الآية، قال: إنها محكمة ما نسخت ولا تنسخ إلى يوم القيامة)(٢).

قوله -تعالى-: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾.

أثر عن ابن مسعود ﷺ في تأويل هذه الآية روايات متعددة، أورد منها ما ذكره السيوطي في الدر المنثور (عن ابن مسعود أنه سئل عن الكبائر؟(٣) فقال: افتتحوا سورة النساء فكل شيء نهى الله عنه حتى تأتوا ثلاثين آية فهو كبير ثم قرأ مصداق ذلك ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ الآية)(٤)، وفي تفسير القرطبي (إلى ثلاث وثلاثين)(٥)، ثم تلا الآية السالفة التي رقمها

(١) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص١٥٨.
(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢٥٣.
(٣) الكبائر: الكَبِيرَةُ مُتَعَارَفَةٌ في كُلِّ ذَنْبٍ تَعْظُمُ عُقُوبَتُهُ والجمعُ الكَبائِرُ. الراغب: المفردات ص٤٢١.
(٤) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص١٦٤.
(٥) القرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص١٠٥.

في السورة(٣١)، ومما رواه جلال الدين السيوطي أيضاً (عن ابن مسعود قال: إن من أكبر الذنب عند الله أن يقول لصاحبه: اتق الله، فيقول: عليك نفسك من أنت تأمرني)[١]، وهذا التوجيه أخذه ابن مسعود رضي الله عنه فيما يبدو من قول الله -تعالى-: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾[٢]، ومما روي عنه في تأويل هذه الآية ما أورده الطبري في تفسيره حيث ذكر أن الكبائر أربعة بطريقين مختلفين في تعداد الكبائر، الطريق الأول (عن وبرة عن ابن مسعود قال: الكبائر الإشراك بالله، والقنوط من رحمة الله، والإياس من روح الله، والأمن من مكر الله)[٣]، والطريق الثاني (عن أبي الطفيل[٤] عن ابن مسعود قال: الكبائر أربع: الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرم الله، والأمن لمكر الله، والإياس من روح الله)[٥]، والذي يبدو لي أن رواية أبي الطفيل أقرب، حيث أن رواية وبرة ذكرت القنوط من رحمة الله، والإياس من روح الله، والروح والرحمة بمعنى واحد؛ جاء في المفردات: (﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ

---

(١) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص١٦٤.

(٢) سورة البقرة: ٢٠٦.

(٣) الطبري: جامع البيان مج٤ ج٥ ص٢٦، والقرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص١٠٥.

(٤) أَبُو الطُّفَيْل: عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو، الليثي الكناني القرشي، أبو الطفيل (ت١٠٠هـ) شاعر كنانة، وأحد فرسانها، ومن ذوي السيادة فيها. ولد يوم وقعة أُحُد، وروى عن النبيّ ﷺ تسعة أحاديث، وحمل راية عليّ بن أبي طالب. وتوفي بمكة. وهو آخر من مات من الصحابة. الزركلي: الأعلام ج٣ ص٢٥٥-٢٥٦ باختصار.

(٥) الطبري: جامع البيان مج٤ ج٥ ص٢٦.

ٱللَّهِۖ﴾(١) أي مِنْ فَرَجِهِ وَرَحْمَتِهِ وَذلك بَعْضُ الرَّوْحِ)(٢)، وفي مختار الصحاح (الرَّوْح بالفتح من (الاسْتِراحة) وكذا(الرَّاحَةُ). و(الرَّوْح) أيضاً و(الرَّيْحانُ) الرَّحمةُ والرِّزْق)(٣)، ومهما يكن من شيء فالكبائر ليست محصورة في هذه الأربعة، فقد وردت أحاديث كثيرة تبين أكبر الكبائر، وقد جمع منها الذهبي سبعين كبيرة بيّنها ووضّحها في كتابه الموسوم بكتاب (الكبائر)(٤).

قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾.

أورد الحافظ ابن كثير في تفسيره (عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ سلوا الله من فضله، فإن الله يحب أن يُسأل، وإن أفضل العبادة انتظار الفرج)(٥)، وهذا من تفسير القرآن بالسنة، وهو ما يحرص عليه ابن مسعود رضي الله عنه.

قوله -تعالى-: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ

(١) سورة يوسف: ٨٧.
(٢) الراغب: المفردات ص٢٠٦.
(٣) الرازي: مختار الصحاح ص٢٦٢.
(٤) الذهبي: كتاب الكبائر الأولى: ما نهى الله ورسوله عنه ص٦، والسبعون سب أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ص٢٦٠.
(٥) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢٧١، والقرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص١٠٨، والسيوطي: الدر المنثور ج٢ ص١٦٥.

﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾ .

في تأويل قول الله -تعالى-: ﴿وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ أخرج أحمد في المسند (عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله قسَم بينكم أخلاقَكم، كما قسَم بينكم أرزاقكم، وإن الله ﷻ يعطي الدنيا من يُحبّ ومن لا يحبّ، ولا يعطي الدينَ إلا لمن أحبّ، فمن أعطاه الله الدينَ فقد أحبه، والذي نفسي بيده، لا يُسْلِمُ عبدٌ حتى يَسْلَم قلبُه ولسانُه، ولا يؤمنُ حتى يأمَنَ جارُه بوائقَه...)[١]، وأورد القرطبي في جامعه في تأويل قول الله -تعالى-: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ﴾ (قال عليّ وابن مسعود وابن أبي لَيْلَى: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ﴾ الزوجة)[٢].

قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ .

ذكر ابن جرير في تأويل هذه الآية (عن زاذان[٣] قال: أتيت ابن مسعود فقال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ثم نادى منادٍ من عند الله ألا من كان يطلب مظلمة فليجئ إلى حقه فليأخذه قال: فيفرح

(١) ابن حنبل: المسند ج٥ ص٢٤٦-٢٤٧.

(٢) القرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص١٢٣، والطبري: جامع البيان مج٤ ج٥ ص٥٢.

(٣) زاذان: مولى كندة، روى عن علي وعبد الله وسلمان والبراء بن عازب وعبد الله بن عمر، عن عبد الله بن السائب عن زاذان قال: لقد سألت عبد الله بن مسعود عن أشياء ما سُئلت عنها، قالوا: توفي زاذان بالكوفة أيام الحجاج بن يوسف بعد الجماجم وكان ثقة قليل الحديث. ابن سعد: الطبقات ج٦ ص١٧٨- ١٧٩ باختصار.

والله الصبي أن يذوب[١] له الحق على والده أو ولده أو زوجته فيأخذ منه وإن كان صغيراً ومصداق ذلك في كتاب الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾[٢] فيقال له: ائت هؤلاء حقوقهم أي: أعطهم حقوقهم فيقول: أي ربي من أين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله لملائكته: أي ملائكتي انظروا في أعماله الصالحة وأعطوهم منها، فإن بقي مثقال ذرة من حسنة، قالت الملائكة وهو أعلم بذلك منها: يا ربنا أعطينا كل ذي حق حقه وبقي له مثقال ذرة من حسنة فيقول للملائكة: ضعفوها لعبدي وأدخلوه بفضل رحمتي الجنة، ومصداق ذلك في كتاب الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٤٠﴾)[٣]، وذكر ابن جرير من طريق آخر فيه زيادات عن الرواية الأولى هذا نصه: (عن عبد الله بن السائب قال: سمعت زاذان يقول: قال عبد الله بن مسعود: يؤخذ بيد العبد والأمة يوم القيامة فينادي منادٍ على رؤوس الأولين والآخرين هذا فلان بن فلان من كان له حق فيأت إلى حقه، فتفرح المرأة أن يذوب (أي يثبت) لها الحق على أبيها أو على ابنها أو على أخيها أو على زوجها، ثم قرأ ابن مسعود: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾، فيغفر الله -تبارك وتعالى- من حقه ما شاء ولا يغفر من حقوق الناس شيئاً، فينصب الناس فيقول: ائتوا إلى الناس حقوقهم، فيقول: رب فنيت الدنيا من أين أوتيهم حقوقهم؟

(١) يذوب: (ذَابَ) له عليه من الحَقّ كذا أي وجَبَ وثَبَت. الرازي: مختار الصحاح ص٢٢٥.
(٢) سورة المؤمنون: ١٠١.
(٣) الطبري: جامع البيان مج٤ ج٥ ص٥٧-٥٨.

فيقول: خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذي حق حقه بقدر مظلمته، فإن كان ولياً لله ففضل له مثقال ذرة ضاعفها له حتى يدخله بها الجنة، ثم قرأ علينا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾، وإن كان عبداً شقياً قال الملك: رب فنيت حسناته وبقي طالبون كثير، فيقول: خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته، ثم صكوا له صكاً إلى النار)[(١)]، وقريباً من هذه الرواية جاءت في كتاب غرائب القرآن للنيسابوري، ثم ساق بعدها هذا النص: (قال الحسن: الوعد بالمضاعفة أحب عند العلماء مما لو قال في الحسنة الواحدة مائة ألف حسنة، لأن هذا يكون مقداره معلوماً أما على هذه العبارة فلا يعلم كميته إلا الله -تعالى-)[(٢)]، والروايتان تبينان أن ابن مسعود رضي الله عنه يفسر القرآن بالقرآن، فيضم النظائر إلى بعضها؛ ليكتمل المعنى، وفي تأويل بقية الآية (عن زاذان عن ابن مسعود ﴿وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ أي الجنة يعطها)[(٣)].

قوله -تعالى-: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ٤١﴾.

أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه روايات متعددة بألفاظ مختلفة، ومعنىً متقارب في كتاب التفسير، وفي فضائل القرآن عند باب قول المقرئ للقارئ حسبك، والبكاء عند قراءة القرآن، وهذا نص

---

(١) الطبري: جامع البيان مج٤ ج٥ ص٥٨، والقرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص١٢٨ مع اختلاف في الألفاظ واختصار في الرواية.

(٢) نظام النيسابوري: غرائب القرآن ج٥ ص٥٠ بهامش الطبري.

(٣) الطبري: جامع البيان مج٤ ج٥ ص٥٩، وأبو حيان: البحر المحيط ج٣ ص٦٤٣.

الرواية الواردة في كتاب التفسير (عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله قال يحيى بعض الحديث عن عمرو بن مرة قال: قال لي رسول الله ﷺ: اقرأ عليَّ، قلت آقْرَأُ عليك وعليك أُنزلَ؟ قال: فإني أُحبُّ أن أسمعه من غيري، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغتُ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَآءِ شَهِيداً قال: أمسك فإذا عيناه تَذْرِفَانِ)[١]، في هذه الرواية قال: (أمسك) وفي أخرى (حسبك)، وفي غيرها (كفّ)[٢]، والمراد التوقف عن القراءة، وجل المصادر والمراجع تروي هذا الخبر على أن بكاء النبي ﷺ كان من أجل حسن قراءة ابن مسعود رضي الله عنه، ولكن هناك فهم آخر في هذا مع ثبوت حسن قراءته، وهو أن النبي ﷺ بكى من المسؤولية التي جاءت في الآية، بدليل قول رسول الله ﷺ لابن مسعود حينما بلغها: (حسبك الآن)، فلو كان بكاؤه من أجل حسن القراءة، والتخشع فيها لما بكى عند هذه الآية فحسب، ذلك أن الآية فيها من المسؤولية الملقاة على عاتق النبي ﷺ ما لا يخفى، وبخاصة أنها تقدمت باستفهام عظيم ﴿فَكَيْفَ﴾، والشهادة في حد ذاتها مسؤولية جسيمة تقتضي الإحاطة بالمشهود عليه؛ جاء في نهاية رواية أخرى أوردها جلال الدين في تفسيره: (فبكى حتى اضطرب لحياه وجنباه وقال: يا رب هذا شهِدْتُ على من أنا بين ظهريه فكيف من لم أره؟)[٣]، وعلل ابن بطال[٤] بكاء النبي ﷺ عند تلاوته

(١) البخاري: صحيح البخاري بحاشية السندي ج٣ ص١١٩.

(٢) ينظر/ ابن حجر: فتح الباري ج١٠ ص٤٧١-٤٧٥.

(٣) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص١٨٠-١٨١.

(٤) ابن بَطَّال: سليمان بن محمد بن بطال البطليوسي، أبو أيوب (ت٤٠٤هـ) فقيه باحث، =

هذه الآية بقوله: (لأنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة وشدة الحال الداعية له إلى شهادته لأمته بالتصديق وسؤاله الشفاعة لأهل الموقف وهو أمر يحق له طول البكاء)(١)، وعلل ابن حجر بكاء النبي ﷺ بقوله: (والذي يظهر أنه بكى رحمة لأمته لأنه علم أنه لابد أنه يشهد عليهم بعملهم وعملهم قد لا يكون مستقيماً فقد يفضي إلى تعذيبهم)(٢)، وقال أبو حيان في البحر: (وبكاؤه والله أعلم هو إشفاق على أمته ورحمة لهم من هول ذلك اليوم)(٣)، ومع هذا فقد يكون حسن القراءة من عبد الله بن مسعود رضي الله عنه جسم صورة الموقف الرهيب في نفس رسول الله ﷺ حتى كان منه ما كان، ولا يراد بحسن القراءة التطريب، وإنما إعطاء الحروف حقها، والوقف عند مواطنه، وإخراج الاستفهام، والتعجب في حينه؛ فهي إذن قراءة متأنية لا تعنى بجمع الكلمات فقط، وإنما تستشعر ما في تلك الكلمات من معان فتبرزها كأنما هي مواقف حية يراها السامع بقلبه، كما يرى الناظر بنظره.

قوله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا

= تعلم بقرطبة، واشتهر بكتابه (المقنع) في أصول الأحكام، قالوا فيه: لا يستغني عنه الحكام. وكان من الشعراء أيضاً، يلقب بالعَيْن جودي، لكثرة ما كان يردده في أشعاره. الزركلي: الأعلام ج٣ ص١٣٢ بتصرف.

(١) ابن حجر: فتح الباري ج١٠ ص٤٧٦.

(٢) المرجع نفسه: ج١٠ ص٤٧٦.

(٣) أبو حيان: البحر المحيط ج٣ ص٦٤٤.

﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾ .

من المأثور عن عبد الله رضي الله عنه فيما يتعلق بهذه الآية أن المراد بالصلاة المسجد الذي تقام فيه؛ جاء في أحكام القرآن (أن المراد بذلك موضع الصلاة وهو المسجد قاله ابن عباس في قوله الثاني وعبد الله بن مسعود وعطاء وابن أبي رباح وعمرو بن دينار وعكرمة وغيرهم)[١]، ثم قال ابن العربي بعد هذا: (ويكون فيه تنبيه على المنع من قربان الصلاة نفسها لأنه إذا نهى عن دخول موضعها كرامة فهي بالمنع أولى)[٢].

وأخرج ابن جرير في جامع البيان (عن أبي عبيدة بن عبد الله عن أبيه في قوله: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ قال: هو الممر في المسجد)[٣].

وفي الجامع للقرطبي (قال ابن عباس وابن مسعود وعِكرمة والنّخَعِيّ: عابر السبيل الخاطِر المجتاز)[٤]، والمعنى أن المجنب لا ينبغي له المكوث في المسجد ولا القيام فيه، ورخص له في الاجتياز إن كان به طريقاً، أما المريض فقد بين ابن مسعود رضي الله عنه أنه الكسير والجريح، وللكسير أن يغتسل إذا أصابته الجنابة، أما الجريح الذي يخشى على جراحاته فلا يغتسل، بل يتيمم، أخرج ابن جرير في تفسيره (عن الضحاك عن ابن مسعود قوله: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ قال: المريض الذي قد أرخص له في التيمم هو

(١) ابن العربي: أحكام القرآن القسم الأول ص٤٣٣.

(٢) المرجع نفسه: القسم الأول ص٤٣٤.

(٣) الطبري: جامع البيان مج٤ ج٥ ص٦٣.

(٤) القرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص١٣٥، وابن العربي: أحكام القرآن القسم الأول ص٤٣٦ مع اختلاف في اللفظ.

الكسير والجريح فإذا أصابت الجنابة الكسير اغتسل والجريح لا يحل جراحته إلا جراحة لا يخشى عليها)(١)، أما ما روي عنه في قول الله -تعالى-: ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ فمنها ما يتعلق بمعنى الملامسة (عن طارق، عن عبد الله بن مسعود، قال: اللمس ما دون الجماع)(٢)، ومنها ما يتعلق بمسميات الملامسة (عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال: القبلة من اللمس وفيها الوضوء)(٣)، ومن معاني الملامسة جاء في الدر المنثور نقلاً عن الطبري (عن ابن مسعود أنه كان يقول في هذه الآية: ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾: هو الغمز)(٤)، وقد أجمل الشافعي المعاني كلها بقوله: (إذا أفضى الرجل بشيء من بدنه إلى بدن المرأة سواء كان باليد أو بغيرها من أعضاء الجسد تعلّق نقض الطهر به؛ وهو قول ابن مسعود وابن عمر والزهري وربيعة)(٥)، وبقول ابن مسعود رضي الله عنه أخذ الجمهور من الفقهاء؛ جاء في الجامع للقرطبي (قال ابن مسعود: أن الملامسة ما دون الجماع، وأن الوضوء يجب بذلك؛ وإلى هذا ذهب أكثر الفقهاء)(٦)، أما في كيفية التيمم فالمروي (عن عبد الله أنه قال: التيمم مسحتان بضرب الرجل بيديه الأرض يمسح بهما وجهه ثم يضرب بهما مرة أخرى فيمسح يديه إلى المفرقين)(٧).

(١) الطبري: جامع البيان مج٤ ج٥ ص٦٤.
(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢٩٧.
(٣) الطبري: جامع البيان مج٤ ج٥ ص٦٧، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٢٩٧.
(٤) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص١٨٤.
(٥) القرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص١٤٥.
(٦) المرجع نفسه: مج٣ ج٥ ص١٤٦.
(٧) الطبري: جامع البيان مج٤ ج٥ ص٧١.

قوله -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ .

جاء في تأويل هذه الآية (قال عبد الله بن مسعود: ذلك ثناء بعضهم على بعض)[(١)]، وفي البحر (قال ابن مسعود: يزكي بعضهم بعضاً لتقبل عليهم الملوك وسفلتهم ويواصلوهم بالرشا)[(٢)]، ثم قال القرطبي تعقيباً على قول ابن مسعود: (وهذا أحسن ما قيل)[(٣)]، وفي كتاب الدر المنثور (عن ابن مسعود قال: إن الرجل ليغدو بدينه ثم يرجع وما معه منه شيء يلقى الرجل ليس يملك له نفعاً ولا ضراً فيقول: والله إنك لذيت وذيت ولعله أن يرجع ولم يجد حاجته بشيء وقد أسخط الله عليه ثم قرأ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ ۚ﴾ الآية)[(٤)].

قوله -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ .

وفي معنى الجبت والطاغوت وردت آثار مختلفة عن الصحابة -رضوان الله عليهم- ذكرها القرطبي في تفسيره[(٥)]، والمروي (عن ابن

---

(١) القرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص١٥٩.
(٢) أبو حيان: البحر المحيط ج٣ ص٦٧٢.
(٣) القرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص١٥٩.
(٤) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص١٨٨، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣١٥، والطبري: جامع البيان مج٤ ج٥ ص٨١.
(٥) ينظر/ القرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص١٦١.

مسعود: الجبت والطاغوت ها هنا كعب بن الأشرف[(١)] وحُيَيْ بن أخطب[(٢)])[(٣)]، وقد ذكرهما على الإجمال، بينما عكرمة فصل فقال: (الجِبت حُيَيْ بن أخطب والطاغوت كعب بن الأشرف)[(٤)]، واستدل لذلك بقول الله -تعالى-: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [(٥)]، والسحر والكهانة لا يتحاكم إليهما، بل إلى القائم بهما، وهما من الذنوب الكبائر، ومن اعتقد فيهما وأنهما يؤثران لذاتهما فقد أشرك وكفر، (عن ابن مسعود قال: من أتى عرافاً[(٦)] أو ساحراً أو كاهناً[(٧)] فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد)[(٨)].

---

(١) كَعْب بن الأَشْرَف الطائي، من بني نبهان (ت٣هـ) شاعر جاهلي. كانت أمه من (بني النضير) فدان باليهودية. وكان سيداً في أخواله. له حصن قريب من المدينة، يبيع فيه التمر والطعام. أدرك الإسلام، ولم يُسلم. وأكثر من هجو النبيّ ﷺ وأصحابه، وتحريض القبائل عليهم وإيذائهم. أمر النبيّ ﷺ بقتله، فانطلق إليه خمسة من الأنصار، فقتلوه في ظاهر حصنه. الزركلي: الأعلام ج٥ ص٢٢٥.

(٢) حُيَيّ بن أخطب النَّضْري (ت ٥هـ) جاهلي، من الأشدّاء العتاة. كان ينعت بسيد الحاضر والبادي. أدرك الإسلام وآذى المسلمين، فأسروه يوم قريظة، ثم قتلوه. الزركلي: الأعلام ج٢ ص٢٩٢.

(٣) القرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص١٦١.

(٤) المرجع نفسه: مج٣ ج٥ ص١٦١.

(٥) سورة النساء: ٦٠.

(٦) العَرَّافُ: الكاهِنُ، والطَّبيبُ. الفيروزآبادي: القاموس المحيط ج٣ ص١٧٩.

(٧) الكاهن: تَكَهَّنَ تَكَهُّناً: قَضَى له بالغَيْبِ. فهو كاهِنٌ. المرجع نفسه: ج ٤ص٢٦٦.

(٨) القرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص١٦٢.

قوله -تعالى-: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ .

الحسد معصية وهو من الذنوب الكبيرة التي نهى الله عنها ورسوله ﷺ، وتأباها النفوس الكريمة الخيرية، والمأثور عن عبد الله رضي الله عنه في هذه الآية ما ذكره القرطبي في جامعه (قال عبد الله بن مسعود: لا تُعادُوا نِعم الله. قيل له: ومَن يعادي نِعم الله؟ قال: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ﴾)[١].

قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾.

الأمانات جمع أمانة وهي ما يؤتمن عليه الإنسان مادياً ومعنوياً، ومما يدل على عمومها ما أورده القرطبي في الجامع (ممن قال إن الآية عامة في الجميع: البراء بن عازب وابن مسعود وابن عباس وأبيّ بن كعب قالوا: الأمانة في كل شيء في الوضوء والصلاة والزكاة والجنابة والصوم والكيل والوزن والودائع)[٢]، وجاء في كتاب الكبائر (قال ابن مسعود: يؤتى يوم القيامة بصاحب الأمانة الذي خان فيها فيقال له: أد أمانتك فيقول: أنى يا رب وقد ذهبت الدنيا؟ قال فتمثل له كهيئتها يوم أخذها في قعر جهنم ثم يقال له: انزل إليها فأخرجها. قال: فينزل إليها فيحملها على عاتقه فهي عليه أثقل من جبال الدنيا حتى إذا ظن أنه ناج هوت وهوى في أثرها أبد الآبدين، ثم

(١) المرجع نفسه: مج٣ ج٥ ص١٦٢.
(٢) المرجع نفسه: مج٣ ج٥ ص١٦٦.

قال: الصلاة أمانة والوضوء أمانة والغسل أمانة والوزن أمانة والكيل أمانة وأعظم ذلك كله الودائع)[١]، ومما يدل على عظمها أن من قتل في سبيل الله تغفر ذنوبه كلها إلا الأمانة، والدّين؛ جاء في الدر المنثور (عن ابن مسعود قال: إن القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة، يجاء بالرجل يوم القيامة وإن كان قتل في سبيل الله فيقال له: أدّ أمانتك فيقول: من أين وقد ذهبت الدنيا؟ فيقال: انطلقوا به إلى الهاوية فينطلق فتمثل له أمانته كهيئتها يوم دفعت إليه في قعر جهنم فيحملها فيصعد بها حتى إذا ظن أنه خارج بها فهزلت (أي نزلت) عن عاتقه فهوت وهوى معها أبد الآبدين، قال زاذان: فأتيت البراء بن عازب فقلت: أما سمعت ما قال أخوك ابن مسعود قال: صدق: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾، والأمانة في الصلاة والأمانة في الغسل من الجنابة والأمانة في الحديث والأمانة في الكيل والوزن والأمانة في الدين وأشد ذلك الودائع)[٢].

قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾.

أورد جلال الدين السيوطي في كتابه الدر المنثور (عن عبد الله بن مسعود قال: لا طاعة لبشر في معصية الله)[٣].

(١) الذهبي: الكبائر ص١٦٢.

(٢) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص١٩٣، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٢٠.

(٣) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص١٩٦.

قوله -تعالى-: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾.

ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في عبد الله ونفر من الصحابة ﷺ؛ جاء في الغرائب للنيسابوري (قال ثابت بن قيس بن شماس: أما والله ليعلم مني الصدق لو أمرني محمد أن أقتل نفسي لقتلتها، وكذا قال ابن مسعود وعمار بن ياسر؛ فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إن من أمتي رجالاً الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي)[1].

قوله -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾.

أورد صاحب البحر (ذكر في حرف ابن مسعود: لولا أخرتنا إلى أجل قريب فنموت حتف أنفنا ولا نقتل فتسر بذلك الأعداء)[2]، وهذا من باب القراءة التفسيرية لا أنها قرآن؛ إذ القراءة الثابتة عن ابن مسعود رضي الله عنه ليس فيها هذا الحرف المشار إليه، والعجيب من صاحب البحر أنه لم يعقب عليها، في حين أنه في آية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً

(١) نظام النيسابوري: غرائب القرآن ج٥ ص٩٠-٩١ بهامش الطبري، وأبو حيان: البحر المحيط ج٣ ص٦٩٦، والزمخشري: الكشاف ج١ ص٥٣٩.
(٢) أبو حيان: البحر المحيط ج٣ ص٧١٥.

﴿يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمًا ٤٠﴾[١] (قرأ ابن مسعود مثقال نملة ولعل ذلك على سبيل الشرح للذرة)[٢].

قوله -تعالى-: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩﴾ .

جاء في الجامع للقرطبي (روى عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس وأُبَيّ وابن مسعود: (مآ أصابك مِن حسنةٍ فمن الله ومآ أصابكَ مِن سيئةٍ فمِن نَفْسِك وأنا كتبتها عليك) فهذه قراءة على التفسير، وقد أثبتها بعض أهل الزيغ من القرآن، والحديثُ بذلك عن ابن مسعود وأُبيٍّ منقطع؛ لأن مجاهداً لم ير عبد الله ولا أُبيًّا)[٣]، وجاء في البحر (في مصحف ابن مسعود (فمن نفسك وأنا قضيتها عليك) وروي أن ابن مسعود وأبياً قرءا (وأنا قدرتها عليك))[٤].

قوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ٨٦﴾ .

أورد جلال الدين في الدر المنثور نقلاً عن ابن مردويه (عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: السلام من أسماء الله وضعه الله في الأرض فأفشوه بينكم، وإذا مر رجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة

---

(١) سورة النساء: ٤٠.

(٢) أبو حيان: البحر المحيط ج٣ ص٦٤٢.

(٣) القرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص١٨٤.

(٤) أبو حيان: البحر المحيط ج٣ ص٧١٩.

لأنه ذكَّرهم السلام، وإن لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم وأفضل)[١]، يعني بذلك الملائكة، ثم قال السيوطي: إن هذا الحديث موقوف على ابن مسعود رضي الله عنه كما أخرجه البخاري في الأدب المفرد[٢].

قوله -تعالى-: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾.

في هذه الآية والتي بعدها جاءت مرويات عن ابن مسعود رضي الله عنه منها ما هو موقوف، ومنها ما هو مرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنها ما يتعلق بحكم عام، ومنها ما هو ملاصق لمعنى الآية، فما جاء مرفوعاً وعاماً في الآيتين ما أخرجه البخاري (عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ)[٣]، ومما جاء ملاصقاً لمعنى الآية قدر دية الخطأ، أورد الطبري في تفسيره (عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال: في الخطأ عشرون حقة وعشرون جذعة وعشرون بنات لبون وعشرون ابني لبون وعشرون بنات مخاض)[٤]،

(١) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٢٠٨، والقرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص١٩٥.

(٢) ينظر/ البخاري: الأدب المفرد (تصحيح: محمد عياد الخمسي) ن: دار مكتبة الحياة بيروت- لبنان ط١ (ت١٩٨٠م) ص٢٠٧.

(٣) البخاري: صحيح البخاري بحاشية السندي ج٤ ص١٨٦.

(٤) الطبري: جامع البيان مج٤ ج٥ ص١٣٣.

وهذا الحديث لا مطعن فيه، كما قال الدار قطني، أما الحديث الذي أورده صاحب المرويات نقلاً عن الترمذي (حدثنا علي بن سعيد الكندي الكوفي حدثنا ابن أبي زائدة عن الحجاج عن زيد بن جبير عن خشف بن مالك قال: سمعت ابن مسعود قال: قضى رسول الله ﷺ في دية الخطأ عشرين ابنة مخاض، وعشرين بني مخاض ذكوراً، وعشرين بنت لبون، وعشرين جذعة، وعشرين حقة)[1]، فقد عقب عليه الدارقطني فقال: (هذا حديث ضعيف غير ثابت عند أهل المعرفة بالحديث من وجوه عِدّة؛ أحدها أنه مخالف لما رواه أبو عُبيدة بن عبد الله ابن مسعود عن أبيه بالسند الصحيح عنه، الذي لا مطعن فيه ولا تأويل عليه، وأبو عبيدة أعلم بحديث أبيه وبمذهبه وفُتْياه من خِشف بن مالك ونظرائه، وعبد الله بن مسعود أتقى لربّه وأشحّ على دينه من أن يروي عن رسول الله ﷺ أنه يقضي بقضاء ويُفتي هو بخلافه؛ هذا لا يتوهّم مثله على عبد الله بن مسعود وهو القائل في مسألة وردت عليه لم يسمع فيها من رسول الله ﷺ شيئاً ولم يبلغه عنه فيها قول: أقول فيها برأيي فإن يكن صواباً فمن الله ورسوله، وإن يكن خطأ فمنّي؛ ثم بلغه بعد ذلك أن فُتْياه فيها وافَق قضاء رسول الله ﷺ في مثلها، فرآه أصحابه عند ذلك فرِح فرحاً شديداً لم يروه فرح مثله، لموافقة فتياه قضاء رسول الله ﷺ. فمن كانت هذه صفته وهذا حاله فكيف يصح عنه أن يروي عن رسول الله ﷺ شيئاً ويخالفه. ووجه

(١) الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج٢ ص٢٢٤، والسيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٢١٢، والترمذي: الجامع الصحيح ج٤ ص٦٤٢، والنسائي: المجتبى ج٨ ص٤٣-٤٤.

آخر: وهو أن الخبر المرفوع الذي فيه ذكرُ بني المخاض لا نعلمه رواه إلا خِشْف بن مالك عن ابن مسعود وهو رجل مجهول لم يروه عنه إلا زيد بن جُبير بن حَرْمل الجُشَمي وأهل العلم بالحديث لا يحتجّون بخبر ينفرد بروايته رجل غير معروف، وإنما يثبت العلم عندهم بالخبر إذا كان راويه عدلاً مشهوراً، أو رجلاً قد ارتفع عنه اسم الجهالة، وارتفاع اسم الجهالة عنه أن يَرْوِي عنه رجلان فصاعداً؛ فإذا كانت هذه صفته ارتفع عنه حينئذ اسم الجهالة، وصار حينئذ معروفاً. فأما من لم يرو عنه إلا رجل واحد وانفرد بخبر وجب التوقّف عن خبره ذلك حتى يوافقه عليه غيره. والله أعلم. ووجه آخر: وهو أن حديث خِشْف بن مالك لا نعلم أحداً رواه عن زيد بن جبير عنه إلا الحجاج بن أَرْطأة، والحجاج رجل مشهور بالتدليس وبأنه يحدّث عمن لم يَلْقه ولم يسمع منه؛ وترك الرواية عنه سفيانُ بن عُيينة ويحيى بن سعيد القطان وعيسى بن يونس بعد أن جالسوه وخبره، وكفاك بهم عِلماً بالرجل ونُبْلاً. وقال يحيى بن مَعِين: الحجاج بن أرطأة لا يُحتج بحديثه. وقال عبد الله بن إدريس: سمعت الحجاج يقول: لا يَنْبُل الرجل حتى يدع الصلاة في الجماعة. وقال عيسى بن يونس: سمعت الحجاج يقول: أخرج إلى الصلاة يزاحمني الحمّالون والبقالون. وقال جرير: سمعت الحجاج يقول: أهلكني حبّ المال والشرف. وذكر أوجهاً أُخَر؛ منها أن الجماعة من الثقات رَوَوْا هذا الحديث عن الحجاج بن أرطأة فاختلفوا عليه فيه. إلى غير ذلك مما يطول ذكره؛ وفيما ذكرناه كفايةٌ ودلالة على ضعف ما ذهب إليه الكوفيون في الدِّية، وإن كان ابن المنذر

مع جلالته قد اختاره. وروى حماد بن سلمة حدّثنا سليمان التيميّ عن أبي مِجْلَز عن أبي عبيدة أن ابن مسعود قال: دِيَة الخطأ خمسة أخماس: عشرون حقّة، وعشرون جذعة وعشرون بنات مخاض، وعشرون بنات لبون وعشرون بني لَبْون ذكور. قال الدَّارَقُطْني: هذا إسناد حسن ورواته ثقات)[١]، وهذه الدّية لكل وارث منها نصيب فيها إلا القاتل، فإنه لا يعطى منها (عن ابن مسعود يرث كل وارث من الدّية غير القاتل)[٢].

قوله -تعالى-: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ .

أخرج ابن جرير (عن مسروق عن ابن مسعود في قوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ قال: إنها المحكمة وما تزداد إلا شدة)[٣]، قال صاحب البحر: (قالت جماعة: لا تقبل توبته وعليه فإن مذهب ابن مسعود أنه لا توبة للقاتل، روي ذلك عن ابن مسعود وابن عمر وابن عباس)[٤]، ومما روي عنه في هذه الآية مرفوعاً ما نقله صاحب الدر عن البيهقي من كتابه شعب الإيمان (عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا)[٥]،

(١) القرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص٢٠٥، والدارقطني: السنن ج٣ ص١٠٧-١٠٩.
(٢) نظام النيسابوري: غرائب القرآن ج٥ ص١٣٧ بهامش الطبري، وأبو حيان: البحر المحيط ج٤ ص٢٣.
(٣) الطبري: جامع البيان مج٤ ج٥ ص١٣٩، والسيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٢١٧.
(٤) أبو حيان: البحر المحيط ج٤ ص٢٨.
(٥) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٢١٩.

والإنسان ما يزال في سعة من أمره ما اجتنب سفك الدماء عمداً، فإن وقع في الخطيئة فزع منه؛ روي (عن عبد الله بن مسعود قال: لا يزال الرجل في فسحة من دينه ما نقيت كفه من الدم فإذا غمس يده في الدم الحرام نزع حياؤه)(١)، وقد ناقش هذه القضية الحافظ ابن كثير.

وخلاصة الأمر أن للقاتل توبة فيما بينه وبين الله، وإن الله ﷻ يرضي المقتول، ويعوضه عن مظلمته(٢)، ومما رواه عبد الله ﵁ عن رسول الله ﷺ في الحث على اجتناب سفك الدماء، والأخذ بالثأر (عن مسروق عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ولا يؤخذ الرجل بجريرة أبيه، ولا بجريرة أخيه)(٣)، ومما أثر عنه في بيان حال المقتول مع القاتل يوم القيامة ما أورده الحافظ ابن كثير في تفسيره نقلاً عن ابن مردويه (عن أبي عمرو بن شرحبيل بإسناده عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: يجيئ المقتول متعلقاً بقاتله يوم القيامة آخذاً رأسه بيده الأخرى، فيقول: يا رب، سل هذا فيمَ قتلني؟ قال: فيقول: قتلته لتكون العزة لك، فيقول: فإنها لي؛ قال: ويجيئ آخر متعلقاً بقاتله فيقول: ربي سل هذا فيم قتلني؟ قال: فيقول: قتلته لتكون العزة لفلان، قال: فإنها ليست له بؤ بإثمه، قال: فيهوي في النار سبعين خريفاً)(٤)، وما ذلك إلا لعِظم ذنب القتل

(١) المرجع نفسه: ج٢ ص٢١٩ نقلاً عن البيهقي.
(٢) ينظر/ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٦٠.
(٣) النسائي: المجتبى ج٧ ص١٢٧، وابن حنبل: المسند ج٥ ص٣١١-٣١٢ واللفظ للنسائي.
(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٥٩، والسيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٢١٩.

وشناعته، وإن أي مقتول يقتل فإن على ابن آدم الأول (قابيل) نصيب منه؛ لأنه أول من سن القتل في الأرض؛ أخرج البخاري في صحيحه (عن مسروق عن عبد الله ﵁ عن النبي ﷺ قال: لَا تُقْتَلُ نفسٌ إلَّا كانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا)[١]، ولكن هناك أمور توجب قتل المسلم؛ أخرج البخاري في صحيحه (عن مسروق عن عبد الله قال: قال رسول اللهِ ﷺ: لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أنْ لَا إلهَ إلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسول اللهِ إلَّا بِإحْدى ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ للجماعةَ)[٢]، فهذه الأمور الثلاثة تبيح قتل المسلم، وما عداها فلا يجوز، فإذا كان القاتل عمداً يقتل، والقاتل خطأً يدفع الدّية مخففة فإن شبه العمد[٣] فيه ديّة مغلظة دون القصاص (عن علقمة والأسود قال عبد الله: في شبه العمد خمس وعشرون حقة، وخمس وعشرون جذعة، وخمس وعشرون بنات لبون، وخمس وعشرون بنات مخاض)[٤]، ومن نزاهة المؤمن أن لا يمثل بالمقتول عند قتله (عن علقمة عن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: أعَفُّ الناسِ قِتْلةً أهلُ الإيمان)[٥]، (ومعنى الحديث

---

(١) البخاري: صحيح البخاري بحاشية السندي ج٤ ص١٨٦.

(٢) المرجع نفسه: ج٤ ص١٨٨.

(٣) شبه العمد: هو أن ترمي إنساناً بشيء ليس من عادته أن يقتل فصادف قضاء وقدراً فيقع في مقتل فيقتل فيجب فيه الدية دون القصاص. الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج٢ ص٢٢٢.

(٤) أبو داود: السنن ج٤ ص٦٨٦.

(٥) ابن حنبل: المسند ج٥ ص٢٧٥.

أن أرحم الناس بخلق الله وأبعدهم عن التمثيل والتشويه بالمقتول وإطالة تعذيبه إجلالاً لخالقهم وامتثالاً لما صدر عن النبي ﷺ من قوله: (إذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة) هم أهل الإيمان)(١).

قوله -تعالى-: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾.

إن مقاييس الآخرة تختلف عن مقاييس الدنيا وإن اتفقت في الاسم، فإن المسمى مختلف، فالدرجة في مقاييس الدنيا الحسية هي عتبة الدار، لكنها في الآخرة تحسب بالسنين؛ جاء في الدر المنثور (عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: من رمى بسهم في سبيل الله فله درجة فقال رجل: يا رسول الله وما الدرجة؟ قال: أما إنها ليست بعتبة أمك، ما بين الدرجتين مائة عام)(٢).

قوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾.

في كتب الفقه والتفسير لا تقصر الصلاة إلا إذا كان السفر مباحاً أو في طاعة، والمأثور عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ما ذكره صاحب البحر (روي عن ابن مسعود أنه لا يقصر إلا في حج أو جهاد)(٣)؛ لأن الواجب لا

(١) الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج٢ ص٢١٦.

(٢) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٢٢٦، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٦٨.

(٣) أبو حيان: البحر المحيط ج٤ ص٤٧، وابن قدامة: المغني ج٢ ص٢٦١، والقرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص٢٢٨.

يترك إلا لواجب، أما المسافة التي تبيح قصر الصلاة، فقد اختلف فيها الصحابة ومن بعدهم، وبيّن ذلك كله القرطبي في تفسيره[١]، وابن قدامة في المغني[٢]، والمأثور عن ابن مسعود رضي الله عنه (أنه يقصر في مسيرة ثلاثة أيام)[٣]، وفي كتاب الجامع (قال الكوفيون: لا يقصر في أقل من مسيرة ثلاثة أيام؛ وهو قول عثمان وابن مسعود وحذيفة)[٤]، وفي أحكام القرآن لابن العربي (عن ابن مسعود أنه كان يقدره (أي حد القصر) بثلاثة أيام يعلمهم بأن السفر كل خروج تكلف له وأدركت فيه المشقة)[٥]، ومع هذا فقد ذكروا أنه يتم في السفر؛ لأنه يرى القصر رخصة لا عزيمة، ووافقه من الصحابة عثمان، وسعد بن أبي وقاص، وابن عمر، وعائشة رضي الله عنهم جميعاً، وقد أخذ بهذا الحكم من بعدهم الأوزاعي، والشافعي، ومالك في أشهر قوليه[٦]، وجاء في تفسير الحافظ ابن كثير (عن عبد الرحمن بن يزيد يقول: صلى بنا عثمان ابن عفان رضي الله عنه بمنى أربع ركعات، فقيل في ذلك لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه فاسترجع، ثم قال: صليت مع رسول الله ﷺ بمنى ركعتين، وصليت مع أبي بكر بمنى ركعتين، وصليت مع عمر بن الخطاب بمنى ركعتين، فليت حظي من أربع ركعات ركعتان

---

(١) ينظر/ المرجع نفسه: مج٣ ج٥ ص٢٢٧ فما بعد.

(٢) ينظر/ ابن قدامة: المغني ج٢ ص٢٥٥ فما بعد.

(٣) المرجع نفسه: ج٢ ص٢٢٥.

(٤) القرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص٢٢٧-٢٢٨.

(٥) ابن العربي: أحكام القرآن القسم الأول ص٤٨٨.

(٦) ينظر/ ابن قدامة: المغني ج٢ ص٢٦٧-٢٦٨.

متقبلتان)[١]، فهذا القول منه يدل على أنه يرى القصر في الصلاة أفضل من الإتمام، حتى إنه تمنى أن تكون له ركعتان متقبلتان خيراً من أربع لا يدري ما مصيرهن، والأشبه برسول الله ﷺ هدياً ودلاً وسمتاً لا تتأتى منه مخالفة ما كان عليه رسول الله ﷺ، ولعل هذا -أي الإتمام الذي أشير إليه- يكون خاصاً بمنى في أيام الحج، حيث تبع عثمان رضي الله عنه حين أتم صلاته، وذلك للبعد عن الخلاف، كما جاء في تاريخ الطبري (قال ابن مسعود: الخلاف شر)[٢]، وأوضح من هذا كله ما أورده الكتاني في كتابه المعجم (عن عمير مولى[٣] ابن مسعود أنه خرج مع عبد الله بن مسعود وهو رديفه على بغلة له مسيرة أربعة فراسخ فصلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين، والأسانيد إلى عثمان وابن مسعود وحذيفة في غاية الصحة كما يقول ابن حزم)[٤]، فكيف إذن ينسب إليه إتمام الصلاة في السفر؟!

قوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٧٥، وابن قدامة: المغني ج٢ ص٢٥٥، وابن العربي: أحكام القرآن القسم الأول ص٤٩٠.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٤ ص٢٦٨.

(٣) عمير أبو عمران: ابن عمير مولى عبد الله بن مسعود عتاقة، روي عن عبد الله قال: أخبرنا الفضل بن دكين قال: حدثنا محمد بن قيس عن عمران بن عمير وكانت أمه سرية عبد الله عند أبيه وهي أمه: أن أباه صلى مع عبد الله يوم الجمعة قال: فركب عبد الله وذهب أبي معه إلى ضيعة له دون القادسية فلما انتهى إلى نهر الحيرة نزل فصلى العصر ركعتين. ابن سعد: الطبقات ج٦ ص٢٠٩ باختصار.

(٤) الكتاني: معجم فقه السلف ج٢ ص١٦٥-١٦٩.

وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةًۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ ﴾.

الصلاة ركن من أركان الدين لا تترك في صحة، ولا مرض، ولا إقامة، ولا سفر، بل وفي الحرب لابد أيضاً من إقامتها؛ أخرج أبو داود في سننه (عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الخوف فقاموا صفاً خلف رسول الله ﷺ وصف مستقبل العدو، فصلَّى بهم رسول الله ﷺ ركعة، ثم جاء الآخرون فقاموا مقامهم واستقبل هؤلاء العدو، فصلى بهم النبي ﷺ ركعة، ثم سلم، فقام هؤلاء فصلوا لأنفسهم ركعة، ثم سلموا، ثم ذهبوا فقاموا مقام أولئك مستقبلي العدو، ورجع أولئك إلى مقامهم فصلوا لأنفسهم ركعة، ثم سلموا)(١)، وهذه الصلاة تعرف بصلاة الخوف، وفي كيفية إقامتها خلاف وفق الروايات المختلفة، وقد ذكرها القرطبي في تفسيره(٢)، وقال صاحب المرويات: (وبهذه

(١) أبو داود: السنن ج٦ ص٣٥٣-٣٥٥، وابن حنبل: المسند ج٥ ص١٩١ واللفظ لأبي داود.

(٢) ينظر/ القرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص٢٣٤ فما بعد، وابن جُزَيّ: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي، أبو القاسم (ت٧٤١هـ) فقيه من العلماء بالأصول واللغة. من أهل غرناطة. من كتبه (القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية)، و(تقريب الأصول)، و(الفوائد العامة)، و(التسهيل في علوم التنزيل) وغيرها. وهو من شيوخ لسان الدين ابن الخطيب. فقد وهو يحرض الناس يوم معركة طريف. الزركلي: الأعلام ج٥ ص٣٢٥ باختصار. التسهيل لعلوم التنزيل ن: الدار العربية للكتاب لاط لات ص١٥٥-١٥٦.

الكيفية قال أبو حنيفة وأصحابه إلا أبا يوسف واختارها أشهب المالكي والأوزاعي وهي جائزة عند أحمد وابن جرير والشافعية)[١].

قوله -تعالى-: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ .

ذكر جلال الدين السيوطي في تفسيره لهذه الآية (عن ابن مسعود أنه بلغه أن قوماً يذكرون الله قياماً فأتاهم فقال: ما هذا؟ قالوا سمعنا الله يقول: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ فقال: إنما هذه إذا لم يستطع الرجل أن يصلي قائماً صلى قاعداً)[٢]، فهو يرى أن هذه صلاة المريض لا مطلق الذكر؛ إذ الصلاة في حد ذاتها مشتملة على الأذكار المفروضة، والمسنونة؛ أورد القرطبي في جامعه (أن عبد الله بن مسعود رأى الناس يَضِجّون في المسجد فقال: ما هذه الضجة؟ قالوا: أليس الله -تعالى- يقول: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ ؟ قال: إنما يعني بهذه الصلاةَ المكتوبة إن لم تستطع قائماً فقاعداً، وإن لم تستطع فَصَلّ على جنبك. فالمراد نفس الصلاة؛ لأن الصلاة ذكر الله -تعالى-، وقد اشتملت على الأذكار المفروضة والمسنونة)[٣].

أما تأويل قول الله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ فإن المروي عن ابن مسعود رضي الله عنه في تأويلها آثار، منها ما

---

(١) الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج١ ص٦٠٥.

(٢) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٢٣٦.

(٣) القرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص٢٤٠.

أخرجه ابن جرير في تفسيره (عن قتادة في قوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ قال: قال ابن مسعود: إن للصلاة وقتاً كوقت الحج)[1]، وجاء في البحر (﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي واجبة في أوقات معلومة قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة وزيد بن أسلم وابن قتيبة)[2]، والصلاة إذا أديت في وقتها كانت من أحب الأعمال إلى الله؛ أخرج البخاري في صحيحه (عن الوليد بن العَيْزار[3] أخبرني قال: سمعت أبا عمرو الشيباني يقول: حدثنا صاحب هذه الدار وأشار إلى دار عبد الله قال: سَأَلْتُ النبيَّ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَىَ اللهِ؟ قالَ: الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا، قالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قالَ: ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، قالَ: حَدَّثَني بِهنَّ وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي)[4]، أما تركها جحوداً فهو الكفر بعينه، والتأخير عن ميقاتها فيه

---

(١) الطبري: جامع البيان مج٤ ج٥ ص١٦٧، والسيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٢٣٦-٢٣٧، وابن العربي: أحكام القرآن القسم الأول ص٤٩٨.

(٢) أبو حيان: البحر المحيط ج٤ ص٥٤.

(٣) الوليد بن عيزار بن حريث العيدي الكوفي روى عن أبيه وأنس وعكرمة وأبي عمرو الشيباني وعنه يونس بن أبي إسحاق وأبو يعقوب ومالك بن مغول وإسرائيل والمسعودي وشعبة، وغيرهم، قال ابن معين وأبو حاتم: ثقة ذكره ابن حبان في الثقات، وقال العجلي: كوفي ثقة. ابن حجر: تهذيب التهذيب ن: مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند بمحروسة حيدر أباد الدكن عزها الله إلى أقصى الزمن دار صادر بيروت ط١ (ت١٣٢٧هـ) ج١١ ص١٤٥.

(٤) البخاري: صحيح البخاري بحاشية السندي ج١ ص١٠٢، والنسائي: المجتبى ج١ ص٢٩٢.

إثم كبير، جاء في معجم فقه السلف للكتاني (قيل لابن مسعود: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾[١] ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾[٢] فقال: ذلك على مواقيتها قالوا: ما كنا نرى ذلك إلا على تركها؟ قال: تركها هو الكفر، وقال: إن للصلاة وقتاً كوقت الحج فصلوا الصلاة لميقاتها)[٣].

قوله -تعالى-: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾﴾ .

جاء في تفسير الحافظ ابن كثير (عن أبي وائل، قال: قال عبد الله: كان بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم ذنباً أصبح قد كتب كفارة ذلك الذنب على بابه، وإذا أصاب البول منه شيئاً قرضه[٤] بالمقراض، فقال رجل: لقد آتى الله بني إسرائيل خيراً، فقال عبد الله رضي الله عنه: ما آتاكم الله خير مما آتاهم، جعل الماء لكم طهوراً، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ﴾[٥]، وقال ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[٦])[٧]، وهذا من باب علم ابن مسعود رضي الله عنه بأخبار الأمم السالفة.

---

(١) سورة المعارج: ٢٣.

(٢) سورة المؤمنون: ٩.

(٣) الكتاني: معجم فقه السلف ج٢ ص٢٠٥.

(٤) قرضه: قَرَض الشيءَ قَطَعه. الرازي: مختار الصحاح ص٥٢٩.

(٥) سورة آل عمران: ١٣٥.

(٦) سورة النساء: ١١٠.

(٧) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٨٩، والسيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٢٤١.

قوله -تعالى-: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ .

أورد السيوطي في تفسيره (عن ابن مسعود موقوفاً ومرفوعاً قال: من صلى صلاة عند الناس لا يصلي مثلها إذا خلى فهي استهانة استهان بها ربه، ثم تلا هذه الآية: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾)[(١)]، وهذه لا تكون إلا من منافق معلوم النفاق؛ كما قال في آية أخرى من هذه السورة: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[(٢)].

قوله -تعالى-: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

جاء في الجامع للقرطبي في تأويل هذه الآية وآية (٦٤) من هذه السورة (قال عبد الله بن مسعود من قرأ هاتين الآيتين من سورة النساء ثم استغفر غفر له ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾)[(٣)].

قوله -تعالى-: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾ .

---

(١) المرجع نفسه: ج٢ ص٢٤١.

(٢) سورة النساء: ١٤٢.

(٣) القرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص٢٤٤، والسيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٢٤١.

جاء في الدر المنثور (عن أبي عمرو الشيباني قال: حدثني صاحب هذه الدار يعني عبد الله بن مسعود قال: سأل رسول الله ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: الصلاة على ميقاتها قلت: ثم ماذا يا رسول الله؟ قال: بر الوالدين قلت: ثم ماذا يا رسول الله؟ قال: أن يسلم الناس من لسانك قال: ثم سكت ولو استزدته لزادني)(١)، فالمسلم الحق من سلم المسلمون من لسانه ويده، واللسان أكبر من اليد أذية؛ لأنه يتناول الحاضر، والغائب، والميت، والحي، وهو السبب الموصل إلى الخطايا، ثم النار (عن ابن مسعود قال: أكثر الناس خطايا أكثرهم خوضاً في الباطل)(٢). ولعل هذا الحكم استقاه ابن مسعود من قول رسول الله ﷺ: (أَكْثَرُ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ مِنْ لِسَانِهِ)(٣)، ومن الحديث الطويل الذي أجاب فيه رسول الله ﷺ عن سؤال معاذ (أخْبرني بِعَمَلٍ يُدْخِلُني الجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُني مِنَ النَّارِ؟ قالَ ... أَلا أُخْبِرُكَ بِمِلاكِ ذلكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلى يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هذا قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ عَلى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟)(٤).

قوله -تعالى-: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَأَمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ

---

(١) المرجع نفسه: ج٢ ص٢٤٢.

(٢) المرجع نفسه: ج٢ ص٢٤٤.

(٣) الطبراني: الكبير حديث رقم: (١٠٤٤٦).

(٤) ابن ماجه: السنن حديث رقم: (٣٩٧٣).

ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾.

أخرج ابن جرير في جامع البيان في تأويل هذه الآية (عن إبراهيم قال: قال عبد الله: لعن الله المتفلجات والمتنمصات والمستوشمات المغيرات خلق الله)(١)، وفي سنن النسائي (عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يلعن المتنمصات والمتفلجات والموتشمات اللاتي يغيرن خلق الله ﷻ)(٢)، وفي الرواية الأخرى لابن جرير (عن علقمة عن عبد الله قال: لعن رسول الله ﷺ الواشمات والموتشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله)(٣)، ومن أمثلة تغيير خلق الله ما أخرجه النسائي في سننه (عن عبد الله بن مسعود أن نبي الله ﷺ كان يكره عشر خصال الصفرة يعني الخلوق وتغيير الشيب...)(٤)، هذا ما أثر عن ابن مسعود رضي الله عنه، ومن الصحابة من يرى أن المقصود بتغيير خلق الله الدين، أي تبديل أحكامه، والتهاون به؛ ذكر ذلك ابن جرير في تفسيره(٥) وهو المرتضى عنده.

قوله -تعالى-: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا

---

(١) الطبري: جامع البيان مج٤ ج٥ ص١٨٣.

(٢) النسائي: المجتبى ج٨ ص١٤٨.

(٣) الطبري: جامع البيان مج٤ ج٥ ص١٨٣، وأبو حيان: البحر المحيط ج٤ ص٧١، والنسائي: المجتبى ج٨ ص١٤٦.

(٤) المرجع نفسه: ج٨ ص١٤١.

(٥) ينظر/ الطبري: جامع البيان مج٤ ج٥ ص١٨٠ فما بعد.

﴿يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣﴾ .

أورد صاحب الدر المنثور في تأويل هذه الآية (عن ابن مسعود قال: إن الوجع لا يكتب به الأجر إنما الأجر في العمل ولكن يكفر الله به الخطايا)(١)، ولعل هذا مأخوذ من حديث رسول الله ﷺ الذي يرويه هو نفسه؛ كما جاء في صحيح البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك فقلت: يا رسول الله إنك توعك وعكاً شديداً قال: أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم قلت: ذلك بأن لك أجرين؟ قال: أجل ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها)(٢)، أو مما روي (عنْ أبي سَعيدٍ الخُدْرِيِّ، وأبي هُرَيْرَةَ -رضي اللهُ عنهما-، عَنِ النبيِّ ﷺ قال: مَا يُصِيب الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ ولَا وَصَبٍ، ولَا هَمٍّ ولَا حَزَنٍ، ولَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا إلَّا كَفَّرَ اللهُ بهَا منْ خَطايَاهُ)(٣)، فيكون من باب تفسير القرآن بالسنة.

قوله -تعالى-: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾ .

جاء في تفسير ابن كثير (عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: إن الله اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً)(٤)، وفي رواية أخرى

(١) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٢٥١.
(٢) ابن حجر: فتح الباري ج١٠ ص١١١.
(٣) البخاري: الصحيح حديث رقم: (٥٦٤١).
(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٤٠٣.

موقوفة على عبد الله بن مسعود ﵁ أوردها جلال الدين السيوطي في الدر المنثور وفيها زيادة، هذا لفظها (عن ابن مسعود قال: إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً وإن صاحبكم خليل الله وإن محمداً سيد بني آدم يوم القيامة ثم قرأ (عسى الله أن يبعثك ربك مقاماً محموداً))(١)، ومما روي عن عبد الله ﵁ في هذا المقام وفيه منقبة لأبي بكر الصديق ﵁ ما أخرجه مسلم في صحيحه (عن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكنه أخي وصاحبي وقد اتخذ الله ﷿ صاحبكم خليلاً)(٢).

قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾﴾.

المأثور عن عبد الله ﵁ فيما يتعلق بهذه الآية ما أخرجه مسلم في صحيحه (عن أبي وائل عن عبد الله قال: قال أناس لرسول الله ﷺ: أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال: أما من أحسن منكم في الإسلام فلا يؤاخذ بها ومن أساء أخذ بعمله في الجاهلية والإسلام)، وفي رواية أخرى زيادة (ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر)(٣)، وهذا من تفسير القرآن بالسنة.

---

(١) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٢٥٣، والآية من سورة الإسراء: ٧٩.

(٢) النووي: شرح صحيح مسلم ج١٠ ص١٥١، وابن حنبل: المسند ج٥ ص٢٠٢ واللفظ لمسلم.

(٣) مسلم: صحيح مسلم مج١ ج١ص٧٧-٧٨.

قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾.

أورد الحافظ ابن كثير في معنى هاتين الآيتين (عن أبي الأحوص، عن عبد الله هو ابن مسعود، قال: مثل المؤمن والمنافق والكافر مثل ثلاثة نفر انتهوا إلى وادٍ، فوقع أحدهم فعبر، ثم وقع الآخر حتى إذا أتى على نصف الوادي ناداه الذي على شفير الوادي: ويلك أين تذهب إلى الهلكة، ارجع عودك على بدئك؛ وناداه الذي عبر: هلم إلى النجاة؛ فجعل ينظر إلى هذا مرة وإلى هذا مرة؛ قال: فجاءه سيل فأغرقه؛ فالذي عبر هو المؤمن، والذي غرق المنافق ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ﴾ والذي مكث الكافر)(١)، وهذا من ابن مسعود رضي الله عنه تصوير لمعنى الذبذبة، أي المتردد بين هذا وذاك، ويكون أمره كذلك حتى يختم عليه؛ جاء في المفردات للراغب (الذّبْذَبَةُ حِكايَةُ صَوْتِ الحَرَكَةِ للشيءِ المعلَّقِ، ثم اسْتُعِيرَ لكُلِّ اضْطِرَابٍ وحركةٍ قالَ تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي مُضْطَرِبينَ مائِلينَ تَارَةً إلى المؤْمِنينَ وَتَارَةً إلى الكَافرينَ)(٢).

قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾.

أخرج البخاري في صحيحه (عن الأسود قال: كنا في حلقة عبد الله

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٤٢٠، والسيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٢٥٩.
(٢) الراغب: المفردات ص١٧٧.

فجاء حذيفة حتى قام علينا فسلم ثم قال: لقد أُنزل النفاق على قوم خير منكم. قال الأسود سبحان الله إن الله يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ ، فتبسم عبد الله وجلس حذيفة في ناحية المسجد فقام عبد الله فتفرق أصحابه فرماني بالحصا فأتيته فقال حذيفة: عجبت من ضَحِكِهِ وقد عرف ما قلت لقد أُنزل النفاق على قوم كانوا خيراً منكم ثم تابوا فتاب الله عليهم)[١]، وقد شرح هذا الحديث ابن حجر في فتح الباري، وبيّن أن الصحابة خير من التابعين، ومع ذلك وقع من بعضهم النفاق، فمنهم من تاب، ومنهم من لم يتب، ومن تاب تاب الله عليه، والمراد عدم الاغترار بالدين، وصلاح الظاهر، ثم قال: (ويستفاد من حديث حذيفة أن الكفر والإيمان والإخلاص والنفاق كل بخلق الله -تعالى- وتقديره وإرادته)[٢]، ومما روي عنه في تأويل هذه الآية ما أورده صاحب الدر المنثور (عن أبي الأحوص قال: قال ابن مسعود: أي أهل النار أشد عذاباً؟ قال رجل: المنافقون قال: صدقت فهل تدري كيف يعذبون؟ قال: لا، قال: يجعلون في توابيت من حديد تصمد (أي تغلق) عليهم ثم يجعلون في الدرك الأسفل في تنانير أضيق من زُجٍّ[٣] يقال له: جب الحزن يطبق على أقوام بأعمالهم آخر الأبد)[٤]، وجاء في البحر

(١) البخاري: صحيح البخاري بحاشية السندي ج٣ ص١٢٢-١٢٣.
(٢) ابن حجر: فتح الباري ج٩ ص٣٣٥.
(٣) الزُّجُّ: بالضم الحَديدة التي في أَسْفَل الرُّمْح. الرازي: مختار الصحاح ص٢٦٨.
(٤) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٢٦٠، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٤٢٢ مع اختلاف في الألفاظ واتفاق في المعنى، والقرطبي: الجامع مج٣ ج٥ ص٢٧٣.

لأبي حيان (قال ابن مسعود وأبو هريرة: هي من توابيت من حديد متعلقة في قعر جهنم والنار سبع دركات)[١]، وهذا التأويل من ابن مسعود وأبي هريرة رضي الله عنهما لا يكون من باب الاجتهاد والرأي، وإنما هو من طريق السماع، وإن لم يصرحا به؛ لأنه من الأمور الغيبية التي لا يتوصل إليها إلا من طريق الوحي والسنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ؛ أما ما روي عنه في تأويل بقية الآية فهو ما أخرجه ابن جرير في تفسيره (عن خيثمة[٢] عن عبد الله ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ قال: توابيت من نار تطبق عليهم، وأما قوله: ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ فإنه يعني ولن تجد لهؤلاء المنافقين يا محمد من الله إذا جعلهم في الدرك الأسفل من النار ناصراً ينصرهم منه فينقذهم من عذابه ويدفع عنهم أليم عقابه)[٣].

ومن المأثور عن عبد الله رضي الله عنه فيما يتعلق بهذه الآية والآية التي قبلها بيان بعض علامات المنافق؛ أخرج النسائي في سننه (عن أبي وائل قال: قال عبد الله ثلاث من كن فيه فهو منافق: إذا حدث كذب، وإذا ائتمن خان، وإذا وعد أخلف، فمن كانت فيه واحدة منهن لم تزل فيه خصلة من النفاق حتى يتركها)[٤]، في هذا الحديث ترهيب من الاتصاف بالخصال القبيحة

---

(١) أبو حيان: البحر المحيط ج٤ ص١١٢.

(٢) خيثمة بن عبد الرحمن ابن أبي سبره واسمه يزيد بن مالك من مدحج ... عن خيثمة بن عبد الرحمن أنه أدرك ثلاثة عشر رجلاً من أصحاب النبي ﷺ ما منهم أحد غيّر شيئاً. ابن سعد: الطبقات ج٦ ص٢٨٦-٢٨٧ بتصرف واختصار.

(٣) الطبري: جامع البيان مج٤ ج٥ ص٢١٧، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٤٢٢.

(٤) النسائي: المجتبى ج٨ ص١١٧ .

جنبنا الله الوقوع فيهن، والاتصاف بهن، أو بواحدة منهن.

قوله -تعالى-: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا (١٥٧)﴾.

أخرج الإمام أحمد في مسنده فيما يتعلق بهذه الآية حديثاً مطولاً فيه منقبة لسيدنا عيسى عليه السلام، وما يكون من أمر نزوله قبيل قيام الساعة (عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: لقيتُ ليلةَ أُسريَ بي إِبراهيمَ وموسى وعيسى، قال: فتذاكروا أمر الساعة، فرَدُّوا أمرهم إلى إبراهيم، فقال: لا علم لي بها، فرَدُّوا الأمر إلى موسى، فقال: لا علم لي بها، فرَدُّوا الأمر إلى عيسى فقال: أمّا وجْبَتُها (أي لحظة وقوعها) فلا يعلمها أحد إلا الله. ذلك وفيما عَهد إليَّ ربي عز وجل أن الدجال خارج، قال: ومعي قضيبان، فإذا رآني يذوب كما يذوب الرَّصاص، قال: فيهلكه الله، حتى إن الحجر والشجر ليقول: يا مسلم، إن تحتي كافراً، فتعالَ فاقتلْه، قال: فيهلكُهم الله، ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم، قال: فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حَدَبٍ يَنْسِلون، فيطؤون بلادهم، لا يأتون على شيء إلا أهلكوه، ولا يمرون على ماء إلا شربوه، ثم يرجع الناس إليَّ فيشكونَهم، فأدعو الله عليهم، فيهلكهم الله ويميتهم، حتى تَجْوَى الأرضُ من نَتْن ريحهم، قال: فينزل الله عز وجل المطر، فَتَجْرِف أجسادَهم حتى يقذفهم في البحر، ففيما عهد إليّ ربي عز وجل أن ذلك إذا كان كذلك فإن الساعة كالحامل المُتِمِّ لا يدري أهلها متى تَفْجَؤُهم بوِلادها ليلاً

أو نهاراً)[١].

قوله -تعالى-: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾.

أخرج البخاري في صحيحه (عن أبي وائل عن عبد الله رضي الله عنه قال: لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللهِ وَلِذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ. قلت: سمعتَه من عبد الله؟ قال: نعم قلت: ورفعه. قال: نعم)[٢]، قال الشريف العبدلي بعد إيراده لهذا الحديث في مروياته: وردت زيادة لم تكن في البخاري، ولفظه: (وقع في هذه الرواية زيادة لم تذكر في روايات البخاري وهي قوله: وليس أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل)[٣]، وقد جمع جلال الدين السيوطي بين لفظ البخاري ومسلم في رواية واحدة جاء في الدر المنثور (عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ لا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه، ولا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين)[٤]، أما ما يستنبط من الحديث فقد جاء في المرويات (أن الله

---

(١) ابن حنبل: المسند ج٥ ص١٨٩-١٩٠.

(٢) البخاري: صحيح البخاري بحاشية السندي ج٣ ص١٢٩.

(٣) الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج١ ص٨٨.

(٤) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٢٧٢، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٤٥٦.

يغار وأنه أشد غيرة من سائر عباده المؤمنين. وفيه تحذير شديد من اقتحام حمى المعاصي والآثام المؤدية للهلاك والطرد عن دار السلام. وأن الله ﷻ يحب تقديم الحجة لعباده قبل أن يأخذهم بالعقوبة، ومن أجل ذلك أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب حتى ينقطع عذرهم يوم القيامة)[1].

قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾﴾.

ذكر اليعقوبي في تاريخه (أنه لما اشتد أمر المشركين على المسلمين وبالغوا في إيذائهم في حين أن الرسول عليه السلام كان في أمن بسبب حماية عمه له أمر أصحابه بالهجرة إلى الحبشة فكان عددهم في المرّة الأولى اثنا عشر رجلاً، وفي المرّة الثانية سبعون رجلاً سوى أبنائهم ونسائهم وقال لهم عليه السلام: ارحلوا مهاجرين إلى أرض الحبشة إلى النجاشيّ فإنّه يحسن الجوار)[2]، وصدق رسول الله ﷺ فيما قال؛ وهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يحدث عما حدث في الهجرة الثانية؛ أورد جلال الدين السيوطي في الدر المنثور نقلاً عن البيهقي من كتابه الدلائل (عن ابن مسعود قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ونحن ثمانون رجلاً ومعنا جعفر بن أبي طالب، وبعثت قريش

---

(١) الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج١ ص٩٠-٩١ باختصار.

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٩.

عمارة وعمرو بن العاص ومعهما هدية إلى النجاشي فلما دخلا عليه سجدا له وبعثا إليه بالهدية وقالا: إن ناساً من قومنا رغبوا عن ديننا وقد نزلوا أرضك، فبعث إليهم حتى دخلوا عليه فلم يسجدوا له فقالوا: مالكم لم تسجدوا للملك؟ فقال جعفر: إن الله بعث إلينا نبيه فأمرنا أن لا نسجد إلا لله، فقال عمرو بن العاص: إنهم يخالفونك في عيسى وأمه قال: فما يقولون في عيسى وأمه؟ قالوا: نقول كما قال الله: هو روح الله وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسها بشر فتناول النجاشي عوداً فقال: يا معشر القسيسين والرهبان ما تزيدون على ما يقول هؤلاء ما يزن هذه، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، فأنا أشهد أنه نبي ولوددت أني عنده فأحمل نعليه، فانزلوا حيث شئتم من أرضي)[١].

قوله -تعالى-: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾.

المروي عن ابن مسعود رضي الله عنه في تأويل هذه الآية ما ذكره السيوطي في الدر المنثور (عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: في قوله: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ قال: أجورهم يدخلهم الجنة ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾: الشفاعة فيمن وجبت لهم النار ممن صنع إليهم المعروف في الدنيا)[٢]، هذه الرواية مرفوعة إلى رسول الله ﷺ

(١) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٢٧٣.
(٢) المرجع نفسه: ج٢ ص٢٧٣.

والرواية الموقوفة أثبت وأجود؛ لأن الطبري رواه مرفوعاً من طريق ضعيف[١].

هذا ما أمكن جمعه فيما يختص بسورة النساء من مرويات ابن مسعود رضي الله عنه في تأويلها والله أعلى وأعلم. ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٢].

(١) ينظر/ السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٢٧٣، والسيوطي: الإكليل ص٨٥، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٤٦٢.

(٢) سورة الإسراء: ٨٥.

تفسير سورة المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾ .

أورد الحافظ ابن كثير في تأويل هذه الآية (أن رجلاً أتى عبد الله بن مسعود، فقال: اعهد إليّ؛ فقال: إذا سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فأرعها سمعك، فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه)(١).

قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢﴾ .

المأثور عن ابن مسعود رضي الله عنه في تأويل هذه الآية منها ما هو موقوف، ومنها ما هو مرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن الموقوف ما جاء في الدر المنثور (عن ابن مسعود قال: الإثم حواز(٢) القلوب فإذا حز في قلب أحدكم شيء فليدعه)(٣)، ومن المرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذكره جلال الدين السيوطي في كتابه الدر المنثور (عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٤٧٠.

(٢) الحواز: في الحديث (الإثْمُ (حَوَازُّ) القُلُوب): يعني ما حَزّ فيها وحَكّ ولم يطمئن عليه القَلْب. الرازي: مختار الصحاح ص١٣٤.

(٣) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٢٨٠.

الإثم حواز القلوب وما من نظرة إلا للشيطان فيها مطمع)[١].

أما ما أثر عنه في تأويل آخر الآية عند قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ فقد أورد صاحب الدر المنثور (عن عبد الرحمن بن عبد الله ابن مسعود عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: من أعان قوماً على ظلم فهو كالبعير المتردي فهو ينزع بذنبه، ولفظ الحاكم: مثل الذي يعين قومه على غير الحق كمثل البعير المتردي فهو يمد بذنبه)[٢]، وهذا من تفسير القرآن بالسنة، وهو منهج ابن مسعود رضي الله عنه.

قوله -تعالى-: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾.

ذكر صاحب الكشاف في قول الله -تعالى-: ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ (التي نطحتها أخرى فماتت بالنطح (ثم قال) وقرأ عبد الله والمنطوحة)[٣]، وهي قراءة تفسيرية لا قرآن، ومعلوم أن فعيل يأتي بمعنى مفعول، وهذا ما أوضحه ابن مسعود رضي الله عنه؛ لأنه لفظ قرآني يتلى. أما ما روي عنه في قوله -تعالى-: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ فهو ما أخرجه الدار قطني في سننه (عن

(١) المرجع نفسه: ج٢ ص٢٨٠.
(٢) المرجع نفسه: ج٢ ص٢٨١.
(٣) الزمخشري: الكشاف ج١ ص٥٩٢.

علقمة، عن عبد الله قال: أراه رفعه قال: ذَكَاةُ الجنينِ ذَكَاةُ أُمِّهِ)[١]، قال القرطبي في جامعه بعد إيراد هذا الحديث: (وبه يقول جماعة أهل العلم)[٢]، أما في كيفية ذكاة الحوت فقد جاء في معجم فقه السلف (عن ابن مسعود: ذكاة الحوت فك لحييه)[٣]، وما استعصيت تذكيته فإن أي موضع يراق منه الدم فهو ذكاة له، (سئل ابن مسعود عن حمار وحشي استعصى على أهله فضربوا عنقه فقال: بتلك أسرع الذكاة)[٤]، أما تأويل قوله -تعالى-: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾ فالمروي عن عبد الله رضي الله عنه ما جاء في كتاب الدر المنثور للسيوطي نقلاً عن البيهقي (عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: إن الشيطان قد يئس أن تعبد الأصنام بأرض العرب ولكن سيرضى منكم بدون ذلك بالمحقرات وهي الموبقات يوم القيامة فاتقوا المظالم ما استطعتم)[٥].

قوله -تعالى-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ

(١) الدارقطني: السنن ج٤ ص١٥٨.
(٢) القرطبي: الجامع مج٣ ج٦ ص٣٦.
(٣) الكتاني: معجم فقه السلف ج٤ ص١٧٠.
(٤) المرجع نفسه: ج٤ ص٢٠٢.
(٥) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٢٨٣.

﴿لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦﴾.

أثر عن ابن مسعود رضي الله عنه في تأويل هذه الآية مرويات عدة، منها ما جاء في فضل الوضوء؛ أخرج الإمام أحمد في مسنده (عن زِرّ عن ابن مسعود: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له: كيف تعرف مَنْ لم يَرَكَ من أمتك؟ فقال: إنهم غُرٌّ(١) محجلون(٢) بُلْقٌ(٣) من آثار الوضوء)(٤)، والمراد من هذا الحديث بياض وجوه المؤمنين يوم القيامة بنور الوضوء، وكذلك يكون النور على بقية الأعضاء، وبه يتميزون عن غيرهم من الأمم، وفي هذا أفضلية الوضوء وماله من الأثر في الدنيا والآخرة؛ لذا استحب كثير من السلف، والحنفية، والشافعية إطالة الغرة والتحجيل(٥)، ومنها ما جاء في جامع البيان للطبري (عن هزيل بن شرحبيل عن ابن مسعود قال: خللوا الأصابع بالماء لا تخللها النار)(٦)، هذا حديث موقوف على ابن مسعود رضي الله عنه، وقد أخرج الدار قطني في سننه عن عائشة رضي الله عنها وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا لفظه (عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خَلّلوا بينَ أصابِعكُم لا يُخللها اللهُ عزَّ وجلَّ يومَ القيامةِ في

---

(١) غُرٌّ: (الغُرَّةُ) بالضم بياض في جَبْهة الفَرس فوقَ الدِّرهم . . . و(الأَغَرُّ) أيضاً الأبيض. الرازي: مختار الصحاح ص٤٧١.

(٢) محجلون: (التَّحْجِيلُ) بَيَاض في قوائم الفَرَس. المرجع نفسه ص١٢٤.

(٣) بُلْقٌ: (البَلَق) سواد وبياض وكذا (البُلْقة) بالضم يقال: فَرَسٌ (أبْلق) وفرس (بَلْقاء). المرجع نفسه: ص٦٤.

(٤) ابن حنبل: المسند ج٥ ص٣١٤.

(٥) ينظر/ الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج١ ص٣٥٧.

(٦) الطبري: جامع البيان مج٤ ج٦ ص٨١.

النارِ)[١]، ولعل ابن مسعود ﷺ ممن سمعه من رسول الله ﷺ ولكن لتحرجه في الرواية لم يذكر رسول الله ﷺ، وأيّا ما كان فهو من تفسير القرآن بالسنة، ومما جاء في تفسير ابن جرير (عن زر عن عبد الله أنه كان يقرأ وأرجلكم بالنصب)[٢]، ثم ساق رواية أخرى (عن الأعمش قال: كان أصحاب عبد الله يقرؤنها وأرجلَكُم فيغسلون)[٣]، وهذا الحكم -أي غسل الرجلين- قال به ابن مسعود، وابن عباس، وعروة، وعطاء، وعكرمة، والحسن، ومجاهد، وإبراهيم، والضحاك، والسدي، ومقاتل ابن حيان، والزهري، وإبراهيم التيمي، ذكر هؤلاء الحافظ ابن كثير في تفسيره[٤]، ثم عقد فصلاً كاملاً في وجوب غسل الرجلين جمع فيه الآثار المبينة لذلك تحت عنوان: ((ذكر الأحاديث الواردة في غسل الرجلين وأنه لا بد منه)) فلمن أراد الاطلاع والتوسعة، فليرجع إليه في موضعه، ومما نسب إلى ابن مسعود ﷺ (أنه قال: لا بأس أن تبدأ برجليك قبل يديك)[٥]، أي أن ترتيب أعضاء الوضوء عنده غير لازم، فسبحان الله! كيف يكون منه هذا؟! وهو الملازم لرسول الله -عليه الصلاة والسلام- في حله وترحاله، وهو صاحب وضوءه ونعليه؛ لذا قال الدار قطني في

---

(١) الدارقطني: السنن ج١ ص٧٠.

(٢) الطبري: جامع البيان مج٤ ج٦ ص٨١، والقرطبي: الجامع مج٣ ج٦ ص٦٢، والسيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٢٨٨.

(٣) الطبري: جامع البيان مج٤ ج٦ ص٨٢.

(٤) ينظر/ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٥١١.

(٥) أبو حيان: البحر المحيط ج٤ ص١٩٣.

سننه بعد إخراج الحديث: (هذا مرسل ولا يثبت)(١)، أما ما روي عنه في تأويل قول الله -تعالى-: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ۚ﴾ فقد أورد صاحب البحر أنه قال: (قال عمر وابن مسعود: لا يتيمم الجنب البتة بل يدع الصلاة حتى يجد الماء)(٢)، وفي هذا القول شيء من عدم الدقة، فهذا القرطبي وهو أقدم منه تاريخاً يقول في جامعه (عن عمر وابن مسعود: إنهما رجعا إلى ما عليه الناس وإن الجنب يتيمم)(٣)، والاعتبار دائماً بالخاتمة، ومما يتعلق بقوله: ﴿أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ ذكر القرطبي في جامعه (روى عبيدة عن عبد الله بن مسعود أنه قال: القُبلة من اللمس، وكل ما دون الجماع لَمْسٌ)(٤)، جاء في الموطأ (عَنْ مَالِكٍ؛ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يَقُولُ: مِنْ قُبْلَةِ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ الْوُضُوء)(٥).

قوله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾.

مما يتعلق بهذه الآية ما أورده الحافظ ابن كثير في تفسيره (عن مسروق

(١) الدارقطني: السنن ج١ ص٦٤.
(٢) أبو حيان: البحر المحيط ج٤ ص١٩٣.
(٣) القرطبي: الجامع مج٣ ج٦ ص٦٩.
(٤) المرجع نفسه: مج٣ ج٦ ص٧٠.
(٥) مالك: الموطأ ج١ ص٤٤.

قال: كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو يقرئنا القرآن، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، هل سألتم رسول الله ﷺ كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبد الله: ما سألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك، ثم قال: نعم، ولقد سألنا رسول الله ﷺ فقال: اثنا عشر كعدة نقباء بني إسرائيل)[١]، ولقد عقب الحافظ ابن كثير على هذه الرواية بأنها غريبة من هذا الوجه[٢]، ثم أورد حديثاً مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ يؤيد به صحة المعنى الذي جاء في رواية ابن مسعود، وهذا لفظه: (وأصل هذا الحديث ثابت في الصحيحين من حديث جابر بن سمرة، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً، ثم تكلم النبي ﷺ بكلمة خفيت علي، فسألت، أي ماذا قال النبي ﷺ؟ قال: كلهم من قريش)[٣]، ثم عقب الحافظ ابن كثير بعد ذلك بقوله: (ولا يلزم من هذا تواليهم وتتابع أيامهم، بل قد وجد منهم أربعة على نسق وهم الخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم، ومنهم عمر بن عبد العزيز بلا شك عند الأئمة وبعض بني العباس، ولا تقوم الساعة حتى تكون ولا يتهم لا محالة)[٤]، ويكون ما ذكره ابن مسعود رضي الله عنه من تفسير القرآن بالسنة، والإلمام بإخبار الرسول ﷺ عما يكون في المستقبل.

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٥٢٥، والسيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٢٩٤.
(٢) ينظر/ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص ٥٢٥.
(٣) المرجع نفسه: ج٢ ص٥٢٥.
(٤) المرجع نفسه: ج٢ ص٥٢٥.

قوله -تعالى-: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾.

أورد الزمخشري في كشافه (قرأ عبد الله قسية: أي ردية مغشوشة)[1]، ذكر القرطبي في جامعه (قرأ الكِسائي وحمزة: قَسِيَّة بتشديد الياء من غير ألف؛ وهي قراءة ابن مسعود والنَّخَعيّ ويحيى بن وثّاب)[2]، وهذه قراءة تفسيرية لا قرآناً يتلى فيما نسب إلى ابن مسعود رضي الله عنه، أما ما روي عنه في قول الله -تعالى-: ﴿وَنَسُوا۟ حَظًّا﴾ فقد جاء في غرائب القرآن للنيسابوري (عن ابن مسعود قد يُنَسَّى المرء بعض العلم بالمعصية)[3].

قوله -تعالى-: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ .

أخرج البخاري في صحيحه (عن طارق بن شهاب قال: سمعت ابن مسعود يقول: شهدتُ من المقداد بن الأسود مشهداً لَأَنْ أكون صاحبه أحبُّ إِليَّ مما عدل به، أتى النبيَّ ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال: لَا نَقُولُ كما قالَ قَوْمُ مُوسى: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا ، وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ وَبينَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ؛ فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره

(١) الزمخشري: الكشاف ج١ ص٦٠٠.

(٢) القرطبي: الجامع مج٣ ج٦ ص٧٦.

(٣) نظام النيسابوري: غرائب القرآن مج٤ ج٦ ص٩٦ بهامش الطبري، و الزمخشري: الكشاف ج١ ص٦٠٠ ، وأبو حيان: البحر المحيط ج٤ ص٢٠٦.

يعني قوله)[١].

قوله -تعالى-: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ .

مما أثر عن ابن مسعود رضي الله عنه في هذه الآية ما أخرجه ابن جرير في تفسيره (عن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يولد لآدم مولود إلا ولد معه جارية فكان يزوج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر ويزوج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر حتى ولد له ابنان يقال لهما: قابيل وهابيل، وكان قابيل صاحب زرع وكان هابيل صاحب ضرع وكان قابيل أكبرهما، وكان له أخت أحسن من أخت هابيل، وإن هابيل طلب أن ينكح أخت قابيل فأبى عليه وقال: هي أختي ولدت معي وهي أحسن من أختك وأنا أحق أن أتزوجها، فأمره أبوه أن يزوجها هابيل فأبى، وأنهما قربا قرباناً إلى الله أيهما أحق بالجارية، وكان آدم يومئذ قد غاب عنهما إلى مكة ينظر إليها، قال الله لآدم: يا آدم هل تعلم أن لي بيتاً في الأرض؟ قال: اللهم لا، قال: فإن لي بيتاً بمكة فأته، فقال آدم للسماء: احفظي ولدي بالأمانة فأبت. وقال للأرض فأبت، وقال للجبال فأبت، وقال لقابيل فقال: نعم تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرك، فلما انطلق آدم قربا قرباناً وكان قابيل يفخر عليه، فقال: أنا أحق بها منك، هي أختي وأنا أكبر منك وأنا وصي والدي فلما قربا قرب هابيل جذعة سمينة، وقرب قابيل حزمة سنبل، فوجد فيها سنبلة عظيمة ففركها فأكلها فنزلت النار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل فغضب

(١) البخاري: صحيح البخاري بحاشية السندي ج٣ ص٣.

وقال: لأقتلنك حتى لا تنكح أختي، فقال هابيل: إنما يتقبل الله من المتقين)(١)، وهذه الرواية وإن كانت موقوفة على ابن مسعود رضي الله عنه إلا أن ما فيها يحتاج إلى سماع؛ إذ لا مجال للاجتهاد والرأي فيها؛ أما ما جاء على لسان آدم عليه السلام مخاطباً السماء وغيرها: (احفظي ولدي بالأمانة) إلى آخره فهو يشير به إلى قول الله -تعالى-: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾(٢).

قوله -تعالى-: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

لما كانت هذه الآيات الثلاثة مرتبطة ببعضها البعض تدور على معنىً واحد وهو ما حدث بين ابني آدم عليه السلام جعلتهن معاً، فمما أثر عن ابن مسعود رضي الله عنه فيما يتعلق بهن من معاني وأحداث ما أورده جلال الدين السيوطي في كتابه الدر المنثور (عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يكون فتنة النائم فيها خير من المضطجع والمضطجع خير من القاعد، والقاعد خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، قتلاها كلها في النار، قلت: يا رسول الله فيم تأمرني إن أدركت ذلك؟ قال:

(١) الطبري: جامع البيان مج٤ج٦ص١٢١-١٢٢، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ص٥٤٢-٥٤٣.

(٢) سورة الأحزاب: ٧٢.

ادخل بيتك قلت: أفرأيت إن دخل عليّ؟ قال: قل: بؤ بإثمي وإثمك، وكن عبد الله المقتول)[١]، ومما أثر عنه في هذه الآيات ما أخرجه ابن جرير في جامع البيان (عن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ إني أريد أن تبؤ بإثمي وإثمك، يقول: إثم قتلي إلى إثمك الذي في عنقك فتكون من أصحاب النار)[٢]، وذكر أبو حيان في البحر (عن ابن مسعود وابن عباس والحسن وقتادة: تحمل إثم قتلي وإثمك الذي كان منك قبل قتلي)[٣]، أخرج البخاري في صحيحه (عن مسروق عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْماً إِلَّا كانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ)[٤]، وفي كيفية قتل أخيه ما ذكره القرطبي في الجامع مختصراً، وسيأتي في الآية التي بعدها مفصلاً (قال ابن عباس وابن مسعود: وجده نائماً فشدخ رأسه بحجر وكان ذلك في ثَوْر- جبل بمكة-)[٥].

قوله -تعالى-: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾.

(١) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٣٠٢، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٥٤٦.
(٢) الطبري: جامع البيان مج٤ ج٦ ص١٢٤.
(٣) أبو حيان: البحر المحيط ج٤ ص٢٣٠، ونظام النيسابوري: غرائب القرآن مج٤ ج٦ ص١١٦ بهامش الطبري.
(٤) البخاري: صحيح البخاري بحاشية السندي ج٢ ص٢٢٩.
(٥) القرطبي: الجامع مج٣ ج٦ ص٩١.

وفي كيفية قتل قابيل لأخيه هابيل ما أخرجه ابن جرير في جامع البيان (عن مرة عن عبد الله وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ فطلبه ليقتله فراغ الغلام منه في رؤوس الجبال وأتاه يوماً من الأيام وهو يرعى غنماً له في جبل وهو نائم فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات فتركه بالعراء)(١)، ثم أكمل الكيفية بما رواه (عن مرة عن عبد الله وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ لما مات الغلام تركه بالعراء ولا يعلم كيف يدفن فبعث الله غرابين أخوين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه فحفر له ثم حثا عليه فلما رآه قال: يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فهو قول الله: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾)(٢)، فكان هابيل أول مقبور من بني آدم، وهذه الكيفية أيضاً تكون من باب السماع وإن لم يصرح بذلك؛ لأنها من أخبار الماضي السحيق.

قوله -تعالى-: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ .

جاء في جامع البيان للطبري فيما يتعلق بهذه الآية (عن مرة الهمداني عن عبد الله وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ قوله: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ عند المقتول يقول في الإثم،

(١) الطبري: جامع البيان مج٤ ج٦ ص١٢٦، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٥٤٩، والسيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٣٠٢.
(٢) الطبري: جامع البيان مج٤ ج٦ ص١٢٧.

ومن أحياها فاستنقذها من هلكة فكأنما أحيا الناس جميعاً عند المستنقذ)[١]، وجاء عن ابن عباس مثل هذا المعنى، وفي الآية تفاسير أخر أوردها القرطبي في جامعه[٢].

قوله -تعالى-: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨﴾ .

روي عن ابن مسعود رضي الله عنه في هذه الآية قراءة مغايرة لرسم المصحف، وهي في الحقيقة قراءة بيانية تفسيرية، كما ذكر جلال الدين السيوطي في كتابه الإكليل (قرأ ابن مسعود: أيمانهما وهي مُبَيّنة للمراد، واستدل بعموم القراءة المشهورة من أجاز قطع اليسرى أولا)[٣]، أما القدر الذي تقطع فيه اليد فقد وردت فيه روايات عدة، والذي تُعنى به هذه الدراسة ما أثر عن ابن مسعود، أورد الحافظ ابن كثير في تفسيره (ذهب بعض السلف إلى أنه تقطع يد السارق في عشرة دراهم، أو دينار أو ما يبلغ قيمته واحداً منهما، يحكى هذا عن علي وابن مسعود وإبراهيم النخعي وأبي جعفر الباقر رحمهم الله تعالى)[٤]، وفي سنن النسائي (عن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قطع في قيمة خمسة دراهم)[٥]، وما جاء في سنن النسائي أقرب لما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أخرج البخاري في صحيحه

(١) الطبري: جامع البيان مج٤ ج٦ ص١٢٩، والسيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٣٠٤.
(٢) ينظر/ القرطبي: الجامع مج٣ ج٦ ص٩٦-٩٧.
(٣) السيوطي: الإكليل ص٩١، والقرطبي: الجامع مج٣ ج٦ ص١٠٩.
(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٥٦٩.
(٥) النسائي: المجتبى ج٧ ص٨٢.

(حدثني نافع عن عبد الله قال: قطع النبي ﷺ في مجن ثمنه ثلاثة دراهم)[١]، وفي القدر الذي تقطع فيه اليد خلاف بين العلماء؛ قال صاحب سبل السلام: (اختلف الجمهور في قدر النصاب بعد اشتراطهم له على أقوال بلغت إلى عشرين قولاً، والذي قام الدليل عليه منها قولان: الأول أن النصاب الذي تقطع به ربع دينار من الذهب، وثلاثة دراهم من الفضة، وهذا مذهب فقهاء الحجاز والشافعي وغيرهم.... والقول الثاني... أكثر فقهاء العراق أنه لا يوجب القطع إلا سرقة عشرة دراهم ولا يجب في أقل من ذلك)[٢].

قوله -تعالى-: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

أثر عن ابن مسعود رضي الله عنه في تأويل هذه الآية روايات عدة، منها ما جاء في تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (قوله: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ أي الباطل، ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ﴾ أي الحرام، وهو الرشوة؛ كما قاله ابن مسعود وغير واحد)[٣]، كما جاء في جامع البيان لابن جرير (عن مسروق عن علقمة أنهما سألا ابن مسعود عن الرشوة فقال: هي السحت قالا: في الحكم؟ قال: ذاك كفر، ثم تلا هذه الآية ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ

---

(١) البخاري: صحيح البخاري بحاشية السندي ج٤ ص١٧٤.
(٢) الأمير الصنعاني: سبل السلام ج٤ ص١٨-١٩ بتصرف يسير.
(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٥٧٦، والسيوطي: الإكليل ص٩٢.

﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[١])[٢]، ومما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه في هذه الآية ما أورده القرطبي في تفسيره (قال ابن مسعود وغيره: السُّحْت الرّشا)[٣]، وشرح ابن جرير معنى السحت فقال: (أصل السحت كَلَبُ الجوع، يقال: منه فلان سحوت المعدة إذا كان أكولاً لا يُلْقَى أبداً إلا جائعاً، وإنما قيل للرشوة: السحت، تشبيهاً بذلك، كأن بالمسترشي من الشره إلى أخذ ما يعطاه من ذلك مثل الذي بالمسحوت المعدة من الشره إلى الطعام)[٤]، وفي القاموس (السُّحْتُ بالضم وبِضَمَّتَيْنِ الحَرامُ أو ما خَبثَ من المَكاسِبِ فَلَزِمَ عنه العارُ... والمَسْحوتُ الجَوْفِ: مَنْ لا يَشْبَعُ ومَن يَتْخِمُ كثيراً...)[٥]، ومما أثر عن ابن مسعود في بيان بعض صور السحت ما جاء في كتاب الدر المنثور (عن ابن مسعود قال: من شفع لرجل ليدفع عنه مظلمته أو يرد عليه حقاً فأهدى له هدية فقبلها فذلك السحت فقيل: يا أبا عبد الرحمن إنا كنا نعد السحت الرشوة في الحكم فقال عبد الله: ذلك الكفر ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾)[٦]، وفي رواية أخرى له (عن ابن مسعود أنه سئل عن السحت أهو الرشوة في الحكم؟ قال: لا ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ

---

(١) سورة المائدة: ٤٤.

(٢) الطبري: جامع البيان مج٤ ج٦ ص١٥٥، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٥٧٨.

(٣) القرطبي: الجامع مج٣ ج٦ ص١١٩، والطبري: جامع البيان مج٤ ج٦ ص١٥٥.

(٤) المرجع نفسه: مج٤ ج٦ ص١٥٦.

(٥) الفيروز آبادي: القاموس المحيط ج١ ص١٥٥.

(٦) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٣١١.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(١)، ولكن السحت أن يستعينك رجل على مظلمة فيهدي لك فتقبله فذلك السحت)(٢)، وروى أبو حيان في كتابه البحر (عن ابن مسعود ومسروق: أن المال المأخوذ على الشفاعة سحت)(٣)، ولم يكتف مسروق تلميذ ابن مسعود بالقول بل طبق ذلك في الواقع؛ أخرج ابن جرير في جامع البيان (عن هاشم بن صبيح قال: شفع مسروق لرجل في حاجة فأهدى له جارية فغضب غضباً شديداً وقال: لو علمت أنك تفعل هذا ما كلَّمت في حاجتك ولا أكلم فيما بقي من حاجتك، سمعت ابن مسعود يقول: من شفع شفاعة ليرد بها حقاً أو يرفع بها ظلماً فأهدى له فقبل فهو سحت، فقيل له: يا أبا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك إلا الأخذ على الحكم قال: الأخذ على الحكم كفر)(٤)، ولعل ما ذهب إليه ابن مسعود رضي الله عنه من أن أخذ المال، أو الهدية عن الشفاعة يكون مأخوذاً من حديث رسول الله ﷺ الذي أورده الذهبي في الكبائر نقلاً عن سنن أبي داود (عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من شفع لرجل شفاعة فأهدى له عليها هدية فقد أتى باباً كبيراً من أبواب الربا)(٥)، ومما أخرجه ابن جرير أيضاً (عن مسروق سألت ابن مسعود عن السحت أهو الرشا في الحكم فقال: لا، من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر،

---

(١) سورة المائدة: ٤٥.

(٢) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٣١٢، والقرطبي: الجامع مج٣ ج٦ ص١١٩.

(٣) أبو حيان: البحر المحيط ج٤ ص٢٦٣.

(٤) الطبري: جامع البيان مج٤ ج٦ ص١٥٥، والذهبي: كتاب الكبائر ص١٤٣.

(٥) المرجع نفسه: ص١٤٣.

ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو ظالم، ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو فاسق، ولكن السحت يستعينك الرجل على المظلمة فتعينه عليها فيهدي لك هدية فتقبلها)[١]، هذا حكم الأخذ، أما الدافع للرشوة فلا إثم عليه عند ابن مسعود رضي الله عنه؛ ذكر القرطبي في جامعه فقال: (عن عبد الله بن مسعود أنه كان بالحبشة فَرَشا دينارين وقال: إنما الإثم على القابض دون الدافع)[٢]، هذا إذا قصد بالرشوة دفع الظلم عنه، أو التوصل إلى حقه، أما إذا قصد بها أذية المسلم، أو نيل ما لا يستحق فهو داخل في اللعنة الواردة في الحديث الذي نقله الذهبي عن ابن حبان (عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم)[٣]، ثم شرح الذهبي معنى الحديث فقال: (قال العلماء: فالراشي هو الذي يعطي الرشوة، والمرتشي هو الذي يأخذ الرشوة، وإنما تلحق اللعنة الراشي إذا قصد بها أذية مسلم أو ينال بها ما لا يستحق، أما إذا أعطى ليتوصل إلى حق له أو يدفع عن نفسه ظلماً فإنه غير داخل في اللعنة)[٤].

قوله -تعالى-: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ .

(١) الطبري: جامع البيان مج٤ ج٦ ص١٥٦.
(٢) القرطبي: الجامع مج٣ ج٦ ص١٢٠.
(٣) الذهبي: كتاب الكبائر ص١٤٣.
(٤) المرجع نفسه: ص١٤٣.

المأثور عن عبد الله رضي الله عنه في هذه الآية ما أورده أبو حيان في كتابه البحر (﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس والحسن: نزلت في الجاحدين حكم الله، وهي عامة في كل من جحد حكم الله)[١]، وذكر أيضاً صاحب البحر في تأويل قول الله -تعالى-: (﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم﴾ ذهب ابن مسعود وإبراهيم وعطاء وجماعة، ولكن كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق، يعني أنّ كفر المسلم ليس مثل كفر الكافر وكذلك ظلمه وفسقه لا يخرجه ذلك عن الملة)[٢]، إن كان قد فعل ما فعل وهو يعلم أنه مرتكب حراماً، فهذا أمره إلى الله إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له؛ ذكر القرطبي في كتابه الجامع: (﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ قال ابن مسعود والحسن: هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين واليهود والكفار أي معتقداً ذلك ومستحِلاً له؛ فأمّا من فعل ذلك وهو معتقد أنه راكب محرّم فهو من فساق المسلمين، وأمره إلى الله تعالى إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له)[٣].

قوله -تعالى-: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ .

أخرج البخاري في صحيحه (عن مسروق عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسول اللهِ

(١) أبو حيان: البحر المحيط ج٤ ص٢٦٦.
(٢) المرجع نفسه: ج٤ ص٢٦٩.
(٣) القرطبي: الجامع مج٣ ج٦ ص١٢٤، والزمخشري: الكشاف ج١ ص٦١٦.

إِلَّا بِإِحْدى ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ الجماعةَ)[١]، وأورد الحافظ ابن كثير في تفسيره تحت عنوان (مسألة) فلو اقتصّ المجني عليه من الجاني فمات من القصاص أقوالاً أربعة[٢] الذي يعنى هذه الدراسة ما أثر عن عبد الله رضي الله عنه (قال ابن مسعود وإبراهيم النخغي والحكم بن عتيبة وعثمان البستي: يسقط عن المقتص له قدر تلك الجراحة، ويجب الباقي في ماله)[٣]، أما ما يتعلق بقول الله -تعالى-: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ جاء في البحر المحيط لأبي حيان: (المتصدق صاحب الحق ومستوفي القصاص الشامل للنفس والأعضاء وللجروح التي فيها القصاص، وهو ضمير يعود على التصدق فالتصدق كفارة للمتصدق، والمعنى أن من تصدق بجرحه يكفر عنه، قاله عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وجابر وأبو الدرداء وقتادة والحسن والشعبي)[٤]، أما فيما يقتص به أعني الآلة التي يؤخذ بها الحق؛ أخرج الدارقطني في سننه (عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا قودَ إلا بسلاحٍ)[٥]، أي السيف وما يقوم مقامه من كل آلة حادة، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه لا يرغب في الإسراع بتطبيق الحدود، بل يحث الناس على دفعها بأدنى شبهة؛ أخرج

(١) البخاري: صحيح البخاري بحاشية السندي ج٤ ص١٨٨.
(٢) ينظر/ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٥٨٢.
(٣) المرجع نفسه: ج٢ ص٥٨٢.
(٤) أبو حيان: البحر المحيط ج٤ ص٢٧٦.
(٥) الدارقطني: السنن ج٣ ص٦٢.

الدارقطني في سننه (عن عمرو بن شعيب عن أبيه: أن عبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وعقبة بن عامر الجهني قالوا: إذا اشتبه عليك الحد، فادرأه ما استطعت)[(١)]، وما ذهب إليه ابن مسعود ومن معه من الصحابة رضي الله عنهم لعله يكون مأخوذ من الحديث المرفوع الذي أخرجه الدارقطني (عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ادْرَءُوا الحُدُودَ ما اسْتَطَعْتُم عَن المسلمينَ، فَإنْ وَجَدتُّم للمسلمِ مَخْرَجاً فَخلّوا سَبيلَهُ، فإنَّ الإمامَ لأَن يُخطئَ في العفوِ خَيْرٌ لَهُ منْ أنْ يُخطئَ في العُقُوبَةِ)[(٢)].

قوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

المناداة إلى الصلاة هو ما يعرف بالأذان وهو إعلام بدخول وقت الصلاة، وفي ألفاظه وكيفياتها وردت آثار متعددة، الذي يهمني منها ما أثر عن عبد الله رضي الله عنه؛ جاء في الجامع للقرطبي (قال أبو إسحاق السَّبِيعيّ: كان أصحاب عليّ وابن مسعود يشفّعون الأذان والإقامة؛ فهذا أذان الكوفيين)[(٣)]، والقيام بالأذان طاعة لله -سبحانه وتعالى- لا ينبغي للمسلم أن يتخذه مصدر رزق كأي عمل آخر؛ أورد الكتاني في معجمه (قال ابن مسعود: أربع لا يؤخذ عليهن أجر: الأذان وقراءة القرآن والمقاسم والقضاء ولا يعرف لابن مسعود ولابن عمر في هذا مخالف من

(١) المرجع نفسه: ج٣ ص٦٠.

(٢) المرجع نفسه: ج٣ص٦٠.

(٣) القرطبي: الجامع مج٣ ج٦ ص١٤٨.

الصحابة)[١]، ومما يدل على فضل الأذان وأن لصاحبه الأجر العظيم ما ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره: (قال ابن مسعود رضي الله عنه: لو كنت مؤذناً ما باليت أن لا أحج ولا أعتمر ولا أجاهد)[٢]، والأذان كما يسن للجماعة يسن للمنفرد وبخاصة إذا كان في فلاة، أو جبل، أو كان مسافراً؛ أخرج الإمام أحمد في المسند (عن أبي الأحوص عن عبد الله ابن مسعود قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره. سمعنا منادياً ينادي: الله أكبر، الله أكبر، فقال نبي الله ﷺ: على الفِطْرة، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقال نبي الله ﷺ: خرج من النار، قال: فابتدرناه فإذا هو صاحب ماشيةٍ أدركتْه الصلاة فنادَى بها)[٣]، قال الشريف العبدلي: يستنبط من هذا الحديث فضل الأذان، وأنه يسن للمنفرد[٤].

قوله -تعالى-: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾.

المأثور عن ابن مسعود رضي الله عنه في تأويل هذه الآية ما جاء في تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود قال: سألنا رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير: أهي نسل من اليهود؟ فقال: لا، إن الله لم يلعن قوماً قط فيمسخهم، فكان لهم نسل ولكن هذا خلق

(١) الكتاني: معجم فقه السلف ج٢ ص١٩٨.
(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٦ ص١٧٦.
(٣) ابن حنبل: المسند ج٥ ص٣٣٠.
(٤) ينظر/ الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج١ ص٤٤١.

كان، فلما غضب الله على اليهود فمسخهم جعلهم مثلهم)[١].

قوله -تعالى-: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾

المروي عن ابن مسعود رضي الله عنه في هاتين الآيتين روايات متعددة بألفاظ مختلفة لا تكاد تبعد عن المعنى، منها ما جاء في جامع البيان لابن جرير (عن مسروق عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: إن بني إسرائيل لما ظهر منهم المنكر جعل الرجل يرى أخاه وجاره وصاحبه على المنكر فينهاه ثم لا يمنعه ذلك من أن يكون أكيله وشريبه ونديمه فضرب الله قلوب بعضهم على بعض ولعنوا على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكان يعتدون إلى «فاسقون» قال عبد الله: وكان رسول الله ﷺ متكئاً فاستوى جالساً فغضب وقال: لا والله حتى تأخذوا على يدي الظالم فتأطروه[٢] على الحق أطراً)[٣]، وجاء في الدر المنثور للسيوطي (عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: إن بني إسرائيل لما عملوا الخطيئة نهاهم علماؤهم تعزيراً ثم جالسوهم وآكلوهم وشاربوهم كأن لم يعملوا بالأمس خطيئة، فلما رأى الله ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٦٠٢، والسيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٢٢٤.

(٢) فتأطروه: الأَطْرُ عَطْفُ الشيءِ وأن تَجْعَلَ للشيءِ أُطْرَةً والفِعْلُ كَضَرَبَ ونَصَرَ. الفيروز آبادي: القاموس المحيط ج١ ص٣٧٨ والمراد أن تحملوه على الحق وتعيدوه إليه.

(٣) الطبري: جامع البيان مج٤ ج٦ ص٢٠٥.

على بعض ولعنهم على لسان نبي من الأنبياء، ثم قرأ رسول الله ﷺ: والله لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر ولتأطرنهم على الحق أطراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض وليلعنكم كما لعنهم)[١]، وقال القرطبي في جامعه خرّج أبو داود (عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: إن أوّل ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل أول ما يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتّقِ الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكِيلَه وشرِيبه وقعِيدَه فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾ إلى قوله: ﴿فَٰسِقُونَ﴾، ثم قال: كلّا والله لتأمُرنّ بالمعروف ولَتَنْهُونّ عن المنكر ولتأخذُنّ على يدي الظالم ولتأطْرنّه (أي لتردنه) على الحق، ولتقصرنه على الحق قصراً أو ليضربنّ الله بقلوب بعضكم على بعض وليلعنَنّكم كما لعنهم)[٢]، وقد أورد النيسابوري في غرائب القرآن رواية عن عبد الله رضي الله عنه تحمل ما مر من روايات في كلمات جامعة (عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: من رضي عمل قوم فهو منهم ومن كثّر سواد قوم فهو منهم)[٣].

قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٨٧﴾.

---

(١) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٣٣٠.
(٢) القرطبي: الجامع مج٣ ج٦ ص١٦٤، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٦١٩.
(٣) نظام النيسابوري: غرائب القرآن مج٥ ج٧ ص١١-١٢ بهامش الطبري.

ذكر الواحدي في كتابه أسباب النزول بخصوص هذه الآية (قال المفسرون: جلس رسول الله ﷺ يوماً فذكّر الناس ووصف القيامة ولم يزدهم على التخويف فرقّ الناس وبكوا: فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون الجمحي[(١)] وهم: أبو بكر الصديق، وعليّ بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر، وأبو ذر الغفاري، وسالم مولى أبي حذيفة، والمقداد بن الأسود، وسلمان الفارسي، ومعقل بن مضر واتفقوا على أن يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم ولا الودك ويترهبوا ويجبوا المذاكير، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فجمعهم فقال: ألم أنبأ أنكم اتفقتم على كذا وكذا؟ فقالوا: بلى يا رسول الله، وما أردنا إلا الخير. فقال: إني لم أومر بذلك، إن لأنفسكم عليكم حقاً فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم ومن رغب عن سنتي فليس مني ... فقالوا: يا رسول الله كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها وكانوا حلفوا على ما عليه اتفقوا فأنزل الله: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾

---

(١) عُثْمان بن مَظْعُون: بن حبيب بن وهب الجمحي، أبو السائب (ت٢هـ) صحابي، كان من حكماء العرب في الجاهلية، يحرم الخمر. وأسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، وهاجر إلى أرض الحبشة مرتين. وأراد التبتل والسياحة في الأرض زهداً بالحياة، فمنعه رسول الله ﷺ، فاتخذ بيتاً يتعبد فيه، فأتاه النبي ﷺ فأخذ بعضادتي البيت، وقال: يا عثمان إن الله لم يبعثني بالرهبانية وإن خير الدين عند الله الحنفية السمحة. وشهد بدراً. ولما مات جاءه النبي ﷺ فقبله ميتاً، حتى رؤيت دموعه تسيل على خد عثمان. وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين وأول من دفن بالبقيع. الزركلي: الأعلام ج٤ ص٢١٤ باختصار.

الآية)(١)، ومما يتعلق بهذه الآية أن ابن مسعود رضي الله عنه كان يرى -أي تحريم غير الزوجة من طعام وشراب وغيره- فيه كفارة يمين؛ جاء في الدر المنثور (عن ابن مسعود أن معقل بن مقرن قال له: إني حرمت فراشي عَلَيّ سنة فقال: نم على فراشك وكفر عن يمينك ثم تلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ إلى آخر الآية)(٢)، في هذه الرواية ذكر معقل بن مقرن، وفي تفسير ابن جرير النعمان بن مقرن، وفيه ذكر تحديد الكفارة مع بيان السبب، وهذا لفظها: (عن همام بن الحرث أن نعمان بن مقرن سأل عبد الله بن مسعود فقال: إني حلفت أن لا أنام في فراشي سنة فقال ابن مسعود: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ كفر عن يمينك ونم على فراشك قال: بم أكفر عن يميني؟ قال: اعتق رقبة فإنك موسِر)(٣)، وقال جلال الدين السيوطي في كتابه الإكليل قوله: ﴿لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ (استدل بها ابن مسعود وغيره أن من حرم على نفسه طعاماً أو نحوه لم يحرم)(٤)، وهذا استنباط للحكم من القرآن الذي هو المصدر الأول للتشريع.

قوله -تعالى-: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ

(١) الواحدي: أسباب النزول ص١٥٣-١٥٤، والآية من سورة المائدة: ٨٩، ونظام النيسابوري: غرائب القرآن مج٥ ج٧ ص٢٠-٢١ بهامش الطبري.
(٢) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٣٣٩.
(٣) الطبري: جامع البيان مج٥ ج٧ ص٦١.
(٤) السيوطي: الإكليل ص٩٤.

تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ .

المروي عن ابن مسعود رضي الله عنه في هذه الآية آثار عدة، منها ما جاء في البحر المحيط (قال ابن عمر: أوسط ما يطعم الخبز والتمر والخبز والزبيب، وخير ما نطعم أهلينا الخبز واللحم وعن غيره الخبز والسمن وأحسنه التمر مع الخبز، وروي عن ابن مسعود مثله)(١)، أما ما يتعلق بكيفية الصيام فقد جاء في الدر المنثور (عن ابن مسعود أنه كان يقرؤها فصيام ثلاثة أيام متتابعات. قال سفيان: ونظرت في مصحف ربيع بن خيثم فرأيت فيه: فمن لم يجد من ذلك شيئاً فصيام ثلاثة أيام متتابعات)(٢)، فالتتابع تقييد للمطلق، كما قال القرطبي في تفسيره: (﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ﴾ قرأها ابن مسعود متتابعات فيقيد بها المطلق؛ وبه قال أبو حنيفة والثوريّ، وهو أحد قولي الشافعيّ واختاره المُزَنيّ قياساً على الصوم في كفّارة الظِّهار، واعتباراً بقراءة عبد الله. وقال مالك والشافعي في قوله الآخر: يجزئه التفريق؛ لأن التتابع صفة لا تجب إلا بنصّ أو قياس على منصوص وقد عُدِما)(٣)، وفي كيفية صيام كفارة اليمين خلاف بين العلماء سببه هل يؤخذ بالقراءة الشاذة أو لا؟ فمن قال بالأخذ بها أوجب التتابع في صيام الأيام الثلاثة، ومن لم يأخذ بها لم يوجب ذلك، ومعتمد القول الأول

(١) أبو حيان: البحر المحيط ج٤ ص٣٥٢.
(٢) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٣٤٤-٣٤٥.
(٣) القرطبي: الجامع مج٣ ج٦ ص١٨٣.

قراءة ابن مسعود، وأبيّ بن كعب في سورة المائدة: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ (متتابعات) فهي وإن لم يصح قرآناً فهي في حكم خبر الواحد، وخبر الواحد يوجب العمل عند الجمهور، وكذلك عد تفسير صحابي يجب العمل به عند عدم المخالف، ولم يثبت من خالف في العمل بمقتضاها، وقد قال بهذا من الصحابة: ابن عباس، ومجاهد من التابعين، ومن الأئمة: أبو حنيفة، وأحمد بن حنبل في المشهور، أما الشافعية والمالكية فإنهم لم يعملوا بالقراءة الشاذة فلذا لم يوجبوا التتابع، وإنما استحبوه وفضلوه على التفريق، وحجة الشافعية أنها لم تصح قرآناً، وعلى اعتبارها خبر الواحد فإن خبر الواحد لا يخصص عاماً ولا يقيد مطلقاً عندهم، ثم أنهم قالوا: إن الآية منسوخة حكماً وتلاوة، ولم يأتوا بما يؤيد ما ذهبوا إليه بخصوص النسخ(١)، ثم إن الشافعية اضطربوا في الأخذ عن

(١) ينظر/ السيد البَكْري: عثمان بن محمد شطا الدمياطي الشافعي أبو بكر البكري (ت بعد ١٣٠٢ هـ) فقيه متصوف مصري استقر بمكة. له كتب، منها (إعانة الطالبين)، و(الدرر البهية)، و(القول المبرم) في المواريث، و(كفاية الأتقياء) في التصوف. الزركلي: الأعلام ج٤ ص٢١٤ باختصار. إعانة الطالبين على حل ألفاظ المعين ن: دار إحياء الكتب مصر لاط لات ج٤ ص٣٢٣، والكشناوي: أبو بكر بن حسين (ت. . .) أسهل المدارك شرح إرشاد السالك في فقه إمام الأئمة مالك ن: دار الفكر بيروت -لبنان ط٢ لات ج٢ ص٢٣٠، وابن قدامة: الكافي (تحقيق: زهير الشاويش) ن: المكتب الإسلامي، دمشق- بيروت ط٢ (ت١٣٩٩هـ -١٩٧٩م) ج٤ ص٣٨٧، والزَّيْلَعي: عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، أبو محمد، جمال الدين (ت٧٦٢هـ) فقيه، عالم بالحديث. أصله من الزيلع (في الصومال) ووفاته بالقاهرة. من كتبه (نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية) في مذهب الحنفية، و(تخريج أحاديث الكشاف). الزركلي: =

ابن مسعود، فتارة يعدون قراءته حجة يجب العمل بها كما هو الشأن في حد السارق من حيث قطع يده اليمنى في السرقة الأولى، مع الحكم على قراءته بالشذوذ في قول الله -تعالى-: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا (أيمانهما)﴾[١]، وتارة أخرى لا يعملون بها كما هو الحال في تتابع صيام الكفارة في اليمين وزعموا أن الآية الأولى منسوخة تلاوة لا حكماً، وأما الثانية فقد نسخت حكماً وتلاوةً[٢]. وفي إبطال العمل بما نقل عنه تكذيب له، ولم يثبت أن أحداً كذّب ابن مسعود في شيء، ومن قال بأنه مذهب له فمذهب الصحابي أولى من غيره في الاقتداء به واتباعه، وكون الناقل له بوصف القرآنية لا يمنع أنه خبر آحاد يوجب العمل[٣]، والذي يؤيد من أنها ليست قرآناً وأن الرواة هم الذين أطلقوا عليها ذلك خطأ ما جاء في المحلى: (أما قراءة ابن مسعود من شرق الأرض إلى غربها أشهر من الشمس من طريق عاصم وحمزة والكسائي ليس فيها ما ذكروا)[٤] (أي التتابع)، وفي الظن أن التتابع كان تفسيراً من ابن مسعود وضع بقرب الآية فأدرجته الرواة من بعده وظنوا أنه من القرآن الموجود بمصحفه، وخلاصة

= الأعلام ج٤ ص١٤٧. تبيان الحقائق شرح كنز الدقائق ن: المطبعة الأميرية ببولاق - مصر ط١ (ت١٣١٣هـ) ج٣ ص١٣.

(١) سورة المائدة: ٣٨، والآية في المصحف ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا﴾.

(٢) ينظر/ الشافعي: الأم (تصحيح: محمد زهري البخار) ن: دار المعرفة بيروت -لبنان ط٢ (ت١٣٩٣هـ -١٩٧٣م) ج٧ ص٦٦، والسيد البكري: إعانة الطالبين ج٤ ص٣٢٣.

(٣) ينظر/ الدارقطني: السنن ج٤ ص١٥٥ الأصل والهامش.

(٤) ابن حزم: المحلى ج٨ ص٧٥.

الكلام أن الاقتداء بعمل ابن مسعود، وأبيّ، وابن عباس، ومجاهد، وغيرهم من الصحابة، والتابعين أولى من الاقتداء بغيرهم؛ لقرب العهد بالنبي ﷺ، ولحمل الإطلاق هنا على التقييد في كفارتي القتل، والظهار، ولأن التتابع يجعل المرء يشعر بالراحة النفسية، والاطمئنان أكثر مما لو أداها متفرقة.

قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾ .

أثر عن ابن مسعود رضي الله عنه في هذه الآية روايتان: إحداهما موقوفة عليه، والأخرى مرفوعة إلى رسول الله ﷺ؛ أورد الأولى جلال الدين السيوطي في الدر المنثور (عن ابن مسعود قال: إياكم وهذه الكعاب الموسومة التي تزجر زجراً فإنها ميسر العجم)[1]، وروى الثانية عبد الله بن أحمد في المسند (عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: إياكم وهاتان الكَعبتان المَوْسُومَتان اللتان تُزْجَرَان زَجْراً، فإنهما مَيْسِرُ العَجم)[2]؛ جاء في هامش تفسير الحافظ ابن كثير معنى الكعبتان: (الكعبتان والكعبان الفصان اللذان يلعب بهما بالنرد، والمراد بوسمهما ما فيهما من النقط التي يعرف بها الرابح والخاسر في الميسر)[3]، والمستفاد من هذا الحديث تحريم اللعب بالنرد، وإليه ذهب الجمهور من

---

(١) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٣٥٠.

(٢) ابن حنبل: المسند ج٦ ص١٣٣.

(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٦٤٥.

الصحابة، ومن بعدهم من العلماء[١].

أما ما أثر عنه فيما يتعلق بالخمر فقد أخرج ابن ماجه في سننه (عن مسروق بن الأجدع عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: إني كنت نهيتكم عن نبيذ الأوعية، ألا وإن وعاء لا يحرم شيئاً، كل مسكر حرام)[٢]، أما ما يستنبط من الحديث (ففيه تصريح بنسخ النهي عن الانتباذ في الأوعية. وفيه إباحة الانتباذ في الأوعية والتحذير من كل مسكر. وفيه بيان أن الأوعية أو الظروف لا تحرم شيئاً وإنما التحريم ينصب على النبيذ الذي فيها إذا أسكر)[٣]، ولما كان ابن مسعود من الذين يحتاطون لدينهم، فإنه توقى كثيراً من الأشربة المحدثة؛ خوفاً من الوقوع فيما هو ممنوع؛ جاء في معجم فقه السلف (عن ابن مسعود: أحدث الناس أشربةً لا أدري ما هي؟ ومالي شراب منذ عشرين سنة إلا الماء والعسل واللبن)[٤]، وأخرج النسائي في سننه (عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أحدث الناس أشربة ما أدري ما هي فمالي شراب منذ عشرين سنة أو أربعين سنة إلا الماء والسويق)[٥]، قال صاحب المرويات فيما يستفاد من هذا الحديث: (أن السويق والماء من الأشربة المباحة وأن ابن مسعود رضي الله عنه كان يقتصر من بين الأشربة عليهما فيترك كثيراً مما علم حله احترازاً

---

(١) ينظر/ الذهبي: كتاب الكبائر ص٩٧ فما بعد.

(٢) ابن ماجه: السنن ج٢ ص١١٢٨.

(٣) الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج٢ ص٦٣.

(٤) الكتاني: معجم فقه السلف ج٥ ص٦٢.

(٥) النسائي: المجتبى ج٨ ص٣٣٦.

من الوقوع في الحرام وهذا كمال الورع)[١]، ادَّعى بعض المُحْدَثين أن في الخمر علاجاً، وشفاء لبعض الأمراض، وهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يدحض ما ادعوه؛ أخرج البخاري في صحيحه (قال ابن مسعود في السَّكَرِ: إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرَّم عليكم)[٢].

قوله –تعالى–: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

أورد جلال الدين السيوطي في تفسيره (عن ابن مسعود قال: لما نزل تحريم الخمر قالوا: يا رسول الله كيف بمن شربها من إخواننا الذين ماتوا وهي في بطونهم؟ فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ الآية)[٣]، في هذه الرواية ذكر لسبب نزول الآية، وأن لا جناح (أي لا إثم) على من شربها قبل التحريم، وبيان أنها نزلت فيمن طعم الخمر قبل التحريم، وأن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من الذين تناولتهم الآية من حيث رفع الإثم عنهم؛ أخرج مسلم في صحيحه (عن عبد الله قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: قيل لي: أنت منهم)[٤]، ذكر الشريف العبدلي فيما يستنبط من الحديث فقال: (في الحديث منقبة لابن

(١) الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج٢ ص٦٠.
(٢) البخاري: صحيح البخاري بحاشية السندي ج٣ ص٣٢٥.
(٣) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٣٥٢.
(٤) النووي: شرح صحيح مسلم ج١٦ص١٤.

مسعود حيث شهد له النبي ﷺ بالإيمان والتقوى والإحسان)[١].

قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾﴾.

فيما يتعلق بالصيد أثر عن ابن مسعود رضي الله عنه روايات متعددة تتحدث كل واحدة منها عن جانب معين، وحكم من أحكام الصيد، فمن ذلك ما جاء في معجم فقه السلف (عن ابن مسعود: إذا رمى أحدكم طائراً وهو على جبل فخر فمات فلا تأكله فإني أخاف أن يقتله ترديه، أو وقوع في ماء فمات فلا تأكله فإني أخاف أن يكون قتله الماء)[٢]، لعل هذا الحكم أخذه ابن مسعود رضي الله عنه من حديث رسول الله ﷺ الذي يرويه عنه عدي بن حاتم وفيه: (وإنْ وَجدْتَهُ غَرِيقاً في المَاءِ (أي الصيد) فَلا تأكُلْ)[٣]، ومما جاء في معجم فقه السلف أيضاً (عن ابن مسعود وابن عباس وعكرمة وقتادة وإبراهيم وعطاء وأبي ثور: إذا رمى الصيد فغدا حياً وقد سقط منه عضو فإنه يؤكل سائره حاشا ذلك العضو فإن مات حين ذلك أكل كله)[٤]؛ لأن ما أخذ من الحيوان وهو حي يعد جيفة؛ لذا منع ابن مسعود ومن معه رضي الله عنهم أكل ما سقط من الصيد وهو حي، ومما أثر عنه في باب الصيد منع إفجاع الطير، وتحريق قرية النمل؛ أخرج أبو داود في سننه (عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حمرة معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت

---

(١) الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج٢ ص٥٣٥.

(٢) الكتاني: معجم فقه السلف ج٤ ص١٩٠.

(٣) الأمير الصنعاني: سبل السلام ج٤ ص٨١.

(٤) الكتاني: معجم فقه السلف ج٤ ص١٩١.

الحمرة، فجعلت تفرش (ترفرف بجناحيها)، فجاء النبي ﷺ فقال: من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها، ورأى قرية نمل قد حرقناها، فقال: من حرق هذه؟ قلنا: نحن، قال: إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار)[١]، أما فيما يستنبط من الحديث (ففيه النهي عن إفجاع الطير وإزعاجه. وفيه النهي عن تحريق الحيوان بالنار، لأنه لا يجوز أن يعذب بالنار إلا رب النار)[٢]، وهذه الرواية تبين مدى ملازمة ابن مسعود رضي الله عنه للنبي ﷺ ومعرفة أحواله حضراً وسفراً، فالأخذ عنه أخذ عن ثقة.

قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ٩٥﴾.

من التشريعات الإسلامية أنه يحضر على الحاج صيد البر ما دام محرماً، واستثنى من ذلك ما فيه ضرر وخطر؛ أخرج مسلم في صحيحه (عن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أمر محرماً بقتل حية بمنى)[٣]، فدل هذا الحديث على (جواز قتل المحرم الحية في الحرم. وفيه دلالة على أن قتلها مطلوب ومرغب فيه)[٤]، وإذا وقعت المخالفة من الحاج فأخذ من صيد البر شيئاً فإن عليه مثل ما قتل من النعم أو قيمته؛ أورد السيوطي في

(١) أبو داود: السنن ج٣ ص١٢٥.
(٢) الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج٢ ص٨.
(٣) النووي: شرح صحيح مسلم ج١٤ ص٢٣٤، وابن حنبل: المسند ج٦ ص٣٩.
(٤) الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج١ ص٧٧٩.

تفسيره (عن ابن مسعود قال: في بيض النعام قيمته)[١]، وجاء في الجامع للقرطبي (أكثر العلماء يرون في بيض كل طائر القيمة)[٢]، ودليلهم ما جاء في السنن للدارقطني (عن عكرمة، عن ابن عباس، عن كعب بن عجرة[٣] أن النبي ﷺ قضى في بيض نعام أصابه محرم بقدر ثمنه)[٤]، أما جزاء الحمار الوحشي، واليربوع فقد ذكر الكتاني في معجمه (عن ابن مسعود في حمار الوحش بدنة أو بقرة)[٥]، وبهذا أخذ الشافعي[٦]، وجاء في معجم الكتاني أيضاً فيما يتعلق بجزاء الصيد (عن عمر وابن مسعود ومجاهد: في اليربوع سخلة)[٧]، والسخلة: (وَلَد الغَنَم من الضَّأْن والمَعْز ساعةَ وَضْعِه ذكَراً كان أو أُنثى وجَمْعه (سَخْل) بوزن فَلْس و(سِخَال) بالكسر)[٨]، وجزاء اليربوع في الحديث الذي خرّجه الدارقطني (الجفرة) (عن جابر، عن النبي ﷺ قال: في الضبع إذا أصابه المحرم كبش، وفي

---

(١) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٣٦١، والكتاني: معجم فقه السلف ج٤ ص٣٩.
(٢) القرطبي: الجامع مج٣ ج٦ ص٢٠١.
(٣) كَعْب بن عُجْرَة بن أمية بن عدي البلويّ، حليف الأنصار (ت٥١هـ) صحابي. يكنّى أبا محمد. شهد المشاهد كلها. وفيه نزلت الآية: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ وسكن الكوفة، وتوفي بالمدينة، عن نحو ٧٥ سنة. له ٤٧ حديثاً. الزركلي: الأعلام ج٥ ص٢٢٧.
(٤) الدارقطني: السنن ج٢ ص١٩٤.
(٥) الكتاني: معجم فقه السلف ج٤ ص٥١.
(٦) ينظر/ القرطبي: الجامع مج٣ ج٦ ص٢٠٠.
(٧) الكتاني: معجم فقه السلف ج٤ ص٥٢.
(٨) الرازي: مختار الصحاح ص٢٩٠.

الظبي شاة، وفي الأرنب عناق، وفي اليربوع جفرة)[١]، وبيّن الجفرة فقال: (والجفرة التي قد ارتعت . . . والجفرة التي قد فطمت ورعت)[٢]، وفي مختار الصحاح: (الجَفْر من أولاد المَعْز ما بلغ أربعة أشهر وجَفَر جَنْباه اتَّسعا وفُصِل عن أُمّه والأنْثَى جَفْرة)[٣]، ولعل المروي عن ابن مسعود، وعمر، ومجاهد رضي الله عنهم أن المقصود منه صغار الغنم لا السخلة بعينها.

قوله -تعالى-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾.

ذكر جلال الدين السيوطي في كتابه الدر المنثور في سبب نزول هذه الآية (عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كتب الله عليكم الحج فقال رجل: يا رسول الله كل عام؟ فأعرض عنه ثم قال: والذي نفسي بيده لو قلتُ نعم لوجبت ولو وجبت ما أطقتموها ولو تركتموها لكفرتم فأنزل الله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ الآية)[٤]، وبمثل هذا المعنى روي عن علي بن أبي طالب، وأبي هريرة، وأبي أمامة رضي الله عنهم[٥].

قوله -تعالى-: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَـٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ .

---

(١) الدارقطني: السنن ج٢ ص١٩٣.

(٢) المرجع نفسه: ج٢ ص١٩٣-١٩٤.

(٣) الرازي: مختار الصحاح ص١٠٥.

(٤) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٣٦٨.

(٥) ينظر/ الواحدي: أسباب النزول ص١٥٨، والسيوطي: لباب النقول ص٢٢٠.

من المأثور عن ابن مسعود رضي الله عنه في هذه الآية ما جاء في كتاب الجامع للقرطبي (عن هُزَيْل بن شَرَحْبِيل قال: قال رجل لعبد الله: إني أعتقت غلاماً لي سائبة[١] فماذا ترى فيه؟ فقال عبد الله: إن أهل الإسلام لا يسيِّبون، إنما كانت تسيّب الجاهلية؛ أنت وارثه ووليّ نعمته)[٢]، أي أن العبد الذي يعتق ثم يتوفى ولا وارث له فإن ولي نعمته هو الذي يرثه فيما بعد؛ جاء في الجامع للقرطبي (لا سائبة اليوم في الإسلام، ومن أعتق سائبة كان ولاؤه له؛ وبه قال الشافعي وأبو حنيفة وابن الماجِشون، ومال إليه ابن العربيّ)[٣]، وحجتهم رواية ابن مسعود هذه، وقول النبي ﷺ: (من أعتق سائبة فولاؤه له، وبقوله: إنما الولاء لمن أعتق)[٤]، أما معنى قوله -تعالى-: ﴿وَلَا حَامٍ﴾ فقد ذكر صاحب البحر في بيان معناها (قال ابن مسعود وابن عباس واختاره أبو عبيدة والزّجاج: هو الفحل ينتج من صلبه عشرة أبطن فيقولون قد حمى ظهره فيسيبونه لأصنامهم فلا يحمل عليه شيء)[٥].

قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾ .

---

(١) السَّائِبَةُ: التي تُسَيَّبُ في المَرْعَى فَلَا تُرَدُّ عَنْ حَوْضٍ ولا عَلَفٍ وذلك إذا وَلَدَتْ خَمْسَةَ أَبْطُنٍ، والسَّائِبَةُ العَبْدُ يعْتِقُ وَيكُونُ وَلاؤُهُ لِمُعْتِقِه ويضَعُ مالَهُ حيثُ شاءَ وهو الذي وَرَدَ النهْيُ عنه. الراغب: المفردات ص٢٤٦.

(٢) القرطبي: الجامع مج٣ ج٦ ص٢٢٠.

(٣) المرجع نفسه مج٣ ج٦ ص٢٢٠.

(٤) المرجع نفسه: مج٣ ج٦ ص٢٢٠.

(٥) أبو حيان: البحر المحيط ج٤ ص٣٧٩.

في تأويل هذه الآية جاءت روايات متعددة عن ابن مسعود رضي الله عنه متقاربة المعنى، متفاوتة الألفاظ، والجمل قصراً وطولاً، من ذلك ما أورده أبو حيان في تفسيره البحر المحيط (عن ابن مسعود: ليس هذا زمان هذه الآية قولوا الحق ما قُبِل منكم فإذا ردّ عليكم فعليكم أنفسكم)(١)، وأخرج الطبري في تفسيره من طريق الحسن عن ابن مسعود رضي الله عنه ثلاث روايات هذه إحداها (عن الحسن أن ابن مسعود سأله رجل عن قوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ قال: إن هذا ليس بزمانها إنها اليوم مقبولة ولكنه قد أوشك أن يأتي زمان تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا كذا، أو قال: فلا يقبل منكم فحينئذ ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾)(٢)، فعلى المسلم أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر ما لم يُعرّضه ذلك للأذى والخطر، فعند ذلك ينبغي له الكف؛ لحماية نفسه تمسكاً بقول الله -تعالى-: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾(٣)، وهذا ما بينته الرواية التي ذكرها السيوطي في الدر المنثور (عن ابن مسعود في قوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية قال: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما لم يكن من دون ذلك السوط والسيف، فإذا كان ذلك كذلك فعليكم أنفسكم)(٤)، أما الرواية المطولة بخصوص هذه الآية فقد جاءت في تفسير ابن جرير (عن أبي العالية عن عبد الله بن مسعود

(١) المرجع نفسه: ج٤ ص٣٨٧، والقرطبي: الجامع مج٣ ج٦ ص٢٢٢.
(٢) الطبري: جامع البيان مج٥ ج٧ ص٦٢، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٦٦٨، والسيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٣٧٢.
(٣) سورة البقرة: ١٩٥.
(٤) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٣٧٢.

في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾ قال: كانوا عند عبد الله بن مسعود جلوساً فكان بين رجلين ما يكون بين الناس حتى قام كل واحد منهما إلى صاحبه فقال رجل من جلساء عبد الله: ألا أقوم فآمرهما بالمعروف وأنهاهما عن المنكر؟ فقال آخر إلى جنبه: عليك بنفسك فإن الله تعالى يقول: ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ قال: فسمعها ابن مسعود فقال: مه لم يجىء تأويل هذه بعد، إن القرآن أنزل حيث أنزل ومنه آي قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن، ومنه ما وقع تأويلهن على عهد النبي ﷺ، ومنه آي قد وقع تأويلهن بعد النبي ﷺ بيسير، ومنه آي يقع تأويلهن بعد اليوم، ومنه آي يقع تأويلهن عند الساعة على ما ذكر من أمر الساعة، ومنه آي يقع تأويلهن يوم الحساب على ما ذكر من أمر الحساب والجنة والنار، فما دامت قلوبكم واحدة وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعاً ولم يذق بعضكم بأس بعض فأمروا وانهوا فإذا اختلفت القلوب والأهواء وألبستم شيعاً وذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية)(١)، فالمتأمل لهذه الرواية يدرك مدى علم ابن مسعود رضي الله عنه بالقرآن، وإحاطته بمعانيه ما كان منه ويكون، فلله در عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قال: (كُنَيْفٌ مُلِئَ عِلْماً -قالها ثلاثاً)(٢).

---

(١) الطبري: جامع البيان مج٥ ج٧ ص٦٢، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٦٦٨، والسيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٣٧٢-٣٧٣.

(٢) ابن سعد: الطبقات ج٣ ص١٥٦.

قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ .

المأثور عن ابن مسعود رضي الله عنه في هاتين الآيتين روايتان جاءت إحداهما في تفسير الحافظ ابن كثير، والثانية في الدر المنثور للسيوطي، وهذه رواية تفسير الحافظ ابن كثير (سئل ابن مسعود رضي الله عنه عن هذه الآية. قال: هذا رجل سافر ومعه مال، فأدركه قدره، فإن وجد رجلين من المسلمين دفع إليهما تركته، وأشهد عليهما عدلين من المسلمين)(١)، ثم عقب على هذه الرواية بقوله: (رواه ابن أبي حاتم وفيه انقطاع)(٢)، أما رواية جلال الدين السيوطي التي جاءت في كتاب الدر المنثور فلفظها: (عن ابن مسعود أنه سئل عن هذه الآية ﴿ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾ قال: ما من الكتاب إلا قد جاء على شيء جاء على إدلاله غير هذه الآية، ولئن أنا لم أخبركم بها لأنا أجهل من الذي يترك الغسيل يوم الجمعة، هذا رجل خرج مسافراً ومعه مال فأدركه قدره فإن وجد رجلين من المسلمين دفع إليهما تركته وأشهد عليهما

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٦٧١-٦٧٢.
(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٦٧٢.

عدلين من المسلمين، فإن لم يجد عدلين من المسلمين فرجلين من أهل الكتاب، فإن أدى فسبيل ما أدى وإن هو جحد استحلف بالله الذي لا إله إلا هو دبر صلاة أن هذا الذي وقع إليّ وما غيّبت شيئاً، فإذا حلف برئ فإذا أتى بعد ذلك صاحبا الكتاب فشهدا عليه ثم ادعى القوم عليه من تسميتهم مالهم جعلت أيمان الورثة مع شهادتهم ثم اقتطعوا حقه فذلك الذي يقول الله: ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾)[1].

هذا ما كان بالوسع جمعه فيما يتعلق بسورة المائدة ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) السيوطي: الدر المنثور ج٢ ص٣٧٦، وابن العربي: أحكام القرآن القسم الثاني ص٦٣٧.

(٢) سورة الطلاق: ٧.

تفسير سورة الأنعام

يحسن أن أذكر ما روي عنه في فضلها ؛ جاء في تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (عن مرة، عن عبد الله، قال: نزلت سورة الأنعام يشيعها سبعون ألفاً من الملائكة)[١]، ومما روي عنه في فضلها ما ساقه السيوطي في كتابه الدر المنثور (عن ابن مسعود قال: الأنعام من مواجب[٢] القرآن)[٣]، أي من كُبْرَيات السور التي لتاليها أجر عظيم، وثواب كبير؛ قال النازلي في خزينة الأسرار من حديث مرفوع إلى رسول الله ﷺ (من قرأ سورة الأنعام يصلي عليه أولئك السبعون ألف ملك ليله ونهاره)[٤].

قوله -تعالى-: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾﴾.

من المأثور عن ابن مسعود رضي الله عنه في هذه الآية ما جاء في الجامع للقرطبي (عن مرة عن ابن مسعود أن الملَك الموكَّل بالرَّحم يأخذ النطفة فيضعها على كفه ثم يقول: يا رب مُخلّقة أم غير مُخلّقة؟ فإن قال مُخلّقة قال: يا رب ما الرزق، ما الأثر، ما الأجل؟ فيقول: انظر في أمّ الكتاب، فينظر في اللوح المحفوظ فيجد فيه رزقه وأثره وأجله وعمله، ويأخذ

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٥، والسيوطي: الدر المنثور ج٣ ص٣.

(٢) مواجب: المُوجِبةُ: الكبيرةُ من الذنوبِ ومن الحَسَناتِ: التي تُوجِبُ النارَ، أَو الجنة. الفيروز آبادي: القاموس المحيط ج١ ص١٤١ .

(٣) السيوطي: الدر المنثور ج٣ ص٤.

(٤) النازلي: خزينة الأسرار ص١٥٩.

التراب الذي يدفن في بقعته ويعجن به نطفته؛ فذلك قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾)[(١)].

قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

أخرج ابن جرير في تفسيره (عن كردوس الثعلبي[(٢)] عن ابن مسعود قال: مر الملأ من قريش بالنبي ﷺ وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا: يا محمد رضيت بهؤلاء من قومك أهؤلاء الذين منّ الله عليهم من بيننا؟ أنحن نكون تبعاً لهؤلاء؟ اطردهم عنك فلعلك إن طردتهم أن نتبعك فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ إلى آخر الآية)[(٣)]، وهذا التأويل من باب معرفة أسباب النزول، وفي الآية منقبة لابن مسعود رضي الله عنه حيث أنه كان أحد الذين أنزلت فيهم؛ أورد الواحدي في أسباب النزول (عن المقدام بن شريح عن أبيه عن سعد قال: نزلت هذه الآية فينا ستة: فيّ وفي ابن مسعود و صهيب وعمار والمقداد وبلال قالت قريش لرسول الله ﷺ: إنا لا نرضى أن نكون أتباعاً لهؤلاء

---

(١) القرطبي: الجامع مج٣ ج٦ ص٢٥٠، والآية من سورة طه: ٥٥.

(٢) كردوس الثعلبي: كردوس بن عباس الثعلبي من غطفان، روى عن عبد الله وكان قليل الحديث. ابن سعد: الطبقات ج٦ ص٢٠٩.

(٣) الطبري: جامع البيان مج٥ ج٧ ص١٢٧، والآية من سورة الأنعام: ٥٣، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٢٦.

فاطردهم فدخل قلب رسول الله ﷺ من ذلك ما شاء الله أن يدخل؛ فأنزل الله -تعالى- عليه ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ الآية)[1].

قوله -تعالى-: ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾ .

ذكر القرطبي في تفسيره الجامع أن نافعاً، وابن كثير، وعاصماً قرءوا بالصاد ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ ، وقرأ غيرهم بالضاد ﴿يَقْضِى﴾ ، وبيّن أن ﴿يُقْضَىٰٓ﴾ يقويها عدة أمور، منها: قراءة ابن مسعود ﴿يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ فدخول الباء يؤكد معنى القضاء[2]، والحق أن ما نسب إلى ابن مسعود من أنه قراءة غير صحيح، بل المنسوب إليه تفسير للآية لا أنها قرآن؛ بدليل ما أورده جلال الدين السيوطي في الدر المنثور (عن سعيد بن جبير قال: في قراءة عبد الله (يقضي الحق وهو أسرع الفاصلين) وهي قراءة على التفسير)[3]، وبالرغم من ذلك فقد أيدها ابن جرير فقال: (قرأ ذلك جماعة من قراء الكوفة والبصرة (إن الحكم إلا لله يقضي الحق) بالضاد من القضاء بمعنى الحكم والفصل بالقضاء، واعتبروا صحة ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾: وأن الفصل بين المختلفين إنما يكون بالقضاء لا

---

(١) الواحدي: أسباب النزول ص١٦٢، والطبري: جامع البيان مج٥ ج٧ ص١٢٨، والقرطبي: الجامع مج٣ ج٦ ص٢٧٩.

(٢) ينظر/ القرطبي: الجامع مج٣ ج٦ ص٢٨٢-٢٨٣.

(٣) السيوطي: الدر المنثور ج٣ ص١٦، والطبري: جامع البيان مج٥ ج٧ ص١٣٥.

بالقصص وهذه القراءة عندنا أولى القراءتين بالصواب)[١].

قوله -تعالى-: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾.

من المأثور عن ابن مسعود رضي الله عنه في هذه الآية ما أخرجه ابن جرير في تفسيره (عن عبد الله بن سلمة عن ابن مسعود قال: أعطي نبيكم كل شيء إلا مفاتح الغيب)[٢]، وجاء في الدر المنثور (عن ابن مسعود قال: أُعطي نبيكم كل شيء إلا مفاتح الغيب الخمس ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ إلى آخر الآية)[٣].

قوله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ .

أخرج ابن جرير في تفسيره في تأويل هذه الآية (عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك على الناس؛ فقالوا: يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه؟ فقال: إنه ليس كما تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ

(١) المرجع نفسه: مج٥ ج٧ ص١٣٥-١٣٦.

(٢) المرجع نفسه: مج٥ ج٧ ص١٣٦.

(٣) السيوطي: الدر المنثور ج٣ ص١٦-١٧، والآية من سورة لقمان: ٣٤ وتمامها ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ .

ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [١] إنما هو الشرك)[٢]، وبهذا المعنى مع اختلاف الألفاظ ذكرت هذه الرواية في البحر لأبي حيان[٣]، والجامع للقرطبي[٤]، وفي تفسير الحافظ ابن كثير[٥]، وقبل ذلك كله في صحيح البخاري ولفظه: (عن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ شقَّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أينا لم يَلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله ﷺ: إِنَّهُ لَيْسَ بِذَاكَ أَلاَ تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾)[٦]، وهي من تفسير القرآن بالسنة، والقرآن بالقرآن، حيث أن الرسول ﷺ وضح الظلم الوارد في سورة الأنعام بالظلم الموضح في سورة لقمان.

قوله–تعالى–: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٥﴾ .

أورد أبو حيان في البحر المحيط قال: (روي عن ابن مسعود أن إدريس هو إلياس ورد ذلك بأن إدريس هو جد نوح عليهما السلام، تظافرت بذلك الروايات)[٧]، والمثبت في كتب السير والتاريخ أن إلياس

(١) سورة لقمان: ١٣.

(٢) الطبري: جامع البيان مج٥ ج٧ ص١٦٨.

(٣) ينظر/ أبو حيان: البحر المحيط ج٤ ص٥٧١.

(٤) ينظر/ القرطبي: الجامع مج٤ ج٧ ص٢١.

(٥) ينظر/ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٥٨.

(٦) البخاري: صحيح البخاري بحاشية السندي ج٣ ص١٧٣.

(٧) أبو حيان: البحر المحيط ج٤ ص٥٧٤.

غير إدريس -عليهما السلام- وقد ذكر كلاهما مرتين في القرآن، فإدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ ذكر في سورة مريم الآية (٥٦)، وفي سورة الأنبياء الآية (٨٥)، وذكر إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة الأنعام الآية (٨٥)، وفي سورة الصافات الآية (١٢٣)؛ قال ابن جزي في التسهيل: (إدريس هو أول نبيّ بعث إلى أهل الأرض بعد آدم، وهو أول من خط بالقلم، ونظر في علم النجوم وخاط الثياب، وهو من أجداد نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ)(١)، وفيما يتعلق بإلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد ذكر ابن جزي بصيغة التمريض أنه إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ ونصه: (إلياس من ذرية هارون وقيل إنه إدريس)(٢)، وبنفس صيغة التمريض قال عن ذي الكفل عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وذا الكفل قيل هو إلياس وقيل زكريا)(٣).

فالناظر في هذين النصين يرى الاضطراب واضحاً، فإلياس يذكر على أنه هو إدريس، وأخرى على أنه هو ذو الكفل، فيكون لإدريس أسماء ثلاثة: هذا وإلياساً وذا الكفل، وقد ذكر ابن جرير في تفسيره بعد أن ساق الرواية عن ابن مسعود: (أما أهل الأنساب فإنهم يقولون: إدريس جد نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وأخنوخ هو إدريس بن يرد بن مهلائيل ... والذي يقول أهل الأنساب أشبه بالصواب وذلك أن الله -تعالى- نسب إلياس في هذه الآية إلى نوح وجعله من ذريته، ونوح بن إدريس عند أهل العلم فمحال أن يكون جد أبيه منسوباً إلى أنه من ذريته)(٤)، وأوضح

(١) ابن جزي: التسهيل لعلوم التنزيل ص٣٩٦-٣٩٧.
(٢) المرجع نفسه: ص٥٦٥.
(٣) المرجع نفسه: ص٤٢١.
(٤) الطبري: جامع البيان مج٥ ج٧ ص١٧٢-١٧٣.

من هذا ما جاء في الجامع للقرطبي (قيل: إلياس هو إدريس وهذا غير صحيح لأن إدريس جدّ نوح وإلياس من ذرّيته)[١].

قوله -تعالى-: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾.

المأثور عن ابن مسعود رضي الله عنه في هذه الآية ما أورده جلال الدين السيوطي في الدر المنثور (عن ابن مسعود قال: ما من القرآن شيء إلا قد عمل به من كان قبلكم وسيعمل به من بعدكم حتى كنت لأمر بهذه الآية ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ ولم يعمل هذا أهل هذه القبلة)[٢].

قوله -تعالى-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾.

الله عز وجل زين السماء الدنيا بالنجوم، وجعلها هداية للإنسان إذا ضل الطريق، ورجوماً للشياطين، وحفظاً من المتسمعين من الجن والشياطين، لكن بعض الفلاسفة، والمشعوذين حاولوا أن يجعلوا بينها وبين الإنسان علاقة فيما يتعلق بالغيب، وهذا ما يرفضه الشرع، ولا يقره؛ جاء في الدر المنثور (عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا)[٣]؛ لأن

(١) القرطبي: الجامع مج٤ ج٧ ص٢٤.

(٢) السيوطى: الدر المنثور ج٣ ص٣٣.

(٣) المرجع نفسه: ج٣ ص٣٩.

التصديق بما يقول المنجم كفر بالله، وبما أنزل على محمد ﷺ؛ جاء في الكبائر للذهبي (أن من زعم أن النجوم تدل على الغيب فهو كافر)(١)، ثم أورد حديثاً (عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد)(٢).

قوله -تعالى-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾.

المأثور عن ابن مسعود رضي الله عنه في تأويل هذه الآية روايات عدة متقاربة المعنى، متفاوتة الألفاظ، من ذلك ما أخرجه ابن جرير في تفسيره من طريقين اثنين: الأول (عن إبراهيم عن عبد الله يعلم مستقرها ومستودعها قال: مستقرها في الأرحام ومستودعها حيث تموت)(٣)، والطريق الثاني (عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال: المستقر الرحم والمستودع المكان الذي تموت فيه)(٤)، وفي تفسير الحافظ ابن كثير معنىً غير هذا المذكور (عن ابن مسعود، وابن عباس، وغيرهم ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ أي في الأرحام، ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ أي في الأصلاب)(٥)، وفي رواية أخرى له (عن ابن مسعود

---

(١) الذهبي: كتاب الكبائر ص١٨٣.
(٢) المرجع نفسه: ص١٨٥ .
(٣) الطبري: جامع البيان مج٥ ج٧ ص١٩٠.
(٤) المرجع نفسه: مج٥ ج٧ ص١٩٠، والقرطبي: الجامع مج٤ ج٧ ص٣٢، وأبو حيان: البحر المحيط ج٤ ص٥٩٦.
(٥) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٧٠.

وطائفة، فمستقر في الدنيا، ومستودع حيث يموت)(١)، والمعنى الثاني أي المستودع حيث يموت- يتفق ورواية ابن جرير، والقرطبي، وأبي حيان، وفي الدر المنثور بيان لمعنى المستودع أكثر تفصيلاً من الروايات السابقة (عن ابن مسعود قال: إذا كان أجل الرجل بأرض أتيحت له إليها الحاجة فإذا بلغ أقصى أثره قبض، فتقول الأرض يوم القيامة: هذا ما استودعتني)(٢)، ثم ذكر جلال الدين السيوطي رواية عن عبد الله رضي الله عنه أعم وأشمل، قال في الدر المنثور: (عن ابن مسعود في قوله: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ قال: مستقرها في الدنيا ومستودعها في الآخرة)(٣)، وفي القرآن الكريم المستقر في الأرض، قال الله -تعالى-: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (٤)، ولعل ابن مسعود رضي الله عنه اعتمد فيما ذهب إليه من أن المستقر الأرحام قول الله -تعالى-: ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾(٥)، والمستودع القبر، أو الأرض التي يموت فيها قال الله -تعالى-: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ (٦) الآية.

قوله -تعالى-: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

---

(١) المرجع نفسه: ج٣ ص٧٠.

(٢) السيوطي: الدر المنثور ج٣ ص٤٠.

(٣) السيوطي: الدر المنثور ج٣ ص٤٠.

(٤) سورة البقرة: ٣٦.

(٥) سورة الحج: ٥.

(٦) سورة طه: ٥٥.

مما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه فيما يتعلق بهذه الآية ما ذكره الحافظ جلال الدين في تفسيره (عن ابن مسعود قال: لما كان ليلة الجن أقبل عفريت من الجن في يده شعلة من نار فجعل النبي ﷺ يقرأ القرآن فلا يزداد إلا قرباً؛ فقال له جبريل: ألا أعلمك كلمات تقولهن ينكبّ منها لِفِيه وتطفأ شعلته: قل أعوذ بوجه الله الكريم وكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر طوارق الليل، ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمان، فقالها فانكبّ لفيه وطفئت شعلته)[(١)]، ولحادثة الجن سيجيىء إن شاء الله مزيد التفصيل في سورة الأحقاف والجن.

قوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾.

مما أثر عن عبد الله رضي الله عنه في هذه الآية ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده (عن عبد الله بن مسعود قال: إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند

(١) السيوطي: الدر المنثور ج٣ ص٤٥-٤٦.

الله حسن، وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيئ)[١]، وهذا التأويل من ابن مسعود رضي الله عنه أخذه مما هو واقع بالفعل، ثم إن قولته الأخيرة: (فما رأى المسلمون حسناً . . . إلخ) أصبحت جزءاً من القواعد الأصولية، قال صاحب المرويات: (استدل بالحديث على حجية الإجماع والاستحسان)[٢].

قوله -تعالى-: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ .

في تأويل هذه الآية أخرج ابن جرير في جامع البيان (عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ قالوا: يا رسول الله وكيف يشرح صدره؟ قال: يدخل فيه النور فينفسح قالوا: وهل لذلك من علامة يا رسول الله؟ قال: التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل أن ينزل الموت)[٣]، وفي الدر المنثور رواية أخرى فيها شيء من الطول، وفي نهايتها موعظة (عن ابن مسعود قال رجل: يا رسول الله أي المؤمنين أكيس؟ قال: أكثرهم للموت ذكراً

(١) ابن حنبل: المسند ج٥ ص٢١١.
(٢) الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج١ ص٣١٣.
(٣) الطبري: جامع البيان مج٥ ج٨ ص٢١، والسيوطي: الدر المنثور ج٣ ص٤٩، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٩٨.

وأحسنهم له استعداداً ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ﴾ قلت: وكيف يشرح صدره للإسلام؟ قال: هو نور يقذف فيه، إن النور إذا وقع في القلب انشرح له الصدر وانفسح قالوا: يا رسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها؟ قال: نعم، الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت، ثم قال رسول الله ﷺ: بئس القوم قوم لا يقومون لله بالقسط، بئس القوم قوم يقتلون الذين يأمرون بالقسط)(١)، في الروايتين السالفتين لم يبين السائل لرسول الله ﷺ، وفي الجامع للقرطبي أن السائل هو عبد الله رضي الله عنه؛ قال القرطبي: (روي أن عبد الله بن مسعود قال: يا رسول الله، وهل ينشرح الصدر؟...)(٢) إلى آخر الرواية، وهذا من باب تفسير القرآن بالسنة.

قوله -تعالى-: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿١٤٢﴾﴾ .

أخرج ابن جرير في تأويل هذه الآية عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من طريق أبي الأحوص روايات خمسة تدور كلها على معنىً واحد، وإن اختلف اللفظ (عن أبي الأحوص عن عبد الله أنه قال في هذه الآية ﴿حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ﴾ قال: الحمولة ما حمل عليه من الإبل والفرش الصغار)(٣)، وهذا التأويل يعتمد على المعرفة بغريب القرآن، وابن

(١) السيوطي: الدر المنثور ج٣ ص٤٩.

(٢) القرطبي: الجامع مج٤ ج٧ ص٥٤، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص١١١-١١٢، والسيوطي: الدر المنثور ج٣ ص٥٩.

(٣) الطبري: جامع البيان مج٥ ج٨ ص٤٧.

مسعود رضي الله عنه هذلي النسب عربي اللسان معتد به، وجاء في البحر أن الحسن، ومجاهد، وابن قتيبة فسروا بنفس تفسير ابن مسعود رضي الله عنه[(١)].

قوله -تعالى-: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١)﴾.

في هذه الآية والآيتين بعدها عشر وصايا جاء في التنويه بأمرهن في تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (عن علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من أراد أن ينظر إلى وصية رسول الله ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ هؤلاء الآيات: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ - إلى قوله- ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾)[(٢)]، أما فيما يتعلق بقول الله -تعالى-: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ أخرج مسلم في صحيحه عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ. (قَالَ وَكِيعٌ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّارَ وَقُلْتُ أَنَا: وَمَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ)[(٣)]، وأما قوله -تعالى-: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ فقد أخرج البخاري في صحيحه (عن الوليد بن عيزارٍ قال: سمعت أبا عمرو الشيبانيَّ يقول:

---

(١) ينظر/ أبو حيان: البحر المحيط ج٤ ص٦٧٠.

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص١٢٠، والآيات من (١٥١-١٥٣) من سورة الأنعام، والسيوطي: الدر المنثور ج٣ ص٥٩.

(٣) مسلم: صحيح مسلم ج١ ص٩٤.

أخبرنا صاحب هذه الدار -وأومأ بيده إلى دار عبد الله- قال: سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله؟ قال: الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا، قال: ثمَّ أي؟ قال: ثمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، قال: ثمَّ أي؟ قال: الجِهَادُ فِي سَبيلِ اللهِ. قال: حدثني بهن ولو استزدته لزادني)[١]، وأما تأويل قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ﴾ فقد أخرج البخاري أيضاً في صحيحه (عن عمرو بن شُرَحْبِيل عن عبد الله قال: قلت: يا رسول الله أيُّ الذنب أعظم؟ قال: أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدّاً وهوَ خَلَقَكَ، ثم قال: أيّ؟ قال: أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ... الحديث)[٢]، وأما تأويل قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ﴾ فقد جاء في صحيح البخاري (عن شقيق عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ منَ اللهِ مِنْ أجْلِ ذلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ، وما أحدٌ أَحَبّ إِليهِ المَدْحُ مِنَ اللهِ)[٣]، ومما أثر عنه في تأويل قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ﴾ ما أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الديات (عن مسروق عن عبد الله قال: قال رسول اللهِ ﷺ: لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أنْ لَا إلهَ إلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسول اللهِ إلَّا بِإحْدى ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكْ الجماعةَ)[٤]، وقد جاء في مرويات ابن مسعود للعبدلي في فقرة ما يستنبط من الحديث (الوصية

---

(١) البخاري: صحيح البخاري بحاشية السندي ج٤ ص٤٧.
(٢) المرجع نفسه: ج٤ ص٥١.
(٣) المرجع نفسه: ج٤ ص٢٧٨.
(٤) المرجع نفسه: ج٤ ص١٨٨، والنووي: شرح صحيح مسلم ج١١ ص١٦٥.

الخامسة: النهي عن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق الذي يوجب قتلها شرعاً كردة أو قصاص أو زنا يوجب الرجم أو منع الزكاة أو ترك الصلاة)[١]، والمتأمل في المرويات يجدها من باب تفسير القرآن بالسنة.

قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾.

من المأثور عن عبد الله ﷺ في تأويل هذه الآية ما جاء في الدر المنثور (عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ما نقص قوم المكيال والميزان إلا سلط الله عليهم الجوع)[٢]، وهذا من تفسير القرآن بالسنة.

قوله -تعالى-: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾.

في هذه الآية جاءت مرويات عدة عن عبد الله ﷺ، منها ما جاء في غرائب القرآن (قوله: ﴿مُّسْتَقِيمًا﴾ قال ابن مسعود: يعني القرآن)[٣]، وأخرج الطبري في تفسيره (عن أبان أن رجلاً قال لابن مسعود: ما الصراط المستقيم؟ قال: تركنا محمد ﷺ في أدناه وطرفه في الجنة وعن يمينه جواد وعن يساره جواد وثَمَّ رجال يدعون من مَرَّ بهم، فمن أخذ في

(١) الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج٢ ص٥٣٧.

(٢) السيوطي: الدر المنثور ج٣ ص٦١.

(٣) نظام النيسابوري: غرائب القرآن مج٥ ج٨ ص٤٨ بهامش الطبري.

تلك الجواد انتهت به إلى النار ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة ثم قرأ ابن مسعود ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمًا﴾ الآية)(١)، وهذا التأويل من ابن مسعود رضي الله عنه أخذه من رسول الله ﷺ فيما يرويه هو نفسه، وهو من باب تفسير القرآن بالسنة العملية والقولية؛ أخرج الإمام أحمد في مسنده: (عن أبي وائل عن عبد الله قال: خَطَّ رسول الله ﷺ خَطًّا بيده، ثم قال: هذا سبيل الله مستقيماً، قال: ثم خطَّ عن يمينه وشماله، ثم قال: هذه السُّبُل، وليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾)(٢)، وفي الحديث (دليل على وجوب اتباع سبيل الله وبيان أنه هو المنهج القويم الذي يحقق للبشرية سعادتها وعزها ومجدها. وفيه تحذير من اتباع سبل الغواية والضلال التي تجلب للبشرية الشقاء والخسران)(٣)، ومما يتعلق بهذه الآية من المأثور عن ابن مسعود رضي الله عنه على سبيل النصح، والإرشاد ما أورده القرطبي في تفسيره (قال عبد الله بن مسعود: تعلّموا العلم قبل أن يُقبض، وقبضه أن يذهب أهله، ألا وإياكم والتّنَطُّعَ والتعمّق والبدع، وعليكم بالعتيق)(٤)، وتحذيره من التنطع أخذه من رسول الله ﷺ فيما

(١) الطبري: جامع البيان مج٥ ج٨ ص٦٥، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص١٢٦، والقرطبي: الجامع مج٤ ج٧ ص٩٠.

(٢) ابن حنبل: المسند ج٦ ص١٩٩، والطبري: جامع البيان مج٥ ج٨ ص٦٥، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص١٢٥، وأبو حيان: البحر المحيط ج٤ ص٦٩٢.

(٣) الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج١ ص٢٥١.

(٤) القرطبي: الجامع مج٤ ج٧ ص٩٠.

يرويه هو نفسه؛ أخرج مسلم في صحيحه (عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هلك المتنطعون ثلاثاً)[(١)]، والمستفاد من هذا الحديث (وجوب التمسك بما ورد في الكتاب والسنة. وفيه تحذير من التنطع والتعمق والغلو في الدين)[(٢)]، ولما كان عبد الله رضي الله عنه جريئاً في الحق، لا يهاب لومة لائم، ينكر على المنحرف انحرافه، ولا يرضاه له، هذا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه جاءه يوماً يعلمه بأنه حدث شيء في المسجد كرهه، ولم ينكره على فاعليه حتى يأخذ برأيه، بل يكون ابن مسعود رضي الله عنه هو المنكر على الفاعلين؛ أورد القرطبي في الجامع نقلاً عن مسند الدارمي: (أن أبا موسى الأشعري جاء إلى عبد الله بن مسعود فقال: يا أبا عبد الرحمن، إن رأيت في المسجد آنفاً شيئاً أنكرته ولم أر والحمد لله إلا خيراً، قال: فما هو؟ قال: إن عشت فستراه، قال: رأيتُ في المسجد قوماً حِلَقاً حِلَقاً جلوساً ينتظرون الصلاة؛ في كل حَلْقة رجل وفي أيديهم حَصًى فيقول لهم: كَبِّروا مائة؛ فيكبرون مائة. فيقول: هَلِّلُوا مائة؛ فيهلّلون مائة. ويقول: سبّحوا مائة؛ فيسبحون مائة. قال: فماذا قلتَ لهم؟ قال: ما قلتُ لهم شيئاً؛ انتظارَ رأيك وانتظار أمرك. قال: أفلا أمرتَهم أن يَعُدوا سيئاتهم وضَمِنت لهم ألّا يضيع من حسناتهم. ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حَلْقة من تلك الحِلَق؛ فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن، حَصًى نعدّ به التكبير والتهليل والتسبيح. قال: فعُدّوا

---

(١) النووي: شرح صحيح مسلم ج١٦ ص٢٢٠، وابن حنبل: المسند ج٥ ص.٢٣٩

(٢) الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج١ ص٢٦٩.

سيئاتكم وأنا ضامن لكم ألّا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد! ما أسرعَ هَلْكَتكم. أوَ مُفْتَتِحِي باب ضلالة! قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن، ما أردنا إلا الخير. فقال: وكم من مريد للخير لن يصيبه)[١].

قوله -تعالى-: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾.

من المأثور عن ابن مسعود رضي الله عنه في تأويل هذه الآية ما أورده السيوطي في الدر المنثور (عن ابن مسعود قال: إن هذا القرآن شافع مشفّع وماحِلٌ مصدّقٌ من جعله إماماً قاده إلى الجنة ومن جعل خلفه ساقه إلى النار)[٢]، جاء في مختار الصحاح من معاني ماحل (يقال: مَحَل به إذا سَعَى به إلى السلطان)[٣]، ثم ساق حديث ابن مسعود رضي الله عنه ووضحه بقوله: (جَعَله يَمْحَل بصَاحِبِه إذا لم يَتَّبع ما فيه، أي يَسْعَى به إلى الله تعالى. وقيل: معناه وخَصْمٌ مُجادِلٌ مُصَدَّق)[٤]، والحديث وإن كان موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه فإن له شواهد من الأحاديث المرفوعة الدالة على أن القرآن شفيع لصاحبه؛ من ذلك ما رواهُ أبو أمامة[٥] رضي الله عنه (قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ

(١) القرطبي: جامع مج٤ ج٧ ص٩١-٩٢.

(٢) السيوطي: الدر المنثور ج٣ ص٦٢.

(٣) الرازي: مختار الصحاح ص٦١٧.

(٤) المرجع نفسه: ص٦١٧.

(٥) أبو أمامة: صُدَيّ بن عَجْلان بن وهب الباهلي، أبو أمامة (ت٨١هـ) صحابي. كان مع عليّ في (صفين) وسكن الشام، فتوفي في أرض حمص.

وهو آخر من مات من الصحابة بالشام. له في الصحيحين ٢٥٠ حديثاً. الزركلي: الأعلام ج٣ ص٢٠٣.

يَقُولُ اقْرَأُوا الْقُرْآنَ. فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعاً لِأَصْحَابِهِ. . . .)[١].

قوله -تعالى-: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾.

المروي عن ابن مسعود رضي الله عنه في هذه الآية آثار متعددة يدور جلها على علامات الساعة الكبرى، أما ما يتعلق بأول الآية فقد جاء في الدر المنثور (عن ابن مسعود: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قال: عند الموت ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ قال: يوم القيامة)[٢]، أما ما يتعلق بقوله -تعالى-: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ فقد أخرج ابن جرير في جامع البيان (عن مسروق قال: قال عبد الله ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ قال: طلوع الشمس من مغربها مع القمر كأنهما بعيران مقرونان)[٣]، وفي رواية الدر المنثور (ثم قرأ ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾﴾)[٤]، ومما روي عنه في هذه الآية من أن طلوع الشمس من مغربها هي آخر الآيات خروجاً، ولا توبة بعدها ما أخرجه الطبري في تفسيره (عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود قال: كان عبد الله بن مسعود يقول: ما ذكر من الآيات فقد مضين غير أربع:

---

(١) مسلم: صحيح مسلم ج١ ص٥٥٣.

(٢) السيوطي: الدر المنثور ج٣ ص٦٢.

(٣) الطبري: جامع البيان مج٥ ج٨ ص٧٥، والسيوطي: الإكليل ص١٠٣، وأبو حيان: البحر المحيط ج٤ ص٦٩٨ مع اختلاف في الألفاظ، والرواية المثبتة لفظ الطبري.

(٤) السيوطي: الدر المنثور ج٣ ص٦٣، والآية من سورة القيامة: ٩.

طلوع الشمس من مغربها، ودابة الأرض، والدجال، وخروج يأجوج ومأجوج، والآية التي تختم بها الأعمال طلوع الشمس من مغربها ألم تر أن الله قال: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ قال: فهي طلوع الشمس من مغربها)(١)، والذي يؤكد أن باب التوبة مفتوح إلى طلوع الشمس ما أورده ابن جرير (عن قتادة قال: ذكر لنا أن ابن أم عبد (أي ابن مسعود) كان يقول: لا يزال باب التوبة مفتوحاً حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رأى الناس ذلك ءامنوا وذلك حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾)(٢)، وفي الدر المنثور (عن ابن مسعود قال: التوبة معروضة على ابن آدم ما لم يخرج إحدى ثلاث: ما لم تطلع الشمس من مغربها أو تخرج الدابة أو يخرج يأجوج ومأجوج وقال: مهما يأتي عليكم عام فالآخر شر)(٣)، وساق جلال الدين رواية أخرى تؤكد أن لا توبة بعد طلوع الشمس مستدلاً بقول الله -تعالى-: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ الآية (عن عبد الله بن مسعود أنه قال ذات يوم لجلسائه: أرأيتم قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ (٤) ماذا يعني بها؟ قالوا: الله أعلم قال: فإنها إذا غربت سجدت له وسبحته وعظمته وكانت تحت العرش، فإذا

---

(١) الطبري: جامع البيان مج٥ ج٨ ص٧٤-٧٥، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص١٣٤، والسيوطي: الدر المنثور ج٣ ص٦٥.

(٢) الطبري: جامع البيان مج٥ ج٨ ص٧٥.

(٣) السيوطي: الدر المنثور ج٣ ص٦٥.

(٤) سورة الكهف: ٨٦.

حضر طلوعها سجدت له وسبحته وعظمته ثم استأذنته فيؤذن لها ، فإذا كان اليوم الذي تحبس فيه سجدت له سبحته وعظمته ثم استأذنته فيقال لها : اثبتي فإذا حضر طلوعها سجدت له وسبحته وعظمته ثم استأذنته فيقال لها : اثبتي فتحبس مقدار ليلتين قال: ويفزع إليها المتهجدون وينادي الرجل جاره يا فلان: ما شأننا الليلة لقد نمت حتى شبعت وصليت حتى أعييت ثم يقال لها : اطلعي من حيث غربت فذاك ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ الآية)[١] ، أما بعد طلوع الشمس من مغربها فمن صلى، وصام، وأقام الفروض، والطاعة، فإن كان من قَبْلُ مقبولة أعماله قُبلت بعد طلوع الشمس، ومن لم تكن مقبولة من قبل فلا تُقبل منه بعد؛ أورد صاحب الدر المنثور (عن ابن مسعود قال: إن الناس بعد الآية يصلون ويصومون ويحجون فيتقبل الله ممن كان يتقبل منه قبل الآية ومن لم يتقبل منه قبل الآية لم يتقبل منه بعد الآية)[٢]، وتأويل ابن مسعود رضي الله عنه هذا لا يكون من قبل الرأي، والاجتهاد، وإنما من جهة السماع، وإن لم يصرح به؛ لأنها من الأمور الغيبية التي ستقع في المستقبل، فلا يمكن العلم بها إلا من طريق القرآن، والمبلغ عن ربه رسول الله ﷺ .

قوله -تعالى- : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ .

(١) السيوطي: الدر المنثور ج٣ ص٦٥-٦٧.
(٢) المرجع نفسه: ج٣ ص٦٦.

جاء في تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (قال ابن مسعود ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾: من جاء بلا إله إلا الله، ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ يقول بالشرك)[١]، ورواية الدر المنثور جاءت مرفوعة إلى رسول الله ﷺ (عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله جعل حسنة ابن آدم عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم والصوم لي وأنا أجزي به)[٢]، وأورد السيوطي رواية أخرى موقوفة على عبد الله رضي الله عنه يحث فيها على تعلم القرآن، وأن لقارئه بكل حرف عشر حسنات (عن ابن مسعود قال: تعلموا القرآن واتلوه فإنكم تؤجرون به بكل حرف منه عشر حسنات أما إني لا أقول (آلم) عشر ولكن ألف ولام وميم ثلاثون حسنة، ذلك بأن الله عز وجل يقول: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾)[٣]، وفي تفسير الحافظ ابن كثير (قال ابن مسعود: إن العبد إذا عمل حسنة كتب له بها عشر، وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة، ثم يقول: هلك من غلبت آحاده عشراته)[٤].

هذا ما بالوسع جمعه في تفسير سورة الأنعام.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ [٥].

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص١٣٨، والطبري: جامع البيان مج٥ ج٨ ص٨٠، وأبو حيان: البحر المحيط ج٤ ص٧٠١.
(٢) السيوطي: الدر المنثور ج٣ ص٧١.
(٣) المرجع نفسه: ج٣ ص٧١.
(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص١٧٢.
(٥) سورة البقرة: ٢٨٦.

تفسير سورة الأعراف

قبل الشروع في جمع ما أثر عن ابن مسعود ﵁ في تأويل سورة الأعراف يحسن أن أدفع ما قاله الأسود بن يزيد من أن ابن مسعود ﵁ لم يحفظ سورة الأعراف حتى قدم الكوفة؛ جاء في الجامع للقرطبي (قال أبو بكر الأنباري: ... عن أبي إسحاق قال: سألت الأسود ما كان عبد الله يصنع بسورة الأعراف؟ فقال: ما كان يعلمها حتى قدم الكوفة)[١]، والرد على هذا من عدة أوجه:

أولاً: أن سورة الأعراف مكية؛ ويبعد أن لا يحفظها ابن مسعود قبل هجرته إلى المدينة؛ لأنه كان من الأوائل دخولاً في الإسلام، وهو الذي شهد له الرسول ﷺ بأنه غلام معلَّم، ثم كيف لم يحفظها طيلة بقاءه بالمدينة؟!

ثانياً: أنها الرابعة في ترتيب مصحفه؛ كما جاء في الإتقان (تأليف مصحف عبد الله بن مسعود: الطوَال: البقرة، والنساء، وآل عمران، والأَعراف، والأَنعام، والمائدة، ويونس)[٢].

ثالثاً: وهو الأولى أن الأسود بن يزيد تابعي توفي سنة ٧٤ أو ٧٥ هـ كما جاء في طبقات الحفاظ للسيوطي[٣]، والأعلام للزركلي[٤].

---

(١) القرطبي: الجامع مج١ ج١ ص٤٢.

(٢) السيوطي: الإتقان ج١ ص٢٢٦.

(٣) ينظر/ السيوطي: طبقات الحفاظ ص١٥.

(٤) ينظر/ الزركلي: الأعلام ج١ ص٣٣٠.

وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما صحابيّ مشهود له بالتبحر في العلم، وأنه ترجمان القرآن، وحبر هذه الأمة[١]، توفي سنة ٦٨ هـ أقرّ بأن ابن مسعود رضي الله عنه شهد العرضة الأخيرة (فعلم ما نُسخ من ذلك وما بُدّل)[٢]، فقول الصحابي مقدم عن قول التابعي، وفي أحكام القرآن لابن العربي (روي عن ابن مسعود أنه صلى بأصحابه فقرأ قوم خلفه فقال: ما لكم لا تعقلون؟ ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾)[٣]، وجه الدليل من هذا النص أن ابن مسعود رضي الله عنه استدل بأية من الأعراف، وهذا رد على قول القائل: ما كان يعلمها.

قوله -تعالى-: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾.

أخرج ابن جرير في تفسيره في تأويل هذه الآية (عن عبد الملك بن ميسرة الزرّاد[٤] قال: قال عبد الله بن مسعود: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم، قال: قلت لعبد الملك: كيف يكون ذلك؟ قال: فقرأ هذه الآية ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ﴾)[٥] الآية، ومعتمد هذا التأويل على السنة.

---

(١) ينظر/ المرجع نفسه: ج٤ ص٩٥.

(٢) القرطبي: الجامع مج١ ج١ ص٤٢.

(٣) ابن العربي: أحكام القرآن القسم الثاني ص٨٢٧، والآية من سورة الأعراف: ٢٠٤ .

(٤) عبد الملك بن ميسرة الزرّاد مولى بني هلال بن عامر كان ثقة كثير الحديث قال: وتوفي عبد الملك في ولاية خالد بن عبد الله القسري بالكوفة. ابن سعد: الطبقات ج٦ ص٣١٩.

(٥) الطبري: جامع البيان مج٥ ج٨ ص٨٩، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص١٤٥، والسيوطي: الدر المنثور ج٣ ص٧٤.

قوله -تعالى-: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾.

المروي عن ابن مسعود رضي الله عنه في تأويل هذه الآية ما نقله السيوطي في الدر المنثور (عن ابن مسعود قال: إن الله سائل كل ذي رعية عما استرعاه أقام أمر الله فيهم أم أضاعه حتى إن الرجل ليسأل عن أهل بيته)(١)، وهذا التأويل من عبد الله رضي الله عنه لعله أخذه مما رواه ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ؛ أخرج البخاري في صحيحه (عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، فالإمام الذي على الناس رَاعٍ وهو مسئولٌ عن رعيتهِ، والرَّجل راعٍ على أهلِ بيتهِ وهوَ مسئولٌ عن رَعِيتهِ، والمرأَةُ رَاعِيةٌ على أهلِ بَيْتِ زَوْجهَا وَوَلَدِهِ وهيَ مسئولةٌ عنهم، وعبدُ الرجلِ راعٍ على مالِ سيِّدِهِ وهوَ مسئولٌ عنه، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وكلُّكُمْ مسئولٌ عن رعيتهِ)(٢).

قوله -تعالى-: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨﴾.

لما تعرض الحافظ ابن كثير لشرح هذه الآية ذكر أن الذي يوزن إما الأعمال، وإما محالها، وإما فاعلها(٣) -أي الأشخاص-، ثم قال: (وفي مناقب عبد الله بن مسعود: أن النبي ﷺ قال: أتعجبون من دقة ساقيه والذي نفسي بيده لهما في الميزان أثقل من أُحد)(٤).

(١) السيوطي: الدر المنثورج٣ ص٧٦.
(٢) البخاري: صحيح البخاري بحاشية السندي ج٤ ص٢٣٣.
(٣) ينظر/ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص ١٤٦فما بعد.
(٤) المرجع نفسه: ج٣ ص١٤٧.

قوله -تعالى-: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦﴾.

جاء في البحر المحيط في تأويل هذه الآية قوله: ﴿لَأَقۡعُدَنَّ﴾ (عن ابن مسعود وعون بن عبد الله: أنه طريق مكة خصوصاً على العقبة المعروفة بعقبة الشيطان يضل الناس عن الحج ومعنى قعوده: أنه يعترض لهم على طريق الإسلام كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة)[1].

قوله -تعالى-: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢﴾.

المأثور عن ابن مسعود رضي الله عنه فيما يتعلق بمضمون هاتين الآيتين ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده (عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يدخل النارَ مَنْ كان في قلبه مثقالُ حبةٍ من إيمان، ولا يدخل الجنةَ مَن كان في قلبه مثقال حبةٍ من كِبْر، فقال رجل: يا رسول الله، إني ليُعْجبني أن يكون ثوبي غَسِيلاً، ورأسي دهيناً، وشِرَاك نعلي جديداً، وذكر أشياءَ، حتى ذكر عِلَاقة سوطه، أفمِنَ الكبر ذاكَ يا رسول الله؟ قال: لا، ذاك الجمال، إن الله جميل يحبُّ الجمال، ولكن الكِبر مَنْ سَفِهَ الحقَّ وازْدَرَى الناس)[2]، وفي رواية مسلم: (الكبر بطر الحق وغمط الناس)[3].

(١) أبو حيان: البحر المحيط ج٥ ص٢١.

(٢) ابن حنبل: المسند ج٥ ص٣٠١، والسيوطي: الدر المنثور ج٣ ص٨٧.

(٣) مسلم: صحيح مسلم مج١ ج١ ص٦٥.

قوله -تعالى-: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

مما أثر عن عبد الله ﷺ في تأويل هذه الآية ما جاء في الجامع للقرطبي (عن ابن مسعود أن الضِّعف هاهنا الأفاعي والحيات)(١)، وهذا التأويل منه لا يكون من قبل الرأي، وإنما من جهة السماع، وإن لم يصرح به هنا، فيكون من باب تفسير القرآن بالسنة؛ لأنه أمر غيبي.

قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

المروي عن ابن مسعود ﷺ في هذه الآية ما جاء في البحر المحيط (سئل ابن مسعود عن الجمل فقال: زوج الناقة وذلك منه استجهال للسائل ومنع منه أن يتكلف له معنى آخر)(٢)، وهذا التأويل يعتمد على اللغة -أي بيان غريب القرآن-.

قوله -تعالى-: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَٰهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

المأثور عن عبد الله ﷺ في هذه الآية معنى أهل الأعراف، وما يصير إليه حالهم، من ذلك ما جاء في غرائب القرآن قوله: (﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾

(١) القرطبي: الجامع مج٤ ج٧ ص١٣١، وأبو حيان: البحر المحيط ج٥ ص٥٠.

(٢) أبو حيان: البحر المحيط ج٥ ص٥٢، والزمخشري: الكشاف ج٢ ص٧٨، ونظام النيسابوري: غرائب القرآن مج٥ ج٨ ص٩٤ بهامش الطبري، والقرطبي: الجامع مج٤ ج٧ ص١٣٢.

قيل: إنهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم أوقفهم الله على هذه الأعراف لأنها درجة متوسطة بين الجنة والنار، ثم تؤول عاقبة أمرهم إلى الجنة برحمة من الله وفضل، قاله حذيفة وابن مسعود)[١]، وفي تفسير الحافظ ابن كثير (اختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم؟ وكلها قريبة ترجع إلى معنى واحد وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، نص عليه حذيفة وابن عباس وابن مسعود وغير واحد)[٢]، وما أخرجه ابن جرير في جامع البيان أوسع من هذا وأطول (قال سعيد بن جبير وهو يحدث ذلك عن ابن مسعود قال: يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار ثم قرأ قول الله: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[٣] ثم قال: إن الميزان كان يخف بمثقال حبة ويرجح قال فمن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف فوقفوا على الصراط، ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا سلام عليكم وإذا صرفوا أبصارهم إلى يسارهم نظروا أصحاب النار قالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٤] فيتعوذن بالله من منازلهم قال: فأما أصحاب الحسنات فإنهم يعطون نوراً فيمشون به بين أيديهم وبأيمانهم ويعطى كل عبد يومئذ نوراً وكل أمة نوراً؛

(١) نظام النيسابوري: غرائب القرآن مج٥ ج٨ ص١٠٠ بهامش الطبري.
(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص١٧١.
(٣) سورة المؤمنون: ١٠٢-١٠٣.
(٤) سورة الأعراف: ٤٧.

فإذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة، فلما رأى أهل الجنة ما لقي المنافقون قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا﴾[(١)] وأما أصحاب الأعراف فإن النور كان في أيديهم فلم ينزع من أيديهم فهنالك يقول الله: ﴿لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾، فكان الطمع دخولاً قال: فقال ابن مسعود: على العبد إذا عمل حسنة كتب له بها عشر وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة ثم يقول: هلك من غلبت وحدانه أعشاره)[(٢)]، وأما الضمير في قول الله -تعالى-: ﴿وَنَادَوۡاْ﴾ فإنه عائد على أهل الأعراف؛ قال أبو حيان في البحر: (﴿وَنَادَوۡاْ﴾ العائد على أهل الأعراف فقط وهذا تأويل ابن مسعود وقتادة والسدي وغيرهم)[(٣)]، أما ما أثر عنه في قول الله -تعالى-: ﴿لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾ فقد أورد القرطبي في جامعه: (﴿لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾ أي لم يدخل الجنة أصحاب الأعراف، أي لم يدخلوها بعدُ. ﴿وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾ على هذا التأويل بمعنى وهم يعلمون أنهم يدخلونها. وذلك معروف في اللغة أن يكون طَمِع بمعنى عَلِم؛ ذكره النحاس. وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وغيرهما)[(٤)]، أما قوله: أن طمع من معانيها العلم -وهو معروف في اللغة- كما ذكر، فإني لم أجد هذا المعنى في مادة (طمع) فيما عندي من قواميس، والذي في المفردات: (الطَّمَعُ نُزُوعُ النَّفْسِ إلى الشيءِ شَهْوَةً له)[(٥)]،

(١) سورة التحريم: ٨، وتمامها ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.
(٢) الطبري: جامع البيان مج٥ ج٨ ص١٣٧.
(٣) أبو حيان: البحر المحيط ج٥ ص٥٨.
(٤) القرطبي: الجامع مج٤ ج٧ ص١٣٧.
(٥) الراغب: المفردات ص٣٠٧.

والأقرب أن الذي جعلهم يطمعون في الدخول إلى الجنة أن نورهم لم يسلب منهم على الصراط، كما سلب من المنافقين والمنافقات؛ جاء في البحر (قال ابن مسعود: إنما طمع أصحاب الأعراف لأن النور الذي كان في أيديهم لم يطفأ حين طفئ نور ما بأيدي المنافقين)(١)، وقال أبو حيان في البحر معقباً على رواية ابن مسعود رضي الله عنه ما نصه (قال ابن مسعود: والله ما جعل الله ذلك الطمع في قلوبهم إلا لخير أراد بهم وهذا هو الأظهر والأليق بسياق الآية)(٢).

قوله -تعالى-: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾.

المروي عن ابن مسعود رضي الله عنه فيما يتعلق بهاتين الآيتين ما نقله السيوطي في الدر المنثور عن تاريخ البخاري (عن ابن مسعود قال: بعث الله نوحاً فما أهلك أمته إلا الزنادقة(٣) ثم نبي فنبي والله لا يهلك هذه الأمة إلا الزنادقة)(٤)، ثم ساق رواية بعد هذه (عن ابن عساكر عن عبد الله قال: ذكر الأنبياء عند النبي صلى الله عليه وسلم فلما ذكر هو (أي الرسول) قال: ذاك خليل الله)(٥).

---

(١) أبو حيان: البحر المحيط ج٥ ص٥٨.

(٢) المرجع نفسه: ج٥ ص٥٨.

(٣) الزنادقة: الزِنْدِيقُ بالكسر من الثَنَوِيَّةِ، أو القائلُ بالنُورِ والظُلْمَةِ، أو مَن لا يُؤْمِنُ بالآخِرَةِ وبالرُبوبِيَّةِ، أو مَن يُبطِنُ الكُفْرَ ويُظْهِرُ الإيمانَ. الفيروز آبادي: القاموس المحيط ج٣ ص٢٥٠.

(٤) السيوطي: الدر المنثور ج٣ ص١٠٣.

(٥) المرجع نفسه: ج٣ ص١٠٦.

قوله -تعالى-: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ۝١٠٢﴾ .

جاء في البحر المحيط لأبي حيان فيما يتعلق بمعنى العهد (الإيمان قاله ابن مسعود ويدل عليه إلا من اتخذ عند الله عهداً وهو لا إله إلا الله)(١).

قوله -تعالى-: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَاۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝١٢٣﴾ .

أخرج ابن جرير في تفسيره في تأويل هذه الآية (عن مرة عن ابن مسعود عن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ التقى موسى وأمير السحرة فقال له موسى: أرأيتك إن غلبتك أتؤمن بي وتشهد أن ما جئت به حق؟ قال الساحر: لآتين غداً بسحر لا يغلبه سحر، فوالله لئن غلبتني لأومنن لك ولأشهدن أنك حق وفرعون ينظر إليهم فهو قول فرعون: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ إذا التقيتما لتظاهرا فتخرجا منها أهلها)(٢)، وقريباً من هذه الرواية جاءت في البحر مع تسمية أمير السحر شمعون(٣)، وبنفس المعنى ذكر الاسم في تفسير الحافظ ابن كثير(٤).

---

(١) أبو حيان: البحر المحيط ج٥ ص١٢٦، ونظام النيسابوري: غرائب القرآن مج٦ ج٩ ص١٣ بهامش الطبري.

(٢) الطبري: جامع البيان مج٦ ج٩ ص١٦، ونظام النيسابوري: غرائب القرآن مج٦ ج٩ ص٢٣ بهامش الطبري.

(٣) ينظر/ أبو حيان: البحر المحيط ج٥ ص١٤١.

(٤) ينظر/ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٢٠٨.

قوله -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾.

أخرج ابن جرير في تفسيره في معنى هذه الآية (عن أبي عبيدة عن عبد الله ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ قال سني الجوع)(١)، وهو تفسير يعتمد على المعنى للكلمة، والصحابة أدرى من غيرهم باللسان العربي.

قوله -تعالى-: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾.

أخرج أبو داود في سننه فيما يتعلق بالطيرة(٢) (عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: الطيرة شرك ثلاثاً، وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل)(٣)، قال صاحب المرويات فيما يستنبط من هذا الحديث: (أن الطيرة من الشرك ووجه كونها من الشرك أن العرب كانوا يعتقدون أن ما يتشاءمون به سبب يؤثر في حصول المكروه. وفي قوله: (ولكن الله يذهبه بالتوكل) إشارة إلى أن من وقع له ذلك فسلم أمره إلى الله ولم يعبأ بالطيرة أنه لا يؤاخذ بما عرض له من ذلك)(٤).

---

(١) الطبري: جامع البيان مج٦ ج٩ ص٢٠.

(٢) الطِّيَرَة: بوزن العِنَبة وهو ما يُتَشاءَم به من الفَأْل الرَّدِيء. الرازي: مختار الصحاح ص٤٠٢، وفي المفردات للراغب: تَطيَّرَ فُلانٌ، واطَّيَّرَ أصْلُهُ التَّفَاؤُلُ بالطيْرِ ثمَّ يُسْتَعْمَلُ في كلِّ مَا يُتَفَاءَلُ بهِ ويُتَشَاءَمُ. الراغب: المفردات ص٣٠٩-٣١٠.

(٣) أبو داود: السنن ج١٦ ص٢٤٠، والترمذي: الجامع الصحيح ج٥ ص٢٣٨، وابن حنبل: المسند ج٥ ص٢٥٣.

(٤) الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج١ ص٢٢٣.

قوله -تعالى-: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ .

في المراد بالأرض المبارك حولها في الآية أقوال: منهم من جعلها مصر، ومنهم من جعلها الشام، وغير ذلك، والمروي عن عبد الله رضي الله عنه ما جاء في الدر المنثور (عن عبد الله بن مسعود قال: قسم الله الخير فجعله عشرة أعشار فجعل تسعة أعشاره بالشام وبقيته في سائر الأرضين، وقسم الشر فجعله عشرة أعشار فجعل تسعة أعشاره بالشام وبقيته في سائر الأرضين)(١)، وفي البحر (عن ابن عمر: البركات عشر ففي مصر تسع وفي الأرض كلها واحدة)(٢).

قوله -تعالى-: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ .

المأثور عن عبد الله رضي الله عنه في هذه الآية روايتان: إحداهما موقوفة عليه، والأخرى مرفوعة إلى رسول الله ﷺ فيها بيان كساء موسى عليه السلام عند لقاء ربه؛ جاء في الدر المنثور (عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: يوم كلم الله موسى كان عليه جبة صوف وكساء صوف وسراويل صوف

(١) السيوطي: الدر المنثور ج٣ ص١٢٣.
(٢) أبو حيان: البحر المحيط ج٥ ص١٥٥.

وكمة صوف ونعلان من جلد حمار غير ذكي)[١] (أي غير مذبوح)، أما الرواية الموقوفة عليه رضي الله عنه ففيها بيان بعض الأخلاق الفاضلة، وإجابة الله عز وجل عن أسئلة موسى عليه السلام (عن عبد الله بن مسعود قال: لما قرب موسى نجياً أبصر في ظل العرش رجلاً فغبطه بمكانه فسأل عنه فلم يخبر باسمه وأخبر بعمله فقال له: هذا رجل كان لا يحسد الناس على ما أتاهم الله من فضله بَرًّا بالوالدين لا يمشي بالنميمة فقال الله: يا موسى ما جئت تطلب؟ قال: جئت أطلب الهدى يا رب، قال: قد وجدت يا موسى. قال: رب اغفر لي ما مضى من ذنوبي وما غبر وما بين ذلك، وما أنت أعلم به مني، وأعوذ بك من وسوسة نفسي وسوء عملي، فقيل له: قد كفيت يا موسى. قال: رب أي العمل أحب إليك أن أعمله؟ قال: اذكرني يا موسى قال: رب أي عبادك أتقى؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني، قال: رب أي عبادك أغنى؟ قال: الذي يقنع بما يؤتى، قال: رب أي عبادك أفضل؟ قال: الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى، قال: رب أي عبادك أعلم؟ قال: الذي يطلب علم الناس إلى علمه لعله يسمع كلمة تدله على الهدى أو ترده عن ردي، قال: رب أي عبادك أحب إليك عملاً؟ قال: الذي لا يكذب لسانه ولا يزني فرجه ولا يفجر قلبه، قال: رب ثم أي على أثر هذا؟ قال: قلب مؤمن في خلق حسن، قال: رب أي عبادك أبغض إليك؟ قال: قلب كافر في خلق سيء، قال: رب ثم أي على أثر

(١) السيوطي: الدر المنثور ج٣ ص١٢٦.

هذا؟ قال: جيفة بالليل بطال بالنهار)[١] -أي الذي ليس في شيء من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة-.

قوله -تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾.

أورد الحافظ ابن كثير في تفسيره في تأويل هذه الآية (عن علقمة عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن ذلك يعني عن الرجل يزني بالمرأة ثم يتزوجها فتلا هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾ فتلاها عبد الله عشر مرات فلم يأمرهم بها ولم ينههم عنها)[٢] -أي توقف عن الفتوى-، وسيأتي مزيد إيضاح إن شاء الله لهذه المسالة في سورة النور.

قوله -تعالى-: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

المأثور عن عبد الله رضي الله عنه في هذه الآية ما ذكره جلال الدين السيوطي في تفسيره الدر المنثور (عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صفتي أحمد المتوكل مولده بمكة ومهاجره إلى طيبة ليس بفظ ولا غليظ يجزي

---

(١) السيوطي: الدر المنثور ج٣ ص١٢٧-١٢٨.

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٢٢٥، والسيوطي: الدر المنثور ج٣ ص١٣٩.

بالحسنة الحسنة ولا يكافىء بالسيئة، أمته الحمادون يأتزرون على أنصافهم ويوضئون أطرافهم أناجليهم في صدورهم، يصفون للصلاة كما يصفون للقتال، قربانهم الذي يتقربون به إليّ دماؤهم، رهبان بالليل ليوث بالنهار)[١]، وهذا من تفسير القرآن بالسنة، وهو من منهج ابن مسعود رضي الله عنه الذي لا يحيد عنه.

قوله -تعالى-: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾.

جاء في الدر المنثور (قرأ عبد الله بن مسعود: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ فقال رجل: ما أحب أني منهم فقال عبد الله: لم؟ ما يزيد صالحوكم على أن يكونوا مثلهم)[٢]، وجاء في الكشاف قوله: (﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ﴾ عن مسروق قرئ بين يدي عبد الله فقال رجل: إني منهم، فقال عبد الله: يعني لمن كان في مجلسه من المؤمنين: وهل يزيد صلحاؤكم عليهم شيئاً من يهدي بالحق وبه يعدل)[٣].

قوله -تعالى-: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾.

أثر عن عبد الله رضي الله عنه في تأويل هذه الآية حديثٌ موقوفٌ عليه ذكره صاحب الدر المنثور (عن مرة الهمداني عن ابن مسعود وناس من الصحابة

(١) السيوطي: الدر المنثور ج٣ ص١٤٤.
(٢) المرجع نفسه: ج٣ ص١٤٨.
(٣) الزمخشري: الكشاف ج٢ ص١٢٤.

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قالوا: لما أخرج الله آدم من الجنة قبل تهبيطه من السماء مسح صفحة ظهره اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ كهيئة الذَّر[١] فقال لهم: ادخلوا الجنة برحمتي، ومسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذّر فقال: ادخلوا النار لا أبالي فذلك قوله: (أصحاب اليمين وأصحاب الشمال)، ثم أخذ منهم الميثاق فقال: ألستُ بربكم؟ قالوا: بلى، فأعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التقية، فقال هو والملائكة: ﴿شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾[٢] قالوا: فليس أحد من ولد آدم إلا وهو يعرف الله أنه ربه وذلك قوله ﷻ: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾[٣] وذلك قوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾[٤] يعني يوم أخذ الميثاق)[٥]، ومن المأثور عنه في هذه الآية ما جاء في الدر المنثور (عن ابن مسعود أنه سئل عن العزل[٦] فقال: لو أخذ الله ميثاق نسمة من صلب رجل ثم أفرغه على صفا لأخرجه من ذلك الصفا، فإن شئت فاعزل

---

(١) الذَّرُّ: جَمْع (ذَرَّة) وهي أصْغَر النَّمْل. الرازي: مختار الصحاح ص٢٢١.

(٢) سورة الأعراف: ١٧٣.

(٣) سور آل عمران: ٨٣.

(٤) سورة الأنعام: ١٤٩.

(٥) السيوطي: الدر المنثور ج٣ ص١٥٤.

(٦) العزل: هو أن يجامع فإذا قارب الإنزال نزع وأنزل خارج الفرج. النووي: شرح صحيح مسلم ج١٣ ص٩.

وإن شئت فلا تعزل)[١]، ولعل هذا التأويل أخذه مما رواه جابر (قال: قلنا: يا رسول الله إنا كنا نعزل فزعمت اليهود أنها المؤودة الصغرى فقال: كذبت اليهود إن الله إذا أراد أن يخلقه فلم يمنعه)[٢]، وفي رواية أبي سعيد الخدري التي أخرجها مالك في الموطأ: (ما عليكم ألا تفعلوا ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة)[٣]، وهذا يؤكد ما ذهب إليه ابن مسعود رضي الله عنه من التخيير بين الفعل وعدمه، وإن كانت عبارته هذه تشعر بالكراهية، وهو ما يوافق رأي ابن عمر حيث كره ذلك، وأما ابن عباس، وجابر، وأبو سعيد الخدري، وزيد بن ثابت فقد أجازوه، بل منهم من فعله، وقد عمل بفتوى ابن مسعود مالك غير أنه رأى أن تستأذن الحرة في ذلك، وأما الأمة فلا شيء عليه إن لم يستأذنها[٤]، وأما الشافعية فقد حكموا بالكراهة سواء رضيت المرأة أم لم ترض؛ لما في ذلك من قطع النسل والضرر على الطرفين، وقد جمع النووي بين النهي والإباحة بأن النهي محمول على

(١) السيوطي: الدر المنثور ج٣ ص١٥٦، والدهلوي: أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي الهندي، أبو عبد العزيز، الملقب شاه ولي الله (ت١١٧٦) فقيه حنفي من المحدّثين. من أهل دهلي بالهند. زار الحجاز. من كتبه (الفوز الكبير في أصول التفسير)، و(حجة الله البالغة)، و(الإرشاد إلى مهمات الأسناد)، و(الإنصاف في أسباب الخلاف)، و(تأويل الأحاديث) وغيرها. الزركلي: الأعلام ج١ ص١٤٩ باختصار. الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف ن: محمد أحمد الشامي لا ط مطبعة فاروق – مصر لات ج١ ص٢٤٧.

(٢) الترمذي: الجامع الصحيح ج٣ ص٤٤٢ -٤٤٣.

(٣) مالك: الموطأ ص٤٠٨.

(٤) المرجع نفسه: ص٤٠٨.

كراهة التنزيه، والإباحة على عدم الحرمة[1]، وخلاصة القول أن من العلماء من أجازه مطلقاً بشرط الرضا من الحرة، وغيرهم كره ذلك معللاً أن النسمة إذا أرادها الله فلا مفر منها عزل أم لم يعزل، وفي العزل ضرر جسمي ونفسي يعود على الزوجين، فالابتعاد عنه أولى.

قوله -تعالى-: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥﴾ .

أثر عن ابن مسعود رضي الله عنه في سبب نزول هذه الآية حديث مطول ذكره نظام النيسابوري في غرائب القرآن مع ابن عباس رضي الله عنهم ومجاهد (قال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد: نزلت في بلعم بن باعوراء، وذلك أن موسى عليه السلام قصد بلده الذي هو فيه وغزا أهله وكانوا كفاراً فطلبوا منه أن يدعو على موسى وقومه وكان مجاب الدعوة وعنده اسم الله الأعظم فامتنع منه فما زالوا يطلبونه منه حتى دعا عليهم فاستجيب له ووقع موسى عليه السلام وبنو إسرائيل بدعائه في التيه فقال موسى: يا رب بأيّ ذنب وقعنا في التيه؟ فقال: بدعاء بلعم، فقال: كما سمعت دعاءه عليّ فاسمع دعائي عليه، ثم دعا موسى عليه السلام أن ينزع عنه الاسم الأعظم والإيمان فسلخه الله تعالى مما كان عليه ونزع عنه المعرفة فخرجت من صدره كحمامة بيضاء)[2].

وقد جاءت هذه القصة مختصرة ومطولة عن ابن مسعود وغيره من

(١) ينظر/ النووي: شرح صحيح مسلم ج١٠ ص٩.

(٢) نظام النيسابوري: غرائب القرآن مج٦ ج٩ ص٧٦ بهامش الطبري.

الصحابة رضي الله عنهم، ومنهم من جعلها في أمية بن أبي الصلت الثقفي، ومنهم من جعلها في أبي عامر الراهب؛ جاء ذلك في كتاب الجامع للقرطبي(١)، وفي تفسير الحافظ ابن كثير(٢)، وقبلهما في جامع البيان للطبري(٣)، ومجمل القصة أنه رجل في عهد موسى عليه السلام أوتي الإيمان حتى علم الاسم الأعظم، ومنه من جعله نبياً، وهذا لا يصح؛ لأن الله لا يعطي النبوّة لمن لا يستحقها، ثم سُلب ذلك كله؛ لأنه لم يشكر الله يوماً على ما أعطاه(٤)، وفي قصته ذكرى وعبرة لمن ﴿أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(٥).

قوله -تعالى-: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ .

المروي عن عبد الله رضي الله عنه في هذه الآية بيان فضل أسماء الله الحسنى التي من دعى بها جملة أو بواحد منها موقناً مخلصاً؛ أجاب الله -تعالى- دعاءه، وحقق له سؤله فضلاً مِنْهُ ومِنّة؛ جاء في المسند للإمام أحمد (عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أصاب أحداً قطُّ هَمٌّ ولا حَزَنٌ فقال: اللهم إني عبدُك وابنُ عبدك وابنُ أمتك، ناصيتي بيدك: ماضٍ فيَّ حكمُك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سمَّيْتَ به نفسَك، أو علّمتَه أحداً من خلقك، أو أنزلتَه في

(١) ينظر/ القرطبي: الجامع مج٤ ج٧ ص٢٠٣-٢٠٤.
(٢) ينظر/ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٢٥٠ فما بعد.
(٣) ينظر/ الطبري: جامع البيان مج٦ ج٩ ص٨٢ فما بعد.
(٤) ينظر/ القرطبي: الجامع مج٤ ج٧ ص٢٠٣.
(٥) سورة ق: ٣٧.

كتابك، أو استأثَرتَ به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن رَبيعَ قلبي، ونور صدري، وجِلاءَ حزني، وذهابَ همّي، إلّا أذهب الله هَمَّه وحُزْنه، وأبدله مكانه فرجاً، قال: فقيل: يا رسول الله ألَا نتعلمها؟ فقال: بلى، ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها)(١)، في الحديث دليل على أن لله أسماء استأثر بها يعلمها من شاء من عباده غير التسعة والتسعين المعروفة، وفيه أن من دعا بهذا الدعاء أذهب الله همه وحزنه، وفيه حرص النبي ﷺ على تعليم أصحابه الدعاء المستجاب.

قوله -تعالى-: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨٧﴾.

جاء في الكشاف (قرأ ابن مسعود كأنك حفي بها: أي عالم بها بليغ في العلم بها)(٢)، وهي قراءة تفسيرية لا قرآنٌ يتلى، كما يفهم من ظاهر العبارة.

قوله -تعالى-: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠﴾.

أثر عن عبد الله رضي الله عنه في تأويل هذه الآية حديثٌ يرفعه إلى رسول الله ﷺ أورده صاحب الدر المنثور (عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه كان يقول: اللهم إني أعوذ بك من الشيطان من همزه ونفثه ونفخه قال: همزه المؤتة، ونفثه الشعر، ونفخه الكبرياء)(٣)، ومما يتعوذ منه أيضاً أمور

(١) ابن حنبل: المسند ج٥ ص٢٦٧ -٢٦٨.

(٢) الزمخشري: الكشاف ج٢ ص١٣٥.

(٣) السيوطي: الدر المنثور ج٣ ص١٦٨، وابن حنبل: المسند ج٥ ص٣١٨.

خمسة ذكرها النسائي في سننه (عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود قال: كان النبي ﷺ يتعوذ من خمس: من البخل والجبن وسوء العمر وفتنة الصدر وعذاب القبر)(١)، وفي الحديث إرشاد إلى التعوذ من المذكورات في الحديث، وفيه ذم البخل والجبن، وسوء العمر، وما انطوى عليه الصدر من الحسد، أو الحقد، أو الغل، أو العقيدة الزائفة، وفيه إثبات عذاب القبر، ومما يتعلق بهذه الآية ما أخرجه مسلم في صحيحه عن علقمة (عَنْ عَبْدِ اللهِ؛ قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْوَسْوَسَةِ. قَالَ: تِلْكَ مَحْضُ(٢) الْإِيمَانِ)(٣)، أي الإيمان الخالص، وفي الحديث (دلالة على أن استعظام الإنسان المؤمن التكلم بما يلقيه الشيطان في نفسه هو صريح الإيمان وخالصه، وليس المراد أن الوسوسة هي محض الإيمان بل هي من قبل الشيطان وكيده)(٤).

قوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾.

المأثور عن ابن مسعود رضي الله عنه في هذه الآية أكثر من رواية، منها ما يتعلق بذكر أسباب النزول؛ جاء في البحر المحيط لأبي حيان (قال ابن مسعود وأبو هريرة وجابر وعطاء وابن المسيب والزهري وعبيد الله بن عمر: إنها في المشركين كانوا إذا صلى الرسول ﷺ يقولون: ﴿لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ

(١) النسائي: المجتبى ج٨ ص٢٥٦.

(٢) محض: المَحْض بوَزْن الفَلْس اللَّبَن الخالِص الذي لم يُخَالِطْه الماءُ حُلْواً كان أو حامِضاً. ومَحَضَه الوُدَّ وأمْحَضَه. وكُلّ شيء أَخْلَصْتَه فقد مَحَضْتَه. الرازي: مختار الصحاح ص٦١٦.

(٣) مسلم: صحيح مسلم بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ج١ ص١١٩.

(٤) الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود ج١ ص١٨٦.

وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾(١) فنزلت جواباً لهم)(٢)، وفي رواية أخرى أن سبب نزولها أن المسلمين كانوا يتكلمون في الصلاة فيسلم بعضهم على بعض، وربما سألوا عن كم فاتهم من الركعات فنزلت آمرةً لهم بالاستماع والإنصات؛ أخرج الطبري في تفسيره (عن المسيب بن رافع(٣) قال كان عبد الله يقول: كنا يسلم بعضنا على بعض في الصلاة سلام عن فلان وسلام على فلان قال فجاء القرآن ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾)(٤)، وفي رواية البحر (قال ابن مسعود: كان يسلم بعضنا على بعض في الصلاة ويكلمه في حاجته فأمرنا بالسكوت في الصلاة بهذه الآية)(٥)، وفي مسند الإمام أحمد (عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: كانوا يقرؤون خلفَ النبي ﷺ، فقال: خلطتم عليَّ القرآنَ)(٦)، هذا ما أثر عن ابن مسعود رضي الله عنه في أسباب نزولها وهناك أسباب أخرى ذكرها الواحدي(٧) عن غير ابن مسعود رضي الله عنه، ومن الأحكام التي استنبطها ابن مسعود رضي الله عنه من هذه الآية أن قراءة الإمام تغني عن قراءة المأموم في الصلاة الجهرية؛ جاء في الدر المنثور (عن أبي وائل عن ابن مسعود أنه قال في القراءة خلف الإمام: أنصت للقرآن كما

---

(١) سورة فصلت: ٢٦.

(٢) أبو حيان: البحر المحيط ج٥ ص٢٦١، والقرطبي: الجامع مج٤ ج٧ ص٢٢٤.

(٣) المسيب بن رافع الأسدي طلب منه تولي القضاء فأباه وتوفي سنة خمس ومائة. ابن سعد: الطبقات ج٦ ص٢٩٣ بتصرف.

(٤) الطبري: جامع البيان مج٦ ج٩ ص١١٠، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٢٧٠.

(٥) أبو حيان: البحر المحيط ج٥ ص٢٦٢.

(٦) ابن حنبل: المسند ج٦ ص١٥٠.

(٧) ينظر/ الواحدي: أسباب النزول ص١٧٢، والسيوطي: لباب النقول ص٢٤١.

أمرت فإن الصلاة شغلاً وسيكفيك ذاك الإمام)(١)، وأورد الطبري في جامع البيان (عن بشير بن جابر قال: صلى ابن مسعود فسمع ناساً يقرؤون مع الإمام فلما انصرف قال: أما آن لكم أن تفهموا أما آن لكم أن تعقلوا ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ كما أمركم الله)(٢).

قوله -تعالى-: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾.

أورد جلال الدين السيوطي في تفسيره الدر المنثور فيما يتعلق بهذه الآية (عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل عن الفارين)(٣)، في الحديث حث على ذكر الله وأن للذاكر عند الله -تعالى- درجة المقاتل في سبيل الله مع المغفرة، والأجر العظيم؛ قال الله -تعالى- في سورة الأحزاب ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾(٤).

هذا ما أتيح لي جمعه فيما يتعلق بسورة الأعراف.

قال عز وجل: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾(٥).

---

(١) السيوطي: الدر المنثور ج٣ ص١٦٩.

(٢) الطبري: جامع البيان مج٦ ج٩ ص١١٠، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٢٧١، وابن العربي: أحكام القرآن القسم الثاني ص٨٢٧.

(٣) السيوطي: الدر المنثور ج٣ ص١٧١.

(٤) سورة الأحزاب: ٣٥.

(٥) سورة الأعراف: ٤٢.

تفسير سورة الأنفال

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله -تعالى-: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ﴾ .

من المأثور عن عبد الله رضي الله عنه في تأويل هذه الآية مرويات عدة منها ما جاء في الكشاف للزمخشري (قرأ ابن مسعود: يسألونك الأنفال:[١] أي يسألك الشبان ما شرطت لهم من الأنفال)[٢]، والنَّفَل كما جاء في المفردات للراغب معناه: (ما يحْصُلُ للإنسانِ قبْلَ القِسْمة من جُمْلَةِ الغَنِيمَةِ، وقيلَ هو ما يُفصَلُ من المتاعِ ونحوِهِ بَعْدَ مَا تُقْسَمُ الغَنائِمُ وعلى ذلك حُمِلَ قولُه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ﴾ الآية، وأصْلُ ذلك من النَّفْلِ أي الزيادةِ عَلَى الواجبِ)[٣]، وقول الزمخشري: (قرأ ابن مسعود) يقصد به التفسير لا التلاوة؛ لأن قرءاة عاصم المنتهية إليه فيها حرف (عن) من غير إسقاط، ومما يتعلق بالأنفال ما أورده الحافظ ابن كثير في تفسيره (قال ابن مسعود ومسروق: لا نفل يوم الزحف، إنما النفل قبل التقاء الصفوف)[٤]، وأخرج أبو داود في سننه (عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال: نفلني رسول الله ﷺ يوم بدر سيف أبي جهل كان قتله)[٥]، (في الحديث دليل على جواز

---

(١) الأنفال: النَّفَلُ بفتحتين الغَنِيمَةُ والجَمْع الأَنْفَال... تَقول منه نَفَّله تَنْفِيلاً أي أَعْطَاه نَفَلاً. الرازي: مختار الصحاح ٦٧٤.

(٢) الزمخشري: الكشاف ج٢ ص١٤١.

(٣) الراغب: المفردات ص٥٠٢-٥٠٣.

(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٢٧٤.

(٥) أبو داود: السنن ج٢ ص٣١٥.

إعطاء بعض السلب لمن أثبت قتل الجريح وأسره وتمم عليه)[١].

قوله -تعالى-: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾.

فيما يتعلق بهذه الآية قال الزمخشري في كشافه (قوله: ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ في قراءة عبد الله فرقت)[٢]، وهي لبيان معنى لا استبدال لفظٍ مكان لفظ في التلاوة، وإن كان المعنى واحد، فالفَرَق والوجل معناهما الخوف؛ قال الرازي في المختار: (الفَرَق الخَوْف)[٣]، و(الوَجَلُ الخَوْف)[٤]، وهو تأويل يعتمد على بيان غريب القرآن.

قوله -تعالى-: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾.

جاء في الكشاف للزمخشري فيما يتعلق بهذه الآية (عن أبي جهل[٥] أنه قال لابن مسعود: من أين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى

---

(١) الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج٢ ص٢٧٦.

(٢) الزمخشري: الكشاف ج٢ ص١٤٢، وأبو حيان: البحر المحيط ج٥ ص٢٧٠.

(٣) الرازي: مختار الصحاح ص٥٠٠.

(٤) المرجع نفسه: ص٧١١.

(٥) أَبُو جَهْل: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي(ت٢هـ) أشد الناس عداوة للنبيّ ﷺ في صدر الإسلام، وأحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية. أدرك الإسلام، وكان يقال له: (أبو الحكم) فدعاه المسلمون (أبا جهل). وكان يثير الناس على محمد ﷺ وأصحابه، لا يفتر عن الكيد لهم والعمل على إيذائهم، حتى كانت وقعة بدر الكبرى، فشهدها مع المشركين، فكان من قتلاها. الزركلي: الأعلام ج٥ ص٨٧.

شخصاً ؟ قال: من الملائكة، فقال أبو جهل: هم غلبونا لا أنتم)[١]، وهذه رواية شاهد عيان، وقد أجهز عليه ابن مسعود رضي الله عنه ونفله رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف أبي جهل كما مرّ.

قوله -تعالى-: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾.

أخرج ابن جرير في جامع البيان (عن أبي زر عن عبد الله قال: النعاس في القتال أمنة من الله عز وجل، وفي الصلاة من الشيطان)[٢].

قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾.

جاء في الدر المنثور فيما يتعلق بهذه الآية (عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ثلاثاً غفرت له ذنوبه وإن كان فرّ من الزحف[٣])[٤]، التولي يوم الزحف إذا كان لغير تحرف لقتال، أو انحياز إلى فئة وإن بعدت فإنه ذنب عظيم،

---

(١) الزمخشري: الكشاف ج٢ ص١٤٥، ونظام النيسابوري: غرائب القرآن مج٦ ج٩ ص١١٧ بهامش الطبري.

(٢) الطبري: جامع البيان مج٦ ج٩ ص١٢٩، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٢٨٨، و أبو حيان: البحر المحيط ج٥ ص٢٨٢.

(٣) الزحف: أَصْلُ الزَّحْفِ انْبِعاثٌ معَ جَرِّ الرِّجْلِ كانْبِعاثِ الصَّبيِّ قَبْلَ أَنْ يَمْشِيَ وَكالْبَعِيرِ إِذَا أَعْيَا فَجرَّ فَرْسَنَهُ، وَكالْعَسْكَرِ إذا كَثُرَ فَيَعْثُرُ انْبِعاثُهُ. الراغب: المفردات ص٢١٢.

(٤) السيوطي: الدر المنثور ج٣ ص١٨٩.

وإثم كبير(١) يقع على فاعله الغضب، وله يوم القيامة جهنم وبئس المصير إلا من تاب توبةً نصوحاً، واستغفر الله بنية صادقة، وعزم على عدم العود، وندم على ما فعل.

قوله -تعالى-: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾.

أخرج ابن جرير في تفسيره فيما يتعلق بهذه الآية (عن عبد الرحمن عن ابن مسعود في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ قال: ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل على الفتنة(٢) فمن استعاذ منكم فليستعذ بالله من مضلات الفتن)(٣).

قوله -تعالى-: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

المأثور عن عبد الله رضي الله عنه بخصوص هذه الآية ما أخرجه البخاري في صحيحه (عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله أنؤاخذ بما

---

(١) ينظر/ الذهبي: كتاب الكبائر ص٧٧-٧٨.

(٢) الفتنة لها معان: جُعِلتِ الفِتْنَةُ كالبَلَاءِ في أَنهُمَا يُسْتَعْمَلانِ فيما يُدْفَعُ إليه الإنسانُ مِنْ شِدَّةٍ ورَخاءٍ وهُما في الشِّدّةِ أظْهَرُ مَعْنىً وأكْثَرُ اسْتِعْمالاً ... قوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ فقد سَمَّاهُمْ هاهُنَا فِتْنَةً اعْتبَاراً بمَا يَنالُ الإنْسَانَ مِنَ الاخْتبار بهم... والفِتْنَةُ مِنَ الأفْعَالِ التي تكونُ مِنَ اللهِ تعالى ومِنَ العَبْدِ كالبَلِيَّةِ والمُصِيبَةِ والقَتْلِ والعَذابِ وغَيْرِ ذلك من الأفعالِ الكَرِيهَةِ، ومتى كان مِنَ اللهِ يكونُ عَلَى وَجْهِ الحِكْمَةِ، ومتى كان مِنَ الإنْسَانِ بغَيْرِ أَمْرِ اللهِ يكونُ بِضِدِّ ذلك. الراغب: المفردات ص٣٧٢.

(٣) الطبري: جامع البيان مج٦ ج٩ ص١٤٧.

عملنا في الجاهلية؟ قال: من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر)[١]، وهذه الرواية من باب تفسير القرآن بالسنة.

قوله -تعالى-: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾.

المروي عن ابن مسعود رضي الله عنه في هذه الآية مرويات، منها ما يتعلق بتحديد زمن وقعة بدر، ومنها ما يتعلق بليلة القدر، ومنها ما يتعلق بقتل أبي جهل، فبخصوص ذكر الزمن أورد جلال الدين السيوطي في تفسيره (عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ قال: كانت بدر لسبع عشرة مضت من شهر رمضان)[٢]، أما ما يتعلق ببيان ليلة القدر فقد جاء في تفسير القرآن العظيم (عن الأسود عن ابن مسعود، قال في ليلة القدر: تحروها لإحدى عشرة يبقين، فإن في صبيحتها يوم بدر)[٣]، وسيجيىء إن شاء الله مزيد بيان ليلة القدر من حيث الزمن والفضل في سورة القدر، أما بخصوص قتل أبي جهل فقد أخرج أبو داود في سننه عن أبي عبيدة (عن أبيه قال: مررت فإذا أبو جهل صريع قد ضربت رجله، فقلت: يا عدو الله، يا أبا جهل، قد أخزى الله الآخر، قال: ولا أهابه عند ذلك، فقال: أبعد من رجل قتله قومه؟ فضربته بسيف

(١) ابن حجر: فتح الباري ج١٢ ص٢٦٥، والنووي: شرح صحيح مسلم ج٢ ص١٣٥.
(٢) السيوطي: الدر المنثور ج٣ ص٢٠٤.
(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٣٢٥.

غير طائل، فلم يغن شيئاً حتى سقط سيفه من يده، فضربته به حتى برد)[١]، أما ما يستنبط من هذا الحديث فمنه (دليل على جواز الانتفاع بسلاح الكافر قبل قسم الغنيمة. وفيه أن ابن مسعود أجهز على أبي جهل أي أسرع قتله وتممه. وهذا الحديث لا ينافي ما صح من أن قاتلي أبي جهل معاذ ومعوذ لأن ابن مسعود أجهز عليه حين رآه حياً بين القتلى)[٢].

قوله -تعالى-: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾.

أخرج أبو جعفر الطبري في جامع البيان (عن أبي عبيدة عن عبد الله قال: لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبي: تراهم سبعين، قال: أراهم مائة، قال: فأسرنا رجلاً منهم فقلنا: كم هم؟ قال: كنا ألفاً)[٣]، قال صاحب البحر المحيط معقباً على هذه الرواية: (هذا من عبد الله لكونه لم يسمع ما أعلم به الرسول ﷺ من عددهم)[٤].

قوله -تعالى-: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾

جاء في الدر المنثور بخصوص هذه الآية (عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قاتلوا أهل الصقع[٥] فمن بلغ منهم فله درجة

(١) أبو داود: السنن ج١٢ ص٢٨٢.

(٢) الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج٢ ص٢٧٤.

(٣) الطبري: جامع البيان مج٦ ج١٠ ص١٠، والزمخشري: الكشاف ج٢ ص١٦١، والقرطبي: الجامع مج٤ ج٨ ص١٦، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٣٢٩.

(٤) أبو حيان: البحر المحيط ج٥ ص٣٣٠-٣٣١.

(٥) الصقع: الصُّقْع بالضم النَّاحيَةُ. الرازي: مختار الصحاح ص٣٦٦.

في الجنة، قالوا: يا رسول الله ما الدرجة؟ قال: ما بين الدرجتين خمسمائة عام)[(١)]، يعني بأهل الصقع بني قريظة ومن خلفهم فافعل بهم من النقمة ما يزجر غيرهم؛ قال صاحب المفردات: (﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ أي: اجْعلْهُمْ نَكالاً لِمَنْ يَعْرِضُ لَكَ بَعْدَهُمْ)[(٢)]، وجاء في الكشاف: (قرأ ابن مسعود ﷺ فشرذ بالذال المعجمة بمعنى ففرق)[(٣)]، وفي المصحف بالدال المهملة، وهي قراءة تفسيرية تبين غريب القرآن.

قوله -تعالى-: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ .

الخيل في الزمن الأول كان لها الدور الأكبر في حياة الإنسان سلماً، وحرباً، وقد عنى بها الإسلام أيما عناية وبخاصة المعدة للجهاد؛ جاء في مسند الإمام أحمد عن (عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: الخيل ثلاثة، ففرسٌ للرحمن، وفرس للإنسان، وفرس للشيطان، فأما فرس الرحمن فالذي يربط في سبيل الله، فعلفُه وروثُه وبولُه، وذكَر ما شاء الله، وأما فرس الشيطان فالذي يُقامَر أو يُراهَن عليه، وأما فرس الإنسان فالفرس يرتبطها الإنسان يلتمس بطنَها، فهي تستُر من فقرٍ)[(٤)]، المستفاد

(١) السيوطي: الدر المنثور ج٣ ص٢١٠.

(٢) الراغب: المفردات ص٢٥٨.

(٣) الزمخشري: الكشاف ج٢ ص١٦٥.

(٤) ابن حنبل: المسند ج٥ ص٢٨٤.

من هذا الحديث (١- دلالة على فضل الخيل المعدة للجهاد في سبيل الله وعظيم أجر صاحبها. ٢- أنه لا بأس باقتناء الخيل إذا كان يقصد بها صاحبها الغنى عن الناس والتعفف عن مسألتهم. ٣- حرمة اقتناء الخيل بقصد القمار والفخر والرياء ومحاربة المسلمين)[1].

قوله -تعالى-: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾.

المأثور عن عبد الله رضي الله عنه في هذه الآية ما أخرجه أبو جعفر الطبري في تفسيره (عن أبي الأحوص قال: سمعت عبد الله يقول: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ الآية قال: هم المتحابون في الله)[2]، ولعل هذا المعنى أخذه ابن مسعود رضي الله عنه من الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المحبة في الله، منها ما روي (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم؛ أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخاً لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى. فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكاً. فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخاً لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لاَ. غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ)[3]، وعنه -أي أبي هريرة رضي الله عنه (قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِنَّ اللهَ

---

(١) الشريف العبدلي: مرويات ابن مسعود مج٢ ص٢٦٥.

(٢) الطبري: جامع البيان مج٦ ج١٠ ص٢٦، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٣٤٢، وأبو حيان: البحر المحيط ج٥ ص٣٤٧.

(٣) مسلم: صحيح مسلم بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ج٤ ص١٩٨٨.

يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي. الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي. يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي)[1].

قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ .

المروي عن عبد الله رضي الله عنه في هذه الآية منقبة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ جاء في الجامع للقرطبي (عن عبد الله بن مسعود قال: ما كنا نقدر على أن نُصلّيَ عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه. وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة)[2]، ومما أثر عن عبد الله رضي الله عنه في بيان فضل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أخرجه البخاري في صحيحه (عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: مازلنا أعزة منذ أسلم عمر)[3].

قوله -تعالى-: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٧﴾﴾ .

أثر عن ابن مسعود رضي الله عنه في هذه الآية حديث مطول في نهايته فيه منقبة له هذا نصه: (عن أبي عبيدة عن عبد الله قال: لما كان يوم بدر جيء بالأسارى وفيهم العباس[4]، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما ترون في هؤلاء الأسارى فقال

(١) مسلم: صحيح مسلم بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ج٤ ص١٩٨٨.

(٢) القرطبي: الجامع مج٤ ج٨ ص٢٩.

(٣) ابن حجر: فتح الباري ج٧ ص٤١.

(٤) العباس: عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف يكنى أبا الفضل (ت٣٢هـ) عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان العباس في الجاهلية رئيساً في قريش وإليه كانت عمارة المسجد الحرام والسقاية في الجاهلية، فالعمارة أنه كان لا يدع أحداً يسب في المسجد الحرام =

أبو بكر: يا رسول الله قومُك وأهلُك، استبقهم لعلّ الله أن يتوب عليهم. وقال عمر: كذّبوك وأخرجوك وقاتلوك، قدّمهم فاضرب أعناقهم. وقال عبد الله بن رواحة[1]: انظر وادياً كثير الحطب فأضرمه عليهم. فقال العباس وهو يسمع: قطعتَ رحمك. قال: فدخل رسول الله ﷺ ولم يردّ عليهم شيئاً. فقال أناس: يأخذ بقول أبي بكر رضي الله عنه، وقال أناس: يأخذ بقول عمر. وقال أناس: يأخذ بقول عبد الله بن رواحة. فخرج رسول الله ﷺ فقال: إن الله ليُلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن ويُشدّد قلوب رجال فيه حتى تكون أشدّ من الحجارة. مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى إذ قال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾[3]. ومثلك يا عمر كمثل نوح عليه السلام إذ قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[4]. ومثلك يا

= ولا يقول فيه هُجْراً، وكان ممن خرج مع المشركين يوم بدر فأسر فيمن أسر منهم وكان النبي ﷺ يكرم العباس بعد إسلامه ويعظمه ويجله، وكان العباس جواداً مطعماً وصولاً للرحم ذا رأي حسن ودعوة مرجوة، توفي في المدينة وصلى عليه عثمان رضي الله عنه. ابن عبد البر: الاستيعاب القسم الثاني ص٨١٠ فما بعد باختصار وتصرف.

(١) عَبْد الله بن رَوَاحَة بن ثعلبة الأنصاري، من الخزرج، أبو محمد (ت٨هـ) صحابيّ، يعد من الأمراء والشعراء الراجزين. كان يكتب في الجاهلية. وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار. وكان أحد النقباء الاثني عشر. وشهد بدراً وأحداً والخندق والحديبية. واستخلفه النبيّ ﷺ على المدينة في إحدى غزواته. وصحبه في عمرة القضاء. وكان أحد الأمراء في وقعة مؤتة فاستشهد فيها. الزركلي: الأعلام ج٤ ص٨٦ باختصار.

(٢) سورة إبراهيم: ٣٦.

(٣) سورة المائدة: ١١٨.

(٤) سورة نوح: ٢٦.

عمر مثل موسى ﷺ إذ قال: ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ (١)، أنتم عالة فلا ينفلتَنّ أحد إلا بفداء أو ضربة عنق. فقال عبد الله: إلا سُهيل بن بيضاء فإني سمعته يذكر الإسلام. فسكت رسول الله ﷺ. قال: فما رأيتني أخوف أن تقع عليّ الحجارة من السماء منّي في ذلك اليوم. فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ﴾ إلى آخر الآيتين)(٢).

قوله -تعالى-: ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٦٨﴾:

ومما أثر عن عبد الله رضي الله عنه فيما يتعلق بهذه الآية بيان فضل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وموافقة للوحي؛ جاء في مسند الإمام أحمد (عن أبي وائل قال: قال عبد الله: فَضَلَ الناسَ عمرُ بن الخطاب بأربع، بذكر الأسرى يوم بدر، أَمرَ بقتلهم، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٦٨﴾(٣)، وبذكره الحجاب، أمرَ نساءَ النبي ﷺ أن يحتجبن، فقالت له زينب(٤): وإنك علينا يا ابن الخطاب والوحي

(١) سورة يونس: ٨٨.

(٢) القرطبي: الجامع مج٤ ج٨ ص٣١، وابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٣٤٥-٣٤٦، والواحدي: أسباب النزول ص١٧٨.

(٣) سورة الأنفال: ٦٨.

(٤) زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر... ابن خزيمة (ت٢٠هـ) تزوجها رسول الله ﷺ في سنة خمس من الهجرة، وكانت أول نساء النبي ﷺ وفاة بعده ولحوقاً به ﷺ، وكانت تعمل بيدها وتتصدق، قالت عنها السيدة عائشة رضي الله عنها: ما رأيت امرأة قط خيراً في الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأعظم صدقة.

توفيت في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. ابن عبد البر: الاستيعاب القسم الرابع =

ينزل في بيوتنا؟! فأنزل الله ﷻ ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾[(١)]، وبدعوة النبي ﷺ له: اللهم أيِّد الإسلامَ بعمر، وبرأيه في أبي بكر، كان أولَ الناس بَايَعهُ)[(٢)].

قوله -تعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾﴾.

أثر عن ابن مسعود ﵁ في هذه الآية مرويات، منها ما أوردها الحافظ ابن كثير في تفسيره (عن شقيق عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: المهاجرون والأنصار، والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة)[(٣)]، وجاء في الجامع للقرطبي (﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾ قال بتوريث أولي الأرحام: عمر بن الخطاب وابن مسعود ومعاذ وأبو الدَّرْدَاء وعائشة وعليّ في رواية عنه، وهو قول الكوفيين وأحمد وإسحاق[(٤)])[(٥)]، ورواية الدر المنثور (عن ابن عباس ﵄ أنه

= ص١٨٤٩-١٨٥٢ باختصار وتصرف.

(١) سورة الأحزاب: ٥٣.

(٢) ابن حنبل: المسند ج٦ ص١٦٨، والسيوطي: الدر المنثور ج٣ ص٢١٩.

(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٣ ص٣٥٢.

(٤) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي التميمي المروزي، أبو يعقوب ابن راهويه (ت٢٣٨هـ) عالم خراسان في عصره. من سكان مرو وهو أحد كبار الحفاظ. وأخذ عنه الإمام أحمد بن حنبل والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم. وكان ثقة في الحديث. ورحل إلى العراق والحجاز والشام واليمن. له تصانيف، منها (المسند). استوطن نيسابور وتوفي بها. الزركلي: الأعلام ج١ ص٢٩٢ باختصار.

(٥) القرطبي: الجامع مج٤ ج٨ ص٣٩.

قيل: إن ابن مسعود ﵁ لا يورث الموالي دون ذوي الأرحام ويقول: إن ذوي الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله فقال ابن عباس ﵄: هيهات هيهات أين ذهب إنما كان المهاجرون يتوارثون دون الأعراب فنزلت: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ (١) بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ﴾ يعني أنه يورث الموالي)(٢)، وحجة ابن مسعود ﵁ ومن معه في توريث ذوي الأرحام كما ذكر القرطبي احتجاجهم بالآية أولاً، ثم إنه اجتمع في ذوي الأرحام سببان: القرابة والإسلام، واحتج ابن عباس ومن معه بأن آية الأرحام عامة، وآيات المواريث مخصِّصة، ثم إن النبي ﷺ جعل الولاء سبباً من أسباب المواريث الثابتة(٣)؛ قال ﷺ (الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ)(٤).

---

(١) أولو الأرحام: من لا سهم لهم في الكتاب. المرجع نفسه: مج٤ ج٨ ص٣٩.

(٢) السيوطي: الدر المنثور ج٣ ص٢٢٤.

(٣) ينظر/ القرطبي: الجامع مج٤ ج٨ ص٣٩.

(٤) مسلم: صحيح مسلم بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ج٢ ص١١٤١.

هذا ما بالإمكان جمعه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فيما يتعلق بهذه السورة والله الهادي إلى سواء السبيل

وإلى هنا ينتهي تفسير الثلث الأول من القرآن الكريم فيما أثر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.